

سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٣)

التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ الفُرْقانِ - نِهايَةِ سُورَةِ القَصَصِ

تأليف

الدكتور صلاح الخالدي

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل

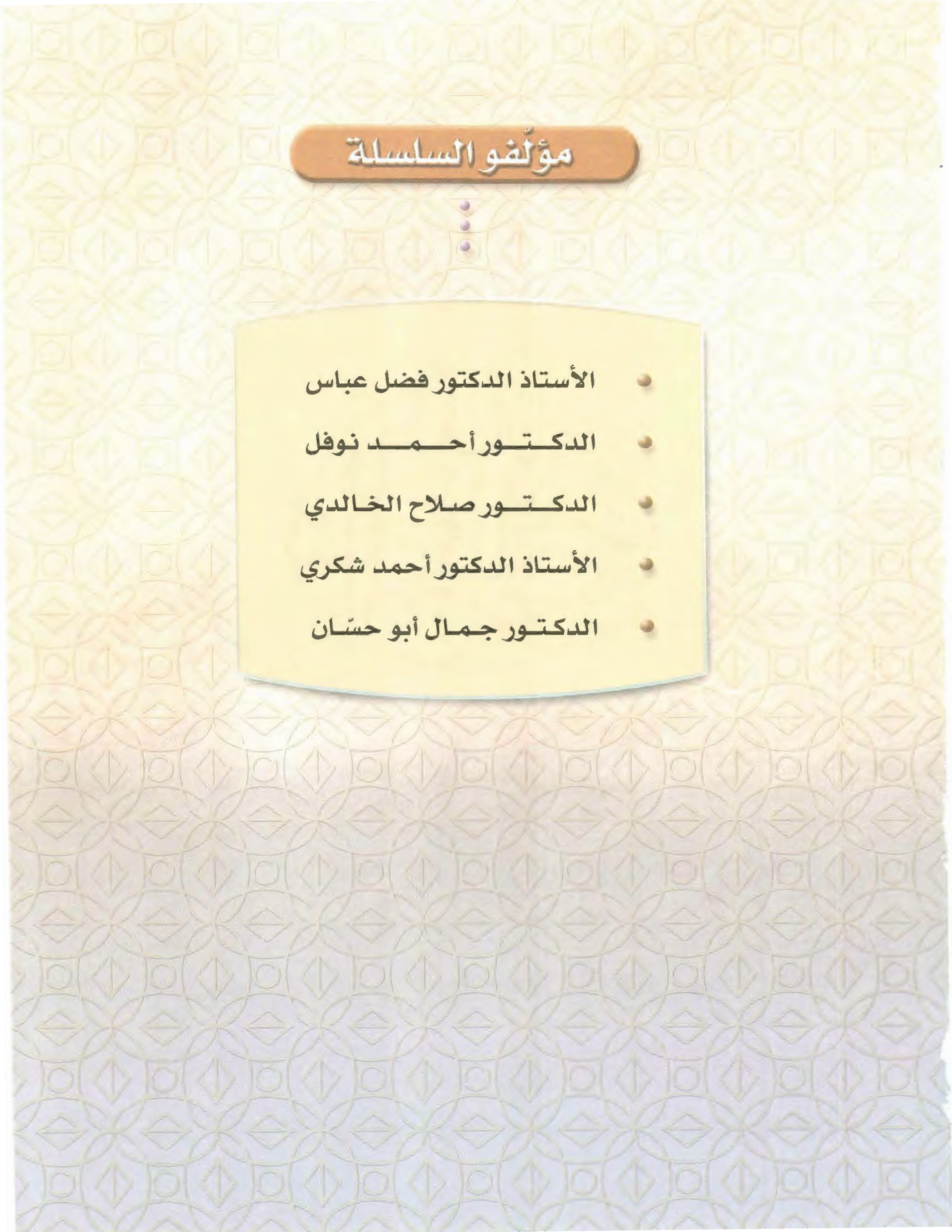
ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

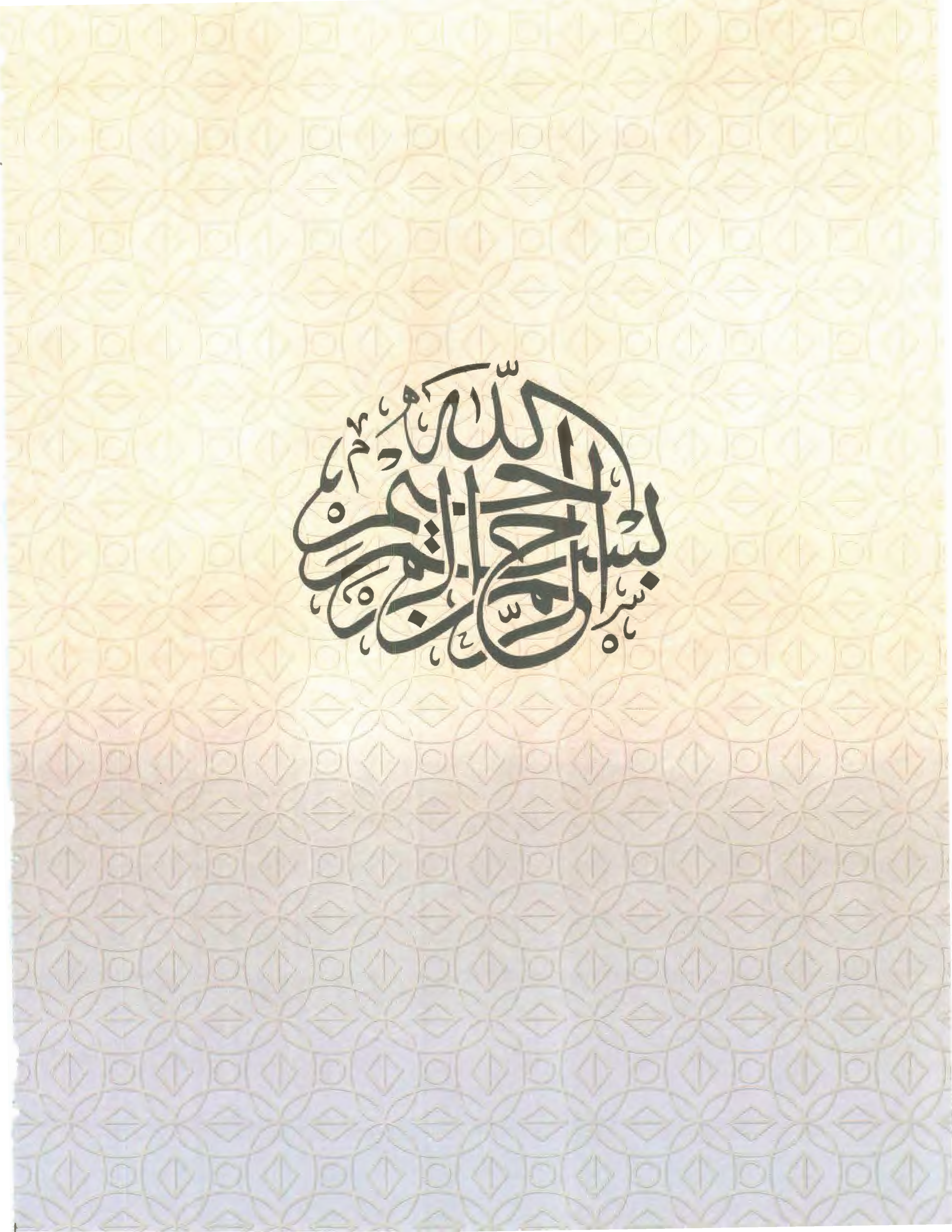
الطبعة الأولى
2005

رقم الإجازة : 2089 / 8 /2004
رقم الإيداع : 2193 / 9 /2004
التصنيف الدولي : 9957-08-390-2



مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبِّينا محمدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (ابراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .
وقد وردَ في عَدَدٍ منَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتواليَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيز ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَّلقُ بتبيين معاني الآياتِ وتَفْسيرِهَا ، وكان لكلِّ تفسير مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ ليكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيين معاني المفرداتِ والتراكيب التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعددّةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىء وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ وروايات أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْههِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرسُ الأوَّلُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ الفُرْقانِ مَكيَّةٌ ، وسُمِّيتْ بهٰذا الاسْمِ لِورودِ كَلِمةِ « الفُرقانِ » في الآيةِ الأُولَىٰ مِنْها . قالَ تَعالَىٰ : ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِهِ لِيَكونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً﴾ .

وَتَتَحدَّثُ السّورَةُ عنِ القُرْآنِ ، وعَنْ رَسولِ الله ﷺ ، وتُقدِّمُ الأَدلّةَ علىٰ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، وتُبْطِلُ الشِّرْكَ بهِ سُبْحانَهُ ، وتَعْرِضُ مَشاهِدَ لِخزيِ الكُفَّارِ يَوْمَ القِيامةِ ، وتَخْتَتِمُ حَديثَها بِذِكْرِ أَهَمِّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمـٰنِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَبارَكَ : فِعْلٌ مَاضٍ مِنَ الْبَرَكَةِ ، بِمَعْنَىٰ : تَعالَىٰ اللهُ وكَثُرَ خَيْرُهُ .

الْفُرْقانَ : الْقُرآنَ ، الَّذي يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . **عَلَىٰ عَبْدِه** : عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

العالَمينَ : الإِنْسُ والجِنُّ . **نَذِيراً** : رَسُولاً يُنْذِرُ النَّاسَ عَذابَ النَّارِ .

فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً : فَأَحْسَنَ اللهُ تَصْميمَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهيَّأَهُ لِما يَصْلُحُ لَهُ .

نُشُوراً : بَعْثاً بَعْدَ الْمَوْتِ يومَ الْقِيامَةِ .



التفسيرُ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾

تعالىٰ اللهُ وكثُر خيرُهُ ، وعمت بركتُهُ كلّ شيءٍ . . ومنْ مظاهرِ هـٰذه البركة العظيمة ، إنزالُهُ القُرآنَ على عَبْدِهِ ورسولِهِ مُحمّد ﷺ . . وقدْ جعل اللهُ القُرآنَ فُرقاناً ؛ يُفرِّقُ ويفْصِلُ بيْنَ الحقّ والباطِلِ .

وفي هـٰذا تكْريمٌ للرّسول ﷺ ، الّذي وصفهُ اللهُ تعالىٰ بصفة العُبوديّةِ لهُ ، فهْو عبْدٌ خاضعٌ لله .

ولقدْ أنْزل اللهُ القُرآن علىٰ عبْده مُحمّد ﷺ ، ليكون رسولاً للْعالَمين ، من الإنْس والجنّ أجْمعينَ . . وليُنْذرَ النّاس ، ويُخوّفهُمْ عذاب النار ، إنْ لمْ يُؤمنُوا به ويتّبعُوهُ . .

وهـٰذا يدُلّ دلالة واضحة علىٰ عُموم رسالة الرّسول ﷺ لجميع العالمين من الإنسِ والجنّ ، وتقريرِ عالميّتها

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾

اللهُ هُو مالكُ المُلْك ، يمْلكُ كلّ شيءٍ في السّموات وفي الأرض .

وبما أنّهُ المالكُ لكُلّ شيءٍ ، فهو قويّ غنيّ ، لا يحتاجُ إلى مُساعدٍ أو مُعين ، في تدْبير أُمورِ المخْلوقات ، في السّموات والأرْض ، ولذلك لمْ يتّخذ سُبحانهُ وتعالىٰ ولداً ، ليكون مُساعداً أو وارثاً لهُ ، ولمْ يجْعلْ لهُ شريكاً ، يُشاركُهُ في مُلْكه .

واللهُ هُو الخالقُ لكلّ شيءٍ في السّموات والأرْض ، وغيرُهُ لمْ يخلُقْ شيئاً ، لأنّهُ مخلوقٌ ضعيفٌ عاجزٌ ، مُحْتاجٌ إلى الله الخالقِ القويّ .

واللهُ أحْسن كُلّ شيءٍ خلقهُ ، وقدّرهُ فأحْسن تقديرهُ ، وصوّرهُ فأحْسن تصْويرهُ ، واخْتارَ لهُ ما يُناسبُهُ ، وهيّأهُ لما يصلُحُ لهُ ، وهداهُ إلى وظيفته الّتي خلقهُ اللهُ لها .

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ .

المُشْركُون لمْ يُؤمنوا بوحدانيّة الله تعالىٰ ، ولمْ يعْبُدُوهُ وحْدهُ ، وإنّما اتّخذُوا منْ دُونه آلهة ، وجعلوها شُركاء لهُ ، وعبدُوها منْ دونه ، مع أنّهُ لا إله إلاّ هُو .

هَـٰؤلاءِ الآلِهَةُ مَخلوقونَ ضُعفاءُ ، لا يَخْلُقونَ أيَّ شَيءٍ ، لأنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، والمَخْلوقُ الضَّعيفُ لا يَكونُ إلَهاً! فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تعالىٰ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ عاجزونَ فُقَراءُ ، لا يَسْتَطيعونَ جَلْبَ نَفعٍ لِلآخَرينَ ، ولا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهُمْ ، حتَّىٰ إنَّهُمْ لا يَملِكونَ لأنفُسِهِمْ جَلْبَ نَفْعٍ أوْ دَفْعَ ضُرٍّ ، لأنَّ النَّفْعَ والضُّرَّ بِيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، والَّذي يَعجِزُ عنْ ذَلِكَ لا يَكونُ إلَهاً! فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالىٰ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ لا يَقْدِرونَ ؛ على إماتَةِ أَحَدٍ ، لأنَّ المَوْتَ بِيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وهُمْ أنْفُسُهُم يَموتونَ ؛ يُميتُهُمُ اللهُ تَعالىٰ عندما يَشاءُ .

كَمَا أَنَّهُم لا يَقْدِرونَ على إحياءِ أَحَدٍ ، لأنَّ الحَياةَ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُحْيي والمُميتُ فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونَ اللهِ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ لا يَقْدِرونَ علىٰ بَعْثِ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ ، لأنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَبْعَثُهُم ويُحْييهِمْ! وَلِذلِكَ هُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ .

وإذا كانَ الآلِهَةُ المَزْعومونَ بِهذا الضَّعْفِ والعَجْزِ والفَقْرِ ، فإنَّهُمْ لا يَصْلُحونَ آلِهَةً ، لأنَّهُ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ ، فَكَيْفَ جَعَلَهُمُ المُشركونَ آلِهَةً ، وَعَبدوهُم مَعَ اللهِ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ أسْماءِ القُرآنِ الفُرْقَانُ ، لأنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِ والحَقِّ والبَاطِلِ .

٢ـ اللهُ نَزَّلَ القُرْآنَ علىٰ عَبْدِهِ وَرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ أَرْسَلَ اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ لِجَميعِ الإِنْسِ والجِنِّ حتَّى قِيامِ السَّاعَةِ .

٤ـ الَّذي يَمْلِكُ السَّمواتِ والأَرْضَ وما فيهِما هُوَ اللهُ وَحْدَهُ .

٥ـ اللهُ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، لَيْسَ لهُ وَلَدٌ ولا شَريكٌ .

٦ـ اللهُ وَحْدَهُ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، خَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ ، وهيَّأهُ لِمَا خَلَقَهُ لَهُ .

٧ـ المُشْرِكونَ كَافِرونَ خاسِرونَ ، لأنَّهُمْ أشْرَكُوا باللهِ ، واتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً .

٨ـ الآلِهَةُ المَعْبودةُ بالبَاطِلِ لا تَقدِرُ على شَيْءٍ ، لأنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا سُمِّيَتْ سورةُ الفُرْقانِ بهذا الاسْمِ ؟

٢ـ لِماذا سُمِّيَ القُرْآنُ فُرْقانا ؟

٣ـ هاتِ دَليلاً مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ يَدُلُّ على عُموم رِسالة مُحمَّد ﷺ لِلنَّاسِ جَميعاً .

٤ـ ما مَعْنىٰ قَوْله تَعالىٰ : ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرهُ تَقْديراً﴾ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الثالثةِ خَمْسةَ أشياء مَنْفِيَّة عَنِ الآلِهَةِ الباطِلَةِ ، تَدُلُّ على عَجْزِها وضَعْفِها .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ فِي دَفْتَرِكَ الآيَةَ الأُولىٰ مِنْ سُورةِ الإِسْرَاءِ ، ثُمَّ اذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ الأولى مِنْ هذهِ السّورةِ .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ سورَةَ الإِخلاصِ ، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ مِنْها جُمْلَتَيْن تَدلاَّنِ على وَحْدَانيةِ اللهِ تَعالىٰ ، وَثلاثَة جُمَلٍ تَنْفي عَنْهُ ما لا يَليقُ بهِ .

٣ـ اكْتُبْ دَرْسَيْنِ آخَرَيْنِ يَظْهَرانِ لَكَ مِنَ الآياتِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّانِي

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إِفْكٌ : كَذِبٌ .

افْتَرَاهُ : نَسَبَهُ إِلَىٰ اللهِ كَذِباً .

زُوراً : كَذِباً عَظِيماً .

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ : أَكَاذِيبُ السَّابِقِينَ .

اكْتَتَبَها : طَلَبَ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ .

تُمْلَىٰ عَلَيْهِ : تُنْقَلُ لَهُ .

بُكْرَةً وَأَصِيلاً : أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ .

يَعْلَمُ السِّرَّ : يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَغِيبُ وَيَخْفَى .

التَّفسِيرُ :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾﴾ .

لمَّا سَمعَ الكُفَّارُ القُرآنَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ كَفرُوا وكذَّبُوا بِهِ ، ولَمْ يَعْترِفوا أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، أَوْحَىٰ بهِ إِلى رَسولِهِ ﷺ .

وأَطْلَقُوا شُبُهاتٍ وأَكاذيبَ حَوْلَ القُرْآنِ ، فَقَالُوا : هٰـذَا الَّذي نَسْمَعُهُ كَذِبٌ ، افْتَراهُ مُحَمَّدٌ ، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ اللهِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَىٰ تَأْلِيفِهِ بِأُناسٍ آخَرينَ .

وَهٰـذا القَوْلُ مِنهُمْ ظُلْمٌ وَعُدْوانٌ .

كَمَا أَنَّهُ زُورٌ وَكَذِبٌ ، وَصَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ بابِ العِنادِ والتَّكَبُّرِ ، وإلاَّ فإنَّهُمْ يَعْرِفونَ أَنَّ القُرْآنَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ مِنْ كَلامِ بَشَرٍ . كَمَا أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ صِدْقَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدْ كانُوا يَصِفونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِأَنَّهُ الصَّادِقُ الأَمينُ ، والَّذي لَمْ يَكْذِبْ عَلَيْهِمْ لا يُعْقَلُ أَنْ يَكْذِبَ علىٰ اللهِ .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

وَهٰذِهِ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ شُبُهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَ القُرْآنِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الآياتِ الَّتي تَتَحَدَّثُ عَنْ قَصَصِ السَّابِقينَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِها ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوها دَليلاً علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، واتَّخَذوا مِنْها شُبْهَةً أُخْرَىٰ يُطْلِقونَها حَوْلَ القرآنِ .

قالوا : هٰذِهِ القَصَصُ والأَخْبارُ في القُرْآنِ ﴿أَساطيرُ الأَوَّلينَ﴾ مَأْخوذَةٌ عَنِ الأَقْوامِ السَّابِقينَ ، كاليَهودِ والنَّصارَىٰ والفُرْسِ والهُنودِ ، سَمِعَها مُحَمَّدٌ مِنَ الآخَرينَ ، وطَلَبَ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ! فَكَتَبَها الكَاتِبونَ ، وأَمْلَوْها عَلَيْهِ في الصَّباحِ والمَساءِ! وَلَمَّا حَفِظَها تَلاها على النَّاسِ ، وَزَعَمَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ أَوْحىٰ بِها إليهِ!

فالقُرْآنُ في نَظَرِ الكُفَّارِ إِفْكٌ مُفْتَرَىً ، أَلَّفَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرونَ ، وَمَا في القُرْآنِ مِنْ أَخْبارٍ وقَصَصٍ مَنْقولَةٍ عَنْ كُتُبِ السَّابِقينَ ، كُتِبَتْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وتُلِيَتْ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا حَفِظَها زَعَمَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ .

﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾

هٰذا رَدٌّ علىٰ اتِّهامِ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ ﷺ ، وإِبْطالٌ لِلشُّبُهاتِ الَّتي أثارُوها ضِدَّهُ ، فَالقُرْآنُ لَيْسَ إِفْكاً مُفْتَرىً ، وليسَ أَساطيرَ الأَوَّلينَ ، وإِنَّما هُوَ كَلامُ اللهِ ، أَنْزَلَهُ على رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وهُنا يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَقولَ لِلْكُفَّارِ : اللهُ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيَّ هٰذا القُرْآنَ ، وأَمَرَني أَنْ أُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ ، وأَدْعوكُم إِلىٰ الإيمانِ بِهِ .

وَاللهُ الَّذي نَزَّلَ القُرْآنَ عالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شيءٌ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ ما كانَ ظاهِراً عَلَنِيّاً ، ويَعْلَمُ ما كانَ سِرّاً مَخْفِيّاً ، وما كانَ حاضِراً ، وما كانَ غائِباً . قالَ تعالىٰ : ﴿وإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فإِنَّهُ يَعْلَمُ السرَّ وَأَخْفَى . .﴾ [طه : ٧] .

واللهُ العَالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ غَفورٌ رَحِيمٌ ، يَغْفِرُ لِلْمُذْنِبينَ ذُنوبَهُمْ ، ويَعْفُو عنْهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ .

وهٰذِهِ دَعْوَةٌ لِلْكُفَّارِ المُكَذِّبينَ إِلَىٰ التَّخلِّي عَنِ الكُفرِ والتَّكْذيبِ ، ولِلدُّخولِ في الإِسْلامِ ، ولاتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ ، فإِنْ فَعَلوا ذَلِكَ فإِنَّ اللهَ سيغفرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ ويعفُو عَنْهُم ، وَيَتوبُ عَلَيْهِمْ لأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافِرونَ مُتكبّرونَ مُعانِدون لِلْحَق ، يفْترونَ على الله الكذب ، ويُكذِّبون رسول الله ﷺ .

٢ـ القُرآنُ كلامُ الله ، أنْزَلَهُ على رسوله مُحمّد ﷺ .

٣ـ الكافِرونَ يُحارِبونَ الحقَّ ، ومِنْ وَسائِلِهِمْ في ذلكَ إثارَةُ الشُّبُهاتِ ضِدَّ رسولِ اللهِ ﷺ وضِدَّ القُرآنِ .

٤ـ اللهُ أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلْماً ، يَعْلَمُ السِّرَّ في السَّمواتِ والأرْضِ .

٥ـ يدعُو اللهُ الكافِرينَ والمُذْنِبينَ إلى الإنابةِ والتّوبةِ والاستغفارِ ، لأنّهُ غفورٌ رحيمٌ .

٦ـ يُبْطِلُ اللهُ مَزاعِمَ الكُفّارِ وشُبُهاتِهِمْ ، ويُعلِّمُنا الحُجَةَ التي نُقيمُها عليْهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ ذَكَرتْ آياتُ الدّرسِ شُبَهَ الكافِرينَ ، وردّتْ عليها . استَخْرِجْ مِنْها ثلاثَ شُبُهاتٍ لَهُم ، وكَيْفَ ردّتِ الآياتُ عليْها ؟

٢ـ ما معنى ﴿أساطيرُ الأوّلين﴾ ؟ ولِماذا وصفَ الكافِرونَ القُرآنَ بذلك ؟

٣ـ ما الفرْقُ بيْنَ البُكْرةِ والأصيلِ ؟

٤ـ ما المُرادُ بالسِّرِّ في السّمواتِ والأرضِ ، الذي يعْلَمُهُ اللهُ ؟

٥ـ لماذا أخبرَ اللهُ الكُفّارَ بأنّهُ غفورٌ رحيمٌ ؟

نَشاطٌ :

سجِّلِ الآيةَ الخامسةَ مِنْ سورةِ الأنبياءِ ، واذْكُرِ الشّبَهَ بيْنَها وبيْنَ الآيتيْنِ الرابعةِ والخامسةِ مِنْ سُورةِ الفُرقانِ ، ثُمّ اسْتخْرِجْ مِنْها ثلاثَ شبهاتٍ أثارَها الكُفّارُ ضِدَّ رسولِ اللهِ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَوْلا	: هَلاَّ .
يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ	: يُنْزَلُ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ .
جَنَّةٌ	: بُسْتَانٌ فِيهِ مُخْتَلَفُ الزُّروعِ وَالثِّمارِ .
رَجُلاً مَسْحُوراً	: رَجُلاً أُصيبَ بِالسِّحْرِ فَذَهَبَ عَقْلُهُ .
ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ	: أَثارُوا حَوْلَكَ الشُّبُهاتِ وَالاِتِّهاماتِ .
فَضَلُّوا	: فَابْتَعَدُوا عَنْ طَريقِ الْهُدَىٰ .
فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبيلاً	: فلاَ يَسيرُونَ فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ بَعْدَ اخْتِيارِهِمُ الْكُفْرَ .

التفسيرُ :

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

بَعدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ شُبهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَ القُرْآنِ ، وأَبْطَلَتْها ، بَيَّنَتْ اعْتِراضاتِهِمْ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ .

فَقَدِ اعْتَرَضوا عَلَىٰ بَشَرِيَّةِ الرَّسولِ ﷺ ، واسْتَبْعَدُوا أَنْ يَخْتارَ اللهُ رَسولاً مِنَ البَشَرِ ، لأَنَّهُم كانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الرَّسولَ لابُدَّ وأَنْ يكونَ مَلَكاً . قالَ الله تعالىٰ : ﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنوا إِذْ جاءَهُمُ الهُدَى إِلاَّ أَنْ قالوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسولاً﴾ [الإسراء : ٩٥] .

لَمْ يُعْجِبْ كُفَّارَ قريشٍ أَنْ يكونَ الرَّسولُ واحِداً مِنْهُمْ ، يَعْرِفُونَ أَهْلَهُ وَعَشيرَتَهُ ، وَيَسيرُ بَيْنَهُمْ ، ويَعيشُ مَعَهُمْ ، يأْكُلُ الطَّعامَ كَما يَأْكُلونَ ، ويَشْرَبُ الماءَ كَما يَشْرَبونَ ، ويَمْشِي في الأَسْواقِ ، لِذَلِكَ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ قائِلينَ : لِماذَا هٰذا الرَّسولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ مِثْلَنا ؟ ولِماذَا يَمشِي في الأَسْواقِ مَعَنا ؟

﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ .

تَذْكُرُ الآيَةُ ثَلاثَةَ أُمُورٍ اقْتَرَحَ الكَافِرونَ أَنْ تَكونَ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَتَمَنَّوْا لَوْ أَعْطاها اللهُ لَهُ ، إِنْ كَانَ رَسولاً حَقّاً .

١ـ تَمَنَّوْا أَنْ يُنْزِلَ اللهُ إِلى رَسولِهِ ﷺ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَةِ ، يَسيرُ مَعَهُ ، ويُصَدِّقُهُ عِنْدَما يَتَكَلَّمُ ، وَيَكونُ مَعَهُ نَذيراً يُشارِكُهُ في الإِنْذارِ .

٢ـ وتَمَنَّوْا أَنْ يُلقِيَ اللهُ إِلىٰ رَسولِهِ كَنْزاً مِنَ المالِ ، لِيُنْفِقَ مِنْهُ .

٣ـ وتَمَنَّوْا أَنْ يَكونَ لِلرَّسولِ ﷺ بُسْتانٌ كَبيرٌ ، فيهِ العُيونُ ، وَمُخْتَلَفُ أَنْواعِ الزُّرُوعِ والثِّمارِ ، لِيَأْكُلَ مِنْها ، وَيَسْتَمْتِعَ بِها .

وهٰذِهِ الأَشْياءُ الَّتي اقْتَرَحُوها وتَمَنَّوْها تَدُلُّ علىٰ تَفاهَةِ تَفْكيرِهِمْ ، وَعِنادِهِمْ واسْتِكْبارِهِمْ .

وهُمْ يَقيسونَ الرَّسولَ ﷺ بالمَقاييسِ المَادِيَّةِ الصَّغيرَةِ التَّافِهَةِ ، مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ ، والمَالِ والمَتاعِ .

وَتَمادى الكَافِرونَ في عِنادِهِمْ وظُلْمِهِمْ فقالُوا لِلْمُسْلِمينَ : الَّذي تُؤمِنونَ بهِ ، وتَتَّبِعُونَهُ لَيْسَ رَسولاً مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مَسْحورٌ ، سَيْطَرَ عَلَيْهِ السِّحْرُ ، فَظَنَّ نَفْسَهُ رَسولاً ، وأَنْتُمْ لا تَتَّبِعونَ رَسولاً ، إِنَّما تَتَّبِعونَ رَجُلاً مَسْحوراً .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

يَدْعُو اللهُ رَسولَهُ ﷺ إِلىٰ أَنْ يَنظُرَ نَظْرَةَ تَعَجُّبٍ واسْتِغْرابٍ ، فمَا اقْتَرَحَهُ الكَافِرونَ لَهُ واتَّهموهُ بِهِ يَدْعو لِلْعَجَبِ أَيْضاً .

إِنَّهُمْ يَضْرِبونَ لَهُ الأَمْثالَ ، ويَتَّهمونَهُ بالاتِّهاماتِ ، ويُثيرونَ حَوْلَهُ الشُّبُهاتِ ، وهٰذا يَدُلُّ علىٰ سَفَهِهِمْ وعِنادِهِمْ ، ويقودُهُمْ إِلَى الكُفْرِ بهِ ، وإِنْكارِ نُبُوَّتِهِ ، وبِذَلِكَ يَقَعونَ في الضَّلالِ ، والابْتِعادِ

عَنِ الحَقِّ ، فلا يُؤْمِنونَ ولا يَهْتدونَ ، لأنَّهُمُ اخْتارُوا الكُفْرَ والضَّلالَ .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

يَرُدُّ اللهُ علىٰ اقْتِرَاحَاتِ الكُفَّارِ السَّابِقَةِ ، ويُبْطِلُ اتِّهامَاتِهِمْ لِرَسولِهِ ﷺ ، فَلَوْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ رَسولَهُ ﷺ ما تَمَنَّاهُ الكُفَّارُ لَهُ لأعْطاهُ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ غَنِيٌّ رَزَّاقٌ ، تَبارَكَ عَطاؤُهُ ، وكَثُرَ خَيْرُهُ ، وَعَمَّ فَضْلُهُ .

لَقدِ اقْتَرَحَ الكُفَّارُ أَنْ يُعْطِيَ اللهُ رَسولَهُ قَليلاً مِنْ مَتاعِ الدُّنيا ، ولَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْطَىٰ رَسولَهُ خَيْراً مِمَّا طَلَبُوا ، وأَكْثَرَ مِمَّا اقْتَرَحُوا . لَوْ شَاءَ لأَعْطَاهُ جَنَّاتٍ وبَسَاتِينَ كَثيرَةً ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ، وجَعَلَ لَهُ قُصوراً فَخْمَةً مُتَعَدِّدَةً ، لأنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

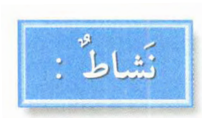
تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الرَّسولُ بَشَرٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنامُ ويَتزوَّجُ ، واخْتصَّهُ اللهُ بِالْوَحْيِ .
٢ـ الكُفَّارُ يُنْكِرونَ كَوْنَ الرَّسولِ ﷺ بَشَراً مِثْلَهُمْ .
٣ـ نَظْرَةُ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ مَادِيَّةٌ ، وَميزانُهُمُ الَّذي يَزِنونَ بهِ دُنْيَوِيٌّ .
٤ـ تَكْذيبُ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ ﷺ أَوْقَعَهُمْ في الضَّلالِ وأَبْعَدَهُمْ عَنِ الهُدَىٰ .
٥ـ ما عِنْدَ اللهِ لِرسولِهِ ﷺ مِنَ الخَيْرِ أَعْظَمُ مِمَّا يَتصَوَّرُهُ الكُفَّارُ أَوْ يَطْلُبونَهُ لَهُ .
٦ـ الكُفَّارُ مُعانِدونَ مُسْتَكْبِرونَ ، واقْتِرَاحاتُهُم تَدُلُّ علىٰ تَفاهَةِ تَفْكيرِهِمْ وَسَخافَةِ عُقولِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ الآتِيَةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثَلاثَةً مِنَ الأَشْياءِ الَّتي اقْتَرَحَها الكُفَّارُ لِرَسولِ اللهِ ﷺ .
٢ـ بِماذَا اتَّهَمَ الكُفَّارُ رَسولَ اللهِ ﷺ ؟ وما مَعْنى ذَلِكَ الاتِّهامُ ؟
٣ـ ما سَبَبُ وُقوعِ الكُفَّارِ في الضَّلالِ ؟
٤ـ على مَاذا تَدُلُّ مَطالِبُ الكُفَّارِ الَّتي ذَكَرَتْها الآياتُ ؟



نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيَتَيْنِ ٨ـ٩ مِنْ سُورةِ الأنْعامِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُما طلباتِ المُشْرِكينَ وَرَدَّ القُرْآنِ عَلَيْها .

٢ـ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعاً أَوْ تَكون لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَها تفْجيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ باللهِ والمَلائِكَةِ قَبيلا أَوْ يَكونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ ترْقى في السّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حتَّى تُنَزِّلَ علينا كِتابا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبحانَ ربِّي هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَرا رَسُولاً . .﴾ [الإسراء : ٩٠ـ٩٣] .

اسْتَخْرِجْ مِنَ هٰذِهِ الآياتِ سِتَّةً مِنْ طَلباتِ الكُفَّارِ الَّتي طَلَبُوها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَرَدَّ القُرْآنِ عَلَيْها .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ** : أَنْكَرُوا مَجيءَ يَوْمِ الْقِيامَةِ .
- **أَعْتَدْنا** : هَيَّأْنا وَجَهَّزْنا .
- **سَعيراً** : ناراً عَظِيمَةً شَدِيدَةَ الاشْتِعالِ .
- **تَغَيُّظاً وَزَفيراً** : صَوْتَ اشْتِعالِ النَّارِ .
- **مُقَرَّنينَ** : مَرْبُوطَةً أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْناقِهِمْ بِالأَغْلالِ .
- **وَعْداً مَسْؤُولاً** : وَعْداً مُتَحَقِّقاً لابُدَّ وأَنْ يَقَعَ .

التَّفْسِيرُ :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ .

كَذَّبَ الكُفَّارُ النَّبيَّ ﷺ ، وكَفَرُوا بِهِ ، وطَلَبُوا طلباتٍ مُتَعَدِّدَةً مِنْهُ ، مِنْ بابِ العِنادِ وَالِاسْتِكبارِ . وتُبيِّنُ هٰذِهِ الآيةُ سَبَبَ ذٰلكَ الكُفْرَ والعِنادَ ؛ إِنَّهُ تَكْذيبُهُمْ بِالسَّاعَةِ .

لَقَدْ كَذَّبَ الكُفَّارُ بِالسَّاعَةِ ، وأَنْكَرُوا مَجيءَ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَقالوا : إِنَّما هِيَ حَياتُنا الدُّنيا ، وإِذا مِتْنا لاَ نُبْعَثُ مرَّةً ثانِيةً .

ونَتيجَةً لِهذا الكُفْرِ والتَّكْذيبِ ، هَيَّأَ اللهُ لَهُمْ ما لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ أَهْوالِ يومِ القِيامةِ ، وأَعَدَّ لَهُمُ النَّارَ العَظيمةَ المُشْتَعِلَةَ المُسْتَعِرةَ ، الَّتي لا تُطاقُ حَرارَتُها .

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

عندَما يكونُ الكُفَّارُ واقفين بَيْنَ يَدي اللهِ لِلْحِساب ، تَراهُم جَهَنَّمُ مِنْ مكانٍ بَعيدٍ ، وتُخْرِجُ أَصْواتاً شَديدةً عالِيَةً مُخيفَةً ، فتتغيَّظُ وَتَزْفُرُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبها عليْهِمْ .

ويَسْمَعُ الكُفَّارُ صَوْتَ تغيُّظِها وزَفيرِها ، فَيُسَيْطِرُ الخَوْفُ والهَلَعُ على قُلوبِهِمْ ، وهٰذا قَبْلَ إِدْخالِهِمْ فيها ، واحْتِراقِهِمْ بنارِها .

﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ خَوْفِ الكُفَّارِ الشَّديدِ مِنْ سَماعِهِمْ لِصَوْتِ جَهنَّمَ وهِيَ تتغيَّظُ وتزْفُرُ ، تَسوقُهُمْ الزَّبانِيَةُ إِليها سَوْقاً ، بالرَّغمِ عَنْهُمْ . ثُمَّ تُلْقيهِمْ فيها إِلقاءً ، وتَطْرَحُهُمْ فيها طرْحاً .

ويُحْشَرونَ فيها في مَكانٍ ضَيِّقٍ ، كأَنَّهُ « زِنْزانَةٌ » ضَيِّقَةٌ في سِجْنٍ رَهيبٍ ، وَيكونونَ مُقيَّدينَ بالقُيودِ والأَغْلالِ ، تُرْبَطُ أَيْديهِمْ إِلىٰ أعناقِهِمْ . وَتَقْييدُهُمْ لَيْسَ لِمَنْعِهِمْ من الهَرَبِ ، فأَنَّىٰ لهُمْ أَنْ يَهْرُبوا من جهنَّمَ ! إنَّما ذلكَ مُبالَغَةٌ في إِذْلالِهِمْ وإِهانَتِهِمْ .

عندَ ذَلِكَ يَيْأَسونَ مِنَ الخَلاصِ والفَرَجِ ، فلا يَجِدونَ أَمامَهُمْ إِلاّ أَنْ يَدْعُوا علىٰ أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ والهَلاكِ .

﴿ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾

عِنْدَما يَدعوا الكُفّارُ علىٰ أَنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ والمَوْتِ يَسْمَعُهُمْ زَبانِيةُ العَذابِ ، فَيردُّونَ عَلَيْهِمْ بِسُخْرِيةٍ واسْتِهزاءٍ ، وَيقولونَ لَهُمْ : لا تَدْعُوا علىٰ أَنْفُسِكُمْ مَرَّةً واحِدةً بِثُبورٍ واحِدٍ ، ولَكِنِ ادْعُوا علىٰ أَنْفُسِكُم باسْتِمرار ، وتَمَنَّوْا ثُبوراً كثيراً !! ومَهْما دَعْوتُمْ وتمنَّيْتُمْ فإِنَّ اللهَ لَنْ يَسْتَجيبَ لَكُمْ ، وسَتبقَوْنَ مُخلَّدينَ في جَهَنَّمَ ، لا مَوْتٌ لكُمْ فيها ولا حَياةٌ ، وإِنَّما عَذابٌ دائِمٌ .

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

بعدَ أَنْ عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ مَشْهَداً مُرْعِباً لِعَذابِ الكُفّارِ في النَّارِ ، تُبَيِّنُ هٰذهِ الآيةُ صِفةَ الجَنَّةِ الَّتي وَعَدَ اللهُ بِها المؤمنين .

فاللهُ تعالىٰ يأْمُرُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَقولَ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ : أَيُّهُما خَيْرٌ ؟ عَذابُ الكُفّارِ في النَّارِ

كمَا ذكَرَتْهُ الآياتُ السَّابقةُ ، أوْ نعيمُ المُتقين في الجنّةِ ؟

لَقَدْ وَعَد اللهُ المتقينَ أنْ يُدْخِلَهُمْ جنّةَ الخُلْدِ ، وأنْ يجْعلَهُمْ مُخلّدين فيها ، جزاء إيمانِهِمْ واسْتِقامَتِهِمْ في الدُّنيا .

﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴾ (16)

يُؤْتِي اللهُ المتَّقينَ في الجنّة كُلَّ ما يَشاءُون ، مِنَ المآكِل والمَشارب والمَلابسِ ، ويجْعلُ لهُمْ فيها ما لا عَيْنٌ رَأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمعتْ ، ولا خطَر على قلْب بَشرٍ ، وَهُمْ خَالِدون في ذلكَ النَّعيم .

رَوَى البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عنْ أبي هُرَيْرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : قالَ تبارَكَ وتَعالَىٰ : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطرَ علىٰ قَلْبِ بَشرٍ » قَالَ أبُو هُرَيْرة : اقْرَؤا إنْ شئْتُمْ قولَهُ تعالى : ﴿فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِي لهُمْ منْ قُرَّة أعيُن جَزاءً بما كانوا يَعْمَلون﴾[1] [السجدة : ١٧] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ مِنْها :

١ـ تكْذيبُ الكُفّار بيوم القِيامَة يَقودُهُمْ إلى مَزيدٍ من الكُفْرِ والفساد .

٢ـ يُحْشرُ الكُفّارُ إلَى جهنّمَ مُقيَّدين ، ويُلقَوْن فِي مَكانٍ ضيّقٍ فيها لإذلالِهِمْ وإهانَتِهِمْ .

٣ـ لا يُسْتَجابُ لِدُعاءِ الكُفّار فِي الآخرة .

٤ـ يُدْخِلُ اللهُ المُؤْمنينَ الجنَّةَ برَحْمته ، جزاء لَهُم على حُسْن طاعتِهم فِي الدُّنيا

٥ـ يُسْتحبُّ لِلْمُؤْمنِ أنْ يَدعوَ اللهَ طالِبا مِنْهُ الجنّةَ .

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير باب ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ حديث رقم : ٤٧٧٩ . ومسلم : كتاب الجنة . باب : صفة الجنة : حديث رقم . ٢٨٢٤ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذَا سُمِّيَتْ جهنَّمُ سَعِيراً ؟

٢ـ ماذا يَسْمَعُ الكُفَّارُ مِنْ جهنَّمَ عِنْدَما تراهُم مِنْ مَكانٍ بعيدٍ ؟

٣ـ كَيْفَ يُلقى الكُفَّارُ في جهَنَّمَ ؟ ولِماذا ؟

٤ـ أينَ يُلقىٰ الكُفَّارُ فِي جهَنَّمَ ؟ وَمَا أثَرُ ذلك فيهِمْ ؟

٥ـ مَا الَّذي يَدعوهُ الكُفَّارُ وَهُمْ فِي النَّارِ ؟ وَمَا مَعْناهُ ؟

٦ـ لِماذا وَصَفَتِ الآياتُ أَهْلَ الجنَّةِ بصفةِ « المُتَّقِينَ » ؟

٧ـ اذْكُرِ الحَدِيثَ الصَّحيحَ الَّذي تُفسِّرُ بِهِ قوْلَهُ تعالىٰ : ﴿لَهُم فيها مَا يَشاؤونَ خَالِدينَ﴾ .

اقرأْ وتدبَّرْ :

قالَ التَّابعيُّ أبو وَائِلٍ : خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ فِي الكُوفَةِ ، وَمَعَنا الرَّبيعُ بْنُ خَيْثَمٍ ، فَمَرَرْنا علىٰ حَدَّادٍ يَصْهَرُ الحَديدَ فِي النَّارِ ، فَوَقَفَ ابنُ مَسْعودٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ يَنْظُرُ إِلىٰ حَديدةٍ فِي النَّارِ وهِيَ حَمْراءُ ، ونظَرَ إليها الربيعُ بنُ خَيثمٍ ، فأوْشَكَ أنْ يَسْقُطَ . ثم مَرَرْنَا على فُرْنٍ مُشْتَعِلٍ ناراً على شَاطِئِ نَهرِ الفُراتِ ، فقرأَ ابنُ مَسْعودٍ قولَهُ تعالىٰ : ﴿وإذا رأتْهُم مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ سَمِعوا لَها تَغيُّظاً وزَفيراً . .﴾ ولمَّا رأىٰ الرَّبيعُ النَّارَ وسَمِعَ الآيَةَ أُغمِيَ عليهِ وصُعِقَ ، فَحَملوهُ إِلى بَيْتِهِ ، وذَلِكَ لِخوْفِهِ مِنَ النَّارِ .

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ أَسْماءِ جهنَّمَ « سَعِيرٌ » اذْكُرْ خَمْسةَ أَسْماءٍ أُخرىٰ لِجَهنَّمَ وَرَدَتْ فِي آياتِ القُرْآنِ واكتُبْها في دفْتَرِكَ .

٢ـ بِمَا أَنَّ المُؤْمِنَ يَنالُ في الجنَّةِ كُلَّ مَا يشاءُ . سَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ عَشْرَةَ أَشْياءَ تَتَمنَّىٰ الحُصولَ عَلَيْها في الجَنَّةِ .

* * *

الدَّرْسُ الْخامِسُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَحْشُرُهُمْ : يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَوْقِفِ لِلْحِسابِ .

ضَلُّوا السَّبيلا : ابْتَعَدُوا عَنْ طَريقِ الْحَقِّ .

سُبْحانَكَ : تَنْزيهاً لَكَ عَمَّا لا يَليقُ .

مَتَّعْتَهُمْ : أَطَلْتَ أَعْمارَهُمْ مِنْ إِنْعامِكَ عَلَيْهِمْ .

نَسُوا الذِّكْرَ : تَرَكوا الْحَقَّ .

قَوْماً بُوراً : قَوْماً هالِكينَ .

فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً : فَتَعْجَزُونَ عَنْ دَفْعِ الْعَذابِ عَنْكُمْ أَوْ إِخْراجِ أَنْفُسِكُمْ .

فِتْنَةً : ابْتِلاءً وَامْتِحاناً .

التفسير :

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ .

بعد عرض مشهد لتعذيب الكفار بالنار ، تعرض هذه الآية مشهد وقوف العابدين والمعبودين بين يدي الله للحساب .

فبعد أن يبعث اللهُ الناس جميعاً يوم القيامة ، يسوقهم إلى ساحة العرض ، حيث يوقفون فيها للحساب ، ويسأل اللهُ الذين عُبِدُوا من دون الله من دون رضاهم ، مثل الملائكة وعُزَيْرَ وعيسى عليه السلامُ : هل أنتم أضللتمْ هؤلاء الكفار الذين عبدوكمْ ؟ وهل طلبتمْ منهم أنْ يعبدوكمْ ؟ أمْ عبدوكم من دون رضا منكم ، وابتعدوا عن طريق الحقِّ ؟

يسألُهمْ الله هذا السؤال ليسمع الكافرون الجواب ، فيشعرون بالحسْرة والخزي ، عندما يتبرأ المعْبودون منهم .

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ .

يُجيبُ المعْبودون على السؤال بالمسارعةِ إلى تسبيح الله وتنْزيهه ، ويقولونَ : سُبْحانَكَ ، نَحْنُ مُوحِّدون لكَ ، مُعْتمِدونَ عليْكَ ، ولا يُمكِنُ أنْ نتخذَ أولياء منْ دُونِكَ ، ولا أنْ نَطْلُبَ مِن النَّاسِ عِبادتَنا منْ دونِك ، وإذا كانوا عبدُونا وجعَلونا آلهةَ فهذا منْ دونِ طَلَبٍ ولا رِضاً منَّا .

وبعْدَ أنْ تبرأ المعْبودونَ من عابديهِمْ الكُفار بيَّنوا أنَّ أُولئكَ الكُفَّار اغترُّوا بما أنْعمَ اللهُ عَليْهِم ، وألْهتْهُمْ مُتعُ الدُّنيا ، حتَّىٰ نسُوا الذِّكْرَ الَّذي جاءَهُمْ علىٰ ألسنةِ الرُّسُلِ عَليْهِمُ السَّلامُ ، وترَكُوا ما فيهِ مِنَ الحقِّ ، فأشركوا باللهِ ، وعبدُوا غيْرهُ ، وبذلك انتهَوْا إلىٰ البوارِ ، وصاروا كالأرْضِ البُورِ ، الَّتي لا زَرْعَ فِيها ولا ثمر !

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ .

ويُفاجأُ الكافرون ببراءَةِ المعْبودينَ الصَّالحين منْهُمْ ، فيُصابونَ بالحسْرَةِ والنَّدامةِ ، ويَقولُ اللهُ لَهُمْ : هَؤُلاءِ الَّذين عَبدتُموهُمْ كذَّبُوكمْ بما تقولونَ عنْهُمْ ، وتبرَّأوا منْكُمْ ، وها أنْتُمْ عاجزونَ ، لا تَقْدِرونَ علىٰ دفْعِ العَذاب عنْكُمْ ، أوْ تَحقيقِ النَّصْرِ لكُمْ ، أوْ إخراجِ أنْفُسِكُمْ مِنَ العَذاب ،

وسَنُعذِّبُكُمْ العذابَ الكبير ، لأنَكُم ظلمْتُم أنفُسكُمْ بكُفْرِكُمْ ، وهـٰذا جزاءُ منْ ظلَم وكفَرَ باللهِ ربِّ العالمينَ .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ .

بيّنتِ الآياتُ السَّابقةُ النِّهاية البائسةَ للكُفّار الّذين أثارُوا الاعتِراضات علىٰ بشريةِ رَسول اللهِ ﷺ . فقَدِ انتهوْا إلىٰ الخُلود في نار جهنّم .

وهُنا يُواسي اللهُ رَسولَهُ مُحمّدا ﷺ ويسلّيهِ ، على ما كان يجدُ منْ أذى الكُفّار وإعراضِهمْ . ويَذْكُرُ لهُ سُنَّتَهُ الدَّائِمةَ في المُرْسَلين جميعا .

كُلُّ المُرْسَلين الّذين أرْسلهمْ اللهُ قبل مُحمّد ﷺ كانُوا بشراً مثلهُ ، وكانُوا يأكُلون الطّعام ، ويمْشون في الأسْواق . واعْتِراضُ الكُفّار عليه هُوَ اعْتِراضٌ على سُنّة الله في الحقيقة .

ثُمَّ بيّنَ اللهُ لرسولهِ ﷺ أنَّهُ جعل بَعْض النّاسِ فتْنة لغيرهمْ ، يفتنونهُمْ عنْ دينِهمْ ، ويصدّونهُمْ عن الإيمانِ ، وفي هـٰذا ابْتلاءٌ واخْتِبارٌ . فمنْ صبر علىٰ اتّباع الحقّ ، ولمْ يلْتفت إلىٰ أهْلِ الضّلال ، فقد فاز وأفْلحَ ، واللهُ تعالىٰ بصيرٌ بعباده ، مُطّلعٌ عليْهمْ .

فالّذين كفرُوا لا يُدْركون حقيقة الله في ذلك ، ولا يرْضوْن بقدره بلْ يعْترضون وينكرونَ ، أمّا المُؤْمنونَ الصّالحونَ فإنّهُمْ يُوقنون بحكمة اللهِ في التّفاوُت والاخْتِلاف بيْن النّاسِ ، ويرْضوْن بقدر اللهِ ، ويَصْبرون على ما يُصيبُهُمْ منهُ

واللهُ بصيرٌ بطبائع النّاس وقُلوبهمْ ، يعْلمُ منْ يَعْترضون ، ويعلمُ من يصْبرون .

قال اللهُ تعالىٰ : ﴿وكذلك فتنّا بعْضهم ببعْض ليقُولوا أهـٰؤلاء منّ اللهُ عليهِم منْ بيْننا أليْس اللهُ بأعْلم بالشّاكرين﴾ [الأنعام : ٥٣] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ مَنِ اعتمدَ علىٰ غَيرِ اللهِ فَهُوَ خَاسِرٌ ، ومَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللهِ فهُوَ هالِكٌ .

٢ـ الانْشِغالُ بالمَتاعِ والشَّهواتِ يُؤدّي إلى تَرْكِ الحَقِّ والتَّقصيرِ بالواجباتِ .

٣ـ يَتبرَّأُ الصَّالِحونَ المُعْبودونَ مِنْ عابدِيهم الكافرينَ يَوْمَ القِيامةِ .

٤ـ كلُّ الرُّسُلِ الّذينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ هُمْ مِنَ البَشَرِ الّذينَ يَتَّصِفونَ بِخصائصِ البَشَرِ .

٥ـ جَعَلَ اللهُ التَّفاوُتَ والاخْتِلافَ بَيْنَ النَّاسِ فِتنةً واخْتِباراً لَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا يَسْألُ اللهُ المَعْبودينَ عَنْ عِبادةِ الكَافرينَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أَسْماءٍ لِمُؤْمنينَ صَالِحينَ عَبدَهُمُ الكَافِرونَ مِنْ دُونِ رِضاً مِنْهُمْ .

٣ـ ما مَعنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وكانوا قَوْماً بُوراً﴾ ؟

٤ـ لِماذا يَعْجزُ الكُفَّارُ يَوْمَ القِيامةِ عَنْ دَفْعِ العَذابِ عَنْ أَنْفُسِهِم ؟

٥ـ اذْكُرِ السُّنَّةَ الرَّبانيَّةَ الَّتي ذَكَرَتْها الآياتُ بالنِّسبةِ لِلمُرْسَلينَ جَميعاً .

٦ـ كَيْفَ يَجْعَلُ اللهُ بَعْضَ النَّاسِ فِتنةً لِبَعْضٍ ؟ وما مَوْقِفُ المُؤْمنينَ مِنْ تلكَ الفِتنةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ يَتبرأُ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّنْ أَلَّهوهُ وَعَبَدُوهُ . سَجِّلِ الآيتينِ : ١١٦ـ١١٧ مِنْ سورةِ المَائِدةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهُمَا بَراءَتَه مِنهُم .

٢ـ مَاذا تَقولُ عِنْدَمَا ترىٰ رَجُلاً أعْلَمَ مِنْكَ ، وَعِنْدَمَا تَرىٰ رَجُلاً غَنيّاً يُنْفِقُ مِنْ مالهِ في سبيلِ اللهِ ؟ سجِّلْ ذٰلِكَ في دَفْتَرِكَ ، مُسْتَفيداً مِنْ توجيهِ الآيةِ رقم (٢٠) .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)

مَعاني المُفْرَداتِ :

لاَ يَرْجونَ لِقاءَنا	: لاَ يَنْتَظِرُونَ لِقاءَ اللهِ لإِنْكارِهِمُ الْبَعْثَ .
عَتَوْا عُتُوّاً كَبيراً	: تَجاوَزوا الْحَدَّ فِي الطُّغْيانِ .
لاَ بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمينَ	: لاَ يَسْتَبْشِرُونَ بِخَيْرٍ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَلائِكَةِ .
جَعَلْناها هَباءً مَنْثُوراً	: جَعَلْناها كَالْغُبارِ الْمُتَناثِرِ فِي الْهَواءِ ، لَيْسَ لَهُ وَزْنٌ وَلاَ قيمَةٌ .
أَحْسَنُ مَقيلاً	: أَحْسَنُ إِقامَةً .
تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ	: تَتَفَتَّحُ السَّماءُ وَيَخْرُجُ مِنْها السَّحابُ الأَبْيَضُ الرَّقيقُ .
عسيراً	: شَديداً صَعْباً .

التفسيرُ :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) ﴾ .

ذكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ بَعْضَ اعْتِراضاتِ الكُفَّارِ علىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ . وتَذْكُرُ هٰذهِ الآيَةُ بَعْضَ

المطالِبِ الَّتي طلبُوها ، إمْعانا في الكُفْرِ والتَّعنُّت .

وَوَصفتْهُمْ الآيةُ بأنَّهُمْ لا ينتظِرون لقاء اللهِ في الآخِرة ، لأنَّهُم يُنْكِرونَ البعْث ، ولا يَحْسبون حِسابا لِيوم القِيامَةِ ، وهذا يجْعلُهُم يقترِحُون اقتراحات عجيبة سَخيفة .

ومِمَّا طَلبوهُ : أنْ تَنْزِلَ عليْهِمُ المَلائكةُ مِنَ السَّماءِ ، فيروْها بعيونِهِمْ ، ويَسْمَعوا كلامَها . وأنْ يَروا اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالىٰ بعيونِهِمْ ، ويَسْمعُوا كلامهُ!

والسَّبَبُ الَّذي دَفعهُمْ إِلىٰ هـٰذيْنِ الطَّلَبيْنِ هُو الاسْتِكْبارُ والتَّمرُّدُ . فالقوْمُ اسْتكبرُوا في أنفسِهِمْ ، ورأوْها كبيرَةً مُؤَهَّلَةَ لاسْتِقْبال المَلائِكةِ ورُؤْيةِ اللهِ ، وهُمْ عتوْا وتمرَّدُوا ، وأفْسدُوا وطَغَوْا وبَغَوْا .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

لَمْ تَرُدَّ الآيةُ علىٰ طَلَبِ الكُفّار رُؤْيةَ اللهِ ، لأنَّ اللهَ لا يُمكنُ أنْ يُرى في الدُّنيا ، وبيَّنتِ الآيةُ أنَّهُمْ لا يُسرُّون ولا يَستبشِرون بالخيْرِ عِندما يُنْزِلُ اللهُ عليْهِمُ الملائكةَ ، لأنَّها تَنْزِلُ بالعَذابِ ، وتَقولُ لهُم : أيُّها الكافِرونَ المُجْرِمونَ : لا بُشرىٰ اليوْمَ لكُمْ ، ومُحرَّمٌ عَليْكُمُ الفلاحُ ، وأنْتُمْ محْرومونَ مِنَ الخَيْرِ .

والمَلائِكةُ تَنْزِلُ علىٰ الكُفَّار بالعَذابِ مَرَّتيْنِ : مرَّةً عنْدَ احْتِضارهِم ، إذْ تَنْزِلُ لِتتوفَّاهُمْ وتَقْبضُ أرْواحَهُمْ ، فتَضْرِبُ وُجوهَهُمْ وأدْبارَهُم . والمرَّةَ الثَّانية عنْدَما تَسوقُهُمْ إلى عَذابِ جهنَّمَ يَوْمَ القِيامةِ .

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾

المَلائِكةُ تَقولُ لِلكُفَّار : لا بُشرىٰ لكُمْ ، والفلاحُ مُحرَّمٌ علَيْكُمْ ، وأعْمالُ الكُفَّارِ ضائِعةٌ ذاهِبَةٌ ، فاللهُ يَعْمَدُ إليْها يَوْمَ القِيامة ، فيُبدِّدُها ويذْرُوها ، ويجْعلُها هَباء منثورًا ذاهِباً في الهواءِ ، فلا يَسْتَفيدونَ مِنْها شَيْئاً ، بلْ تكونُ عَليْهِمْ حسْرَةً .

والهَباءُ المَنْثورُ هُو ما يُرىٰ مِنْ ذرَّاتٍ مُتناثِرةٍ في شُعاعِ الشَّمسِ عِنْدما يَدْخُلُ مِنَ النَّافذَة ، فإذا قَبَضَ الإنسانُ عَليْهِ لَمْ يَجدْ شَيْئا . وهُو مِثالٌ للشيءِ التَّافهِ الحقير ، الَّذي لا يَقْدِرُ صَاحِبهُ عَلىٰ شيءٍ منْهُ .

ولَمْ يَقْبَلِ اللهُ أعْمَالَ الكُفَّارِ ، لأنَّها فَقَدتِ الشَّرْطَيْنِ الأساسيَّيْنِ لِقَبولها ، وهُما : الإخلاصُ للهِ ، والتزامُ طَريقِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

بينَما يَعيشُ الكُفَّارُ أهوالَ يوم القيامةِ ، ويُعذَّبون فِي النَّار ، وتُرَدُّ عليهم أعْمالُهُمْ ، يَكونُ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ آمِنينَ مُطْمَئِنِّينَ في الجنَّةِ .

وفَرْقٌ بيْنَ وُجودِ الكُفَّارِ السَّيىءِ في جَهَنَّمَ ، الَّتي قالَ اللهُ عنْها : ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان : ٦٦] وبَيْنَ اسْتِقْرارِ المُؤْمِنينَ الآمِنِ في الجَنَّةِ ، فإنَّها خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وأَحْسَنُ مَقيلاً .

قالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : مَا هِيَ إلا سَاعةٌ لِلحِسابِ ، فيُقْبِلُ أَولياءُ اللهِ علىٰ الأَسِرَّةِ ، مَعَ الحُورِ العينِ ، ويُقْبِلُ أَعْداءُ اللهِ مَعَ الشَّياطينِ مُقرَّنينَ[1] .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ عنْ بعضِ الأحْداثِ العَظيمةِ الَّتي تَكونُ يَوْمَ القِيامةِ ، فالسَّماءُ تَتشقَّقُ وتَتَفتَّحُ ، ويَخْرُجُ مِنْ شُقوقِها السَّحابُ الأبيضُ الرَّقيقُ ، الَّذي يَكونُ غَماماً يُغطِّي الجَوَّ . وتَتَنزلُ المَلائِكةُ على الجِنِّ والإنسِ المَوْقوفينَ لِلْحِسابِ فَتُحيطُ بِهِمْ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائِكة وَقُضِيَ الأَمْرُ وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ .

المُلْكُ كُلُّهُ يَوْمَ القيامةِ للهِ وَحْدَهُ ، لا يُشارِكُهُ فيهِ أَحَدٌ ، فَهُوَ مَالِكُ يوم الدِّينِ .

رَوَىٰ البُخاريُّ ومُسْلمٌ عنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيامةِ » وَيطوي السَّماءَ بيَمينِه ، ثُمَّ يَقولُ : « أنَا المَلِكُ ، أينَ مُلوكُ الأرضِ ؟ »[2] .

ويومَ القيامةِ عَسيرٌ شَديدٌ شَاقٌّ صَعْبٌ على الكُفَّارِ ، لأنَّ اللهَ يُحاسِبُهُمْ عَلى جرائِمِهِمْ ، ويَجزيهِمْ بها سوءَ العَذابِ في النَّارِ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقورِ فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسيرٌ على الكافِرينَ غَيْرُ يَسيرٍ﴾ [المدثر : ٨ـ١٠] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري . كتاب الرقاق . باب : يقبض الله الأرض يوم القيامة . برقم : ٦٥١٩ . ومسلم . كتاب صفة القيامة والجنة والنار . برقم : ٢٧٨٧ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ عنادُ الكفَّارِ واستكبارُهم قادهُم إلى العُتُوِّ والظُّلْمِ والفسادِ .

٢ـ المَلائكةُ لا تنزلُ علىٰ الكُفَّارِ إلاّ بالعَذابِ .

٣ـ أعْمالُ لكُفَّارِ ضائِعةٌ لا تنفعُهُمْ وذاهبَةٌ لا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ، بسببِ كُفْرِهِمْ .

٤ـ يَوْمُ القِيامةِ عَسيرٌ شاقٌّ علَى الكُفَّارِ ، ولابدَّ مِنْ أنْ يخافهُ المُؤمِنُ .

٥ـ المُؤمِنونَ مُنعَّمونَ في الجَنَّةِ ، والكُفَّارُ مُعذَّبون في النّار .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ تَنْزِلُ الملائكةُ علىٰ الكُفَّارِ بالعَذابِ مَرَّتيْنِ . اذكرْهُما .

٢ـ ما معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ويقولونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ ؟

٣ـ اذْكُرِ الشَّرْطيْنِ لقبولِ الأعمالِ عِنْدَ اللهِ . ولماذا لم يقبلِ اللهُ أعمالَ الكُفَّارِ ؟

٤ـ متىٰ وكيفَ تتشقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ ؟ وما المرادُ بالغمامِ الَّذي تتشقَّقُ بهِ ؟

٥ـ لِماذا يكونُ يوْمُ القِيامةِ شديداً على الكُفَّارِ ؟

٦ـ ماذا طلبَ المُشركونَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟

٧ـ قارِنْ بيْنَ ما يكونُ عليهِ المُؤمِنونَ والكافِرونَ يومَ القيامةِ

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ (٥) مِنْ سورةِ الأنْفالِ ، وَ سنخرِجْ مِنها ما تَقولُهُ المَلائكةُ للكُفَّارِ وما تفْعلُهُ بِهِمْ عنْدَ قبْضِ أرْواحِهِمْ

٢ـ سجِّلْ في دفْترِكَ الآيةَ الأخيرةَ مِنْ سورةِ الكهْفِ ، وَ استخرِجْ منْها الشَّرْطينِ الشَّرعيَّيْنِ لِقبولِ الأعمالِ عِنْدَ اللهِ

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبيلاً : طَرِيقاً إِلَىٰ الإِيمانِ .

خَليلاً : صاحِباً وصَديقاً .

خَذولاً : يَخْذِلُ الإِنْسانَ ويَصْرِفُهُ عَنِ الإِيمانِ .

مَهْجوراً : مَتْروكاً .

التَّفسيرُ :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يَوْمُ القِيامةِ عَسيرٌ شاقٌّ عَلَىٰ الكافِرينَ ، لِما فيهِ مِنْ عذابٍ شَديدٍ لَهُمْ ، وكلُّ كافِرٍ ظالِمٍ مِنْهُمْ يَتحسَّرُ حَسْرَةً شَديدةً ، ويَنْدَمُ نَدَماً بالِغاً ، لِمايَرىٰ ما يَنْتَظِرُهُ مِنَ العَذابِ ، مُقابلَ نَجاةِ المُؤْمنينَ .

هذا الظَّالمُ النادِمُ يَعَضُّ علىٰ يَدَيْهِ ، وهُوَ يُعلِنُ نَدَمَهُ وأَسَفَهُ ، ويُصرِّحُ بِحُزنِهِ وأَساهُ .

يقولُ : يا لَيتَنِي آمَنْتُ ، واتَّبعْتُ الرَّسولَ ﷺ ، وسِرْتُ مَعَهُ في طريقِ الهُدَىٰ ، ولو فَعَلْتُ ذٰلِكَ فِي الدُّنيَا لَنَجَوْتُ اليَوْمَ ، ودَخلْتُ الجَنَّةَ مَعَ المُؤمنينَ .

﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

ويُتابعُ الظالمُ إعلانَ ندمِهِ وحسْرَتِهِ ، فبعْدَما تمنَّىٰ لو كانَ آمنَ وتابعَ الرَّسولَ ﷺ ، يتمنى لوْ لمْ يُصادِقْ صاحِبَهُ الكافِرَ في الدُّنيا ، ولوْ لمْ يتخذْهُ خليلاً رفيقاً .

وصاحِبُهُ الَّذي أضلَّهُ يعْرِفُهُ معْرِفَةً أكيدةً ، لأنَّهُ اتَّخذهُ خليلاً ورفيقاً ، لـكنَّهُ يُعبِّرُ عنهُ بالنَّكِرةِ ﴿لَيْتَني لَمْ أتَّخِذْ فُلاناً خليلاً﴾ وهـٰذا التَّنْكيرُ للتَّحقيرِ ، بسببِ ما جرَّهُ عليْهِ منَ الخسارةِ .

﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

وَيَعْتَرِفُ الظَّالمُ النَّادمُ أنَّ خَليلَهُ دَعاهُ إلىٰ الكُفْرِ فاسْتجابَ لهُ ، وبذٰلكَ أضَلَّهُ عَنِ القُرآنِ ، وبَعَدهُ عَنِ الإيمانِ ، فصارَتْ صُحْبَتُهُ لَهُ خَسارةً وصَدّاً عنْ سبيلِ الله

وخليلُهُ الكافرُ شيْطانٌ ، لذٰلكَ خَذَلَهُ عنِ الإيمانِ ، وكلُّ شيطانٍ خذولٌ للإنسانِ ، سواءٌ أكانَ منْ شياطينِ الإنْسِ أمْ منْ شياطينِ الجنِّ ، يَصْرِفُهُ عنِ الحَقِّ ، ويُبْعِدُهُ عنِ الهُدىٰ ، ويُوقِعُهُ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، ولا يَكْتَشِفُ خِذلانَهُ إلاَّ يوْمَ القيامةِ ، فيندمُ ندامةً شديدةً . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لهُ شيْطاناً فهُوَ لَهُ قرينٌ وإنَّهمْ ليَصُدُّونَهُمْ عنِ السَّبيلِ ويحْسبونَ أنَّهمْ مُهْتدونَ حتَّى إذا جاءنا قالَ يا لَيْتَ بَيْني وبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقيْنِ فبِئْسَ القرينُ﴾ [الزخرف : ٣٦ـ٣٨] .

وهـٰذهِ الآياتُ نازلةٌ في عُقْبةَ بنِ أبي مُعيْطٍ حينَ أوْشَكَ أنْ يُسْلِمَ ، لكنَّ خَليلَهُ أُميَّةَ بنَ خلفٍ نهاهُ عَنْ ذٰلكَ فاسْتَجابَ لَهُ ، وهيَ لَيْسَتْ خاصَّةً بهِ ، وإنَّما هي عامَّةٌ ، تَنْطَبِقُ علىٰ كُلِّ ظالمٍ كافرٍ متَّبعٍ للشيطانِ .

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾

يشكُو رسولُ اللهِ ﷺ إلَى ربِّهِ هَجْرَ قَوْمِهِ للقرآنِ ، وانْصرافَهُم عَنْهُ ، معَ أنَّ اللهَ أنْزَلَهُ إليْهِم نوراً وهُدى ورَحْمَةً .

وهجْرُ القُرآنِ لَهُ صورٌ :

١ـ فمنْ هجْرِ القُرآنِ الكفرُ بهِ وإنكارُ أنْ يكونَ كلامَ اللهِ ، وهـٰذا منْ فعْلِ الكُفّارِ .

٢ـ ومنْ هَجْرِ القُرآنِ عَدَمُ تلاوتِهِ وتدبُّرِهِ وفَهْمِهِ ، وهـٰذا قدْ يَصْدُرُ عنْ بعْضِ المُسْلِمينَ .

٣ـ ومنْ هَجْرِ القُرآنِ عدمُ العملِ بأحْكامِهِ ، والتزامِ أوامرِهِ ، واجْتِنابِ نَواهيهِ .

٤ـ ومنْ هَجْرِ القُرآنِ عَدَمُ جَعْلِهِ منهاجاً لحياةِ المُسْلمينَ ودُسْتوراً للدَّولةِ ، ومَصْدَرَ تَشْريعاتِها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

بعد أنْ شَكا الرَّسولُ ﷺ إلىٰ اللهِ هَجْرَ قومِهِ الكُفّارِ للقرآنِ وتَكْذيبَهُمْ لَهُ ، واساهُ اللهُ سُبحانَهُ

وتعالى ، وبيّن له أنّه ليس وحدَه الذي يواجهُ الأعداء المجرمين ، فكما جعل اللهُ له أعداءً مجرمين ، كذلك جعل لكلّ نبيّ قبلَه أعداء مجرمين ، فهذه سنّةُ الله المطّردةُ في جميع الرّسل والرّسالات .

والّذين يعادون الرّسل مجرمون شياطين . قال اللهُ ـ تعالى ـ : ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوًّا شياطين الإنس والجنّ . .﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وطمأن اللهُ رسولَه ﷺ بأنّ أعداءه المجرمين لن يضرّوه شيئًا ، لأنّ الله معه ، يهديه ويوفّقه ، وينصره ويحفظه ، وكفى بالله هاديًا ونصيرًا .

وسنّةُ الله في الدّعوات أنّ أصحابها الدّعاة لابدّ وأن يواجهوا بالأعداء المجرمين ، ولكنّ الله معهم ، وعليهم أن يقتدوا بالرّسل . فيصبروا ويثبتوا ، ويتوكّلوا على الله ، وينتظروا النّصر من الله .

دروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرة ، منها :

١ـ كلُّ كافرٍ يندمُ يومَ القيامة .

٢ـ على المسلم أن يُحسنَ اختيارَ رفيقه ، وأنْ لا يصادق سيّئًا لئلا يُضلَّه .

٣ـ المسلمُ يحذرُ الشّيطان ، ولا يستجيبُ لوساوسه لأنّه خذولٌ .

٤ـ يحرصُ المسلمُ على عدم هجر القرآن ، فيكثرُ من تلاوته وتدبّره ، وتطبيق أحكامه .

٥ـ لابدّ للصّالحين من أعداء طالحين .

التّقويمُ :

أجبْ عن الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا يعضُّ الظّالمُ على يديه يوم القيامةِ ؟

٢ـ استخرجْ من آيات الدّرس أمنيّتين يتمنّاهما كلُّ ظالمٍ يوم القيامة .

٣ـ من الّذي نزلت فيه آياتُ الدّرس ؟

٤ـ اذكر أربع صورٍ من هجرِ المسلمين للقرآن .

٥ـ ما سنّةُ الله في الدّعوات ؟ وكيف يتعاملُ الدّعاةُ معها لينتصروا ؟



ذكرَ ابنُ أبي حاتِمٍ في تفسيرِهِ عنْ قتادة ، في سببِ نزولِ قولِه تعالى : ﴿ويَوْمَ يَعضُّ الظَّالمُ على يديْهِ..﴾ قالَ : كان عُقبةُ بنُ أبي مُعيْط يأتي إلى النَّبي ﷺ ، فلَقيَهُ أميةُ بنُ خلف ، وكان لهُ صَديقاً.. فلمْ يزلْ أميةُ بهِ حتَّىٰ صَرفَهُ وصدَّهُ عن المَجيءِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فأنْزلَ اللهُ فيهما قولَهُ تعالىٰ : ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقولُ يا ليْتني اتَّخذْتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلاً يا وَيْلتا ليْتني لَمْ أَتَّخذْ فُلاناً خَليلاً﴾ (تفسير ابن أبي حاتم : ٨ : ٢٦٨٤) .

نَشاطٌ :

١ـ الأخِلاَّءُ يومَ القيامةِ نوعانِ : أعْداءٌ وأَحْبابٌ : بيِّنْ متىٰ يكونونَ أعْداءً ، ومتىٰ يكونون أحباباً ؟ واستعِنْ في إجابتِكَ بالآيةِ (٦٧) من سورةِ الزُّخرفِ واكتبِ الإجابةَ في دَفترِكَ .

٢ـ ماذا تَفْعلُ حتّىٰ لا تكونَ هاجراً للْقرآنِ الكريمِ ؟ اكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جُمْلَةً واحِدَةً : دُفْعَةً واحِدَةً في مَرَّةٍ واحِدَةٍ .

لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ : لِنُثَبِّتَكَ عَلَىٰ الحَقِّ .

رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً : بَيَّنّاهُ وَفَصَّلْناهُ .

لاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ : لاَ يُقَدِّمُونَ شُبْهَةً أَوْ اعْتِراضاً .

يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِمْ : يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِم .

شَرٌّ مَكاناً : مَكانُهُم شَرٌّ ، لأَنَّهُ نارُ جَهَنَّمَ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

الكُفّارُ هَجَرُوا القُرآنَ وكَفَروا بِهِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ أَثاروا حَوْلَهُ شُبهاتٍ ، واعْتَرَضوا عَلَيْهِ اعْتِراضاتٍ ، لم يُعجِبْهُمْ إِنزالُ القُرآنِ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ مُفَرَّقاً ، حَسَبَ الحَوادِثِ والحاجاتِ .

ومِنَ المَعْلومِ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ الكُتُبَ السَّابِقةَ علَىٰ رُسُلِهِ دُفْعةً واحِدَةً ، بينما أَنْزَلَ القُرآنَ علىٰ رَسولِهِ

مُحَمَّد ﷺ مُنجَماً ، واستمرَّ نُزولُهُ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنةً في مَكّةَ ، وعَشْرَ سَنواتٍ في المَدينةِ .

اقترحوا أنْ يكون نُزولُ القُرآنِ جُملةً واحدَةً ، وقالوا : هَلاّ أُنْزِل القُرآنُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ دُفْعَةً واحدة ، كما أُنْزِلتِ الكُتبُ السّابقةُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هٰذا رَدٌّ على اعْتراضِ الكُفّارِ السّابقِ ، فاللهُ أنْزَلَ القُرآنَ مُفرَّقاً ، لِيُثبّتَ بهِ قَلْبَ النّبيِّ ﷺ علَىٰ الحقّ ، فيزدادَ ثقةً ويقيناً وهِمّةً وعزيمةً .

وقَدْ رَتّلَ اللهُ القُرآنَ تَرْتيلاً ، تتوالَىٰ آياتُهُ ، وتتابعُ سُوَرُهُ ، فَجاءَ مُفصّلاً مُبيّناً ، مُيَسّراً لِلتلاوةِ والحِفْظِ ، والتّطبيقِ والتّنفيذِ ، فتربّىٰ الصَّحابةُ عَليْهِ ، ونفّذوا أحْكامَهُ .

قال الحسنُ البَصْريّ : كانَ يَنْزِلُ علَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ الآيةُ والآيتانِ والآياتُ ، إذا سَأَلَهُ المُشْرِكونَ عنْ شيء ، أنْزَلَ اللهُ الجوابَ لهُمْ ، وإنْ تكلّمُوا علَىٰ النّبيِّ ﷺ أنْزَلَ الرَّدَّ عَليْهِم .

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

كانَ الكُفّارُ يُثيرونَ الشُّبُهاتِ والاعْتراضاتِ على القُرْآنِ والرِّسالةِ ﷺ ، بِهَدَفِ صَرْفِ النّاسِ عَنِ الحقّ .

وَاللهُ يُطَمْئِنُ رَسولَهُ ﷺ أنَّهُ مَعَهُ ، يُقدِّمُ لَهُ الحُجّةَ البالغَةَ ، الّتي يُبْطِلُ بِها شُبُهاتِ الكُفّارِ واعْتِراضاتِهم .

والكُفّارُ يُجادِلونَ بالباطِلِ ، أمّا اللهُ ـ سُبحانَهُ وَتعالَىٰ ـ فإنّهُ يَمُدُّ رَسولَهُ ﷺ بالحَقِّ الواضِحِ ، والحُجّةِ البالغة ، والتّوجيهِ السّليم ، والتّفْسيرِ الأحْسَنِ .

قالَ الإمامُ ابنُ كثير في معنَىٰ الآيةِ : « لا يَأْتونَكَ بحُجةٍ وشُبْهَةٍ ولا يَقولونَ قَوْلاً يُعارِضونَ بهِ الحقّ ، إلاّ أجبْناهُمْ بِمَا هُوَ الحَقُّ في الأمرِ نَفْسِهِ ، وهُو أبْيَنُ وأوْضَحُ وأفصحُ مِنْ مَقالتِهم » .

﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾

أثارَ الكُفّارُ الاعْتراضاتِ علَىٰ القُرْآنِ ، وألغَوْا عُقولَهُم فَلَمْ يُؤمِنوا بهِ ، ولم يَسْتَجيبُوا لِمنطِقِهِ القويِّ المُقنع ، وجَادلوا بالباطِلِ لِيُبطِلوا بهِ الحقَّ .

وَبذلكَ اسْتحقُّوا أنْ يُحْشَروا يومَ القِيامةِ علَىٰ صُورةٍ عَجيبةٍ ؛ فبينَما يُساقُ النّاسُ ويُحشرونَ وهم يَمشونَ علَىٰ أقدامِهم ، يُحشَرُ هٰؤلاءِ وهُمْ يَمْشونَ علَىٰ وُجوهِهِمْ!

أنتَ ترَىٰ النّاسَ في الدُّنيا يَمْشونَ علَى أَرْجُلِهِمْ ، وقَدْ يَمشي بعضُهُم علَىٰ أيديهِمْ ، كما يَحْصُلُ

في الرِّياضةِ والاسْتِعْراضِ و« السِّيركِ » ، ولا ترىٰ إنْساناً في الدُّنيا يَمشي علىٰ وَجْهِهِ!

أمَّا هـٰذَا الصِّنْفُ مِنَ الكُفَّارِ فإنَّهُم يُحشَرونَ يَوْمَ القِيامةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، وَيَمْشُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِمْ فِي طريقِهِمْ إلَيْها! وذٰلِكَ لِلْمُبالَغةِ في إهانَتِهِمْ وإذلالِهِمْ وتَحْقيرِهِمْ .

لِماذا حَشْرُهُم عَلىٰ وجوهِهِم ؟

لأنَّهُم انْقلَبوا في الدُّنيا عَنْ مَنْطِقِ الحَقِّ القَوِيِّ ، واتَّبعُوا الباطِلَ ، فناسَبَ أنْ ينقلِبوا يوْمَ القِيامةِ ، فَيسيرُوا عَلَىٰ وُجوهِهِمْ! ولقدِ اسْتَكْبَروا في الدُّنْيا ، ورَفضُوا أنْ يُخضِعُوا وُجوهَهَم للهِ ، فناسَبَ أنْ يُحْشَروا علىٰ وُجوهِهِمْ ، لِتَذِلَّ وتُهانَ تِلكَ الوُجوهُ المُتَكبِّرَةُ القَبيحَةُ .

وهـٰؤلاءِ الأَذِلاَّءُ المَحْشورُونَ علَىٰ وُجوهِهِمْ كانُوا فِي الدُّنيا هُمُ الأضَلَّ سبيلاً ، والأَكْثَرَ ابتعاداً عنِ الحَقِّ ، فصارُوا في الآخِرَةِ شَرّاً مَكاناً ، لأنَّهم ذاهبونَ إلىٰ جَهنَّمَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ عِنادِ الكُفَّارِ كَثْرةُ اعْتِراضاتِهِمْ علَىٰ القُرآنِ ، مِنْها طَلَبُهُمْ إنزالَ القُرْآنِ جُمْلَةً واحِدةً .

٢ـ مِن حِكَمِ إنزالِ القُرآنِ مُنَجَّماً تَثْبيتُ فُؤادِ النَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ .

٣ـ الحُجَّةُ القُرآنيَّةُ قويَّةٌ بالِغَةٌ تُبطِلُ شُبْهَةَ البَاطِلِ وتَدْحَضها .

٤ـ اللهُ مَعَ رَسولِه ﷺ يمدُّهُ بالحُجَّةِ التي يَغلِبُ بِها الكُفَّارَ .

٥ـ بَعْضُ الكُفَّارِ يُحْشَرونَ يَوْمَ القِيامةِ علَىٰ وُجوهِهِمْ إلى النَّارِ إِذْلالاً وتَحْقيراً لَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ حِكْمَتَيْنِ لإنزالِ القُرآنِ مُنجَّماً .

٢ـ كَيْفَ يُثَبَّتُ فؤادُ النَّبيِّ ﷺ بالآياتِ القُرآنيةِ الجديدةِ النَّازلةِ ؟

٣ـ لِماذا لا يَقِفُ البَاطِلُ أمامَ قُوَّةِ الحَقِّ ؟

٤ـ لِماذَا يُحْشَرُ الكُفَّارُ علىٰ وُجوهِهم إلىٰ جهنَّمَ ؟

٥ـ هاتِ آيةً أُخرىٰ صَريحَةً في حَشْرِ الكُفَّارِ على وُجوهِهِمْ .

اقرأْ وتدبَّرْ :

روىٰ البُخاريُّ ومسلمٌ عنْ قتادةَ قال : حدّثنا أنسُ بن مالكٍ ـ رضي اللهُ عنهُ ـ أنَّ رَجُلا قال لِرسُولِ الله ﷺ : يا نبيَّ الله : كيْفَ يُحشرُ الْكافرُ علىٰ وجهه يوْمَ القيامةِ ؟ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَيْسَ الَّذي أمْشَاهُ عَلَىٰ الرِّجْلَينِ فِي الدُّنيا قَادِراً علَىٰ أنْ يُمْشِيَهُ علىٰ وَجْهِهِ يوْم الْقِيَامَةِ ؟ »

قَالَ قَتادَةُ : بَلَىٰ ، وَعِزَّةِ رَبِّنا[1] .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفترِكَ الآيةَ رقم (١٠٦) من سورةِ الإسراء ، واسْتَخْرِجْ مِنْها حِكْمَةَ أُخْرَىٰ لِنُزول القرآن مُنَجّماً .

٢ـ في آخر سورة الإسراءِ آيةٌ صَرِيحةٌ في حشْرِ الكُفَّارِ علىٰ وُجوهِهِم عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً . سَجِّلْهَا في دفترِكَ ، ثُمَّ اذكُرْ وجْه الشَّبَهِ بَيْنها وبيْنَ الآية (٣٤) .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة الفرقان ، حديث رقم : ٤٧٦٠ ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين ، باب حشر الكافر على وجهه ، حديث رقم : ٢٨٠٦ .

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَزيراً : مُعاوِناً وَمُساعِداً .

فَدَمَّرْناهُمْ : فَأَهْلَكْناهُمْ .

آيَةً : عِبْرَةً وَمَوْعِظَةً .

أَعْتَدْنا : أَعْدَدْنا وَهيَّأْنا .

أَصْحابَ الرَّسِّ : أَصْحابُ الْبِئْرِ .

قُرُوناً : أُمَماً وَجَماعاتٍ .

تبَّرْنا تَتْبيراً : أَهْلَكْنا إِهْلاكاً عَجيباً .

الْقَرْيَةِ الَّتي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ : قَرْيَةِ قوم لُوطٍ أَهْلَكَها اللهُ بِإِنْزالِ الْحِجارَةِ عَلَيْها مِنَ السماءِ كَالْمَطَرِ .

لاَ يَرْجون نُشوراً : لاَ يَنْتَظِرُونَ بَعْثاً بَعْدَ الْمَوْتِ .

التَّفْسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ القُرآنَ لِيُثَبِّتَ قَلْبَ رَسولِ اللهِ ﷺ وذَكَرَتْ هـٰذهِ الآياتُ أَخْبارَ الأنبياءِ السَّابِقينَ ، ومَا لاَقَوْهُ مِنْ أَقْوامِهِم ، لِتَسليَةِ الرَّسولِ ﷺ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

إِذَا كَانَ الكُفَّارُ قَدِ اعْتَرَضُوا علَىٰ القُرآنِ ، فإِنَّ القُرْآنَ لَيْسَ كِتابَ اللهِ الوَحيدَ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ قَبْلَهُ كُتُباً علَىٰ رُسُلِهِ .

فموسىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بعثَهُ اللهُ رسولاً ، وأنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ التَّوراةَ ، وجَعَلَ معَهُ أخاهُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَبيّاً ، وأمَرَهُ أنْ يَكونَ وَزيراً مَعَهُ ، ومُساعِداً ومُعاوِناً لَهُ .

وكانَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قدْ طَلَبَ مِنَ اللهِ أنْ يَجْعَلَ هارونَ وَزيراً لَهُ ويَبْعَثَهُ معَهُ إِلىٰ فِرعونَ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿واجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أَهْلي هارونَ أَخي ٱشْدُدْ بهِ أَزْري وأَشْرِكْهُ في أَمْري . ﴾ [طه : ٢٩ـ٣١] .

وأَمَرَ اللهُ مُوسَىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، وقدْ كَانوا ظالِمينَ كافِرينَ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْ مُوسىٰ وهارونَ دَعْوَتَهُما ، وكذَّبوا بآياتِ اللهِ ، وزادوا مِنَ اضْطهادِ بَنِي إِسرائيلَ .

ولمَّا أَمَرَ اللهُ موسىٰ ـ عليهِ السلامُ ـ بالخُروجِ ببني إِسرائيلَ مِنْ مِصْرَ ، لَحِقَهُمْ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ ، لِيقْضُوا عَلَيْهِمْ ، ولٰكِنَّ اللهَ أَنجىٰ بنِي إِسرائيلَ ، وأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وقَوْمَهُ ، ودمَّرَهُمْ تدميراً .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

كَما أَهْلَكَ اللهُ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ، أَهْلَكَ قَوْمَ نوحٍ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وقدْ كانُوا كافِرينَ ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمْ نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ نبيّاً ، ولكنَّهُمْ كَفرُوا بهِ وكذَّبُوهُ ، ولمَّا جاءَهُمْ عَذابُ اللهِ أَنجىٰ اللهُ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والَّذينَ آمنُوا مَعَهُ بالسَّفينَةِ ، وأغْرَقَ الكَافِرينَ بالطُّوفانِ ، وجَعَلَ اللهُ ذٰلكَ آيةً وعِبْرَةً لِلنَّاسِ ، كُلَّما تذكَّروها اعتبروا واتَّعظُوا ، وأَقبَلُوا علىٰ الإيمانِ ، وتخلَّوْا عَنِ العِصْيانِ .

والطُّوفانُ هُوَ عَذابُ قَوْمِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في الدُّنيا ، وأمَّا عَذابُهُمْ في الآخِرَةِ فإنَّهم سَوْفَ يَخْلُدُونَ في نارِ جهنَّمَ .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بعدَ إِهلاكِ قَوْمِ نوحٍ بالطُّوفانِ ، جَاءَ اللهُ بِقَوْمِ عَادٍ ، ولمَّا كَفَروا بَعَثَ اللهُ لَهُمْ أخاهُمْ هوداً نبيّاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فكذَّبُوهُ فأَوقعَ اللهُ بِهِمُ الهَلاكَ والدَّمارَ . وجاءَ بقومِ ثَمودَ بعدَهُمْ ، ولمَّا كفروا بَعَثَ لَهُم أخاهُم صالِحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فكذَّبُوهُ فأَوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العَذابَ .

ومِنَ الأَقْوامِ الكُفَّارِ الَّذينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ أَصْحابُ الرَّسِّ ، والرَّسُّ البِئْرُ المَطويَّةُ بالحِجارَةِ ، ولمَّا

بعثَ اللهُ لَهُم رسولاً كذّبوهُ وكفروا بهِ فأهلكَهُم اللهُ .

ولَمْ يُخبرْنا اللهُ عَنْ تفاصيلِ قِصّةِ أصحابِ الرّسِّ ، فلا نعرفُ عنْهُم إلاّ هذه الإشارةَ القرآنيةَ : ﴿وعاداً وثَمودَ وأصْحابَ الرّسِّ . .﴾ .

وقَدْ أهْلَكَ اللهُ أقواماً وأُمَماً وجماعاتٍ كثيرةً ، كانُوا بعدَ عادٍ وثَمود ، بعدَ كُفْرِهِمْ به ، وتكذيبِهِمْ لِرُسُلِهِ ، وهذا مصيرُ كُلِّ مَنْ كفرَ باللهِ وكذَّبَ رُسُلَهُ .

﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾

الأقوامُ الكافِرونَ السّابقون لَمْ يُهلكْهُمْ اللهُ إلاّ بَعدمَا بعثَ لهُمْ الرُّسُلَ ، وضربَ لهُمْ الأمْثالَ ، وأقامَ عَليْهِمْ الحُجَجَ ، فلمَّا رفضُوا قبولَ الحقِّ وأصرُّوا على الكُفْرِ ، أوْقعَ اللهُ بهِمْ عذابَهُ ، فدمَّرَهُمْ تَدْميراً .

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ومنَ الأقْوامِ الّذينَ أهلكَهُمْ اللهُ لِكُفْرِهِمْ قومُ لوطٍ ، واللهُ يُذكِّرُ قُريْشاً بتدْميرِ قَريتِهِمْ ، إذْ أمْطرَ اللهُ عَليْها حِجارةً منْ سجّيلٍ ، وجعلَ عَالِيها سافلَها ، وقضى علىٰ أهْلِها ، وأبقىٰ آثارَهُمْ عِبرةً لِمنْ بعْدَهُمْ .

ولقدْ كانَ كُفّارُ قُريش يمرُّون علىٰ قريةِ قوْمِ لوطٍ المدمّرةِ ، ويروْنَ آثارَها ، وذلك في أثناءِ سَفرِهِمْ للتِّجارةِ إلىٰ بلادِ الشّامِ .

ولكنَّهُمْ لَمْ يعتبروا مِمَّا يُشاهِدون ، لأنّهُم كانُوا يُنكِرون البعْثَ ، ولا يَرْجون لِقاءَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الحَقُّ يَحْتاجُ إلى أعوانٍ وأنْصارٍ كما جعلَ اللهُ لموسى أخاهُ هارونَ نصيراً ووَزيراً .

٢ ـ تَكْذيبُ الرُّسُلِ ورَفْضُ الحقِّ يَقودُ إلىٰ عَذابِ اللهِ .

٣ ـ لَمْ يُهلِكِ اللهُ قوْماً من الكافرينَ إلاّ بعْدَ إقامةِ الحُجَّةِ عليهم .

٤ ـ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِبيانِ الحقِّ والباطلِ وتفْقيهِ النّاسِ بِهِما .

٥ ـ مُشاهدةُ آثارِ المُعذَّبينَ تُحقِّقُ العِبرةَ والعِظةَ .

٦ ـ عَدَمُ الإيمانِ بالآخِرةِ يُؤدّي إلىٰ قَسْوةِ القَلْبِ وعَدمِ الاتّعاظِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الحِكْمةُ مِنْ ذِكرِ أَخْبارِ الأُمَمِ السَّابقةِ فِي القُرآنِ ؟

٢ـ ما معنَىٰ الوزيرِ ؟ وكيفَ كانَ هارونُ وَزيراً لِموسى ـ علَيْهِما السَّلامُ ـ ؟

٣ـ ما العِبْرَةُ التي تَخْرُجُ بِها مِنْ إِهلاكِ الكُفَّارِ السَّابقينَ ؟

٤ـ ما معنَىٰ : « الرَّسِّ » ؟ ومَنْ هُمْ أَصْحابُ الرَّسِّ ؟

٥ـ متَىٰ كانَ اللهُ يُهْلِكُ الكُفَّارَ السَّابقينَ ؟ ولِماذا ؟

٦ـ ما القَرْيَةُ التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ؟ ومتىٰ كانَ كُفَّارُ قُريشٍ يَمرُّونَ علَيْها ؟

٧ـ اذْكُرْ ثَلاثةَ أَقْوامٍ ذَكَرَتْهُمُ الآياتُ الكَريمةُ ، أَهلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ .

اقرأْ وتدبَّرْ :

مِن لَطائِفِ التَّعبيرِ القُرآنيِّ أَنَّ القُرآنَ أخْبَرَ عَنْ تكذيبِ قَوْمِ نوحٍ لِرَسولِهِمْ بالجَمْعِ ، فقالَ : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبوا الرُّسُلَ أَهْلَكْناهُمْ﴾ مَعَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ لَهُم رَسولاً واحداً هُوَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

والحِكْمَةُ مِنَ التَّعبيرِ بالجَمْعِ أَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسولاً واحِداً فقدْ كذَّبَ جَميعَ الرُّسُلِ ، لأنَّهُ لا فَرْقَ بينَ رَسولٍ ورَسولٍ ، والكُفْرُ بواحِدٍ كُفْرٌ بالجميعِ ، ولَوْ بعثَ اللهُ إِلىٰ قومِ نوحٍ رَسولاً آخرَ غيرَ نوحٍ لكذَّبوهُ ، وهٰذا يَدُلُّ علىٰ وحِدْةِ الرِّسالاتِ ، لأنَّ رسالاتِهِمْ في حقيقتِها واحدةٌ .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ آياتِ سورةِ يُونُسَ الَّتي تحدَّثَتْ عنْ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وسجِّلْ مِنها كَيْفِيَّةَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ ، وماذا قالَ ومَاذَا قيلَ لَهُ فِي اللَّحظاتِ الأخيرةِ مِن حَياتِهِ .

٢ـ اقرأْ آياتِ سورةِ الصَّافاتِ الَّتي تَحدَّثَتْ عنْ إِهلاكِ قومِ لوطٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها وقتَ مُرورِ قُريشٍ عَلَىٰ آثارِهِمْ واكتبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ العاشِرُ

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هُزُواً : اسْتِهْزاءً وَسُخْرِيَةً .

إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا : يُرِيدُ أَنْ يُبْعِدَنا عَنْ آلِهَتِنا وَيَصْرِفَنا عَنْها .

اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ : اتَّبَعَ هَواهُ وَجَعلَهُ مَعْبُوداً لَهُ .

وَكِيلاً : حَفيظاً عَلَيْهِ تَمْنَعُهُ مِنَ اتِّبَاعِ هَواهُ .

هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً : هُمْ أَحَطُّ مِنَ الْبَهائِمِ لِابْتِعادِهِمْ عَنِ الْهُدَىٰ .

التفسيرُ :

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ .

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ اعْتِراضِ الكُفَّارِ علَىٰ القُرْآنِ ، وأَخْبَرَتْ هٰذِهِ الآيَةُ عَنِ اسْتِهزائِهِمْ برسولِ اللهِ ﷺ .

يُخْبِرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أَنَّ الكُفَّارَ عِندَما كانُوا يَسْتَهزِئونَ بِهِ ، ويَقولونَ : هلْ هذا الشَّخصُ هُوَ الَّذي اخْتارَهُ اللهُ ، وبَعَثَهُ لَنا رَسولاً ؟

يقولون ذلك عنه لأنه فقير يتيم ، والرسول في نظرهم لابد وأن يكون رجلا غنيا عظيما زعيما .

يقولون هذا عن رسول الله ﷺ في الوقت الذي كانوا يجعلونه قبل البعثة في أعلى مكانة ، ويصفونه برجاحة العقل ، وحسن الرأي ، ويلقبونه بالصادق الأمين ، ويشاورونه في قضاياهم ، ويأخذون بحكمه في حل مشكلاتهم .

فاستهزاؤهم به واعتراضهم عليه بعد النبوة من باب حربهم لدعوته ، والوقوف أمام دينه!

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

لم يستهزىء الكفار بالرسول ﷺ وإنما اعتبروه ضالا ، يريد إضلالهم وإبعادهم عن عبادة آلهتهم .

وهذا من سوء نظر الكفار ، فالدعوة إلى توحيد الله في نظرهم ضلال ، وعبادة الأصنام هدى ، والرسول ﷺ في نظرهم داعية إلى الضلال ، ورفض الحق فضيلة ، والإصرار على الكفر بالله صبر محمود!

وهم يعترفون بأنهم بذلوا جهداً كبيراً في حرب الرسول ﷺ ، وصبرهم على ما هم عليه من الباطل ، وهذا بسبب قوة تأثير دعوة الرسول ﷺ ، لأنها حق .

ويهدد الله الكفار بالعذاب يوم القيامة ، فإذا كانوا قد اعتبروا الرسول ﷺ ضالا ، فسوف يعلمون يوم القيامة من هو الضال ، وذلك عندما يرون العذاب ، ويساقون إليه ، ويخلدون فيه ، بينما رسول الله ﷺ مخلد في النعيم في الجنة .

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

يواسي الله رسوله ﷺ على ما يجده من الكفار ، من عناد واتهام واستهزاء .

إنه لم يقصر في دعوتهم ونصحهم ، ولكن العلة فيهم ، فهم قد اتخذوا هواهم ومزاجهم إلها يخضعون له ، ينفذون كل ما يقبله ويرضاه ، ولو كان هذا الشيء باطلا ، وهواهم هو الذي دعاهم إلى العناد وتكذيب رسول الله ﷺ .

ومن اتخذ هواه إلها ، فإنه لا يقبل حقا ، ولا تنفع معه دعوة ، وعلى الداعية أن يدعوه ليقيم عليه الحجة ، وبهذا يؤدي واجبه ، وهو ليس وكيلا عليه ، ولا يجب عليه قذف الإيمان في قلبه ، ولا يمكن أن يسوقه إلى الإيمان سوقا .

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

هذا استمرار في مواساة الرسول ﷺ وبيان صفات أعدائه القبيحة ، يخبره الله أن أكثر أعدائه

لا يَسْمعونَ بآذانِهِمْ سماعَ تَدَبّرٍ واتّعاظٍ واستِفادة ، وإنّما يَسمعون أصواتاً مُجرّدة ، ولذلك يرْفضون الحَقَّ . وهُمْ أيْضاً لا يَعْقِلونَ ولا يَتفكّرون وهُمْ كالأنْعام من الإبلِ والبقرِ والغنم ، لأنّهُمْ لمْ ينتفعوا بما مَنَحَهُمُ اللهُ مِنْ سَمْعٍ وبَصرٍ وعقْلٍ وقَلْب .

وهُمْ أضَلُّ سَبيلا مِنَ الأنعامِ ، وأحطُّ منها منْزلة ، لأنَّ الأنْعام تهتدي إلى فطرتها الّتي فطَرها اللهُ علَيْها ، وتؤدّي ما ألهَمَها اللهُ إيّاهُ ، بينما يُعمي الكُفّارَ عن الحقّ ، ولا يُؤدُّون واجبَهُم في توْحيدِ اللهِ وعِبادَتِهِ .

وفي تَشْبيهِهِمْ بالأنْعامِ ، واعتبارِهِمْ أضلَّ منْها تحْقيرٌ وإهانةٌ لَهُمْ ، فَماذا يَبْقى مِنْ إنْسانٍ يُعتبرُ أضَلَّ مِنَ الدَّوابِّ والبهائِمِ ؟!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحَقائِقُ مَقْلوبةٌ عِنْدَ الكُفّارِ ، فهُمْ يعتبرون الهُدى ضلالاً ، والإصرار على الكُفْرِ صبْراً مَحْموداً .

٢ـ كلُّ مُتَكبِّرٍ معانِدٌ يستهزِئُ بصاحبِ الحَقّ ويوجِّهُ لهُ الاتّهامَاتِ .

٣ـ اتّباعُ الهوىٰ يَصُدُّ الإنسانَ عَنِ الهُدىٰ ، والكافِرُ يتّخِذُ إلـٰهَهُ هَواهُ

٤ـ الكُفّارُ يُعطّلونَ وَسائِلَ المَعْرِفة والاهتداء ، فلا يسْمعون ولا يعْقلون ، فَهُمْ أضَلُّ مِنَ الأنْعامِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِماذا كَانَ الكُفّارُ يَصِفُون رسولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ النُّبوّة ؟ وماذا قالُوا عَنْهُ بعْدَ النُّبوّةِ ؟

٢ـ بماذا تُسمّي اتّهامَ الكُفّارِ للرّسولِ ﷺ بالضّلالِ ؟

٣ـ متى يَعْلَمُ الكُفّارُ أنَّهُم أضلُّ سَبيلا ؟ وهلْ ينفعُهُمْ ذلكَ العلْمُ ؟

٤ـ كيفَ يتّخِذُ الإنسانُ إلـٰهَهُ هَواهُ ؟ وما نتيجةُ ذلك ؟

٥ـ كيف توَفّقْ بين نفِي السّماع عَنِ الكُفّارِ وسَماعِهِمْ الأَصْوات ؟

٦ـ ما وَجْهُ الشّبَهِ بيْنَ الكُفّار وَالأَنْعام ؟ ولِمَاذَا هُمْ أضلُّ سبيلاً منْها ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجّلِ الآيتينِ (٣١ـ٣٢) مِنْ سورةِ الزُّخْرُفِ ، وبيِّنْ وجْهَ الشَّبهِ بيْنَهُما وبيْنَ هـٰذهِ الآيةِ (٤١) .

٢ـ سجّلْ آيةً مِنْ سورةِ الجاثيةِ تَتحدّثُ عَنَ منْ اتَّخذ إلـٰههُ هَواهُ ، واذكرْ وجْهَ الشَّبهِ بينَها وبَيْنَ الآية (٤٣) .

٣ـ تُخْبرُ سورةُ الأعْرافِ أنَّ الكُفّارَ أضَلُّ مِنَ الأنعام ، لأنَّهُم عطّلوا ثلاثةَ وَسائِلَ لِلمَعرفَةِ والهُدَىٰ . سجّلِ الآيةَ الّتي تُخْبرُ بذلِكَ ، واسْتَخْرِجْ منْها الأدواتِ الثّلاثةَ المُعطّلَةَ .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ الحادي عَشَرَ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الحادي عشَرَ

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَدَّ الظِّلَّ : بَسَطَهُ وَطَوَّلَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ .

قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسيراً : قَصَرْناهُ بِلُطْفٍ عِنْدَ الظُّهْرِ .

اللَّيْلَ لِباساً : اللَّيْلَ سَاتِراً يَسْتُرُ النَّاسَ بِظَلامِهِ .

النَّوْمَ سُباتاً : النَّوْمَ سُكوناً ، تَتَوقَّفُونَ فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ .

النَّهارَ نُشوراً : تُبْعَثُونَ فِي النَّهارِ لِلْعَمَلِ وَالسَّعْيِ .

الرِّياحَ بُشْراً : الرِّياحَ مُبَشِّرَاتٍ لِما تَسُوقُ مِنَ السَّحابِ وَالْغَيْثِ .

أَناسِيَّ كَثيراً : كَثيراً مِنَ النَّاسِ .

صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ : أَنْزَلْنا الْماءَ عَلَىٰ مُخْتَلَفِ البِقاعِ بِحِكْمَتِنا .

كُفُوراً : جُحوداً وإِنكاراً .

مَرَجَ البَحْرَيْنِ	: أَجْرىٰ الْمَاءَيْنِ : الْعَذْبَ وَالْمالِحَ ، كُلٌّ فِي مَجْرَاهُ .
عَذْبٌ فُراتٌ	: حُلْوٌ سائِغٌ شَرَابُهُ .
مِلْحٌ أُجاجٌ	: مَالِحٌ شَدِيدُ الْمُلوحَةِ .
بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً	: حاجِزاً يَمْنَعُ اخْتِلاطَ الْمَاءَيْنِ .
نَسَباً وَصِهْراً	: ذُكوراً يُنْسَبُ إِلَيْهِم ، وَإِناثاً يُصاهَرُ بِهِنَّ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ تَكْذيبِ الْمُشْركينَ لِرسولِ اللهِ ﷺ تَتَحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ أدلةٍ كَوْنيةٍ دالَّةٍ علىٰ وُجودِ اللهِ وقُدْرتهِ وَوحدانِيَّتِهِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يعْقِلُونَ ، ولاَ يَلْتَفِتُونَ لآياتِ اللهِ الكَثيرَةِ المَوْجودَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، ومِنْ هٰذِهِ الآياتِ الظِّلُّ وحَرَكَتُهُ فِي بدايةِ النَّهارِ وآخِرِهِ .

ويَدْعونَا اللهُ إِلَى مُلاحَظَةِ الظِّلِّ وحَرَكَتِهِ اللَّطيفةِ والأُنْسِ والاسْتِرْواحِ بِها . والظِّلُّ هُوَ الظَّلامُ الخَفيفُ ، والفَيْءُ اللَّطيفُ الَّذي يُوجَدُ عندما يَحْجُبُ شَيءٌ ماديٌّ كالبَيْتِ أَوِ الجَبَلِ أَوِ الشَّجرةِ أَشعَّةَ الشَّمْسِ !

اللهُ هُوَ الَّذي يَمُدُّ الظِّلَّ ويطوِّلُهُ فِي الصَّباحِ عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ ، فَيكونُ ظِلُّ الشيءِ طَويلاً مُمْتَدّاً ، ثُمَّ يتقاصرُ هذا الظِّلُّ شيئاً فَشَيْئاً . وربَطَ اللهُ الظِّلَّ بِحَركَةِ الشَّمْسِ ، فهُوَ يَتحرَّكُ بِحَرَكَتِها ، وهِيَ الدَّليلُ عَلَيْهِ ، وعندَمَا تغيبُ الشَّمْسُ يَذْهَبُ هٰذا الظِّلُّ مَعَها .

ولو شَاءَ اللهُ لَجَعَلَ هٰذَ الظِّلَّ سَاكِناً ، ولَوْ كانتِ الأَرْضُ ثابتةً لَكانَ الظِّلُّ فَوْقَها ساكِناً لا يَطولُ ولا يَقْصُرُ ، ولا يَمْتَدُّ ولا يُقْبَضُ ، ولكنَّ اللهَ شاءَ جَعْلَ الظِّلِّ مُتَحرِكاً ، وحَرَكَتَهُ مُرْتَبِطَةً بِحَرَكَةِ الشَّمْسِ .

فِي الصَّباحِ يكونُ الظِّلُّ طويلاً ، وكلَّما ارْتَفعَتِ الشَّمسُ فِي السَّماءِ تَقاصَرَ الظِّلُّ ، وكُلَّما سارَتِ الشَّمْسُ فِي السَّماءِ سارَ الظِّلُّ بِسَيْرِها ، واللهُ هُوَ الَّذي يَقْبِضُهُ قَبْضاً يَسيراً بَطيئاً . وعِنْدَ الظَّهيرةِ تَكونُ الشَّمْسُ في وَسَطِ السَّماءِ ، فيتلاشىٰ الظِّلُّ شَيْئاً فَشَيْئاً ، فلا يَكادُ يُرىٰ لِلشيءِ ظِلٌّ . . وعِنْدَما تَتحوَّلُ الشَّمْسُ إِلىٰ جِهَةِ الغَرْبِ يَمُدُّ اللهُ الظِّلَّ شَيْئاً فَشَيْئاً ، وكلَّما سارَتِ الشَّمْسُ نَحوَ الغربِ زادَ الظِّلُّ

طولاً ، وعِنْدما تقْترِبُ الشَّمسُ مِنَ المَغيبِ يَكونُ الظِّلُّ أطْولَ شَيْءٍ . . وعِنْدَما يَختفِي قُرصُ الشَّمْسِ يتوارَىٰ الظِّلُّ مَعَهُ!

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنِ الظِّلِّ إِلَىٰ الحَديثِ عَنِ النَّوْمِ واللَّيلِ والنَّهارِ ، وتُذَكِّرُ النَّاسَ بنعمةِ اللهِ عَلَيْهِم في اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ ، لِتَستقيمَ وتَصْلُحَ حياتُهُمْ .

جَعَلَ اللهُ اللَّيلَ لِباساً ، يَنْتَشِرُ ظلامُهُ ، فَيَسْتُرُ الأَشْياءَ والأَحْياءَ ، وَيَسْتُرُ النَّاسَ كما تَستُرُهُمْ وتُغطِّيهِمْ مَلابِسُهُمْ ، فَيَأْوونَ إِلىٰ النَّوم ، ويَتوقَّفونَ عنِ الحَرَكةِ ، وبذٰلِكَ تَسْتَريحُ أجْسامُهُمْ وأعْصابُهُمْ ومَشاعِرُهُمْ . وفي الصَّباحِ يَبْعَثُهُمُ اللهُ مِنْ نَوْمِهِمْ ، فَيَسْتَيْقِظونَ وقَدْ تَجدَّدتْ هِمَمُهُمْ وعَزائِمُهُمْ ، فَيَنْشَطونَ ويَتحرَّكونَ ويَعْمَلونَ ، وَيَبْتَغونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ، ونِعَمِهِ الغامِرَةِ ، الرِّياحُ التي يُرْسِلُها مُبشِّراتٍ ، تَسْبِقُ رَحْمَتَهُ بإِنزالِ الغَيْثِ علَىٰ النَّاسِ ، فإذا رَأَوْها فَرِحُوا واسْتَبْشَرُوا .

واللهُ يُنْزِلُ مِنَ السَّحابِ ماءً مُبارَكاً طَهُوراً ، فَيُحيي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، إذْ تَكونُ هامِدةً لا نَباتَ فيها ، وبَعْدَ إنزالِ الغَيْثِ عَلَيْها تَهْتَزُّ وتَرْبُو وتُنبِتُ مُخْتَلَفَ أنْواعِ النَّباتِ ، فهٰذِهِ حياتُها . قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وتَرى الأَرْضَ هامِدَةً فإذا أَنْزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ﴾ [الحج : ٥] .

وماءُ الغَيْثِ لَيْسَ حَياةً لِلأرضِ فقَطْ ، بَلْ هُوَ ضَروريٌّ لِلأَحْياءِ كُلِّها علَىٰ وجهِ الأَرْضِ ، لأَنَّ حَياتَهُمْ تَتوقَّفُ عَلَيْهِ ، واللهُ يسقي بِهِ الأَنْعامَ والدَّوابَّ والبَهائِمَ ، كما يَسْقي بِهِ النَّاسَ الكَثيرينَ ، المُنْتَشِرينَ على الأَرْضِ .

ويُصَرِّفُ اللهُ هٰذا الماءَ الطَّهورَ النَّازلَ مِنَ السَّماءِ بِحِكْمَتِهِ ، فَيوزِّعُهُ على مُخْتَلَفِ بِقاعِ الأَرْضِ ، ويَسوقُ السَّحابَةَ المُمْطِرَةَ إِلى بُقْعةٍ أُخرىٰ ، وقَدْ تَمرُّ السَّحابةُ بالأرْضِ فلا يَنْزِلُ مِنْها قَطْرةُ ماءٍ ، وتَتجاوزُها إِلى الأَرْضِ الأُخْرىٰ فَتَنْزِلُ عَلَيْها الغَيْثَ غَدَقاً ، وهذا بأَمْرِ اللهِ وحِكْمَتِهِ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا : لَيسَ عامٌ بأَكثَرَ مَطَراً مِنْ عامٍ آخَرَ ، ولكنْ يَصْرِفُ المَطَرَةَ كيْفَ يَشاءُ . ثم قرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْناه بَيْنَهُم لِيَذَّكَّروا . .﴾ .

ومُعْظَمُ النَّاسِ لا يَتذكرونَ فَضْلَ اللهِ عليْهِمْ بالغَيْثِ ، ولا يَشْكرونَهُ عَلَيْهِ ، وإِنَّما يَجحَدونَ نِعْمَتَهُ ويَكْفُرونَها ، ويَنْسِبونَها لِغَيْرِهِ .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

الحديثُ عَنِ الماءِ الطَّهورِ الَّذي يُحيي اللهُ بِهِ الأَرْضَ والبِلادَ والعِبادَ مُناسِبٌ للإِشارةِ إِلىٰ القُرآنِ الكَريمِ ، الَّذي يُحْيي اللهُ بِهِ الأَرْواحَ والقُلوبَ .

ولَوْ شاءَ اللهُ لَبَعثَ في كُلِّ قَرْيةٍ نَذيراً ، وأَرْسَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً ، ولكنَّهُ شاءَ أَنْ يَخْتِمَ الأَنْبياءَ والمُرْسَلينَ جَميعاً بالرَّسولِ الخَاتِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وأَنْ يَجْعَلَهُ لِلعَالَمينَ نَذيراً .

وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ القُرآنَ، وَصرَّفَهُ لِلنَّاسِ ، وعَرَضَهُ عليْهِم في أساليبَ عِدَّةٍ مِنَ البيانِ والجدالِ والاحْتِجَاجِ . ويَهتدي المُؤمنونَ بالقُرْآنِ ، فَتحيا قُلوبُهُمْ وأَرْواحُهُمْ ، ويُعْرِضُ عَنْهُ الكافِرونَ فَيَخْسَرونَ . والرَّسولُ ﷺ مُطَالَبٌ أَنْ لا يُطيعَ هَؤلاءِ الكَافِرينَ ، وإِنَّما يُجاهِدُهُمْ بالقُرآنِ جِهاداً كَبيراً .

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ونِعَمِهِ الغامِرَةِ الماءُ الَّذي في البحارِ والأَنْهارِ ، فَقدْ خَلَقَ اللهُ نَوْعَيْنِ مِنَ الماءِ ، أَحدَهُمَا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ ، والآخَرُ مِلْحٌ أُجاجٌ شَديدُ المُلوحَةِ ، وجَعَلَ بَيْنَهُما حاجِزاً مَعْنويّاً ، يَمْنَعُ اخْتِلاطَهُما ، فعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُما مُتَجاوِرانِ إِلاَّ أَنَّهُما لا يَتداخَلانِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنْ ماءِ السَّماءِ ومَاءِ البَحْرِ والنَّهْرِ إِلىٰ مَاءِ النُّطْفَةِ الَّذي خَلَقَ اللهُ مِنْهُ الإِنسانَ البَشَرَ ، وهٰذا دَليلٌ آخَرُ مِنَ الأَدِلَّةِ الشَّاهِدَةِ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وَوحْدانيَّتِهِ .

فقدْ خَلَقَ اللهُ مِنْ مَاءِ النُّطْفَةِ البَشَرَ ، وجَعَلَهُم ذُكوراً وإِناثاً ، وجَعَلَ الذَّكَرَ نَسَباً يَنْتَسِبُ إِليهِ أَوْلادُهُ ، وجَعَلَ البِنْتَ صِهْراً يُصاهَرُ بها ، إِذْ يأْتي رَجُلٌ يتزوَّجُها ، ويتَّصِلُ بأَهْلِها عنْ طَريقِها .

واللهُ قَديرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، يَفْعَلُ ما يشاءُ . بِقُدْرَتِهِ خَلَقَ المَخْلوقاتِ ، وجَعَلَها آياتٍ باهِرَةً دالَّةً علَىٰ وَحْدانيتهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تأمُّلُ حَرَكَةِ الظِّلِّ اللَّطيفةِ يُقَوِّي الإيمانَ باللهِ تعالىٰ وَيَزيدُهُ .

٢ـ المُؤْمِنُ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ نِعْمَةِ النَّومِ ونِعْمَةِ الاسْتيقاظِ والسَّعْيِ ، فَهُوَ شاكِرٌ لَيْلاً ونهاراً .

٣ـ يَسْتَبْشِرُ المُؤْمِنُ بالسَّحابِ الماطِرِ ، ويَجْعَلُ إِنْزالَ الغَيْثِ رَحْمةً وفضْلاً منَ اللهِ .

٤ـ إذا أكَلَ المُؤْمِنُ أَوْ شَرِبَ حَمِدَ اللهَ وشكَرَهُ ، واعْتَرفَ بالمِنَّةِ والفَضْلِ لَهُ وحْدَهُ .

٥ـ القُرآنُ كِتابُ جِهادٍ ، والمُؤْمِنُ يُجاهِدُ بهِ الكُفّارَ تنفيذاً لأَمْرِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ يَمُدُّ اللهُ الظِّلَّ ويَقْبِضُهُ قَبْلَ الظُّهْرِ وَبَعْدَهُ ، وضِّحْ كَيْفِيَّةَ ذٰلِكَ .

٢ـ لِماذا تَفْرَحُ عندما ترَىٰ السَّحابَ المُمْطِرَ ؟ واستخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثلاثةَ آثارٍ لِلْمطَرِ .

٣ـ كيفَ يُجاهِدُ المُؤْمِنُ الأَعْداءَ بالقُرآنِ ؟

٤ـ جَعَلَ اللهُ نَوْعينِ مِنَ الماءِ . اذْكُرْهُما ، واذكُرِ الحاجزَ بَيْنَهُما .

٥ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ النَّسَبِ والصِّهْرِ ؟

٦ـ هاتِ ثلاثةَ أدلَّةٍ كَوْنيَّةٍ مُشاهَدَةٍ تَدُلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ .

٧ـ ماذا يَجبُ عَلَيْنَا تِجاهَ هٰذهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ المُشاهَدَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ التَّحريمِ يأْمُرُ اللهُ فيها رَسولَهُ ﷺ بجهادِ الكُفّارِ والمُنافِقينَ وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَينَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٢) .

٢ـ سَجِّلْ في دفْتَرِكَ الآيتينِ (٢٩ـ٣٠) مِنْ سُورةِ الرَّحمٰنِ ، واكتبْ تفْسيرَهُما في سَطْرينِ ، مُبيِّناً الشَّبَهَ بَيْنَهُمَا وبَيْنَ الآيةِ (٥٣) .

٣ـ راجِعْ كِتاباً مِنْ كُتُبِ الأَذْكارِ ، وانْقُلْ مِنْهُ دُعاءَ النَّومِ ودُعاءَ الاسْتيقاظِ ، واحْرِصْ علىٰ أنْ تدعُوَ بِهِما .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ظَهيراً : مُعيناً وَمُساعِداً .

أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبيلاً : أَنْ يَخْتارَ طَريقَ الإيمانِ .

سَبِّحْ بِحَمْدِهِ : نزِّهِ اللهَ عَنِ النَّقائِصِ مُثْنِياً عَلَيْهِ .

زادَهُمْ نُفوراً : زادَهُمْ ابْتِعاداً عَنِ الإيمانِ .

بُروجاً : مَنازِلَ لِلْكَواكِبِ السَّيارةِ .

خِلْفَةً : يَتَعاقَبانِ بِحَيْثُ يَخْلُفُ أَحَدُهما الآخَرَ وَيَأْتي بَعْدَهُ .

التفسيرُ :

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ لا يَلْتَفِتونَ إِلَىٰ آياتِ اللهِ الَّتي حَوْلَهُمْ ، ولاَ يَهْتدونَ بِها إِلَىٰ تَوْحيدِ اللهِ ، ولِذٰلِكَ يُشْرِكونَ

بالله ، ويَجْعَلونَ مَعَهُ آلِهَةً مِنَ الأصْنامِ ، مَعَ أَنَّها جَماداتٌ لاَ حَياةَ فِيها ، ولا تُوقِعُ بِهِمْ ضَرّاً ، ولا تَجْلِبُ لَهُم نَفعاً ، ومَعَ ذٰلِكَ يَعْبُدونَها مِنْ دُونِ اللهِ ، مَعَ أَنَّ العِبادَةَ لا تَكُونُ إلاَّ للهِ وَحْدَهُ ، لأنَّهُ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلعِبادَةِ ، وهُوَ الَّذي يَقْدِرُ على الضَّرِّ والنَّفْعِ .

وكلُّ كافِرٍ ظَهيرٌ علَىٰ رَبِّهِ ، يُعاوِنُ الشَّيْطانَ ، ويُساعِدُ أعْداءَ اللهِ ، ويُشارِكُ فِي الذَّنْبِ والمَعْصِيةِ ، يَكْرَهُ الحَقَّ ، ويَنْصُرُ البَاطِلَ ، ويُحارِبُ أَوْلياءَ اللهِ . وهُوَ الخَاسِرُ بِذٰلِكَ ، لأنَّهُ لا يَنْجَحُ أَحَدٌ فِي حَرْبِهِ للهِ ودِينِهِ!

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يُحَدِّدُ اللهُ مَهمَّةَ رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّها التَّبْشيرُ والإِنذارُ ، وهُو مُبَشِّرٌ لِمَن آمَنَ بِهِ واتَّبَعَهُ وأطاعَهُ ، يُبَشِّرُهُ بالجَنَّةِ ، وهُو نَذيرٌ لِمَنْ كفَرَ بِهِ وكذَّبَهُ ، يُنذِرُهُ العَذابَ .

وهوَ مُبَشِّرٌ ونذيرٌ لِلنَّاسِ جَميعاً حتَّىٰ قِيامِ السَّاعةِ ، لأَنَّهُ خاتِمُ الأنْبياءِ والمُرْسَلينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿يا أَيُّها النَّبيُّ إِنَّآ أَرْسَلْناك شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً وَداعِياً إِلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾ [الأحزاب : ٤٥ـ٤٦] .

﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

بما أَنَّ مُهِمَّةَ الرَّسولِ ﷺ مَحصورةٌ بالتَّبْشيرِ والإِنْذارِ ، إلاَّ أَنَّهُ لا يَطْمَعُ فِي أَنْ يَأْخُذَ أجْراً مِنَ الَّذينَ يُبشِّرُهُمْ أو يُنذِرُهُمْ ، فَهُوَ مُتجرِّدٌ في دَعْوَتهِ للهِ ، وزَاهِدٌ في الدُّنيا ، لا يَنْظُرُ إِلَىٰ ما فِي أيدِي النَّاسِ .

واللهُ يَأْمُرُ رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُصارِحَ النَّاسَ بهذِهِ الحَقيقةِ ، وأَنْ يقولَ لَهُمْ : لا أَسْأَلُكُمْ أجْراً ، ولا أَطْلُبُ مِنكُمْ مالاً مُقابِلَ دَعْوتِي لَكُمْ ، لأنِّي أنتظِرُ الأَجْرَ علىٰ ذٰلِكَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، هُو الَّذِي يَمْنَحُ الأَجْرَ الجَزيلَ الجَميلَ الدائِمَ .

الَّذي أُرِيدُهُ مِنكُم شَيءٌ واحدٌ ، هوَ أنْ تَقْبَلوا دَعْوتِي ، وتَتجاوَبوا مَعَ تَبْشيري وإِنذاري ، وتَسيروا مَعيَ فِي طَريقِ الإِيمانِ بِاللهِ وعِبادَتهِ وطاعَتهِ ، وبذٰلِكَ تُنقِذونَ أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، وتَفوزونَ بالجَنَّةِ .

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

بعدَ إعلانِ تجرُّدِ رَسولِ اللهِ ﷺ وطَلَبِهِ الأَجْرَ مِنَ اللهِ ، يأْتِي تَوْجيهُهُ إِلَىٰ التَوكُّلِ عَلَىٰ رَبِّهِ ، بأنْ يَكونَ مُعْتَمِداً عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، وأنْ يُوجِّهَ طَلَباتِهِ وحاجاتِهِ إِليهِ ، وأَنْ يُسَلِّمَ أمرَهُ إِليهِ ، وأنْ يَثِقَ بِهِ ويَرْضى بما يختارُهُ لَهُ .

التوكُّلُ عَلَى اللهِ واجِبٌ ، واللهُ وحْدَهُ هُوَ الحَيُّ الَّذي لا يَموتُ ، وغيرُهُ سَيموتُ ، والتوكُّلُ علَىٰ الأَحْياءِ الَّذينَ سَيموتونَ خَيْبَةٌ وخَسارةٌ ، أَمَّا التوكُّلُ على اللهِ الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ فهوَ الفَوْزُ ،

لأنَّ اللهَ قويٌّ قادرٌ ، يكفِي مَنْ توكَّلَ عَليْهِ ، وكفَىٰ باللهِ وَكيلاً .

والمُؤْمِنُ في حالِ تَوَكُّلِه علىٰ رَبِّهِ يَذْكُرُهُ ، مُسَبِّحاً وحَامِداً ، فَيُنَزِهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، ويَصِفُهُ بكلِّ كمالٍ ، ويَشْكُرُهُ علىٰ ما يَمْنَحُهُ إيَّاهُ .

واللهُ خبيرٌ بكلِّ شيءٍ ، مُطَّلِعٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، وكفَىٰ بهِ عالِماً خَبيراً بِذُنوبِ عِبادِهِ ، يُعذِّبُهُمْ بها إنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْها .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذي يَتوكَّلُ عَليْهِ المُؤْمِنُ وَحْدَهُ ، الخَبيرُ بِكُلِّ شيءٍ ، الخَالِقُ لِكُلِّ شيءٍ ، فقدْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وما بينَهُما في سِتَّةِ أيام ، قَبْلَ خَلْقِهِ للإنسانِ ، وهـٰذِهِ الأيامُ السِّتةُ غَيْبٌ ، لا نَعْرِفُ مِقْدارَ كلِّ يوم منْها ، وخَلَقَ اللهُ عَرْشَهُ ، الَّذي لا نَعْرِفُ شَكْلَهُ ولا كَيْفيتَهُ ، واسْتَوى سُبحانَهُ على عَرْشِهِ استواءً يَليقُ بِجلالِهِ وعَظَمَتهِ ، ولا نَعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتوائِهِ ، وعَليْنا أَنْ نُؤْمِنَ بما ذَكَرَهُ اللهُ تعالىٰ عَنْ نَفْسِهِ .

واللهُ هُو الرَّحمـٰنُ ، رَحْمَتُهُ وسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، يَرْحَمُ عِبادَهُ ويُعطِيهِمْ ، ويُحبُّ الرَّاحِمينَ مِنْهُمْ .

وقدْ أخْبَرَنَا اللهُ عَنْ صِفاتهِ وأَفْعالِهِ في القُرآنِ ، وأَعْلَمُ النَّاسِ باللهِ وصِفاتهِ هُوَ رسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ لأنَّ اللهَ هُوَ الَّذي أخْبَرَهُ بذٰلِكَ ، وَمَا قَالَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فهُو الحَقُّ ، وما أخْبَرَ بهِ فهُوَ الصِّدقُ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ومَعَ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّحمـٰنُ ، يَرْحَمُ عبادَهُ ، ويَدعُوهُمْ لِعبادَتهِ وَحْدَهُ ، إلاَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَرْفُضون ذٰلِكَ ، فإذا قِيلَ لَهُم : اسجُدُوا للهِ الرَّحمـٰنِ وَحْدَهُ ، رَفضُوا هـٰذِهِ الدَّعْوَةَ ، وقَابلُوها باسْتِخْفافٍ واسْتِنْكارٍ ، وتَساءَلوا : ما الرَّحمـٰنُ ؟ إنَّنَا لاَ نَعْتَرِفُ بِهِ . وخاطَبُوا النبيَّ ﷺ قائلينَ : أَنَسْجُدُ لِما تأْمُرُنا ؟ إنَّنا لَنْ نُنَفِّذَ أمْرَكَ ، ولنْ نَسْجُدَ لِمُجَردِ قولِكَ!

ويَزيدُهُمُ الأَمْرُ بالسُّجودِ لِلرَّحمـٰنِ وَحْدَهُ نُفوراً ، وإعْراضاً عَنِ الإسلامِ ، وهـٰذا مِنْ عِنادِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ ، بينَما يُسارِعُ المُؤْمِنونَ في السُّجودِ للرَّحمـٰنِ وَحْدَهُ ، وَيَسْتَمْتِعونَ بذٰلِكَ .

واللهُ هُوَ الرَّحمـٰنُ ، ومَنْ دَعاهُ قَائِلاً : يا رَحْمنُ ، فكأَنَّما قالَ : يا اللهُ . قالَ تعالىٰ : ﴿قُلِ ادْعوا اللهَ أَوِ ادْعوا الرَّحْمَن أَيّاً ما تَدْعو فَلَهُ الأَسْماء الحُسْنى﴾ [الإسراء : ١١٠] .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذي يَرْفُضُ الكُفَّارُ السُجودَ لَهُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلتَّعظيمِ والتَّمجيدِ ، تَبارَكَ وتعالَىٰ وتَقَدَّسَ ، وعَمَّتْ مَظاهِرُ بَرَكَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

وهُوَ الَّذي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُروجاً ، وهِيَ مَنازِلُ الكواكبِ السَّيارةِ ومَداراتُها الهائِلَةُ فِي هٰذا الفضاءِ الواسع .

وجَعَلَ اللهُ فِي السَّماءِ سِراجاً وهَّاجاً ، هُوَ الشَّمْسُ ، كما جَعَلَ فيها القَمَرَ مُنيراً .

ومِنْ لَطائِفِ التَّعبيرِ القُرآنيِّ أَنَّهُ وَصَفَ الشَّمسَ بأَنَّها سِراجٌ ، بَيْنَما وَصفَ القَمَرَ بأَنَّهُ مُنيرٌ ، وفِي هٰذا إشارةٌ إِلىٰ حَقيقةٍ عِلميَّةٍ فَلَكيَّةٍ ، وُرودُها في القُرآنِ يَدُلُّ علىٰ أَنَّهُ كلامُ اللهِ ، فَمِنَ المَعْلوم أَنَّ السِّراجَ ضِياؤُهُ ذاتيٌّ مِنْ داخلِهِ ، بَيْنَما النُّورُ قَدْ يَكونُ انعكاساً لِضياءٍ آخَرَ! والشَّمْسُ ذاتيةُ الاشْتَعالِ والطَّاقةِ والضِّياءِ ، أمَّا القَمَرُ فإِنَّ النُّورَ الَّذي يُرىٰ فيهِ مِنْ بعيدٍ هُوَ انْعكاسُ أَشِعّةِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ ، وإِلاَّ فَهُوَ مُظْلِمٌ بارِدٌ لا اشْتعالَ فيهِ ؟

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ والقَمَرَ فِي السَّماءِ ، وهُوَ الَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ يَتعاقبانِ علَىٰ وَجْهِ الأرْضِ ، يَخْلُفُ أحَدُهُما الآخَرَ ويأْتي بَعْدَهُ ، فإذا ذَهَبَ اللَّيلُ جاءَ النَّهارُ ، وإذا جاءَ اللَّيلُ ذَهَبَ النَّهارُ ، لاَ يفْتُرانِ ولا يتوقَّفانِ .

وتعاقبُهُما ضَروريٌّ لِحياةِ النَّاسِ علَىٰ وَجْهِ الأرْضِ ، يَعْرفونَ بهِما مَواقيتَهُمْ ومَصالِحَهُمْ ، ويَعْرِفُ المُؤْمِنونَ أَوْقاتَ صَلواتِهِمْ وعِباداتِهِمْ ، فَيَعْبُدونَ اللهَ ويَذْكُرونَهُ ، ويَشْكُرونَهُ ويَحْمَدونَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ كلُّ مَنْ عَبَدَ غيرَ اللهِ أَوْ تَوَكَّلَ عليهِ خاسِرٌ .

٢ ـ عَلَىٰ المُؤْمِنِ الدَّاعيةِ أَنْ لاَ يَطْلُبَ علَىٰ دَعْوَتهِ أجْراً ، وأَنْ يَزْهَدَ فيمَا عِنْدَ النَّاسِ ، لأنَّ أَجْرَهُ عِنْدَ اللهِ .

٣ ـ مِنَ العقَائِدِ الَّتي يَجبُ الإيمانُ بها الثَّابتةِ في القُرْآنِ والسُّنَّةِ : اسْتواءُ اللهِ على العَرْشِ .

٤ ـ المُؤْمِنُ يَتوكَّلُ علىٰ اللهِ وَحْدَهُ ، وعِنْدَما يذكرُهُ يجمعُ بَيْنَ تسبيحِهِ وحَمْدِهِ .

٥ ـ عِزَّةُ المُؤْمِنِ في سُجودهِ للهِ وإِحْسانِ عِبادتِهِ لَهُ ، فَيُسارِعُ إِلَىٰ ذٰلِكَ بِهِمَّةٍ ونَشاطٍ .

٦ ـ يَتذكَّرُ المُؤْمِنُ مِنْ تعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ العباداتِ والطَّاعاتِ ، فيبقَىٰ ذاكِراً للهِ فِي اللَّيلِ والنَّهارِ .

٧ ـ مِنَ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنىٰ ـ التي أَنْكَرَ مُشرِكو العَربِ تَسَمِّي اللهَ بِها ـ الرَّحمنُ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِمَاذَا حَصَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ مَهَمةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

٢ـ لِمَاذَا وَصَفتِ الآيةُ الداعيةَ إِلىٰ التوكُّلِ علىٰ اللهِ بأَنَّهُ سُبحانهُ الحَيُّ الَّذِي لا يَموتُ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بِالأَيَّامِ السِّتَّةِ الَّتي خَلَقَ اللهُ بِها السَّمواتِ والأَرْضَ ؟ وَمَا مَعْنىٰ اسْتِوائِهِ علىٰ العَرْشِ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثَ فَوائِدَ تأخُذُها أنْتَ مِنْ تَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ .

٥ـ ما المُرادُ بكلٍّ ممَّا يَلي : البرُوجِ ، السّراجِ ، القمرِ المُنيرِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ الآيةَ رقمَ (٤٧) مِنْ سورةِ سَبأ . وبيِّنْ ما أضافَتْهُ علَىٰ الآيةِ (٥٧) ، وَلِماذا يُؤكِّدُ الرَّسولُ ﷺ عَلَىٰ عَدمِ طلبهِ الأَجْرَ مِنْهُم .

٢ـ فِي هٰذِهِ الآيةِ سَجْدَةُ تِلاوةٍ باتفاقِ العُلماءِ . اذكُرْ شُروطَ سَجْدةِ التِّلاوةِ وكَيْفيَّتَها واكْتُبْها فِي دَفترِكَ .

٣ـ سجِّلْ فِي دَفْترِكَ الآيةَ رَقْمَ (٥) مِنْ سُورةِ يونُسَ ، وبيِّنْ وجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦١) ، ولاحِظِ الفرقَ بَيْنَ حَديثِ كلٍّ مِنْهُما عَنِ الشَّمسِ وَعَنِ القَمرِ .

٤ـ انظرْ في المُعْجَمِ المُفَهْرِسِ لأَلْفاظِ القُرآنِ لمحمد فؤادٍ عبدِ الباقي ، في كَلِمَةِ « سِتَّةٍ » ، وسجِّلِ الآياتِ الَّتي أخبرَتْ عَنْ خَلْقِ اللهِ السَّمواتِ والأرْضِ في سِتّةِ أيَّامٍ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ الثَّالِث عَشَرَ

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **هوْناً** : بسَكينَةٍ وتَواضُعٍ ووَقارٍ .
- **قالوا سَلاَماً** : قَالُوا كلاماً طَيِّباً .
- **كانَ غَراماً** : كَانَ لاَزِماً دائِماً .
- **مُقاماً** : مَكانَ إقامَةٍ دَائِمَةٍ .
- **لَمْ يَقْتُروا** : لَمْ يُضَيِّقُوا ويَبْخَلُوا .
- **قَواماً** : وَسَطاً مُعْتَدِلاً .
- **يَلْقَ أثاماً** : يَلْقَ عِقاباً وعَذاباً .
- **مَتاباً** : تَوْبَةً خالِصَةً .



التفسيرُ :

اختتَمَ اللهُ هـٰذهِ السُّورةَ ببَيانِ أهمِّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمـٰنِ .

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

إِذا كَانَ الكُفَّارُ يَرْفُضون أَنْ يَسْجُدوا لِلرَّحْمـٰنِ ، وأَنْ يَكونُوا عِباداً خَاضِعينَ لَهُ ، فإِنَّ المُؤْمِنينَ يَخْضَعونَ لَهُ ، ويَسْعدُونَ بأَنْ يَكونُوا عِباداً لَهُ .

وهـٰذهِ الآياتُ تَعْرِضُ أهمَّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمـٰنِ ، الَّتِي تَزيدُهُمْ إِيماناً وهُدَىً وتَقْوَىٰ .

عِبَادُ الرَّحْمـٰنِ يَمْشونَ عَلَىٰ الأَرْضِ مِشْيَةً سَهْلَةً هيِّنَةً ، بِسَكينةٍ وَوقارٍ وتَواضُعٍ ، مِنْ غَيْرِ تَكَبُّرٍ أَوْ بَطَرٍ ، وَلاَ تَعني هـٰذهِ المِشْيَةُ البُطْءَ الشَّديدَ والتَّماوتَ ، وتَنكيسَ الرَّأْسِ ، فهـٰذهِ المِشْيَةُ مَنْهيٌّ عنْها .

ولقَدْ كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَمشِي وعَلَيْهِ السَّكينةُ والوَقارُ .

جَدِّيَّةُ عِبادِ الرَّحمـٰنِ وَوَقارُهُمْ لا تكونُ في مِشْيَتِهِمْ فقطْ ، وإِنَّما تَكونُ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنْ سَفَهِ السُّفَهاءِ وأَذَىٰ الجَاهِلينَ ، فعندَما يُخاطِبُهُمُ الجاهِلونَ بِسَفَهٍ وحُمْقٍ وطَيْشٍ يَترَفَّعُونَ عنْهُمْ ، ولا يَنْزِلونَ لِمُستواهُمْ ، ويقولونَ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الجاهِلينَ .

وهـٰذا المَوْقِفُ منْهُمْ لَيْسَ عَنْ ضَعْفٍ أَوْ عَجْزٍ ، إِنَّما هُوَ تَرَفُّعٌ وإِكْرامٌ لأَنْفُسِهِمْ ، وصِيانَةٌ لأَوقاتِهِمْ وجُهودِهِمْ ، فلا يُنفقونَها فيما لا يَليقُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

عِبادُ الرَّحمـٰنِ في نَهارِهِمْ يَتعامَلُونَ مَعَ النَّاسِ بكرامةٍ وَوَقارٍ ، أَمَّا فِي لَيْلِهِمْ فهُمْ فِي صَلاةٍ وقِيامٍ ورُكوعٍ وسُجودٍ ، ويتمتَّعونَ بِمُناجاةِ اللهِ وعِبادَتِهِ ، يَنامُ النَّاسُ نَوْماً مُريحاً لَذيذاً ، وهُمْ مَشْغولونَ عَنْهُ بِما هُوَ أَمْتَعُ وأَلَذُّ مِنْهُ ، فهُمْ قائِمونَ ساجِدُونَ للهِ . قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿كانوا قَليلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعونَ وَبالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾ [الذاريات : ١٧ـ١٨] .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

يَدعُو عِبادُ الرَّحمـٰنِ ربَّهُم في قِيامِهِمْ وسجودِهِمْ ، ويَرْجونَ رَحْمَتَهُ ، ويَخافونَ عَذابَهُ ، ويَتذكَّرونَ جَهنَّمَ ، فَيعوذونَ باللهِ مِنْها ، ويَسْأَلونَهُ أَنْ يَصْرِفَ ويُبْعِدَ عذَابَها ، لأَنَّ عَذابَها غَرامٌ مُلازِمٌ لِصاحِبِهِ ، لا يُفارِقُهُ ولا يَبتعِدُ عنهُ ، فهو كالغريمِ المُلازِمِ لِغَريمِهِ .

والكافِرُ مُخلَّدٌ في جهنَّمَ ، مُعَذَّبٌ بعَذابِها المُمْتَدِّ ، وجهنَّمُ ساءَتْ مُسْتَقرّاً لهُ يَستَقِرُّ فِيها مُخَلَّداً ، وساءَتْ مُقاماً لَهُ ، يَجْعَلُها دارَ إقامةٍ مُؤَبَّدَةٍ ، وكَيْفَ يَكونُ الاسْتِقْرارُ والإقامةُ فِي نارٍ مُسْتَعِرةٍ وعذابٍ دائمٍ!!

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

تُتابعُ الآياتُ عَرْضَ صِفاتِ عبادِ الرَّحمـٰنِ ، فتُخبِرُ هـٰذِهِ الآيةُ عَنْ طَريقَتِهِمْ في إنفاقِ أموالِهِم ، فَهُم في النَّفقةِ لَمْ يُسرِفُوا ويُبَذِّرُوا ، ولم يَبْخَلُوا ويُقَتِّرُوا ، وإنَّما تَكونُ نَفَقَتُهُمْ قواماً وسَطاً ، وقَصْداً مُعْتَدِلاً ، فلا يَبْخَلونَ عنْ واجِبٍ ، ولا يُقصِّرونَ في مَطلوبٍ ، ولا يُنْفِقونَ فيما لا خَيْرَ فيهِ .

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ : « أيْ : هُمْ لَيسوا بِمُبَذِّرينَ في إنفاقِهِمْ ، فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الحاجَةِ ، ولا بُخَلاءَ على أَهْلِهِمْ ، فَيُقَصِّرونَ في حَقِّهِمْ ولا يَكْفونَهُمْ ، بلْ عَدْلاً خِياراً ، وخَيْرُ الأُمورِ أَوْسَطُها ، لا هـٰذا ولا هـٰذا . . »[1] .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرتِ الآياتُ السَّابقَةُ الصِّفاتِ الإيجابيَّةَ لِعبادِ الرَّحْمـٰنِ ، ذَكَرَتْ هـٰذِهِ الآيةُ ابتعادَهُمْ عنْ ثلاثةِ ذُنوبٍ ، هيَ مِنْ أكبرِ الكَبائرِ الَّتي حَرَّمَها اللهُ .

إنَّهُم لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ ، ولا يُشْرِكُونَ بهِ أحَداً ، ولا يَقْتُلونَ أيَّ إنسانٍ حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهُ ، إلاَّ بالحَقِّ ، ولا يَرْتَكِبونَ جَريمةَ الزِّنَا .

رَوىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : لاَ يَحِلُّ دمُ امرىءٍ مُسْلمٍ يَشْهَدُ أنْ لاَ إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وأنِّي رَسولُ اللهِ إلاَّ بإحدَىٰ ثلاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّاني ، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والتَّارِكُ لِدينِهِ المُفارِقُ لِلجَماعةِ[2] .

فَأَنزلَ اللهُ تَصْدِيقَها : ﴿والَّذينَ لا يَدْعونَ مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ ولا يَزْنونَ﴾[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣١٤ .

(٢) أخرجه البخاري . كتاب الديات . باب قول الله : « أن النفس بالنفس » . حديث رقم : ٦٨٧٨ . ومسلم في كتابه القسامة . باب ما يباح به دم المسلم . حديث رقم : ٤٣٩٠ .

(٣) أخرجه البخاري . كتاب التفسير . تفسير سورة الفرقان . حديث رقم ٤٧٦١ . ومسلم . كتاب الإيمان . باب بيان الشرك أقبح الذنوب . رقم : ٨٦ .

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

عِبادُ الرَّحمٰنِ يَبتعدونَ عَنِ الكَبائِرِ الثَّلاثةِ المَذْكورةِ وغَيْرِها ، أمَّا الَّذينَ يَفْعَلونَها ، أو يَرْتَكِبونَ واحِدةً منْها ، فإِنَّ اللهَ يُهدِّدُهُمْ بالعَذابِ يومَ القِيامةِ ، وهٰذا العَذابُ مُضاعَفٌ لَهُم ، لأنَّهم يَسْتَحِقُّونَ ذٰلِكَ بِسَبَبِ جَرائِمِهِمْ ، ويَخلُدونَ فِي ذٰلِكَ العَذابِ مُهانينَ أذلاَّءَ .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

بعدَ التَّهديدِ والتَّرهيبِ تَذْكُرُ الآياتُ التَّرْغيبَ والتَّبْشيرَ ، وتَفْتَحُ لِلكافِرينَ والمُذْنِبينَ بابَ التَّوْبَةِ والإِصلاحِ ، فَمَهْما ارْتَكبَ أحَدُهُمْ مِن مَعاصٍ وذُنوبٍ ، ثم تابَ إِلَىٰ اللهِ ، وتَخلَّىٰ عنْها ، وغيَّرَ طريقَةَ حَياتِهِ ، فإِنَّ اللهَ يَتوبُ عَلَيْهِ .

ولا تَكونُ تَوْبَتُهُ صَحيحَةً مَقْبولةً إلاَّ بإِيمانِهِ إنْ كانَ كافِراً ، ثُمَّ إِكثارِهِ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ ، عِنْدَ ذٰلِكَ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ ، وهو الغَفورُ الرَّحيمُ ، ويَمُنُّ عَلَيْهِ بِمِنَّةٍ أُخرىٰ وهي أنْ يُبَدِّلَ سيئاتِهِ السَّابقةَ حَسَناتٍ ، مَهْمَا كثُرَتْ وتعدَّدَتْ! وهٰذا كَرَمٌ غامِرٌ مِنَ اللهِ ، وفَوْزٌ مُبينٌ لِهذا التَّائِبِ المُسْتَقيمِ .

وبابُ التَّوْبَةِ مَفْتوحٌ لِكُلِّ مُذْنِبٍ ، يَسْتطيعُ أنْ يَتوبَ تَوْبةً صادِقةً نَصوحاً ، ويُتبِعَها بالعَمَلِ الصَّالِحِ ، وعِندَما يَفْعَلُ ذٰلِكَ يَكونُ قدْ تابَ إِلَىٰ اللهِ مَتاباً!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ شخصيَّةُ المُسْلمِ الصَّالِحِ جادَّةٌ إيجابيَّةٌ ، تتَّصِفُ بالصِّفَاتِ الحميدةِ الَّتِي حثَّ القُرآنُ علَيْها .

٢ـ عَلَىٰ المُسْلِمِ الإِكثارُ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ والطَّاعَاتِ وذِكْرِ اللهِ والتَّضرُّعِ إليهِ .

٣ـ المُسْلِمُ يَحْذَرُ مِنَ الذُّنوبِ والمَعاصِي ، ويَكونُ أكثرَ حَذَراً مِنَ الكَبائِرِ .

٤ـ اللهُ كَريمٌ رَحيمٌ ، ولِذٰلِكَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ التَّائِبينَ ، ويُبَدِّلُ ذُنوبَهُمُ السَّابقةَ حَسناتٍ .

٥ـ مِنْ ثَمراتِ التَّوبةِ الصَّادِقةِ تَغْييرُ مَسارِ الحَياةِ ، والإِكثارُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ .

٦ـ أظْهرَتْ هذهِ الآياتُ النَّموذَجَ الخَيِّرَ لِلبَشَرِيَّةِ وهُمْ عِبادُ الرَّحمنِ كي يُجاهِدَ العَبْدُ نَفسَهُ أنْ يكونَ مِنْهُمْ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما مَعنى مَشْي المُؤْمِنِ علىٰ الأرْضِ هَوْناً ؟ وكيفَ كانَ يَمشِي رَسولُ اللهِ ﷺ ؟

٢ـ بِمَاذَا وَصَفَ عِبَادُ الرَّحمـٰنِ جهنَّمَ عندمَا استعاذوا باللهِ مِنْها ؟ وَمَا مَعنىٰ ذٰلِكَ الوَصفِ ؟

٣ـ كَيْفَ تَكونُ نَفَقَةُ المُسْلِمِ الَّتي يَرضَى عنْهَا اللهُ ؟

٤ـ رَتِّبَتِ الآياتُ الكَبائِرَ الثَّلاثةَ ، اذْكُرْهَا علىٰ ذٰلِكَ التَّرتِيبِ ، واسْتَشهِدْ عَلَيْهَا بحديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٥ـ مَاذَا يَفْعَلُ اللهُ بسيئاتِ التَّائِبِ بَعْدَ إِحسانِ تَوْبَتِهِ ؟ وَعَلَىٰ مَاذَا يَدُلُّ ذٰلِكَ ؟

٦ـ مَا المَطلوبُ مِنَ التَّائِبِ بعدَ تَوْبَتِهِ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ اذْكُرْ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمـٰنِ الَّتي وَرَدَتْ فِي آياتِ الدَّرْسِ مُرَتَّبَةً حَسَبَ وُرودِها فِي الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلِ الآيةَ (٥٥) مِنْ سورَةِ القَصَصِ ، واذكرِ الشَّبَهَ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٣) .

٢ـ الآياتُ الَّتِي تُرغِّبُ بالتَّوْبةِ النَّصوحِ وتَذْكُرُ شُروطَها كَثيرةٌ . سَجِّلِ الآياتِ (٥٣ـ٥٥) مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ ، واذكُرْ ما تَطلُبُه الآياتُ مِنَ التَّائِبينَ لِتَصِحَّ توبتُهُمْ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَا يَشْهَدونَ الزُّورَ	: لا يُؤَدُّونَ شَهادَةً كاذِبَةً ، ولا يَحْضُرُونَ الْمَجالِسَ البَاطِلَةَ .
مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً	: أَكْرَمُوا أَنْفُسَهُم عِنْدَ مُرورِهِم بِمَجالِسِ الباطِلِ بِالإِعْراضِ عَنْها .
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمّاً وَعُمْياناً	: لَمْ يُعْرِضُوا عَنْ آياتِ اللهِ كَالصُّمِ وَالْعُمْيِ .
قُرَّةَ أَعْيُنٍ	: فَرَحاً وَسُرُوراً .
إماماً	: قُدْوَةً .
يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ	: الغُرْفَة أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وأَفْضَلُها ثَواباً مِنَ اللهِ .
يُلَقَّوْنَ فِيها	: يُقابَلُونَ فِيها .
مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي	: لاَ يُبالِي وَلاَ يَكْتَرِثُ بِكُمْ رَبِّي .
سَوْفَ يَكُونُ لِزاماً	: سَوفَ يَكُونُ عَذاباً مُلازِماً لَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ .

التفسيرُ :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ومِنْ صِفَاتِ عبادِ الرَّحْمـٰنِ أَنَّهُم لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، ولاَ يَشْغلونَ أنفسَهُم باللَّغْوِ .

والزُّورُ هُوَ كُلُّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ مِنَ الأقوالِ وَالأفعالِ ، ومِنْهُ تقديمُ شَهاداتٍ كاذبةٍ لأكْلِ حَقٍّ أو نُصْرةِ باطلٍ ، وشهاداتُ الزُّورِ الكاذبةُ معروفةٌ ، يَبتعِدُ عنْها عِبادُ الرَّحْمـٰنِ ، وهِيَ مِنْ أكبرِ الكَبائِرِ .

رَوَىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عَنْ أَبِي بَكرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « ألاَ أُنبِئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبائِرِ ؟ الإشراكُ باللهِ ، وعُقوقُ الوالدينِ ، وشهادةُ الزُّورِ ، أو قولُ الزُّورِ » . وكانَ رسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئاً ، فَجَلَسَ ، وَمَا زالَ يُكَرِّرُها حتَّىٰ قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ[(١)] .

وعبادُ الرَّحْمـٰنِ لا يكتفونَ بعدمِ شَهَادةِ الزُّورِ ، وإِنَّما لا يَحضُرونَ مَجالسَ الباطِلِ ، الَّتي تكونُ فيهَا الأقوالُ والأفعالُ المَنْهِيُّ عَنْها ، ولا يَشْهَدُونَها ، ويُقاطِعونَها ويَبتعدُونَ عنها .

وإِذَا مرُّوا بمجالسِ اللَّغوِ فِي طريقِهِم لمْ يُشارِكُوا فيها ، ولمْ يُلوِّثُوا أنْفُسَهم بِها ، وأكرَمُوا أنْفُسَهُم بِصيانَتِها عَنْها ، لأنَّهُمْ في شُغُلٍ شاغِلٍ ، بأداءِ ما أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

ابتعادُ عِبادِ الرَّحْمـٰنِ عن الزُّورِ واللَّغْوِ ، وإقبالُهُمْ علىٰ عِبادةِ اللهِ ، جَعَلَهُم سَريعي التَّذكُّرِ ، قَريبي الاعتبارِ ، في يَقَظةٍ وَوعْيٍ وانتباهٍ ، وعِنْدما يُذَكَّرونَ بآياتِ ربِّهِمْ ، يَتَذَكَّرونَ وَيفْهَمونَ ، ويتعاملونَ مَعَها ببصيرةٍ وفِقهٍ ، ولَمْ يُعرِضوا عَنْها كالصُّمِ العُمْيِ من الكُفَّارِ ، الَّذين لا يَفهمونَ ولا يَسْمعونَ ولا يُبصرونَ!

قالَ قتادةُ : لم يَصُمُّوا عَنِ الحقِّ ، ولم يَعموا فيهِ ، هُمْ واللهِ قومٌ عَقَلُوا عَنِ اللهِ ، وانْتَفَعُوا بما سَمِعُوا مِنْ كِتابِ اللهِ .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

مِنَ اهتمامِ عبادِ الرَّحْمـنِ بأزواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَتَكْثيرِ الصَّالِحينَ أَنَّهُمْ يُعلِّمونَهُمُ ويُربّونَهُمْ ، ويَسْأَلونَ اللهَ أَنْ يُوفِّقَهُمْ للإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ ، لِتَقرَّ بِهِمْ أعينُهُمْ ، ويَفْرَحونَ بصلاحِهِمْ ، وبِذلكَ يَكونونَ مَعَهُمْ في الجَنَّةِ .

---

(١) أخرجه البخاريُّ كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور . حديث رقم : ٢٥١١ . ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها . حديث رقم : ٨٧ .

كما أنَّهُمْ يَسألونَ اللهَ أنْ يَجعَلَهُمْ أَئِمةَ هُدىً لِلمُتَّقِينَ ، يَقتدونَ بِهِمْ ويَسيرونَ علىٰ طَرِيقِهِمْ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بعدَ الحَديثِ عَنْ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمـٰنِ بيَّنَ اللهُ جزاءَهُمْ ، فهو يُثيبُهُمْ على ما اتَّصَفوا بهِ مِنَ الصِّفاتِ الفَاضِلَةِ ، وجاهدُوا بهِ أنفُسَهُمْ ، وصَبَروا على التَّكاليفِ ، وثوابُهُمْ هو دُخولُهُمُ الغُرْفةَ في أعلىٰ مَنازِلِ الجَنَّةِ وأفضلِها وأكرَمِها .

وليْسَتِ الغُرْفةُ في الجنَّةِ غُرْفةً واحِدَةً ، ولٰكنَّها غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مبنيَّةٌ ، وهُمْ آمِنونَ مُنعَّمونَ في تِلْكَ الغُرُفاتِ ، فِي أعلىٰ الجَنَّاتِ ، خَالِدونَ في ذٰلِكَ النَّعيمِ المُقيمِ ، شاكِرونَ للهِ عَلَىٰ ما أكْرَمَهُم بهِ ، مِنْ مُقامٍ كَريمٍ ، واسْتِقْرارٍ آمِنٍ ، وتَتلقَّاهُمُ المَلائِكَةُ بالتَّحيّةِ والتكريمِ ، وتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ ، تَقولُ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ بما صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ .

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُصارِحَ الكُفَّارَ قائِلاً : اللهُ لا يَعْبَأُ ولا يُبالِي ولا يَكْتَرِثُ بِكُمْ إِذَا لَمْ تُؤْمِنوا بِهِ وتَعبُدوهُ وتَدْعوهُ مُتَضَرِّعينَ لهُ .

كما يَأْمُرُهُ أنْ يهدِّدَهُمْ بالعذابِ إِنِ استمرُّوا علىٰ الكُفْرِ والتَّكْذيبِ ، لأنَّ العَذابَ مُلازِمٌ لِكُلِّ كافِرٍ مُكذِّبٍ ، لا يُفارِقُهُ ولا يتوقَّفُ عنهُ ، فهُوَ مُخلَّدٌ فِي نارِ جهنَّمَ ، لاَ يَموتُ فيها ولا يَخْرُجُ منها!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ شَهادةُ الزُّورِ مِنْ أكبرِ الكَبائرِ ، لا يَفْعَلُها المُؤْمِنُ .

٢ـ المُؤْمِنُ يُكْرِمُ نفسَهُ ، فلا يَحْضُرُ مَجالِسَ البَاطِلِ ، ولا يُشارِكُ فيها ، ويَبتعِدُ عَنْ أصحابِها .

٣ـ المُؤْمِنُ يَتَفاعَلُ معَ آياتِ القُرآنِ ويَعيها ويَتَدبَّرُها ، وَتَزيدُهُ إيماناً وطاعةً وتقوىٰ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَحْرِصَ على تَربيةِ أَهْلِهِ وذُرِّيتِهِ ، لِيكُونُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ ، وأنْ يكونَ إماماً قُدوةً في الخَيْرِ .

٥ـ هوانُ الكُفَّارِ علىٰ اللهِ ، فلا يُبالِي بِهِمْ ، ولا يَضرُّونَهُ شَيْئاً ، والعَذابُ المُلازِمُ يَنتظِرُهُمْ .

٦ـ الإِيمانُ والاسْتِقامةُ والدُّعاءُ والإِنابةُ أساسُ التَّكريمِ عِنْدَ اللهِ .

٧ـ أهميةُ دُعاءِ اللهِ وعِبادَتِهِ ، فَمِنْ أجْلِ العِبادةِ والدُّعاءِ خُلِقْنا .

التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ كيفَ تكونُ شهادةُ الزُّورِ ؟

ب ـ ولِماذا سُمِّيتْ بذٰلكَ ؟

ج ـ اذكرْ حديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ في النَّهي عنها .

٢ـ اذكُرْ مَعْنيينِ لِقولهِ تعالىٰ : ﴿والَّذينَ لاَ يَشْهَدونَ الزُّورَ﴾ .

٣ـ كيفَ تَحْتَفِظُ بكَرامَتِكَ عندَما تمرُّ بِمجالِسِ اللَّغوِ ؟

٤ـ مَاذا تَفْعَلُ عِندَما تَسمعُ آياتِ القُرآنِ أو تُذكَّرُ بها ؟

٥ـ مَاذا يَفعَلُ المُؤمِنُ بأهْلِهِ وذُرِّيَّتِهِ لِيكُونُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ ؟

٦ـ هَلِ المُؤْمِنُ في غُرْفَةٍ أو غُرَفٍ في الجَنَّةِ ؟ وكَيفَ تُوَفِّقُ بينَهُما ؟

٧ـ اسْتَخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ قاعِدَتينِ أَساسيتينِ وحَقيقيَّتينِ قرآنيتينِ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيتيْنِ (١٢٤ـ١٢٥) مِنْ سورةِ التَّوْبةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأثَرَ الإيجابيَّ بسَماعِ القُرآنِ علىٰ المؤمنينَ ، وأثرَهُ السَّلبيَّ علىٰ المُنافقينَ والكافِرينَ .

٢ـ أخبرَ اللهُ أَنَّ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ ، فِي غُرفةٍ ، وفي غُرُفاتٍ ، وفي غُرَفٍ . اسْتَخرجْ مِنَ المُعجمِ المُفهرسِ لألفاظِ القُرآنِ لمحمد فؤاد عبد الباقي آيةً عَنْ كلِّ واحِدةٍ ، ثم اجْمَعْ بينَ الآياتِ الثَّلاثِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسَ عَشَرَ

سُورَةُ الشُّعرَاءِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ الشُّعَراءِ مَكيَّةٌ ، وآياتُها مائتانِ وسَبْعٌ وعِشرونَ آيةً . وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِورودِ كَلِمَةِ الشُّعراءِ فيها . قالَ تعالىٰ : ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوونَ﴾ .

مَوْضوعُ السُّورَةِ هُوَ تقريرُ حقائقِ العَقيدةِ ، مِنَ الإيمانِ باللهِ وتَوْحيدِهِ ، ونَفْيِ الشِّرْكِ ، وإثباتِ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وتَهْديدِالمُشْرِكينَ ، وإنذارِهِمْ بالعَذابِ .

والقَصَصُ هُوَ الغَالِبُ علىٰ السُّورةِ ، فَذَكرتْ قَصَصَ مَجْموعةٍ مِنَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ وهُم : مُوسَىٰ ، وإبراهيمُ ، ونوحٌ ، وهودٌ ، وصالحٌ ، ولوطٌ ، وشُعَيْبٌ ـ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَعَلَّكَ : للاسْتِفْهامِ الإنْكاريِّ . أيْ : هَلْ أَنتَ باخِعٌ نَفْسَكَ .

باخِعٌ نَفْسَكَ : مُهْلِكٌ نَفْسَكَ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ .

آيَةً : مُعْجِزَةً خارِقَةً .

فَظَلَّتْ : فَبَقِيَتْ .

خاضِعِينَ : مُسْتَسْلِمينَ .

ذِكْرٍ : مَوْعِظَةٍ وَتَذْكِيرٍ .

مُحْدَثٍ : التَّذْكِيرِ فِيهِ مُتَجَدِّدٍ مُتَكَرِّرٍ .

التفسيرُ :

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ .

هذهِ ثلاثةُ أحْرُفٍ افْتَتَحَ اللهُ بِهَا هـٰذِهِ السورةَ : طا . سِينْ . مِيمْ .

والمُرادُ بهـٰذهِ الأحْرُفِ وأمْثالِها الَّتي افْتُتِحَتْ بِهَا بَعْضُ السُّوَرِ ، تنبيهُ الكُفَّارِ إلىٰ أَنَّ القُرآنَ مُكَوَّنٌ مِنْ هـٰذِهِ الأحْرُفِ ، الَّتي تتركَّبُ مِنها لُغَتُهُمْ ، فإنْ لَمْ يُؤمِنُوا أنَّهُ كلامُ اللهِ ، فليأتُوا بِسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وهَا هِيَ الأحْرُفُ بَيْنَ أيديهِمْ! وقَدْ عَجَزوا عَنِ المُعارَضَةِ والإتيانِ بِالمَطْلوبِ مِنهُمْ .

وَمِمَّا يَدُلُّ علىٰ أَنَّ هـٰذا هُوَ المُرادُ مِنَ الأحْرُفِ المُقطَّعَةِ ، الحَديثُ عَنِ القُرآنِ بعدَها مُباشَرَةً ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ أي : هـٰذِهِ هِيَ آياتُ القُرآنِ .

والقرآنُ كتابٌ مُبينٌ واضِحٌ ، يَفْصِلُ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ ، والهُدىٰ والضَّلالِ .

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ .

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ حَريصاً علىٰ إسْلامِ قومِهِ ، ولمَّا كفرُوا بهِ وكذَّبُوهُ حَزِنَ حُزْناً شَدِيداً مِنْ أجلِهِمْ ، لأنَّهُمْ بكُفْرِهِمْ حَرَمُوا أنفسَهُمْ مِنَ الخَيْرِ ، ولوْ اسْتَمرَّ حُزْنُهُ الشديدُ عليهِمْ فقدْ يقودُهُ إلىٰ القضاءِ على نَفْسِهِ وإهلاكِها .

فيواسِي اللهُ رَسولَهُ ﷺ ويُسلِّيهِ ، ويُهوِّنُ عليْهِ الأَمْرَ . يقولُ لَهُ : هلْ تُهْلِكُ نَفْسَكَ وتَقْضِي عَلَيْهَا ، حُزْناً وهَمّاً وغَمّاً ، لأنَّهُمْ كَذَّبوكَ ولَمْ يُؤمِنوا بكَ ؟ هوِّنْ عَلَيْكَ ، وَخَفِّفْ مِنْ حُزنِكَ . وهـٰذا كقولِهِ تعالىٰ : ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ [فاطر : ٨] .

﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ .

علىٰ الرَّسولِ ﷺ ألاَّ يُهلِكَ نَفْسَهُ حُزْناً علىٰ الكُفَّارِ ، لِعَدَمِ إيمانِهِمْ ، فَلوْ شاءَ اللهُ أَنْ يُجْبِرَهُمْ علىٰ الإيمانِ ، ويَقْسِرَهُمْ عَلَيْهِ قَسْراً ، لأَنزَلَ عليهِمْ مِنَ السَّماءِ آيةً مادِّيَّةً مُدْهِشَةً ، تَلوي أعناقَهُمْ لِغرابَتِها وعِظَمِها ، ولكنَّ اللهَ اخْتارَ أَنْ تكونَ آيةُ هذا الرَّسولِ القرآنَ الَّذي يُخاطِبُ القُلوبَ والعُقولَ لِيَكونَ

إيمانُهُمْ عَنْ قناعةٍ واخْتيارٍ ، وليْسَ عنْ إكراهٍ وإجبارٍ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

لمْ يشأ اللهُ أَنْ يُنزِلَ علىٰ الكُفَّارِ آيةً ماديَّةً قاهِرَةً ، وأَنْزَلَ لَهُمُ القرآنَ ، وجَعَلَهُ الآيَةَ الواضِحةَ لِرسولِ اللهِ ﷺ .

وهٰذا القُرآنُ ذِكْرٌ مِنَ اللهِ ، فيهِ مَوْعِظةٌ وتَذكيرٌ ، وإِرْشادٌ وبيانٌ ، ومِنْهاجُ حياةٍ كاملٌ . وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُ بهِ الكُفَّارَ ، ويَنصَحُهُمْ ويَعِظُهُمْ ، ويستمرُّ علىٰ ذَلِكَ .

والتَّذكيرُ في القُرآنِ مُحْدَثٌ مُتَجَدِّدٌ . والمَوْعِظَةُ مُتكرِّرَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، لِيتأثَّرَ النَّاسُ بِذلك ويفكِّرُوا فيهِ ، فَيُؤْمنوا ويَهتَدُوا .

ولكنَّ الكُفَّارَ تَعامَلوا مَعَ القُرآنِ بِعِنادٍ واسْتِكْبارٍ ، فأَصَرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، وكلَّما جدَّدَ اللهُ لَهُمْ فِي القُرآنِ مَوْعِظَةً وتذكيراً ، ازدادوا إِعْراضاً وتَكْذيباً ، لأنَّهُ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِمْ .

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

لم يَقْبَلِ الكُفَّارُ مَا فِي القُرآنِ مِنْ تَذكيرٍ مُتَجَدِّدٍ ، وأَعرَضُوا عَنْهُ ، وكذَّبُوا بِهِ ، واسْتَحقُّوا بِذلكَ العِقابَ والعَذابَ . ويُهدِّدُهُمُ اللهُ ويتوعَّدُهُمْ إِنِ اسْتَمَرّوا ، علىٰ ما هُمْ فيهِ من تكذيبٍ واسْتِهزاءٍ .

لقدْ قامَ الكُفَّارُ بُخطواتٍ ثلاثٍ قَبيحةٍ ، اسْتحقُّوا بِهَا العِقابَ :

١ـ الإِعْراضُ عنِ القُرآنِ ، وما فيهِ مِنْ ذِكْرٍ مُحْدَثٍ .

٢ـ التَّكْذيبُ بالقُرآنِ ، ونَفْيُ أَنْ يكونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

٣ـ الاسْتِهزاءُ بِالقُرآنِ ، وما فيهِ مِنْ حقائقَ حَوْلَ البَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

لمْ يُعْرِضِ الكُفَّارُ عنِ آياتِ القُرآنِ فقطْ ، وإِنَّما أَعْرَضوا عَنْ آياتِ اللهِ البَاهِرَةِ ، الَّتي يُشاهِدونَها مِنْ حَوْلِهِمْ . ولقدْ لَفَتَ اللهُ أنظارَهُمْ إِلىٰ هٰذهِ الآياتِ الكَوْنيةِ : فهذهِ الأَرْضُ أمامَهُمْ ، أَلَمْ يَنْظُروا إِلىٰ ما فيها مِن آياتٍ ؟ لَقدْ أَنْبَتَ اللهُ فيها أَصْنافاً وأَنْواعاً كَثيرةً مِنَ النَّباتِ والزُّروعِ والثِّمارِ ، وهُمْ يَنْتَفِعونَ بهذهِ الأَصْنافِ ، ويأْكُلونَ مِمَّا تُنْتِجُهُ مِنْ ثِمارٍ . فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتفكَّروا في هٰذهِ الآياتِ ، ويَستدِلُّوا بهَا علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ ، ويَقوموا بِذكْرِهِ وشُكْرِهِ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

فِي أصنافِ النَّباتِ المُتَنوِّعةِ الكَريمةِ آيةٌ دالَّةٌ علىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ولكنَّ الكُفَّارَ أعرَضُوا

عنْها ، وكَفرُوا بِاللهِ الَّذي خَلقَها ، وسَيُعاقِبُهُمُ اللهُ على كُفْرِهِمْ ، وهُوَ عزيزٌ قاهِرٌ غالِبٌ ، يَفْعَلُ ما يُريدُ . وهو رَحيمٌ بِعبادِهِ المُؤْمنينَ ، يُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القُرآنُ كِتابٌ مُبينٌ مُعجزٌ ، ومَواعِظُهُ مُتَجَدِّدَةٌ مُتكرِّرةٌ مُسْتَمِرَّةٌ .

٢ـ مُعْجِزَةُ الرَّسولِ ﷺ آيةٌ تُخاطِبُ العُقولَ وتَبْقى على مَرِّ الدُّهورِ واللهُ قادِرٌ على إنزالِ الآياتِ الحِسِّيَّةِ ، ولكنها تُدْهِشُ الرَّائي ثم تزولُ .

٣ـ عَدَمُ المُبالغةِ في الحُزْنِ على إعراضِ المُنْكِرينَ ، لِئلاَّ يقودَ ذَلكَ إلىٰ الهَلاكِ ، فإنَّ الإكْثارَ مِنَ الحُزْنِ والألَمِ النَّفسيِّ يقضي على الإنسانِ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ تعالىٰ في النَّاسِ أنْ لا يُجبَروا ولا يُكْرَهوا على الإيمانِ ، لأنَّهُ لا إكراهَ في الدِّينِ .

٥ـ الكُفَّارُ مُعانِدُونَ ، يُعْرِضُونَ عَنِ الآياتِ عِناداً ، بعدَ مَا قامتْ عَليْهِمُ الحُجَّةُ .

٦ـ القُرآنُ يَلْفِتُ أنظارَنا إلىٰ الآياتِ والعِبَرِ الَّتي حَوْلَنا ، في الأَرْضِ والآفاقِ ، لِتَزيدَ صِلَتُنا بِاللهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئِلةِ الآتيةِ :

١ـ ما حِكْمَةُ افتتاحِ السُّورةِ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ ﴿طسم﴾ ؟ ولِماذَا سُمِّيَتْ بهذاالاسْمِ ؟

٢ـ لِماذا كانَ الرَّسُولُ ﷺ يَحزَنُ علىٰ الكُفَّارِ ؟ وَمَا مَعْنَى قولهِ تعالىٰ : ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ ؟

٣ـ لِمَاذَا لَمْ يُنَزِّلِ اللهُ علىٰ الكُفَّارِ آيةً مَادِيَّةً قاهرةً ؟

٤ـ مَا مَعْنَىٰ وَصْفُ القُرآنِ بِأَنَّهُ : ﴿ذِكْرٍ مُحْدَثٍ﴾ ؟

٥ـ قامَ الكُفَّارُ بثلاثِ خُطُواتٍ قَبيحةٍ ، استخرِجْها مِنَ الآياتِ .

٦ـ مَا مَعنىٰ وَصْفِ النَّباتِ بِأَنَّهُ ﴿زَوجٍ كَريمٍ﴾ ؟

٧ـ لِمَاذَا لَمْ يُؤمِنِ الكُفَّارُ بآياتِ اللهِ المُنْتَشِرَةِ مِنْ حَوْلِهِم ؟

اقرأْ واسْتَمْتِعْ :

قال الشاعرُ عنْ آيات الله في النَّبات والوُرود :

تـأمـلْ فـي ريـاض الـوردِ وانظـرْ	إلـى آثـار مـا صنـع المليـك
عيـونٌ مـن لُجيـن شـاخصـاتٌ	علـى أهـدابِهـا ذهـبٌ سبيـكٌ
علـىٰ قُضـبِ الـزَّبـرْجـد شاهـداتٌ	بـأنَّ الله ليـس لـهُ شـريـكٌ

نَشاطٌ :

١ـ هنالك سُورٌ مُفتتحةٌ بالطّاء والسّين ، أو الطّاء والسّين والميم . انظرْها في المُصحف وسجّل أسماءها . وسجّل الآيةَ الّتي بعْدَ هذه الأحْرُف .

٢ـ وُصف زوْجُ النّبات في سُورة (ق) بأنّهُ بهيجٌ . سجّل الآيةَ الّتي ذكرت ذلك ، وما الفرق بين الزوج الكريم والزوج البهيج ؟

* * *

الدَّرسُ السَّادسَ عَشَرَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ : خاطَبَهُ لَيْلَةَ رَأىٰ النَّارَ في الْوَادِي .

يَضيقُ صَدْرِي : يُصيبُني الْغَمُّ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِم لِي .

لاَ يَنْطَلِقُ لِساني : يَتَعَثَّرُ لِساني بِسَبَبِ ضيقِ الصَّدْرِ .

لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ : قَتَلْتُ مِنْهُمُ الرَّجُلَ القِبْطِيَّ .

فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ : قَتَلْتَ أَحَدَ رِجالِنا .

وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ : جَحَدْتَ نِعْمَتَنا عِنْدَما قَتَلْتَ الرَّجُلَ .

وَأَنا مِنَ الضَّالِّينَ : قَتَلْتُ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يُؤتِيَني اللهُ النُّبُوَّةَ .

تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ : أَنْتَ تَمْتَنُّ عَلَيَّ بِتَرْبِيَتِكُمْ لِي .

عَبَّدْتَ بَني إِسْرائِيلَ : جَعَلْتَ بَني إِسْرائيلَ عَبيداً لَكَ .



التفسيرُ :

تتحدَّثُ آياتُ الدَّرْسِ عَنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ ، وهِيَ مُرْتبطةٌ مَعَ الآياتِ السَّابقةِ ، فقدْ تحدثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ تكذيبِ المُشركينَ لِرسولِ اللهِ ﷺ ، وتَحدَّثَتْ هٰذِهِ الآياتُ ـ وَمَا بَعْدَها ـ عَنْ تكْذيبِ فِرْعَونَ وقومِهِ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بهدفِ مُواساةِ الرَّسولِ ﷺ ، فهُوَ ليسَ أوَّلَ نبيٍّ كذَّبَهُ قومُهُ .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

تبدأُ قِصَّةُ مُوسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هُنا مِنْ بَدْءِ بَعثتِهِ ، فعِنْدَما كانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عائداً بأهْلِهِ مِنْ مَدينَ إِلَىٰ مِصْرَ ، رأىٰ ناراً مِنْ جانبِ جَبَلِ الطُّورِ ، فلمَّا أتاها ناداهُ اللهُ وكَلَّمَهُ ، وأَخْبرَهُ أَنَّهُ اصْطَفاهُ ، وجَعَلَهُ نبيّاً رَسولاً ، وأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَونَ وقوْمِهِ ، وَوَصَفَهُمْ بالظُّلْمِ ، فَهُمْ ظالِمونَ كافِرونَ ، لِذٰلِكَ كفرُوا باللهِ ، واعتدَوْا علىٰ بَنِي إِسرائيلَ ، واضْطهَدوهُمْ واسْتَعبدُوهُمْ .

أَلَا يَتَّقِي فِرْعونُ وقَوْمُهُ الظَّالِمُونَ ربَّهُمْ ، فَيُؤمنونَ بهِ ، ويَتوقَّفونَ عَنْ ظُلمِهِمْ ؟

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

إِنَّ أَمْرَ فِرْعَونَ وقومِهِ ليسَ جَديداً علىٰ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَهُوَ يَعْرِفُ مِقْدارَ ظُلْمِهِمْ وبَغْيِهِمْ وعُدوانِهِمْ ، وَلِذٰلِكَ لمَّا سَمِعَ النِّداءَ والتَّكليفَ عَرَفَ المُهمَّةَ العَظيمةَ الَّتي كلَّفَهُ اللهُ بها ، فذكَرَ ما فيهِ من ضَعْفٍ ، وقالَ لِربِّهِ : إِنِّي أَخْشىٰ تكذيبَ فِرْعونَ وقَوْمِهِ لي ، فأَحْزَنُ ويضيقُ صَدْري بسَبَبِ ذلكَ ، وعندَ ذلكَ لا يَنْطَلِقُ لِساني بِمَا يجبُ عَلَيَّ مِنْ تبليغِ الرِّسالةِ ، وهذهِ الحَالُ تُصيبُ بَعْضَ النَّاسِ عندما يُخاطَبونَ بما تَضيقُ بهِ الصُّدورُ . ولم يَكُنْ هارونُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ هذا الصِّنْفِ ، ولِذلكَ دَعا موسى عَلَيْه السَّلامُ رَبَّهُ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُ لِيُعينَهُ بفَصاحَتِهِ وبَيانِهِ ، ويتحمَّلُ مَعَهُ مَهامَّ الدَّعْوَةِ والرِّسالةِ .

﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وذكَرَ موسى في دُعائِهِ ربَّهُ تَخوُّفَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ بأن يَقتلوهُ لأنَّهُ كانَ قَدْ قَتَلَ مِنْهُم رَجُلاً قَبْلَ عَشْرِ سَنَواتٍ ، عِنْدما كانَ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، قَبْلَ ذَهابِهِ إِلىٰ مَدْيَنَ ، فهُوَ يَخافُ عندَما يَذْهَبُ إِلَيهِمْ أَنْ يَقْتُلوهُ بِسببِ ذٰلِكَ .

﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

طَمأَنَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ تخوُّفِهِ السَّابقِ ، وقالَ لَهُ : كَلاَّ ، لَنْ يَضيقَ صَدْرُكَ

ويَحْتَبِسَ لِسَانُكَ ، ولنْ يَقتلوكَ ، واسْتَجابَ لِطَلَبِهِ ، فأرْسَلَ مَعَهُ هَارونَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ .

وكلَّفَ اللهُ موسَىٰ وهارونَ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ بالذَّهَابِ إلَىٰ فِرْعَوْنَ ، وأيَّدَهُمَا بالمُعْجزَتيْنِ : العَصا واليَدِ ، وأخبرَهُما أنَّهُ مَعَهُما ، يَسْمعُ ويرىٰ ويحفظُهُما مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وأذاهُ . قالَ تعالىٰ : ﴿قالا رَبَّنا إنَّنا نَخافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أوْ أنْ يَطغَى * قالَ لا تَخافا إنَّني مَعَكُما أسْمَعُ وَأرى﴾ [طه : ٤٥ـ٤٦] .

ومُهمَّتُهُما عندَ فِرْعَوْنَ مُحَدَّدَةٌ ، أنْ يُخْبِراهُ أنَّ اللهَ جَعَلَهُما نبيَّيْنِ ، وأرسَلَهُما لَهُ ، يَطلبانِ منهُ الإيمانَ باللهِ ، ورَفْعَ الظُّلْمِ عنْ بَنِي إسرائيلَ ، والسَّماحَ لَهُمْ بالخُروجِ مَعَهُما مِن مِصْرَ .

﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

تابعَ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ سَيْرَهُ ، ودَخَلَ مِصْرَ ، والتقَىٰ مَعَ أخيهِ هارونَ ، وذَهبا معاً إلَىٰ فِرْعَوْنَ ، وخَاطبَهُ موسَىٰ بِما أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، ولكنَّ فِرْعَوْنَ الظالمَ لَمْ يستَجِبْ لهُ ، ولمْ يَقْبَلْ رِسَالتَهُ .

وكلَّمَ فِرْعَوْنُ موسىٰ باحْتِقارٍ ، وذَكَّرَهُ بنشأتهِ عِنْدَهُمْ ، وقالَ لَهُ : أنتَ الَّذي أحْسَنَّا إليكَ ، فربَّيناكَ في بُيوتِنا مُنْذُ أنْ كُنْتَ ولَدَاً صَغِيراً ، ونَشَأْتَ عِنْدَنا حتَّىٰ كُنْتَ شابّاً ، وأمضيْتَ فِي رِعايَتِنا سنواتٍ مُتَعدِّدةً ؟!

ثُمَّ أنَّبَهُ علَىٰ قَتْلِ القِبْطِيِّ ، وقالَ لهُ : قابلتَ إحسانَنا إليكَ بالإساءَةِ ، وإنعامَنا بالجُحودِ ، وارْتَكَبْتَ جَريمةً كُبرَىٰ ، عندَما فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ وقَتلْتَ أحَدَ رِجالِنا! والآنَ تأتِينا وتزْعمُ أنَّكَ نبيٌّ رَسولٌ!!

﴿ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

ردَّ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ علىٰ لَوْمِ فِرعونَ لَهُ بسَببِ قَتْلِهِ القِبْطِيَّ ، فقالَ لهُ : نعَمْ قتلتُهُ! ولكنَّ قتلِي لَهُ كَانَ فِي مَرْحلةٍ سَابقةٍ مِنْ حياتِي ، كُنتُ فيها مِنَ الجاهِلينَ الضَّالِّينَ ، وليسَ علىٰ شريعةٍ مِنَ اللهِ ، وخِفْتُ أنْ تقتُلوني ، ففَرَتُ مِنْكُمْ ، وذَهَبْتُ إلىٰ مَدْينَ ، وأقَمْتُ فيها ، وعِنْدما عُدْتُ إليكُمْ وَهَبَ لِي ربِّي حُكْماً وعِلْماً وفَهْماً ، وجَعلَني نبيّاً ورَسولاً ، وأمرَني بالمَجيءِ إليكَ وتَبليغِكَ الدَّعْوةَ .

﴿ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

هٰذا ردٌّ آخرَ مِنْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَدَّ بهِ علىٰ امتنانِ فِرْعَوْنَ عَلَيْهِ ، في تنشئَتِهِمْ لهُ ، فإنْ كانَ

أحْسنَ إليه وأنْعمَ عليهِ ، فقدْ أساء لقومِهِ بني إسرائيل . حيثُ عبّدهُم لهُ ، وجعلهُمْ عبيدا وخدما عندهُ .

وكأنَّهُ يقولُ لهُ : ماذ يُساوي إنعامُك عليّ في مُقابل استعبادك لِقومي ؟ إنّ هـذا لا يُساوي شيئاً! فلا تمنُنْ علي به ، لأنّك لمْ تُحسنْ إليّ في الحقيقة .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبر كثيرة منها :

١ـ أرْسلَ الله موسىٰ ـ عليْه السّلامُ ـ إلى فرْعوْن ليُنذرهُ ويُعْذرهُ ، وتقوم عليْه الحُجّةُ بذلك ، ويُخلِّص بني إسرائيل منْ ظُلْمه .

٢ـ على المُؤْمن أنّ يتّقي الله ، ويترك ما نهاهُ اللهُ عنهُ ، ويُفكّر في المُسْتقْبلِ ليُنقذ نفسه من الخطرِ .

٣ـ الحذرُ مطلوبٌ ، والاحْتياطُ واجبٌ ، عنْد القيام بالأعمال الكبيرة ، بشرْطِ أنْ لا يقْعُد بصاحبه عنْ أداء الواجب .

٤ـ وُجودُ المساعدِ المُعاونِ ضروريٌّ ، يُعينُ الرّجُلَ على أداءِ مهمته ويُساعدُهُ ويؤازرُهُ .

٥ـ على الدّاعية أنْ يكون شُجاعاً جريئاً في مُواجهة أصْحاب الباطل ، فلا يخافُ منهمْ ، ولا يجبُنُ أمامهُم .

٦ـ اللهُ مَع جُنوده وأوْليائه ـ منَ الرُّسل والدُّعاة ـ بالتّأييد والحفْظ والتّثبيت ، وهـذا يدْفعُهُمْ إلىٰ أداءِ واجب التّبليغ بهمّة أكبر .

٧ـ الإحسانُ إلىٰ الإنسان والانعامُ عليْه لا يُبرّرُ اسْتعْبادهُ أو اسْتخْدام ذلك وسيلة للإساءة إليْه أو إلىٰ قومهِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا وجْهُ الارْتباطِ بَيْنَ قصةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَذْكورَةِ في هـٰذا الدَّرْسِ وبَيْنَ الآياتِ السَّابقةِ ؟

٢ـ ما الأَمْرانِ اللَّذانِ خَافَهُما موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِندَ مُواجَهتِهِ فِرْعونَ .

٣ـ مَا المعنَىٰ الصَّوابُ لِقولِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ ؟

٤ـ لِماذَا طَلَبَ موسَىٰ مِنْ ربِّهِ أنْ يُرْسِلَ إلىٰ أخيهِ هَارونَ ؟

٥ـ بِماذَا امتَنَّ فِرْعَوْنُ علىٰ مُوسَىٰ ؟ وما الَّذي لاَمَهُ عَلَيْهِ ؟

٦ـ كيفَ رَدَّ موسَىٰ علَىٰ امتِنانِ فِرعونَ لَهُ ؟

٧ـ سجِّلْ مَعْنَىٰ الآيةِ الأخيرةِ (٢٢) منْ هـٰذا الدَّرسِ ، واسْتَخرِجْ منها دَلالةً هامَّةً .

فائدةٌ :

قالَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِفرْعَوْنَ عَنْ قتلِهِ لِلقبطيِّ : ﴿فَفَررْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ مُعَبِّراً بضميرِ الجَمْعِ ﴿مِنْكُم﴾ و﴿خِفتُكم﴾ بينما خاطَبَهُ بضميرِ المُفْرَدِ في قولِه : ﴿تَمُنُّها عليَّ أَنْ عَبَّدتَ بَني إِسْرائيلَ﴾! المُتمثِّلِ في الفَاعِلِ لِفعلَي ﴿تَمُنُّها﴾ و﴿عَبَّدتَ﴾ .

والحِكمةُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يَخَفْ مِنْ فِرْعونَ وحْدَهُ ، ولَمْ يَفِرَّ مِنْهُ وَحْدَهُ ، إنَّمَا خَافَ مِنْهُ وَمِنْ مَلَئِهِ وَرِجَالِهِ ، ففرَّ منهُ ومنْ رجالِه .

أمَّا المِنَّةُ ﴿تَمُنُّها عَلَيَّ﴾ فهيَ صادِرَةٌ مِن فِرعونَ نفْسِهِ ، لأنَّهُ عاشَ في قَصْرِهِ وتحتَ رِعايَتِهِ . وكذٰلِكَ تَعْبيدُ بَنِي إِسْرائيلَ ، فقدْ عبَّدَهُم لَهُ وحدَهُ ، لأَنَّهُ هُوَ الحاكِمُ ، وقدْ ادَّعَىٰ الأُلُوهِيَّةَ!!

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفترِكَ آيتَي سورةِ طه (٢٧ـ٢٨) وبيِّنْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ الآيةِ (١٣) .

٢ـ اقرأ الآياتِ (٧ـ٢٢) مِنْ سُورةِ القَصَصِ ، واسْتَخلِصْ منْها نشأةَ موسَىٰ ـ عليهِ السلاَّمُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وقَتْلِهِ لِلقبطيِّ ، وسَجِّلْ هذهِ الخُلاصَةَ في دفترِكَ ، بِمَا لاَ يزيدُ علىٰ عَشْرَةِ أسْطرٍ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُوقِنينَ : مُعْتَقِدينَ مُصَدِّقينَ .

أَلاَ تَسْتَمِعُونَ : أَلاَ تتعجَّبونَ مِنْ كَلامِه .

بِشَيْءٍ مُبِينٍ : ببُرْهانٍ ظاهِرٍ بَيِّنٍ .

ثُعْبانٌ مُبِينٌ : ثُعبانٌ حَقيقيٌّ ، ولَيْسَ تَخْييلاً كَمَا يَفْعَلُ السَّحَرَةُ .

نَزَعَ يَدَهُ : أَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَيْبِهِ .

قالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ : قالَ فِرْعَوْنُ لِلأَشْرافِ والقادَةِ المَوْجودينَ حَوْلَهُ .

أَرْجِهْ وَأَخاهُ : أَخِّرِ البَتَّ في أَمْرِ مُوسى وأَخِيهِ هارونَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ .

وَٱبْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرينَ : اطْلُبْ مِنْ رِجالِكَ في مُدُنِ مَمْلَكَتِكَ جَمْعَ السَّحَرَةِ وإِحضارَهُمْ إِليكَ .



التفسيرُ :

في الآياتِ السابقةِ بيّنَ اللهُ - تعالىٰ - ردّ فِرْعوْنَ علىٰ مُوسىٰ - عليْهِ السّلامُ - وذكْرَهُ بِنشأتِهِ في قصرِه ، وبقتْلِهِ لِلقبطيّ ، وردّ موسىٰ علىٰ ذلك .

وفي هـٰذِهِ الآياتِ انْتقلَ فِرْعوْنُ للاعتِراضِ علىٰ دَعوىٰ مُوسىٰ - علَيْهِ السَّلامُ - ورِسالتِهِ ، فوجَّهَ إِليهِ أسئلةً حَوْلَها ، وأجابَهُ موسَىٰ عليْهَا .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قالَ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السّلامُ - لِفرْعَوْنَ : إِنّني أنَا وأخِي هارونَ رَسولانِ مِنْ ربِّ العالمين أَرْسَلنا إِليك . سألَهُ فِرعونُ باستهزاءٍ : مَا ربُّ العالمينَ الّذي أرْسَلَكَ ؟ أيْ عرِّفْنا بهذا الرّبِ الّذي أرسلكَ .

أجابَهُ موسَىٰ - علَيْهِ السّلامُ - مُعرِّفًا بالرّبِّ الذي أَرْسلَهُ : ربُّ العالَمينَ هُو ربُّ السّمواتِ والأرْضِ ، وما فيهِمَا وَما بينَهُما ، هُو الخالِقُ لِذلِكَ كُلِّهِ ، والمُلْكُ لهُ ، والمتصَرِّفُ فيه وَحْدَهُ ، وكلُّ ما فِي الكوْنِ خاضِعٌ لَهُ وَحْدَهُ .

ثُمّ الْتفتَ موسَىٰ - علَيْهِ السّلامُ - إلىٰ المَلأ حَوْلَ فرعوْن ، وقالَ لهُم : إنْ كنتُم مُوقنين أي مُسْتَيْقِنينَ أنّهُ لا ربّ لهُ إلاّ اللهُ ، ولا معبودَ سواهُ .

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

لمْ يُعجبْ جوابُ موسَىٰ فرعونَ ، ولذلك الْتفتَ إلىٰ الملأ حَوْلَهُ ، وقالَ لهُمْ بتهكُّمٍ واسْتِهْزاءٍ : ألا تستمِعُونَ إلىٰ مَا يقولُهُ مُوسىٰ ، وزعمِهِ أنّ هُناكَ إلهًا وربًّا غيري ؟ ألا تتعجّبونَ مِنْ تَحويفِهِ .

فخاطبَ موسَىٰ - علَيْهِ السّلامُ - الملأَ بذِكْرِ صفةٍ أُخرىٰ تُعرِّفُ باللهِ ربِّ العالمين ، هِيَ رُبوبيّتُهُ سُبحانَهُ لِلنّاسِ جميعًا علىٰ اختلافِ الزّمانِ والمَكان . قالَ لهُم : اللهُ ربُّ العالمينَ هُو ربُّكُمْ أنتُمْ ، وربُّ آبائِكُمْ السّابقينَ المُتقدمين .

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لَجأَ فِرْعوْنُ إِلىٰ اتّهامِ موسَىٰ - علَيْهِ السّلامُ - في عَقْلِهِ ، فقالَ للملأ مُتهكّمًا : هـٰذا الّذي يَزْعمُ أنّهُ أُرسلَ إِليْكُمْ لمجنونٌ ! فتابعَ موسى التّعريفَ بربِّ العالمين ، بذكرِ صِفةٍ ثالثةٍ لله ربِّ العالمين ، هِيَ رُبوبيّتهُ للزّمانِ والمكانِ . قالَ لهُم : اللهُ ربُّ العالمينَ الّذي جعلَ الشّمسَ تشرقُ من المشرقِ في

بدايةِ النَّهارِ ، وتَغْرُبُ مِنَ المَغْربِ فِي نهايةِ النَّهارِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ المَشْرِقَ مَشْرِقاً ، والمَغْرِبَ مَغْرِباً ، ويُدبِّرُ الكَوْنَ ومَا فِيهِ ، إِن كُنْتُمْ تَعْقِلونَ ، أَيْ إِنْ كانَت لَكُمْ عُقولٌ تَعْقِلونَ بها ، وفي ذلكَ تَعريضٌ بِهِمْ ، أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنوا بذلكَ فَهُمْ لا يَعْقِلونَ .

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

لمَّا غَلَبَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بحُجَتِهِ وإِجاباتِهِ فِرعوْنَ لَجَأَ إِلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والوَعيدِ ، وهُوَ سلاحُ الطُّغاةِ الجبَّارينَ ؛ عِندمَا يَنْهزمونَ أمامَ حُجَّةِ أصْحابِ الحقِّ . فقالَ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : لَئِنْ آمنتَ بِإِلـٰهٍ غيرِي ، واتَّخَذْتَهُ وَحْدَهُ مَعْبوداً ، لأُعاقِبَنَّكَ عِقاباً شَديداً ، بِوَضْعِكَ فِي السِّجْنِ مَعَ المَسْجونينَ الآخَرينَ .

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

لمْ يَخَفْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ تَهديدِ فِرْعَوْنَ لَهُ بِالسِّجْنِ ، وعَلِمَ أَنَّ الأدلَّةَ العقليَّةَ لمْ تَنْفَعْ مَعَ فِرْعَوْنَ لِعنادِهِ ، فلَجَأَ إِلىٰ إِقامَةِ الحُجَّةِ على فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ يَعْرِضُ المُعجزاتِ التي أُرْسِلَ بها ، التي تَدُلُّ بِمُجَردِ مُشاهَدَتِها أنَّها فِعْلُ الإلهِ الخالِقِ ، وهِيَ دَليلٌ أيضاً على صِحَّةِ نُبُوَّةِ موسىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ وصِدْقِهِما فقالَ لِفرعونَ : إِذَا جِئتُكَ بشيءٍ ظاهِرٍ ، ودَليلٍ ماديٍّ مَحسوسٍ ، يَدُلُّ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وصِدْقِي فِي دَعوىٰ النُّبوَّةِ ، هلْ تُعانِدُ ولا تُؤْمِنُ ، وتَبقَى مُصِرّاً علىٰ إِدخالِيَ السِّجْنَ ، والكُفْرِ بِمَا جِئتُكُمْ بِهِ ؟

عندَ ذٰلِكَ اضطرَ فِرْعَوْنُ إِلىٰ التَّراجُعِ ، وقَبولِ ما عندَ موسَىٰ ، فقالَ لَهُ : إِنْ كنتَ صادِقاً في دَعواكَ النُّبوَّةَ وكانَ مَعَكَ دَليلٌ ماديٌّ واضِحٌ يَشْهَدُ لَكَ ، فَأْتِ بِهِ واعْرِضْهُ أَمامَنا .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ وافقَ فِرْعَوْنُ علىٰ أَنْ يُقدِّمَ موسَىٰ دَليلَهُ ، كانَ موسَىٰ يَحْمِلُ عصَاهُ ، فألْقَاها أمامَ فِرْعَوْنَ ومَلئِهِ ، ونظرُوا إِليها ، فإِذا هِيَ ثُعْبانٌ حَقيقيٌّ ظَاهِرٌ واضِحٌ ، وليْسَ تَخْييلاً أَوْ تَمْويهاً وخِداعا .

وبينَما كانَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤهُ مَشْدوهينَ مِنْ هَوْلِ المُفاجأةِ قَدَّمَ لهُم موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الدَّليلَ الثَّانِي ، فقدْ كَانتْ يَدُهُ سَمْرَاءَ ، لأنَّهُ أسْمرُ اللَّونِ ، وأَدْخَلَها في جَيْبِهِ وهيَ سَمراءُ ، وهُمْ يَنْظُرونَ إِليْهَا ، ثُمَّ أخْرَجَها مِنْ جَيْبِهِ ، فإِذَا هِيَ بَيضاءُ لِلنَّاظِرينَ ، يَرَوْنَ بَياضَها مُنيراً مُشعّاً .

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

لمْ يتفاعَلْ فِرْعَوْنُ مَعَ الدَّليلِ الَّذِي قدَّمَهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِسَبَبِ عِنادِهِ واسْتِكبارِهِ ، وَبادَرَ إِلىٰ اتِّهامِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ ، وخاطَبَ حَاشِيَتَهُ ورجالَ دَوْلتِهِ قائلاً : مُوسَىٰ ليسَ نبيّاً ،

وَلكنَّهُ ساحِرٌ عَليمٌ ، بارِعٌ فِي السِّحْرِ ، وما قدَّمَهُ ليسَ مُعْجزةً ، وإنَّما هُوَ سِحْرٌ كَبيرٌ .

ثُمَّ هيَّجَ فِرْعَوْنُ الملأَ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عندَما وجَّهَ لَهُ اتِّهاماً آخرَ ، فقالَ لَهُمْ : هٰذا السَّاحِرُ ضِدَّ وَطَنِكُمْ ، وهُوَ يُريدُ أنْ يتآمَرَ عَلَيْكُمْ ، ويُخْرِجَكُمْ مِنْ أرضِكُمْ بسحرِهِ ، إنَّهُ عدوٌّ لَكُمْ ، وأنتُم أصْحابُ الأمْرِ ، أَشيرُوا عليَّ ماذا أصْنَعُ بِهِ ، وسَأُنَفِّذُ ما تَقولونَهُ وتأمُرونَ بهِ .

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أجابَ الملأُ المُستَشارونَ لِفرْعَوْنَ قَائِلينَ : أخِّرْ وأَرْجِىءِ البَتَّ فِي أمْرِ مُوسَىٰ وأخيهِ هارونَ ، ولا تتعجَّلْ فِي عِقابِهما ، وابعَثْ أوامِرَكَ إِلَى الحُكَّامِ والوُلاةِ فِي جَمِيعِ البِلادِ ، واطلبْ مِنْهُم أنْ يَجمعُوا كلَّ سحَّارٍ عليمٍ مُبْدعٍ بارِعٍ فِي السِّحْرِ ، وأَنْ يُوجِّهُوا هَؤلاءِ السَّحرَةَ إليكَ ، ليتوَلَّوْا هُمْ مُواجهةَ مُوسىٰ السَّاحِرِ .

واللهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَمَ المَلأَ أنْ يُشِيروا علَىٰ فِرْعَوْنَ بهذا الرأيِ ، لِيَجْتَمِعَ النَّاسُ فِي مَكانٍ وَاحِدٍ ، وتظهَرَ آياتُ اللهِ علىٰ يديْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمامَهُمْ!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ التَّعريفُ باللهِ ، فاللهُ هُوَ رَبُّ العَالَمينَ ، رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما ، رَبُّنا وربُّ آبائِناالأَوْلينَ ، وهُوَ رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِب .

٢ـ الطُّغاةُ الكُفَّارُ مُتكبِّرونَ مُعانِدونَ يَرْفُضونَ الإقْرارَ بأُلوهيَّةِ اللهِ ورُبوبيَّتِهِ والخُضوعِ لَهُ .

٣ـ علىٰ صَاحِبِ الحَقِّ أنْ يُحْسِنَ مُخاطَبَةَ الآخَرينَ ومُحاوَرَتَهُمْ ، وإقامَةَ الأدلَّةِ أمامَهُمْ .

٤ـ يَقومُ أصْحابُ الباطِلِ بِالسُّخْرِيةِ مِنْ أصْحابِ الحقِّ ، والتَّهَكُّمِ عَلَيْهِم ، واتِّهامِهِمْ في عُقولِهِمْ وأفكارِهِمْ .

٥ـ عِنْدَمَا يَنْهَزِمُ الطُّغاةُ فِي مَجالِ الفِكْرِ والجِدالِ يلجأونَ إلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والوعيدِ .

٦ـ أصْحَابُ الحقِّ لا يَخافونَ مِنَ الطُّغاةِ ، ولا يُؤَثِّرُ فيهِمْ تَهديدٌ أو وَعيدٌ ، لأنَّهُمْ يُوقنونَ أنَّ اللهَ مَعَهُمْ .

٧ـ يتَّهِمُ الطُّغَاةُ أصْحابَ الحَقِّ بأَنَّهُمْ ضِدَّ الوَطَنِ والأرضِ والبلادِ ، ويُهَيِّجونَ الآخَرينَ عَلَيْهِمْ .

٨ـ أيَّدَ اللهُ رُسُلَهُ بالمُعْجزاتِ ، ومِنْ ذَلكَ عَصا موسى ، وإضاءَةُ يَدِهِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ .

٩ـ الطُّغاةُ يَسْتكبِرونَ عَنِ الإيمانِ مَعَ وُضوحِ الدَّلائِلِ الدَّالَةِ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الصِّفاتُ الثلاثُ الَّتي ذَكَرَهَا مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِربِّ العَالَمينَ جَواباً على أسئلةِ فِرعونَ ؟

٢ـ لِمَاذا هدَّدَ فِرعونُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالسِّجْنِ ؟ ولِماذا لَمْ يَخَفْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ ذٰلِكَ التَّهديدِ ؟

٣ـ ما الآيتانِ اللَّتانِ قدَّمَهُما مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِفِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ دَليلاً علىٰ صِدْقِ نُبوَّتِهِ ؟

٤ـ بَعَدَما رأىٰ فِرْعَوْنُ الآيتينِ ، اتَّهَمَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِتُهْمَتَيْنِ . مَا هُما ؟

٥ـ بِمَاذَا أشارَ المَلأُ علَىٰ فِرْعَوْنَ بشأنِ مُوسَىٰ وأَخيهِ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ ؟

تَعَلَّمْ :

قالَ الملأُ لِفِرعونَ : ﴿أَرْجِهْ وأَخَاهُ وابْعَثْ في المَدائِنِ حاشِرينَ﴾ . و﴿أَرْجِهْ﴾ فِعْلُ أمرٍ . الماضِي منهُ « أَرْجَأَ » يُقالُ : أَرْجَأَ يُرْجِىءُ ، أَرْجِىءْ . أي أَخِّرَ ، يُؤَخِّرُ ، أَخِّرْ .

وأَصْلُ الفِعلِ هُنَا « أَرْجِئْهُ » . فَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ لِلتَّسهيلِ والتَّخفيفِ ، وَوُضِعَتْ حَرَكَتُهَا ـ السُّكُونُ ـ عَلَىٰ الهاءِ ، فصارَتْ « أَرْجِهْ » . والفاعِلُ ضَميرٌ مُسْتَتِرٌ تقديرُهُ « أَنتَ » والهاءُ في مَحَلِ نَصْبِ مَفعولٍ بهِ . أيْ : أَخِّرْ موسَىٰ وأخَاهُ هارونَ . وتُقرأُ الكَلِمَةُ بِتسْكينِ الهاءِ « أَرْجِهْ » .

نَشاطٌ :

١ـ ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ إِلـٰهٌ لِقَوْمِهِ وَربٌّ لَهُم . سَجِّلْ آيةَ سورةِ القَصَصِ الَّتي تُخبرُ عنْ ادِّعَائِهِ الأُلوهيَّةَ ، وآيةَ سورةِ النَّازِعَاتِ الَّتي تُخبرُ عنْ ادِّعاءِ الرُّبُوبيَّةِ .

٢ـ اتَّهَمَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ والجُنونِ وهـٰذهِ هِيَ التُّهْمَةُ الَّتي تُوجَّهُ لِكُلِّ رَسُولٍ . اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورةِ الذَّارياتِ الآياتِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنْ ذٰلِكَ ، واكتبْهَا فِي دَفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامنَ عشَرَ

سُورَةُ الشُّعراءِ - القِسْمُ الرّابِعُ

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لِميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُوم : لِمَوْعِدٍ مُحَدَّدٍ في يوم مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

أَلْقوا ما أَنْتُمْ مُلْقونَ : اطْرَحوا مَا تُريدونَ إِلْقاءَهُ مِنْ حِبالٍ وَعِصيٍّ .

قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ : أَقْسَموا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتِهِ .

تَلْقَفُ : تَبْتَلِعُ .

يَأْفِكونَ : يَأْتونَ بِهِ مِنَ السِّحْرِ وَيَقْلِبونَهُ عَنْ وَجْهِهِ .

مِنْ خِلافٍ : المُخالَفَةِ في القَطْعِ ، بِقَطْعِ اليَدِ اليُمْنَىٰ والرِّجْلِ اليُسْرَىٰ .

لاَ ضَيْرَ : لاَ ضَرَرَ عَلَيْنا مِمَّا هَدَّدْتَنا بِهِ .

مُنْقَلِبونَ : رَاجِعونَ .

نَطْمَعُ : نَرْجو وَنَأْمَلُ .

التفسيرُ :

تحدثتِ الآياتُ السابقةُ عنِ المُواجهةِ بيْنَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْه السَلامُ ـ وَفِرعَونَ ، واتّهامِ فِرعونَ لَهُ بأَنَّهُ ساحِرٌ ، وأَخْذِهِ بِمَشورةِ المَلأ أنْ يَجْمعَ لَهُ كُلَّ سحّارٍ عَليمٍ مِنْ مُخْتَلفِ مُدُنِ مِصْرَ .

وتتحدّثُ هـٰذِهِ الآياتُ عَنِ المُباراةِ الكَبيرةِ بَيْنَ مُوسَىٰ ـ عليهِ السّلامُ ـ وبَيْنَ السَّحَرَةِ .

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

جُمِعَ السَّحرَةُ مِنْ مُدُنِ مِصرَ المتعدِّدةِ ، وجيءَ بهم إلىٰ العاصِمَةِ ، لِيَقِفوا أمامَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَلامُ ـ .

ومِنْ كَيْدِ فِرْعَوْنَ ومَكْرِهِ ، واعْتدادِهِ بنفْسِهِ ، أَنَّهُ طَلَبَ مِنْ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تحديدَ يَوْمِ المُباراةِ مَعَ السَّحرةِ ، لأَنَّهُ واثِقٌ مِنْ غَلبتِهِم وفَوْزِهِم ، فحدّد موسَىٰ ذٰلك بأَنَّهُ ضُحىٰ يومِ العيدِ . قالَ تعالىٰ : ﴿قالَ أجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى فلنأْتِيَنَّكَ بسِحْرٍ مِثْلِهِ فاجْعلْ بيننا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أَنْتَ مَكاناً سُوى قالَ مَوْعدكُمْ يومُ الزِّينةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحَى﴾ [طه : ٥٧ـ٥٩] .

ولمّا حَانَ مَوْعِدُ المُباراةِ ، طلبَ فِرْعَوْنُ مِنَ النّاسِ الحُضورَ في الوَقْتِ المُحَدَّدِ ، وهُوَ ضُحىٰ يومِ الزِّينةِ ، لِيشهدُوا المُباراةَ ، ويُشاهِدُوا غَلبةَ السَّحرةِ وانتصارَهُمْ ، وهزيمةَ موسَىٰ وأخيهِ! لقدْ كانَ فِرعونُ واثِقاً مِنَ الانْتِصارِ ، ولِذٰلكَ طلَبَ مِنَ النّاسِ الحُضورَ!

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وقُبَيْلَ مَوْعدِ المُباراةِ جاءَ السَّحرةُ إلىٰ قَصْرِ فِرعونَ ، واجْتَمعُوا به ، وقالُوا لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ غَلَبْنا موسَىٰ وهزمناهُ ، فهلْ تُعطينا أَجْراً ومالاً ؟

وقدْ كانَ فِرعَوْنُ بحاجةٍ لَهُم ، ولِذٰلكَ أجابَهم علىٰ سُؤالِهم قائلاً : نعَمْ ، سَأُعْطِيكُمْ ما تَطْلُبون مِنَ الأجْرِ ، وأزيدُكُمْ علىٰ ذٰلكَ بأَنْ أجْعلَكُم مِنْ خاصَّةِ جُلسائي وحاشيَتي ، المُقرَّبينَ عندي .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وجاءَ يومُ الزّينةِ ، واجْتَمَعَ النَّاسُ وقْتَ الضُّحىٰ لِيَشْهَدُوا المُباراةَ ، وحَضَرَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤُهُ وحاشِيَتُهُ ، وأَتىٰ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَحْمِلُ عَصاهُ ، وجاءَ السَّحرةُ يحملونَ الحِبالَ والعِصيَّ

وكانَ السَّحَرَةُ واثِقينَ مِنَ النَّصْرِ ، ولهٰذا خَيَّروا مُوسَىٰ أَيُلْقونَ هُم أَوَّلاً أَوْ يُلْقِي هُوَ قَبلَهُم .

ولٰكِنَّ مُوسَىٰ كَانَ أكثرَ مِنهُم ثِقَةً بِالفَوْزِ ، لأَنَّهُ مُعتَمِدٌ علىٰ رَبِّهِ ، مُوقِنٌ أَنَّ اللهَ مَعَهُ بنصرِهِ وتأييدِهِ ، ولذٰلكَ دعاهُمْ إلَىٰ أنْ يُلْقوا هُمْ أَوَّلاً . قالَ تعالىٰ : ﴿قالوا يا موسى إِمَّا أَنْ نُلقِيَ وإِمَّا أَنْ تَكونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى قالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه : ٦٥-٦٦] .

أَلْقَىٰ السَّحَرَةُ مَا أَحضَرُوْهُ مِنْ حِبالٍ وَعِصِيٍّ ، وكانُوا مُعْتَزِّينَ بفِرعَوْنَ ، مُعتَمِدينَ عليهِ ، وقالوا : نحنُ الغَالِبونَ لِموسَىٰ ، لأَنَّنا مَعَ فِرْعَوْنَ ، وقُوَّتُهُ لاَ تُغلَبُ ، وعِزتُهُ لاَ تُقْهَرُ!!

وكانتْ حبالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ كَثيرةً ، وكانَ السِّحْرُ الَّذِي قدَّموهُ عَظيماً ، يَعتمدُونَ فيهِ علىٰ التَّخييلِ والتَّمْويهِ والخِداعِ ، وبذٰلِكَ سَحَرُوا أعْيُنَ النَّاسِ ، وأوهَموهُمْ أَنَّ مَا يُشَاهِدُونَهُ لَيْسَ حِبالاً وَعِصِيّاً ، وإِنَّما هُوَ أفاعِي وثَعابينُ ضَخْمَةٌ ، لأَنَّهُم كانُوا ماهِرينَ بارِعينَ فِي السِّحْرِ .

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لمَّا رأىٰ موسَىٰ حِبالَهم وعِصِيَّهُمْ ، وخُيِّلَ إِليهِ أَنَّهَا تسعَىٰ ، أَوْجَسَ في نفسهِ خِيفَةً ، فأدرَكَهُ اللهُ بالتَّثبيتِ ، قَالَ تعالىٰ : ﴿فَأَوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفةً مُوسى قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلى وأَلْقِ ما في يَمينكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾ [طه : ٦٧-٦٩] .

ونفَّذَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمْرَ اللهِ ، وألقَىٰ عصَاهُ ، فجَعَلَها اللهُ حيَّةً حقيقيةً ، تسعَىٰ وتتحرَّكُ أمامَ المُشاهِدِينَ ، وتأتِي علَىٰ ما أَلقاهُ السَّحَرَةُ مِنْ حِبالٍ وعِصيٍّ ، تلقَفُهُ وتَأْخُذُهُ وتَبتلِعُهُ!! وسَطَ دَهْشَةِ المَوْجودينَ ، ومُفاجأةِ السَّحَرةِ البارعينَ!! وما هِيَ إلاَّ لَحظةٌ حتَّىٰ خلا ميدانُ المُباراةِ مِنْ كُلِّ مَا افتراهُ السَّحَرَةُ مِنْ حِبالٍ وعِصيٍّ ، لأَنَّهُ كانَ فِي جَوْفِ الحَيَّةِ ، ولمْ يبقَ إلاَّ تِلكَ الحيَّةُ تَسْعَىٰ أمامَهم! قالَ اللهُ : ﴿فوَقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلونَ﴾ [الأعراف : ١١٨] .

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بعدَمَا شاهَدَ السَّحَرَةُ عصَا مُوسَىٰ تتحوَّلُ أفعىٰ حَقيقيَّةً حيَّةً ، وتَبْتَلِعُ حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ عَرفوا أَنَّ موسَىٰ ليسَ ساحِراً ، وأَنَّ مَا مَعَهُ ليسَ سِحْراً ، وليسَ مِنْ فعلِ البَشَرِ ، وإِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ رَبِّ العالمينَ ، وبذٰلِكَ قامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ ، وأَدْرَكوا صِدْقَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

حينئذٍ خَرُّوا ساجدينَ للهِ ، وأَعْلَنُوا إِيمانَهُمْ بِهِ إِعْلاناً عالِياً صَريحاً ، وقالُوا : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمينَ رَبِّ مُوسَى وَهارونَ﴾ .

وبذٰلِكَ أَلغَوْا رُبوبيَّةَ فِرْعَوْنَ ، واسْتَهانوا بعزتِهِ وقُوَّتِهِ . . وهٰكَذَا تَحَوَّلوا مِنْ سَحَرةٍ مأْجورينَ ، إِلىٰ مُؤْمنينَ صَالِحينَ ، وهٰكَذَا انتصَرَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمامَ النَّاسِ المُجْتَمِعينَ ، وغُلِبَ فِرْعَوْنُ ومَلأُهُ وانْقَلَبوا صاغِرينَ أَذِلاَّءَ .

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فوجِيءَ فِرْعَوْنُ بإيمانِ سَحَرَتِهِ ، فَلَجَأَ إلىٰ التَّهديدِ والوَعيدِ ، شَأْنُهُ شأنُ الطُّغاةِ الظَّالِمينَ ، الَّذينَ يَلْجأونَ إِلىٰ العُنْفِ والاسْتبدادِ ، عِنْدَما يَنْهزِمونَ أمامَ الحُجَّةِ والبُرْهانِ .

أنكرَ علىٰ السَّحَرةِ إيمانَهُمْ بموسَىٰ قبلَ أنْ يأْذَنَ هُوَ لهُم! وكأَنَّ الإيمانَ يَحتاجُ إِلىٰ إذْنٍ مِن الطَّاغيةِ! ﴿قال آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذنَ لَكُمْ﴾ ؟

ثُمَّ اتَّهمَهُمْ بالتآمُرِ مَعَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والتَّتَلْمُذِ على يديْهِ : ﴿إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ثم هَدَّدَهُمْ بالتعذيبِ الشَّديدِ ، عِقاباً لَهُم علىٰ إيمانِهِمْ ، وذٰلِكَ بأَنْ يقْطَعَ يدَ أحدِهِمْ اليُمنَىٰ ، ورِجْلَهُ اليُسرىٰ ، ويَقْطَعَ بعدَ ذلكَ يَدَهُ اليُسرَىٰ ، ورِجْلَهُ اليُمنَىٰ ، ثُمَّ يُصَلِّبَهُ علىٰ النَّخلةِ حتَّىٰ يَموتَ .

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

كانَ إيمانُ السَّحَرةِ قويّاً ، ولهٰذا لمْ يُبالوا بتَهْديدِ فِرْعَوْنَ بالقَتْلِ والمَوْتِ ، ولمْ يَتَخلَوْا عن إيمانِهِمْ ، وردُّوا عَلَيْهِ قائِلينَ : لا حَرَجَ ولا ضَيْرَ ، ولا ضررَ عَلَيْنا مِنْ تَهْديدِكَ ، حتَّى لو نفَّذْتَهُ وقَتَلْتَنا ، فالمَوْتُ حَقٌّ علىٰ كُلِّ إنسانٍ ، المُهِمُّ أنْ نموتَ علىٰ الإيمانِ ، لأَنَّنا سَنَرْجِعُ إِلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامةِ ، وسَوْفَ يُحاسِبُنا علىٰ أعمالِنا ، ونحنُ بإيمانِنا نأْمُلُ ونرجُو أنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا وذُنوبَنا ، ومنْها ما أكرَهْتَنا عليهِ مِنَ السِّحْرِ .

وهٰكَذَا ثَبَتَ السَّحَرةُ المُؤْمِنونَ علىٰ الحَقِّ ، وصَبرُوا علَىٰ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وكانُوا أوَّلَ المُؤْمِنينَ بموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهٰذا يَجْعلُهُمْ مُقرَّبينَ عندَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ صَاحِبُ الحَقِّ يَحْرِصُ علىٰ إيصالِ دَعْوَتِهِ إِلىٰ أكْبرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ ، لِيُقيمَ عَلَيهِمُ الحُجَّةَ .

٢ـ عِندَمَا تكونُ المُواجَهَةُ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ يَحْشُدُ أصْحابُ الباطِلِ كُلَّ مَا عِندَهُمْ ، ويَدْخُلُ صاحِبُ الحَقِّ التَّحدِّي مُتوكِّلاً علىٰ اللهِ .

٣ـ لا يَصْمُدُ الباطِلُ أمامَ الحَقِّ في المُواجَهَةِ ، لأَنَّ الحَقَّ يَدْمَغُهُ ويُزْهِقُهُ .

٤ـ كلُّ مَنِ اعتمدَ على غيرِ اللهِ ، واعتزَّ بغيرِ اللهِ ، فهُوَ خاسرٌ ذليلٌ مَهزومٌ .

٥ـ المُرتزقةُ المأجورونَ ليسُوا أصْحابَ رسالاتٍ ومَبادئَ ، وإنَّما جامِعُو اموالٍ ودُنيا .

٦ـ إذا دخلَ الإيمانُ القلبَ أنارَهُ ، وعبّرَ حياةَ صاحبِه ، وجعلَهُ أثبتَ مِنَ الجبالِ .

٧ـ يحْرِصُ الطُّغاةُ على تلفيقِ التُّهمِ للدُّعاةِ وإلصاقِها بهِمْ ، وتعذيبِهِمْ وقَتْلِهِمْ لِلقضاءِ على دعوتِهِمْ .

٨ـ الرُّوادُ السَّابقونَ إلى الإيمانِ يَدْفعونَ ثَمَنَ ذلكَ غالياً في الدُّنيا ، لكنَّهُمْ مُقرَّبونَ عِنْدَ اللهِ .

٩ـ كانَ السِّحْرُ والسَّحرةُ جُنودَ الطُّغاةِ في الأيامِ الخاليةِ .

١٠ـ أقامَ اللهُ الحُجّةَ على أهلِ مصرَ جميعاً حيثُ رأَوُا الآياتِ عياناً ، وأقرَّ أهلُ الخِبْرةِ والعِلْمِ بصحّةِ الآياتِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ حدِّدْ وقتَ المُباراةِ وزمانَها بيْنَ موسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ والسَّحرةِ ، ذاكِراً دليلَكَ مِنَ القُرآنِ .

٢ـ أ ـ ماذا طلبَ السَّحرةُ مِنْ فرعونَ ؟ ب ـ وماذا كانَ ردُّهُ عليهِم ؟ ج ـ وعلَى ماذا يدُلُّ ذلكَ ؟

٣ـ أ ـ ماذا قالَ السَّحرةُ عندما ألقَوْا حبالَهُمْ وعِصيَّهُمْ . ب ـ وماذا كانَتْ نتيجةُ ذلكَ الفوْزِ على المُباراةِ ؟

٤ـ أ ـ بماذا تفسرُ سُجودَ السَّحرةِ وإيمانَهُمْ بربِّ العالمينَ ؟ ب ـ وبماذا اتّهمَهُمْ فِرعَونُ ؟

٥ـ ماذا قالَ السَّحرةُ لِفرعَونَ ردّاً علَى تهديدِه لهُمْ ؟ ب ـ وماذا كانُوا يرجونَ مُقابلَ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ سببَ اختيارِ يومِ العيدِ ووقتِ الضُّحى لملاقاةِ فِرعونَ والسَّحرةِ .

٢ـ سجِّلِ الآيةَ (١١٦) مِنْ سورةِ الاعرافِ . والآيةَ (٦٦) مِنْ سورةِ طه ، واستخرِجْ منْهُما أنَّ سِحْرَهُم كانَ تخييلاً وخِداعاً للأعْيُنِ .

٣ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآياتِ (٧٢ـ٧٣) مِنْ سورةِ طه ، واستخلصْ منها ردَّ السَّحرةِ المُؤمنينَ على تهديدِ فِرعَونَ ، وقارِنْ بينها وبيْنَ الآيتَيْنِ (٥٠ـ٥١) .

الدَّرسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ - القِسْمُ الخامِسُ

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسْرِ بِعِبادِي : سِرْ بِهِمْ فِي اللَّيْلِ ، والسُّرَى السَيْرُ لَيْلاً .

إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ : يَتَّبِعُكُم فِرْعَونُ وَجُنُودُهُ وَيَلْحقونَ بِكُمْ .

حاشِرينَ : جَامِعينَ الْجُنُودَ مِنْ مُخْتَلَفِ المُدُنِ .

شِرْذِمَةٌ قَليلُونَ : طائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ قَليلَةُ العَدَدِ .

لَغائِظُونَ : لَفاعِلُونَ ما يَغيظُنا وَيُغْضِبُنا .

حاذِرُونَ : مُسْتَعِدُّونَ مُنْتَبِهونَ ، نَحْذَرُ وَنَحْزِمُ الأَمْرَ .

مَقامٍ كَريمٍ : قُصور وَمَنازِلَ طَيِّبَةِ الإِقامَةِ .

مُشْرِقينَ : عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ .

تَراءَىٰ الْجَمْعانِ : تَقارَبَ الفَريقانِ ، بِحَيْثُ رَأَىٰ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما الآخَرَ .

إِنَّا لَمُدْرَكونَ : سَيُدْرِكُنا وَيَلْحَقُ بِنا جُنُودُ فِرْعَونَ .

انْفَلَقَ	: انْشَقَّ الْبَحْرُ إِلَىٰ شِقَّيْنِ .
كُلُّ فِرْقٍ	: كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ بَعْدَ فَلْقِهِ وَشَقِّهِ .
كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ	: كَالْجَبَلِ الْعالِي .
أَزْلَفْنا	: قَرَّبْنا مِنَ الْجِهَةِ الأُخْرَىٰ .
ثَمَّ	: اسْمُ إِشارَةٍ بِمَعْنَىٰ هُناكَ .
آيَةً	: عِبْرَةً وَعِظَةً .

التفسيرُ :

أخْبَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ انتِصارِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَىٰ السَّحَرَةِ ، وإِعْلانِهِمُ الإِيمانَ باللهِ ، وثباتِهِمْ علىٰ الحَقِّ . وأقامَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ذلكَ فِي مِصْرَ يُرَبِّي مَنْ استجابَ لَهُ مِنْ بَنِي إِسرائيلَ ، ويقدِّمُ لِفرْعَوْنَ ومَلَئِهِ الآياتِ ، ولكنَّهُم أصَرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ وتَهْديدِهِمْ فلمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ يَخرُجَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببَني إِسرائيلَ مِنْ مِصْرَ .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

لَمَّا حانَ وَقْتُ خُروجِ بنِي إِسرائيلَ مِنْ مِصْرَ ، وَفْقَ عِلْمِ اللهِ ، أَوحَىٰ إِلىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَسيرَ ببَنِي إِسْرائيلَ في اللَّيلِ ، ويتوجَّهَ بِهِمْ نَحْوَ البَحْرِ ، تِجاهَ البِلادِ المُقدَّسةِ وأنْ يُسرِعوا في السَّيْرِ ، مُسْتَفيدينَ مِنْ ظلامِ اللَّيلِ . . وأَخْبَرَهُ أَنَّ فِرعَونَ وقَوْمَهُ سَيَتَّبِعونَهم ويَلْحَقُونَ بهِمْ ، وبذٰلكَ يكُونونَ قدْ سَبقوهُم إلىٰ البَحْرِ .

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُروجِ بني إِسرائيلَ في اللَّيلِ ، فازدادَ غَضَبُهُ عَلَيْهِم ، وأَمَرَ بالتَّعبئةِ العامَّةِ في دَوْلَتِهِ ، فأرْسَلَ إِلىٰ حُكَّامِ المَدائِنِ المُخْتَلِفَةِ ، يَطْلُبُ منهُمْ جَمْعَ الجُنودِ وحَشْرَهُمْ وإِرْسالَهُمْ إِليهِ ، لِيَلْحَقَ بالإِسْرائيليينَ ويُبيدَهُمْ .

وهٰذهِ هِيَ المرَّةُ الثانيةُ الَّتي يأمرُ فيها بالتَّجميعِ والحَشْرِ مِنَ المَدائِنِ ، فقَدْ سَبَقَ أنْ أمرَ بِحَشْرِ السَّحَرَةِ مِنَ المَدائِنِ لِمُواجَهةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولكنَّ السَّحرةَ آمَنوا ، وهَا هُوَ الآنَ يأمُرُ بحَشْرِ الجُنودِ لِيقضِيَ علَىٰ موسىٰ وأتباعِهِ .

وحرَّضَ فِرْعَوْنُ قومَهُ علىٰ بَنِي إِسرائيلَ ، فوَصَفَهُم بأَنَّهُمْ شِرْذِمَةٌ قليلةُ العَدَدِ ، ولِذٰلِكَ يَسْهُلُ

اللّحاقُ بهِمْ والقَضاءُ عَلَيْهِمْ ، وهُمْ يَغيظونَ المِصْريينَ دائِماً ، وتَصْدُرُ عنْهُمُ المُخالفاتُ المُخِلَّةُ بالأمْنِ ، ويَقومونَ بالشَّغَبِ فِي البِلادِ ، وهَا هُمْ أخذُوا الأمْوالَ والحَلْيَ وخَرَجوا بِها!

وأعْلَنَ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ هُوَ وجُنودَهُ حاذِرونَ مُتيقِّظونَ مُنْتَبِهونَ ، مُدْرِكونَ خَطَرَ بَنِي إسرائيلَ ، مُمْسِكونَ بزِمامِ الأُمورِ .

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

حُشِرَ لِفرعونَ الجُنودُ مِنَ المَدائِنِ ، وخَرَجَ بِهِمْ لإدراكِ بَنِي إسرائيلَ والقَضاءِ عَلَيْهِمْ ، واقتفَوْا آثارَهُمْ ولَحِقُوا بِهِمْ ، وكانَ هٰذا هُوَ الخُروجُ الأَخيرُ لِفرعونَ وجُنودِهِ! أخْرَجَهُمُ اللهُ مِمَّا كانوا فيهِ مِنَ النَّعيمِ ، وَتَرَكوا الجِنانَ والبَساتينَ ، ومَا فِيها مِنَ العُيونِ والثِّمارِ ، كَما تَركوا الأَمْوالَ المَكْنوزَةَ ، والقُصورَ العاليةَ ، والمُلْكَ الكبيرَ ، والإقامةَ الكَريمةَ ، وأتوْا إلىٰ حَتْفِهِمْ وهَلاكِهِمْ .

وأوْرَثَ اللهُ بَنِي إسرائيلَ جَنَّاتٍ وعُيوناً وكُنوزاً ومَقاماً كَريماً ، عِنْدَمَا دَخلوا الأَرْضَ المُقدَّسةَ ، وبذٰلِكَ تحوَّلوا مِنَ الاسْتعبادِ إلىٰ العِزَّةِ والكَرامةِ .

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

واصَلَ فِرْعَوْنُ السَيْرَ السَّريعَ بجنودِهِ الكَثيرينَ ، وكانَ بَنُو إسْرائيلَ قدْ سَبقُوهُمْ باتِّجاهِ البَحْرِ . وعِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ في الصَّباحِ وصَلَ فِرعونُ إلىٰ بَنِي إسْرائيلَ .

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

عندَ شُروقِ الشَّمْسِ نَظَرَ بنو إسْرائيلَ خَلْفَهُمْ ، فرأَوْا فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ مُسْرِعينَ إلَيْهِمْ ، وبذٰلِكَ تَراءىٰ الجَمْعانِ ، واقترَبَ الفَريقانِ ، ورأىٰ كلٌّ منهُما الآخَرَ .

وخافَ بنُو إسْرائيلَ خَوْفاً شَديداً ، وأَيْقَنُوا بالهَلاكِ ، فهَا هُوَ البَحْرُ أمامَهُمْ ، ولَيْسَ مَعَهُمْ سُفُنُ لِخَوْضِهِ ، وهَا هُمُ الجُنودُ خَلفَهُمْ ، وسارَعُوا بِمُخاطَبَةِ موسَىٰ قائِلينَ ، إنَّ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ سَيُدْرِكُونَنا ويَقْتُلونَنا ويَقْضونَ عَلَيْنا!

ولكنَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كانَ آمِناً مُطمئِنّاً ، واثِقاً باللهِ ، فَلَمْ يَخفْ ولَمْ يَقْلَقْ ، وطَمْأَنَ قَوْمَهُ قائِلاً : كلاَّ . لنْ يُدْرِكَكُمْ فِرعوْنُ وجُنودُهُ ، ولنْ يقتلُوكُمْ! إنَّ ربِّي هُوَ الَّذي أَمَرَني أنْ أخْرُجَ بِكُمْ ، وهُوَ مَعِيَ بحِفظِهِ ورعايتِهِ ، وسَيُنْقِذُنا مِمَّا نحنُ فيهِ ، وسَيَهْديني إلىٰ التَّصرُّفِ المُناسِبِ ويُرشِدُنِي إلىٰ طريقِ الخَلاصِ والنَّجاةِ منهُمْ .

لقدْ كانَ يَقينُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ باللهِ كَبيراً ، وَتَوَكُّلُهُ واعْتِمادُهُ عَلَيْهِ كامِلاً .

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

أَرْشَدَ اللهُ موسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وأجْرى علىٰ يديْهِ آيتَهُ العُظْمَىٰ ، حيثُ انْشَقَّ البَحْرُ وانفلَقَ ، ونَشأَ وسَطَهُ طَرِيقٌ مُمَهَّدٌ يَبَسٌ صالحٌ للسَّيْرِ عَليْهِ ، وأوْقَفَ اللهُ الماءَ علىٰ جانبيِّ الطَّرِيقِ ، وكانَ الماءُ في كُلِّ جانبٍ كالجبَلِ العالِي الآمِنِ . قالَ اللهُ - تعَالَىٰ - : ﴿ولَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعبادِي فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً في البَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً ولا تَخْشى﴾ [طه : ٧٧] .

وأمرَ اللهُ موسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - أنْ يَدْخُلَ ببَنِي إسرائيلَ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ اليَبَسَ الآمِنَ ، فَقطعُوهُ إِلَىٰ الجانبِ الآخَرِ ، وأَنْجاهُمُ اللهُ أجْمَعينَ إكراماً لَهُم ؛ بِسببِ إيمانِهِمْ وصَبرِهِمْ .

وَوَقفَ فِرْعَوْنُ بجنودِهِ مَشْدوهاً ، ورأىٰ سَيْرَ بَنِي إسرائيلَ وسَطَ الماءِ بأمانٍ . وبجهلِهِ وعِنادِهِ لأَمْرٍ قَدَّرهُ اللهُ دَخلَ البَحْرَ بجنودِهِ ، فلمَّا كانُوا جَميعاً في البَحْرِ وسَطَ البَحْرِ ، أَمَرَ اللهُ الماءَ أنْ يعودَ كَما كانَ ، فانْطَبَقَ عَليهِمْ! وأغرَقَهُمْ أجْمَعينَ ، وهَلَكَ فِرْعَوْنُ وقومُهُ الكافرونَ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

هٰذا تعقيبٌ علىٰ مشاهِدَ وحَلَقاتِ أحداثِ قِصّةِ موسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - المَذْكُورَةِ في الآياتِ السَّابقَةِ ، فَفِي تِلْكَ الأَحْداثِ المُتَتابِعَةِ المُثِيرةِ آيةٌ وعِبْرَةٌ وعِظَةٌ ، تَدُلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وقوَّتِهِ ، وحِفْظِهِ لِعبادِهِ المُؤْمنينَ ، وإهْلاكِهِ لأَعْدائِهِمُ الكافِرينَ .

ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يلتفتونَ إلىٰ هٰذِهِ الآيةِ ، ولاَ يَعتبرونَ بها ، ويُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ وعِنادِهِمْ . واللهُ عزيزٌ يَنصُرُ أَوْلياءَهُ ، ويُهْلِكُ أعداءَهُ ، وهُوَ رَحيمٌ يَرْحَمُ المُؤْمنينَ ويُنعِمُ عليهِمْ .

وفِي هٰذا تَسْلِيةٌ ومُواساةٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ علىٰ ما يَجِدُهُ مِنْ أذىٰ قومِهِ وتَكْذِيبِهِمْ ، ولَهُم بموسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - أُسوةٌ ، ويَنْصُرُهُ اللهُ كما نَصرَ موسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ - يُنْجي اللهُ عِبادَهُ المُؤْمنينَ ، ويُنْقِذُهُمْ مِنْ مكائِدِ أعدائِهِمُ الكافرينَ .

٢ - الطُّغاةُ الظَّالِمونَ يَتكبَّرونَ ويَنتَفِشونَ ، ويَسْتَهينونَ بأصْحابِ الحقِّ ويحتقرونَهُمْ .

٣ - اللهُ مَعَ جُنودِهِ وعِبادِهِ الصَّالحينَ بالحِفْظِ والرِّعايةِ والتَّوفيقِ ، لا يَخْذُلُهُمْ ولا يُسْلِمُهُمْ إِلَىٰ أعدائِهِمْ ، ومَا عَلَيْنَا إلاَّ التوكُّلُ علىٰ اللهِ ، والاطْمئنانُ لِنصرِهِ .

٤ـ علىٰ القَادةِ والمَسْؤولينَ المُؤمنينَ أنْ يكونُوا مُتوكِّلينَ علىٰ اللهِ مُطمئِنينَ إليهِ .

٥ـ يُجري اللهُ لِجنودهِ الآياتِ والخوارقَ ، يُكرمُهُم بها ، ويُخلِّصُهُمْ مِنَ المَصائبِ والمُشكِلاتِ ، ويَمْكُرُ اللهُ بأعْدائهِ ، ويُوقعُ بهم عاقبةَ بَغْيِهِمْ وعُدوانِهِمْ .

٦ـ المُؤْمِنُ يَعتبرُ ويتَّعظُ بما يرىٰ أوْ يَسْمَعُ مِنَ الآياتِ والأحداثِ ، أمَّا الكافِرُ فإنَّهُ مَختومٌ علىٰ قَلْبِهِ ، لا يَعْتَبِرُ ولا يَتأثَّرُ .

التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ متَى خَرَجَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببني إسرائيلَ ؟ ب ـ ومتَى لَحِقَ بهم فِرْعَوْنُ بجنودِهِ ؟

٢ـ أمَرَ فِرعونُ بحَشْرِ مَنْ فِي المَدائنِ مَرَّتيْنِ أـ مَا أسبابُ الحَشْرِ في كلِّ مرةٍ ؟ ب ـ ومَنِ الَّذي تَمَّ حَشْرُهم في كلِّ مرَّةٍ ؟

٣ـ أـ مَاذا قالَ أصْحابُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ جُنودَ فِرْعونَ ؟ ب ـ وبِماذا ردَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَيْهِمْ ؟

٤ـ مَا مَعنَى الجُملِ الثَّلاثِ الَّتي قالَها فِرْعَوْنُ في تَحريضِ قَوْمِه علىٰ بنِي إسرائيلَ ؟

٥ـ أـ كيفَ أنجَىٰ اللهُ موسَىٰ ومَنْ معَهُ ؟ ب ـ وكَيْفَ أهْلَكَ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ؟

٦ـ اسْتَخْلِصْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خَمْسةً مِنَ الدُّروسِ والعِبَرِ ، وسَجِّلْها في دفترِكَ .

نَشاطٌ :

١ـ وَعَدَ اللهُ فِي سورَةِ القَصَصِ أنْ يمُنَّ علىٰ بنِي إسْرائيلَ ويَجْعَلَهُمُ الوارِثينَ . اذْكُرِ الآيَةَ الَّتِي وَعَدَتْ بذٰلِكَ ، واسْتَخرِجْ منهَا ذٰلِكَ الوَعْدَ ، واكتُبْهَا فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ في أثناءِ هِجْرَتِه بحادثةٍ قريبةٍ مِنْ ذٰلِكَ ، وطَمْأَنَ صاحِبَهُ الصِّدِّيقَ فيها . تذكَّرْ تِلكَ الحَادِثَةَ ولَخِّصْهَا فِي دَفْترِكَ فِي أسطرٍ عدةٍ .

٣ـ اكتُبْ مَوْضوعاً عنْ صِفاتِ الماءِ وخَصائِصِهِ ، وبيِّنْ قُدْرَةَ اللهِ علىٰ التَّحكُّمِ بهٰذا الماءِ ، كَما مَرَّ فِي آياتِ الدَّرْسِ .

* * *

الدَّرسُ العِشرُونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

مَعاني المُفْرَدات :

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ : واذْكُرْ لِقَوْمِكَ يا مُحَمَّدُ خَبَرَ إِبْراهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

فَنَظَلُّ لَها عاكِفينَ : فَنُداوِمُ عَلَىٰ عِبادَتِها ، ونَبْقَىٰ مُسْتَمِرِّينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ .

إِذْ تَدْعُونَ : حِينَ تَدْعونَهُمْ وتَطْلُبونَ مِنْهُمْ .

آباؤُكُمُ ٱلأَقْدَمُونَ : آباؤُكُمُ السَّابِقونَ المُتَقَدِّمُونَ .

أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطيئَتي : يُسامِحَني عَلَىٰ ما أَفْعَلُهُ مِمَّا يَكونُ خِلافَ الأَوْلَىٰ .

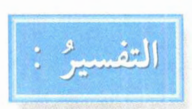
هَبْ لِي حُكْماً : امْنَحْني عِلْماً وفَهْماً وعَمَلاً .

لِسانَ صِدْقٍ : ثَناءً حَسَناً وذِكْراً طَيِّباً .

فِي ٱلآخِرينَ : فِي النَّاسِ الَّذينَ يَأْتونَ بَعْدي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ .

لاَ تُخْزِني يَوْمَ يُبْعَثونَ : لا تَفْضَحْني يَوْمَ القِيامَةِ .

بِقَلْبٍ سَليمٍ : بِقَلْبٍ مُؤْمِنٍ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ .



التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ آياتُ السُّورةِ ـ فِي مواساتِها وتَسْلِيتِها لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وما فِيها مِنْ بُشرىٰ لِلْمُؤْمنينَ بالنَّصرِ علَىٰ الكافرينَ ، إلىٰ قِصةِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يتلُوَ علَىٰ قومِهِ خبرَ إبراهيمَ ـ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وأنْ يُخْبِرَهُم بِمَا جَرَىٰ بَيْنَهُ وبَيْنَ أبيهِ وقومِهِ الكافِرينَ ، لِيعْرِفَ الكافرونَ مِنْ قُرَيشٍ أنَّهُم ليسوا عَنْ دِينِهِ بسببِ شِركِهِمْ بِاللهِ وعِبادَتِهِمُ الأَصْنامَ ، ولِيتَّخِذَهُ المُؤمِنونَ قُدوةً فِي الإيمانِ والإخلاصِ فِي الدَّعوةِ .

﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

كَانَ والِدُ إبراهيمَ وقومُهُ يُشْرِكونَ باللهِ ، وأنْكَرَ عليهِمْ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هـٰذا الشِرْكَ ، وقالَ لهُم : مَا تَعبدونَ ؟ لِيَلْفِتَ نظرَهُمْ إلىٰ أنَّ ما يَعبدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَستحِقُّ العِبادةَ .

وكانُوا مُفتَخِرينَ بعبادةِ الأَصْنامِ والتَّماثِيلِ ، لِذٰلِكَ أجابُوهُ علىٰ سُؤالِهِ الإنكاريِّ قائلينَ : إنَّنا نَعْبُدُ هـٰذهِ الأَصْنامَ ، ونعتزُّ بذٰلِكَ ، ونداومُ علىٰ عِبادَتِها ، ونَستمِرُّ علىٰ ذٰلِكَ ولا نَتْرُكُهُ أبداً .

﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ أقرَّ القَوْمُ مُفْتَخِرينَ بعبادةِ الأصْنامِ أرادَ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أن يُبيِّنَ لَهُمْ فسادَ عَقيدتِهِمْ ، وَسُوءَ فِعْلِهِمْ فسَأَلَهُمْ سؤالاً هُمْ يَعلمونَ جَوابَهُ ، وقالَ لَهُم : عندَما تَدْعونَ هـٰذهِ الأَصْنامَ وتَطْلبونَ منْها : هلْ تسمعُ دُعاءَكُم وكلامَكُمْ ؟ وهلْ تفْهَمُ طَلباتِكُمْ ؟ وهَلْ تَجْلِبُ لَكُمْ نَفْعاً أوْ تَدْفَعُ عنكُمْ ضُرّاً ؟

وهُمْ يَعْلَمونَ جَوابَ هـٰذهِ الأسئلةِ ، وإبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَعْرِفُ أنَّهُم يَعْلَمونَ ، ولوْ أجابوهُ لقالوا : إنَّها لا تَسْمعُ دُعاءَنا ولا تَنْفَعُنا ولا تَضُرُّنا ومَعَ ذٰلِكَ نَعْبُدُها .

إذنْ ما الفائدةُ مِنْ عبادتِكم لَها ؟

لمْ يَجِدِ القَوْمُ أمامَ حُجَّةِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المُقنعةِ ، إلاَّ أنْ يَعْتَرِفوا بتَقْليدِهِمْ لآبائِهِمْ مِن دُونِ تفكيرٍ ، فقالُوا لهُ : وجَدْنَا آباءَنا يعبدُونَها ، فقلَّدْناهُمْ وعَبدْناهُمْ ، ولا نُخالِفُ ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا ! !

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ .

بعدَما اعترفَ القَوْمُ بأَنَّهُمْ يَعبدونَ أصْناماً تَقليداً لآبائِهِمْ صارَحَهُمْ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببراءَتِهِ مِنْهُمْ ، ومِنْ آبائِهِمُ المُتقدِّمينَ ، ومِنْ كُلِّ ما يعبدونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ . كَمَا أعْلَنَ لَهُم بُغْضَهُ وكراهيتَهُ لِتلكَ المعْبوداتِ ومُعاداتَهِ لَها .

إِنَّهُ بهذهِ البَراءةِ والمُصارَحَةِ يتحدَّىٰ مَعبوداتِهِمْ ، ويقولُ لَهُمْ : إنْ كانَ لِهذهِ الأصْنامِ قُوَّةٌ وتأثيرٌ فَلْتقدِّمْ لِيَ الإساءةَ والأذىٰ ، فإنِّي لا أُبالي بِها ولا أخافُ مِنْها .

وإبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُقْتَدٍ بالرُّسُلِ الَّذينَ مِنْ قَبْلِه فِي هٰذا المَوْقفِ ، فهَا هُوَ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يقولُ لِقومِهِ مَا أخبرَنا اللهُ عنهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ واشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكيدوني جَميعاً ثُمَّ لا تُنْظِرونَ﴾ [هود : ٥٤ـ٥٥] .

وبعدَ إعلانِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ البَراءةَ مِنْ مَعبوداتِهِمْ عَرَّفَهُمْ بالإلهِ الَّذي يَعْبُدُهُ وَحْدَهُ مِنْ بَيْنِ الآلهةِ الَّتي يَعْبُدُهَا النَّاسُ ، كمَا بَيَّنَ وَجْهَ اسْتحقاقِهِ العِبادَةَ دُونَ غيْرِهِ مِنَ الآلِهَةِ .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ .

بيَّنَ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِقَوْمِهِ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، لأنَّ اللهَ وَحْدَهُ يَخْتَصُّ بأشياءَ خَمْسَةٍ تَتعلَّقُ بحياةِ كُلِّ إنْسانٍ ، لا يُشارِكُهُ فيهَا أحدٌ مِنَ البَشَرِ :

١ـ قالَ لَهُم : اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الخالِقُ ، خَلَقَني وصوَّرَني ، وهوَ وحْدَهُ الَّذي يَهديني هِدايةً ربّانيَّةً مُتجدِّدَةً ، إلىٰ كُلِّ ما يَهمُّني مِنْ أمْرِ الدُّنيَا والآخرةِ .

٢ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحدَهُ هُوَ الرَّازِقُ ، يسَّرَ لِي أَسْبابَ الرِّزقِ ، وأخْرَجَ لِي الزُّروعَ والثِّمارَ ، أَتناولُ مِنْها الطَّعامَ ، وأَنْزَلَ لِيَ الماءَ مِنَ السَّماءِ ، آخُذُ مِنهُ حَاجَتِي مِنَ الشَّرابِ ، فهُوَ الَّذي يُطعِمُني ويَسقِيني .

٣ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحدَهُ هُوَ الشَّافِي ، فإذا أُصِبْتُ بالمرَضِ ، فإنَّهُ وَحْدَهُ الَّذي يُنعِمُ عليَّ بالشِّفاءِ ، بِمَا يُقدِّرُ مِنَ الأسْبابِ الَّتي تُحقِّقُ ذٰلكَ .

٤ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُحْيي والمُميتُ ، لا يَقْدِرُ علىٰ ذٰلكَ أَحَدٌ سِواهُ ، أحيانِي ورَعاني في هَـٰذهِ الدُّنيا ، وهُوَ الَّذي سَيُمِيتُني عِنْدَ انتهاءِ أَجَلي ، وهُوَ الَّذي سَيبْعَثُني حَيّاً يَوْمَ القِيامةِ .

٥ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحْدَهُ هُوَ الغَفورُ لِلذُّنوبِ ، لا يَغْفِرُها إلاّ هُوَ ، وأنَا أرجو أنْ يَغْفِرَ لِي خَطيئَتي ويَسْتُرَها يَوْمَ القِيامةِ .

وإبْراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يرتَكِبْ ذَنْباً ، لأنَّ الأَنْبياءَ مَعْصومونَ عَنِ الذُّنوبِ مُنَزَّهونَ عن الخَطايا،وأرادَ بِذلِكَ الأعْمالَ والأَقْوالَ الّتي صَدَرَتْ عَنْهُ ، وكانتْ خِلافَ الأَولى فَمَعْ أَنَّها لَيْسَتْ خَطايا إلاَّ أنَّها كانَتْ خِلافَ الأَولى .

٦ـ وهَكذا يَجْمَعُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في هٰذِهِ الجُمَلِ الخَمْسِ عَناصِرَ العَقيدةِ الصَّحيحةِ : تَوحيدَ اللهِ رَبِّ العالَمينَ ، الخَالِقَ الهادي الرَّازِقَ ، الشَّافِي ، المُحيي المُميت ، الغَفورَ .

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

بعدما أثنىٰ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ اللهِ فِي الآياتِ السَّابِقةِ ، تَوَجَّهَ فِي هٰذِهِ الآياتِ بِالدُّعاءِ والطَّلَبِ والمسألَةِ ؛ فماذا سَأَلَ رَبَّهُ :

١ـ سأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بعبادِهِ الصَّالِحينَ ، وذَلكَ بِأَنْ يُوفِّقَهُ لِطاعتِهِ ، ويَحْفَظَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ .

٢ـ وسأَلَ ربَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ لِسانَ صِدْقٍ في الآخِرينَ ، وذٰلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْراً جميلاً طيِّباً فِي الدُّنيا ، يَذْكُرُهُ بِهِ الصَّالِحُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، ويَقْتَدونَ بِهِ .

وقدِ اسْتَجابَ اللهُ دُعاء إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَجَعَلَهُ مِنْ عبادِهِ الصَّالِحينَ . قالَ تعالىٰ : ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

كَما استجابَ لَهُ فجَعَلَ لَهُ لِسانَ صِدْقٍ فِي الَّذينَ مِنْ بعدِهِ ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ تدَّعي مَحَبَّتَهُ وأَنَّها علىٰ مِلَّتِهِ ، وهُوَ أبو الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ . قالَ تعالىٰ : ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ [الصافات : ١٠٨] .

ـ ثُمَّ سألَ ربَّهُ نَعيمَ الجنَّةِ ، بأَنْ يجعلَهُ مِنْ أَهْلِها ، الَّذينَ يَتمتَّعونَ بخيراتِها .

وسَألَ إبراهيمُ ربَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لأبيهِ ، الَّذي كانَ ضالاً عَنْ طريقِ الهُدىٰ ؛ كافِراً باللهِ ؛ رافِضاً دَعْوَةَ ابنهِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ . وهوَ لنْ يغفرَ لَهُ إلاَّ إذَا أَسْلَمَ ، وكَأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ ربِّهِ أَنْ يُوفِّقَ أباهُ للإسلامِ والتَّوبَةِ ، فإنْ أَسْلَمَ استغفرَ اللهَ لذنوبِهِ ، فيغفرُ اللهُ لَهُ .

ولكنَّ أباهُ لَمْ يُسْلِمْ ، وأَصرَّ علىٰ كُفْرِهِ ، فَتبرَّأَ إبراهيمُ منْهُ بعدَ ذٰلِكَ .

﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

طَلَبَ إبْراهيمُ مِنْ رَبِّهِ السِّتْرَ التَّامَّ فِي الآخِرَةِ ، بأنْ لا يَفْضَحَهُ ولا يُخزيَهِ ، وذَكَرَ صِفةً مِنْ أَهمِّ صِفاتِ ذٰلِكَ اليَوْم ، وهيَ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ أَيَّ إنسانٍ فيهِ مالُهُ ، مَهْما كَان كَثيراً ، فلَو افتدَىٰ نفسَهُ بملءِ الأرضِ ذهباً ما قُبِلَ مِنْهُ ، كمَا أَنَّهُ لا ينفعُهُ أَولادُهُ ولا أَهْلُ الأَرْضِ جَميعاً .

لا ينجو يَوْمَ القِيامةِ إلاَّ مَنْ كانَ مُؤْمِناً مُخْلِصاً للهِ ، سَليمَ القَلْبِ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفَاقِ ، والمَفاسِدِ والرذائِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ تَقديمِ الدَّعْوَةِ إلىٰ أَقْرَبِ النَّاسِ ، والإنكارُ عَلَيْهِمْ مُخالفاتِهِمْ ، والبراءةُ مِنْهُم إنْ أصرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ومُخالفاتِهِمْ .

٢ـ كانَ إبْراهيمُ مُحاوِراً قديراً على بَيانِ الحَقِّ وفَضْحِ البَاطِلِ .

٣ـ تَوْحيدُ اللهِ لُبُّ دَعْوَةِ الرُّسُلِ ومِحْوَرُها .

٤ـ الأدلَّةُ على عَدمِ اسْتِحْقاقِ الأَصْنامِ العبادةَ .

٥ـ لا يَجوزُ دُعاءُ غيرِ اللهِ ، بلْ يَجبُ تَوْحيدُهُ بالدُّعاءِ .

٦ـ خُطورةُ تقليدِ الآباءِ واتِّباعِهِمْ علىٰ مَا هُمْ فيهِ مِنْ باطِلٍ ، وأَخْطَرُ ما يكونُ هـٰذا في العَقيدةِ .

٧ـ الأَدبُ مَعَ اللهِ ، وفِي الكلامِ عنِ اللهِ ـ سُبحانَهُ ـ فلاَ يُنْسَبُ الشَّرُ إلىٰ اللهِ ، مَعَ أَنَّهُ الخالِقُ لِكلِّ شيءٍ .

٨ـ طَلَبُ المُؤْمِنِ لِلثَّناءِ الحَسَنِ مِنْ بَعْدِهِ لا يَتعارَضُ مَعَ إخلاصِهِ للهِ ، ولا مانعَ فيهِ .

٩ـ المُؤمِنُ يَخافُ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ ، ولِذٰلكَ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ السِّتْرَ فيهِ .

التَّقْويمُ :

١ـ لِماذَا عَبَدَ قومُ إبْراهيمَ الأَصْنامَ مَعَ عِلْمِهم أنَّها لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ ؟

٢ـ ما الأَفْعالُ الخَمْسَةُ الَّتي اخْتَصَّ اللهُ نَفْسَهُ بِهَا ، وذَكَرتْهَا آياتُ الدَّرسِ ؟

٣ـ ما حِكْمةُ إسْنادِ المَرَضِ إلىٰ إبراهيمَ والشِّفاءِ إلىٰ اللهِ ؟ وَمَا الدَّرْسُ الَّذي تَأْخُذُهُ مِنْ ذٰلكَ ؟

٤ـ بِمَ تُوجِّهُ اسْتِغْفارَ إبراهيمَ لأَبيهِ ؟ ومَاذا كانَتْ نِهايةُ صِلَتِهِ بِهِ ؟ وَمَا دَليلُكَ علىٰ ذٰلكَ ؟

٥ـ كيفَ يأتِي الإنسانُ يَوْمَ القيامةِ بقلْبٍ سَليمٍ ؟

نَشاطٌ :

١ـ أنتَ ترَىٰ أَنَّ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَسَبَ المَرَضَ إلىٰ نَفْسِهِ والشِّفاءَ إلىٰ اللهِ . بيِّنْ حِكْمَةَ ذٰلكَ ، واكْتُبِ الإجابَةَ فِي دَفترِكَ .

٢ـ تَتحدَّثُ إحْدىٰ آياتِ سورةِ التَّوْبةِ عنْ سببِ اسْتِغْفارِ إبراهيمَ لأَبيهِ ، ثُمَّ تُحدِّدُ خاتِمةَ الصِّلةِ بَيْنَهُ وبينَ أبيهِ . سجِّلِ الآيةَ فِي دَفترِكَ .

الدَّرسُ الحادي والعِشرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ** : قُرِّبَتِ ٱلْجَنَّةُ .
- **بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ** : أُظْهِرَتِ ٱلْجَحِيمُ بِحَيْثُ تُرى أَهْوالُها .
- **لِلْغاوِينَ** : لِلْكافِرينَ الَّذينَ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ .
- **كُبْكِبوا فِيها** : أُلْقوا عَلَىٰ وُجوهِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِهانَةً لَهُم .
- **يَخْتَصِمونَ** : يَتَجادَلونَ وَيَتَلاوَمونَ .
- **إِنْ كُنَّا لَفي ضَلالٍ مُبينٍ** : إِن كُنَّا لَفِي الدُّنْيا مُخْطِئينَ .
- **إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمينَ** : إِذْ جَعَلْناكُم مُساوِينَ للهِ فِي اسْتِحْقاقِ الْعِبادَةِ .
- **ما لَنا مِن شافِعِينَ** : لاَ نَجِدُ يومَ القِيامَةِ مَنْ يُدافِعُ عَنَّا .
- **وَلاَ صَديقٍ حَميمٍ** : لاَ نَجِدُ أَحَداً صادِقاً فِي مَحَبَّتِهِ يُهِمُّهُ أَمْرُنا .
- **كَرَّةً** : عَوْدَةً وَرُجوعاً إِلَىٰ الدُّنْيا .

التفسيرُ :

أخْبَرتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ دُعاءِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ ألّا يُخزيَهِ يومَ القِيامَةِ ، حَيْثُ لا يَنْفَعُ الإنسانَ فِي ذلكَ اليَوْمِ مالٌ ولا بَنونٌ ، ولا يَنْجو فيهِ إلاَّ المُؤْمِنُ .

وفِي هٰذهِ الآياتِ عَرْضٌ لِمَشْهَدِ حَسْرةِ الكُفَّارِ وَنَدامَتِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ يَلومُ المُشْرِكونَ مَعْبودِيهِمْ ، ويَتمنَّوْنَ العَوْدَةَ إلىٰ الدُّنْيا لِيُؤْمِنوا .

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

عِنْدمَا يَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً لِلحِسابِ يَوْمَ القِيامةِ ، يُبشِّرُ المُؤْمِنينَ ويُفْرِحُهُمْ ، فيقرِّبُ لَهُمُ الجَنَّةَ ويُدْنيها مِنْهُمْ ، ويَرَوْنَها مِنْ قَريبٍ مُزيَّنةً مُزَخْرَفَةً ، فَيزْدادونَ شَوْقاً إلَيْها .

ويُوقعُ بالكافِرينَ الخَوْفَ والفَزَعَ ، فيُبرزُ لَهُم جَهنَّمَ ، ويُظْهِرُها أمَامَهُمْ ، ويَرَوْنَها مِنْ قَريبٍ ، وهِيَ تَشْتَعِلُ ناراً ، فَيزْدادونَ رُعْباً!

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

بينَمَا الكافِرونَ الغَاوونَ في فَزَعِهِمْ ورُعْبِهِمْ ، يُوجَّهُ لَهُمْ سؤالٌ كَبيرٌ زِيادَةً في ذمِّهِمْ وَتَوْبيخِهِمْ ، يُقالُ لَهُمْ : لقدْ عَبَدْتُمْ مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً فِي الدُّنْيا ، فأينَ هذهِ الآلِهَةُ المَعْبودةُ الآنَ ؟ هَلْ يَنفعونكُمْ ويَنْصُرونكم ؟ وهَلْ يَدفعونَ عَنْكُمُ العَذابَ ؟ وعلىٰ الأقَلِّ هلْ يَقْدِرونَ علىٰ نَصْرِ أنْفُسِهِمْ ودَفْعِ العَذابِ عَنْها ؟ إنَّهُمْ عاجزونَ عن نَصْرِكُمْ أو نَصْرِ أنفسِهِمْ ، فَكيْفَ جَعَلْتُموهُمْ آلِهَةً وعَبَدْتُموهُمْ ؟

ولا يُجيبُ الكُفَّارُ عَنِ السُّؤالِ ؟ لأنَّ الجَوابَ يَدُلُّ عَلَيْهِ حالُ هذهِ الآلِهَةِ الباطِلَةِ ، ولَو تكلَّمُوا لَقالُوا : هَا هُمْ عاجِزونَ لا يَنصُرونَنا ، ولا يَنصُرونَ أنْفُسَهُمْ .

﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وَبَيْنَما الكافِرونَ ومَنْ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ في حالةِ رُعْبٍ وخَوْفٍ وفَزَعٍ مِمَّا يُشاهِدُونَ ، وفي خِزيٍ مِمَّا يَسْمعونَ ، يُؤخَذُ بِهم إلىٰ جَهنَّمَ ، ويُلقَوْنَ فِيهَا إلقاءً ، ويُكبْكَبونَ فِيها كَبْكَبَةً ، فيَتَدافَعونَ ويَتساقَطونَ فيهَا ، مِنْ دونِ عِنايةٍ ولا نِظامٍ ، احْتِقاراً وإذْلالاً لَهُمْ .

﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

ما أنْ يُدْخَلَ الكُفَّارُ ومَنْ عَبَدُوهُمْ مِنْ إبليسَ وجُنودِهِ النَّارَ ، حتَّىٰ يَقَعَ بينَهُمْ تَخاصُمٌ وتَلاعُنٌ .

ينظرُ المُشرِكونَ إلىٰ أنفُسِهِمْ فِي النَّارِ ، فَيتعرَّفونَ مِقْدارَ خسارَتِهِمْ ، ويرَوْنَ بجانبِهِمْ آلِهَتَهُمُ الَّذينَ عَبَدُوهُمْ فِي الدُّنْيا ، مُعذَّبينَ عاجِزينَ مِثْلَهُمْ .

فيقولونَ لَهُم : نحنُ المُخْطِئونَ عندما عَبَدْناكُمْ في الدُّنْيا ، واللهِ لَقَدْ كُنَّا بذٰلِكَ ضالِّينَ ضَلالاً مُبيناً ، ومُخْطِئينَ خَطَأً كَبيراً ، عِنْدَما ساوَيْناكُم باللهِ ربِّ العالَمينَ في العِبادةِ والطَّاعةِ والخُضوعِ .

ثُمَّ يُلقي المُشْرِكونَ بالتَّبِعَةِ والمَسْؤوليةِ علىٰ زُعَمائِهِم المُجْرِمينَ ، لأنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَغْوَوهُمْ وأَضَلوهُمْ ، عندَما دَعَوْهُم إلىٰ تأليهِهِمْ وعِبادَتِهِمْ .

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

بعدَ لَوْمِ المُشْرِكينَ لِمَعْبوديهِمْ ، واعترافِهِمْ بِخَطَئِهِمْ وضَلالِهِمْ ، يُعْلِنونَ نَدَمَهُمْ وحَسْرَتَهُمْ ، ويأسَهُمْ مِنَ النَّجاةِ أَوِ الخُروجِ مِنَ النَّارِ .

يَقُولُونَ هٰذا فِي جهنَّمَ ، بعدَما كانُوا فِي الدُّنْيا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَعْبودِيهِمْ سَيشْفَعونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَيَعْبدونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَيَقولونَ هَؤلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس : ١٨] .

وإذَا كانَ المُشْرِكونَ قدْ فَقَدُوا الشُّفَعاءَ والأصْدِقاءَ في الآخِرَةِ ، فإنَّ المُؤْمِنينَ يَجِدُونَ مَنْ يشفعُ لَهُمْ ، مِثْلَ المَلائكةِ والأنبياءِ والعُلَماءِ والشُّهَداءِ .

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

بعدَ إعلانِ الكُفَّارِ لِحَسْرَتِهِمْ ونَدَمِهِمْ ، يَتَمَنَّوْنَ العَوْدَةَ والرُّجوعَ إلىٰ الدُّنْيا ، لِيُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ ، وهٰذه العَوْدةُ مُسْتَحيلَةٌ ، لانْتِهاءِ الحَياةِ الدُّنيا! ولَوْ أعادَهُمُ اللهُ إلىٰ الدُّنْيا لعادُوا إلىٰ الكُفْرِ مَرَّةً ثانيةً! قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفوا على النَّارِ فَقالوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا ونَكونَ مِنَ المُؤْمِنينَ بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَو رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهوا عَنْهُ﴾ [الأنعام : ٢٧ـ٢٨] .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

فِي ذِكْرِ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامةِ فِي القُرْآنِ عِبْرَةٌ وعِظَةٌ ، يَسْمَعُها المُؤْمِنونَ فَيخافونَ مِنَ العَذابِ ، ويَرْجونَ الجَنَّةَ والنَّعيمَ ، ولكنَّ الكُفَّارَ لا يَتَّعِظونَ ، لأنَّهُ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِمْ . واللهُ عَزيزٌ قَوِيٌّ في انْتِقامِهِ مِنْ أَعْدائِهِ وهُوَ غفورٌ رَحيمٌ لأَوْلِيائِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علَى المُؤْمِنِ أنْ يَتذكَّرَ أحْداثَ يَوْمِ القِيامةِ باسْتِمْرارٍ ، لِيَسْتَقيمَ علىٰ طَاعةِ اللهِ .

٢ـ يَلقَىٰ الكُفَّارُ الإهْمالَ والإذلالَ في جَهَنَّمَ ، حتَّىٰ إنَّهُمْ يُكَبْكَبون فِيها كَبْكَبَةً .

٣ـ يَعْتَرِفُ الكُفَّارُ فِي الآخِرَةِ بِخَطَئِهِمْ وضَلالِهِمْ، بينَما كانُوا يَرْفضُونَ الاعْتِرافَ بِذٰلِكَ فِي الدُّنْيا .

٤ـ لا يَجِدُ الكُفَّارُ شُفَعاءَ ولا أصْدِقاءَ يومَ القِيامةِ ، فَيَزْدادونَ حَسْرَةً ونَدامَةً .

٥ـ إضْلالُ المُجْرِمِ وإغْواؤُهُ لِلآخَرينَ ، لا يَعفيهِمْ مِنَ المَسْؤُوليةِ والعَذابِ يَوْمَ القِيامةِ .

٦ـ يتمنَّىٰ الكُفَّارُ العَوْدَةَ لِلدُّنيا لِيؤمنوا ، لِشُعورِهِمْ بالحَسْرةِ والخَسارةِ فِي الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ تُزْلَفُ الجَنَّةُ وتُبْرَزُ جَهنَّمُ ؟ ومتَىٰ يَكونُ ذٰلِكَ ؟

٢ـ كيفَ يُلقَىٰ الكُفَّارُ فِي جَهنَّمَ ؟ وَعَلَىٰ مَاذَا يَدُلُّ ذَلِكَ ؟

٣ـ مَا الَّذي يَقُولُهُ العَابِدُونَ لِمعبودِيهِم فِي جَهنَّمَ ؟ وبِمَاذَا يَعْتَرِفُونَ ؟

٤ـ مَا الَّذي يتَمَنَّاهُ الكُفَّارُ وَهُمْ فِي النَّارِ ؟ ولِماذا ؟ وهَلْ يَنالونَهُ أَمْ لا ؟

نَشاطٌ :

١ـ انظرِ الآياتِ (٢٢ـ٢٤) مِنْ سورةِ الأَنْعامِ ، ولاحِظْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وَبَيْنَ الآياتِ (٩٢ـ٩٣) ، وسَجِّلْ ذٰلِكَ فِي دَفترِكَ .

٢ـ تَحدَّثَتْ سورٌ كثيرةٌ عن التَّلاومِ والتَّخاصُمِ بينَ العابِدينَ والمَعْبودينَ فِي النَّارِ . سَجِّلِ الآياتِ الَّتي تحدَّثَتْ عنْ ذٰلِكَ فِي سورةِ الأعرافِ .

٣ـ اكتبْ مَوْضوعاً عَنْ خَطَرِ اتِّباعِ أَهْلِ الضَّلالِ فِي حُدودِ صَفْحَةٍ ، وضَعْهُ علىٰ مَجلَّةِ الحائطِ فِي مدرسَتِكَ .

الدَّرسُ الثَّاني والعِشرُونَ

سُورَةُ الشُّعراءِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَلا تَتَّقونَ** : حَثٌّ لَهُمْ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ .
- **مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ** : لاَ أُريدُ مِنْكُمْ أُجْرَةً وَلاَ مالاً مُقابِلَ الدَّعْوَةِ .
- **اتَّبَعَكَ الأَرْذَلونَ** : آمَنَ بِكَ السَّفَلَةُ الَّذينَ هُمْ أَقَلُّ النَّاسِ مالاً وَجاهاً وَمَنْزِلَةً .
- **نَذيرٌ مُبينٌ** : أَنا رَسُولٌ مَهَمَّتِي تَبْليغُكُمُ الدَّعْوَةَ وَإِنْذارُكُمْ وَتَخْويفُكُمْ .
- **لَتَكونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجومينَ** : سَوْفَ نَرْميكَ بِالحِجارَةِ ، وَنَرْجُمُكَ بِها .
- **فَافْتَحْ بَيْني وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً** : رَبِّ احْكُمْ بَيْني وبَيْنَ قَوْمي الكافِرينَ حُكْماً قاطِعاً فاصِلاً .
- **ٱلفُلْكِ المَشْحونِ** : سَفينَةِ نُوحٍ الَّتِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً بِالرُّكَّابِ .



التفسيرُ :

تحدثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قصةِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، وهـٰذِهِ الآياتُ عَرَضَتْ قِصةَ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، وكَيْفَ انتُهتْ أَحْداثُ القِصَّةِ بإغراقِ القَوْمِ الكافِرينَ ، وإنجاءِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمنينَ . وذلكَ لِتَسْليةِ النَّبيِّ ﷺ ومُواساتِهِ فيما يَلقَىٰ مِنْ أذىً وتكذيبٍ مِنَ المُشْرِكينَ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

أوَّلُ مَا ظَهرَ الشِّرْكُ في قَوْمِ نوحٍ . فقدْ كانَ النَّاسُ قَبْلَهُمْ مُؤْمِنينَ مُوَحِّدينَ ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُم نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نبيّاً رَسولاً ، وهُوَ واحِدٌ مِنْهُمْ ، فدعاهُمْ إِلَىٰ الإيمانِ باللهِ وعِبادَتِهِ وَحْدَهُ ، وعَدمِ الشِّرْكِ بِهِ ، ولكنَّهُمْ لمْ يَستجيبُوا لَهُ ، وكذَّبوهُ وكفروا بِهِ .

وعدَّتِ الآيَةُ تكذيبَهُمْ لأخيهِمْ نوحٍ تَكْذيباً لِجَميعِ الرُّسُلِ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلينَ﴾ وهـٰذا يَدُلُّ علىٰ وِحْدةِ الرِّسالةِ ، ووُجوبِ الإيمانِ بِجَميعِ الرُّسُلِ ، ومَنْ كَذَّبَ رَسولاً واحِداً فَقَدْ كذَّبَ جَميعَ الرُّسُلِ .

وقدْ حَثَّ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ علىٰ تقوىٰ اللهِ ، لأنَّهم إنِ اتَّقوا اللهَ أَدُّوا ما أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ ، وتركوا ما حَرَّمَهُ عليهِمْ ، وأطاعُوا رَسولَهُ فيمَا يَدْعُوهُمْ إِليهِ .

وقدَّمَ نفسَهُ لَهُم علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ بَعَثَهُ اللهُ لَهُمْ، وهوَ أَمينٌ علىٰ تَبْليغِ الرِّسالَةِ، مِنْ دونِ زِيادةٍ أو نَقْصٍ.

وأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ مُخْلِصاً للهِ ، ولا يَطْلُبُ مِنهُمْ مُقابلَ دَعْوَتِهِ ونُصْحِهِ أُجْرَةً ولا مالاً ولا شَيْئاً ، لأنَّ اللهَ الكَريمَ هُوَ الَّذي يُعطيهِ الأَجْرَ والثَّوابَ .

وقدْ كرَّرَ لَهُمُ الأَمْرَ بتقوىٰ اللهِ ، وطاعتهِ هُوَ فِي مَا يَدْعُوهُم إليهِ ، لأنَّهُ جَعَلَ الأَمْرَ الأوَّلَ عِلَّةً لِكَوْنِهِ رَسولاً أميناً ، وجَعَلَ هذا الأَمْرَ عِلَّةً لِعدمِ طَلَبِهِ الأَجْرَ مِنْهُمْ .

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

بعدَما أقامَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قومِهِ الحُجَّةَ ، علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ مُبينٌ ، علَّلوا عدَمَ إيمانِهم بهِ بِسَببِ أَتْباعِهِ ، فَقَدِ اعترَضوا عَلَيْهِمْ بأَنَّهُمُ الأَرْذلونَ الضُّعَفاءُ الفُقَراءُ .

قالوا لَهُ : كَيْفَ نُؤْمِنُ بكَ ونتَّبِعُكَ ، والَّذينَ اتَّبَعوكَ هُمُ الأَراذِلُ الفُقَراءُ الضُّعَفاءُ ؟ ونحنُ السَّادَةُ أَهْلُ الجاهِ والثَّرْوَةِ والنُّفوذِ ؟ أَتُريدُ مِنَّا أَنْ نَخْضَعَ لِهؤلاءِ ؟

وقَدْ ردَّ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَليْهِمُ اعْتِراضَهُمْ بأَنَّهُ لا يَعْلَمُ أعْمالَ أَتْباعِهِ وحِرَفَهُمْ ومِهَنَهُمْ ، ولا يَبْحَثُ عنْ سَرائِرِهِمْ وأُمورِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ ، إِنَّهُ لهُ ظَواهِرُهُمْ ، وقَدْ قدَّمَ لَهُمُ الدَّعْوَةَ فَقَبلوها وصَدَّقُوهُ واتَّبَعُوهُ .

واللهُ هُوَ الَّذي يَعْلَمُ مَا فِي قُلوبِهِمْ ، ويُحاسِبُهم علىٰ ما فِيها .

ولَمْ يَقبلِ الكُبَراءُ مِنْ قَوْمِهِ كلامَهُ ، وطَلَبُوا مِنْهُ طَرْدَ أُولئكَ الأَراذلِ لِيَتَّبعوهُ هُمْ ، وهُمْ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أُولئكَ . ولكنَّهُ كانَ وَاضِحاً وصَريحاً في رَدِّهِ عَلَيْهِمْ ، فأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَنْ يَطْرُدَ أُولئكَ المُؤْمنينَ ، لأَنَّهُمْ سَابقونَ إِلىٰ الإِيمانِ ، وهوَ نَذيرٌ مُبينٌ ، مُهِمَّتُهُ إِنذارُ النَّاسِ وتَخْويفُهُمُ العَذَابَ ، فَمَنْ آمنَ بهِ كَانَ مِنْ أَتْباعِهِ ، مَهْما كانتْ مَنْزِلَتُهُ فِي المُجْتَمَع .

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

لمَّا عَجزَ القَوْمُ عَنْ جِدالِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وانهزَمُوا أمامَ مَنطقِهِ وبُرْهانِهِ ، لَجَأوا إِلىٰ التَّهديدِ ـ وَهُوَ سِلاحُ الطُّغاةِ دائِماً عِنْدَما لا يَجدُونَ حُجَّةً ـ وقالُوا لَهُ : يجبُ عليكَ يَا نُوحُ أَنْ تتوقَّفَ عَنْ دعوتِكَ لَنا ، فإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَسَوْفَ نَرْجُمَنَّكَ بالحِجارةِ حتَّىٰ تَموتَ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

بتهديدِهِمْ لِنوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالرَّجْمِ والقَتْلِ أغلَقُوا بابَ الحِوارِ والجِدالِ بينَهُمْ وبَيْنَهُ ، عِنْدَ ذٰلِكَ لم يَبْقَ لِنوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلاَّ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللهِ الفَصْلَ بينَهُمْ وبَيْنَهُ ، فناجىٰ ربَّهُ قائلاً : يا ربِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبوني في دَعْوتِي لَهُمْ ، فاحْكُمْ بيني وبينَهُمْ حُكْماً فاصِلاً قاطِعاً ، تَنْصُرُ بهِ أَهْلَ الحَقِّ ، وتُهلِكُ بِهِ أَهْلَ الباطِلِ ، ونجِّني أنا وَمَنْ مَعِيَ منَ المُؤْمنينَ مِنَ العَذابِ .

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ دَعْوةَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وفَتَحَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمِهِ بالحَقِّ ، فأَهْلَكَ قومَهُ الكافِرينَ ، ونجَّاهُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤمنينَ ـ وكانُوا قَليلينَ ـ في السَّفينةِ ، الَّتي أَمَرَهُ اللهُ بِصُنْعِها ، ولمَّا بدأَ الطُّوفانُ أَمَرَ اللهُ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفينةِ أَتْباعَهُ المُؤْمنينَ ، وزَوجيْنِ اثنينِ مِنْ كُلِّ شيءٍ ، فَصارَتِ السَّفينةُ مَشْحونَةً مَمْلوءَةً بِهِمْ .

وأَغْرَقَ اللهُ البَاقِينَ مِنْ قَومِهِ بالطُّوفانِ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ قِصَّةَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ معَ قَوْمِهِ آيةً وعِبْرةً وعِظَةً ، ودَلالةً علىٰ سُنَّةِ اللهِ في إِنجاءِ المؤمنينَ ، وإِهلاكِ الكافِرينَ ، لكنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ لا يَعْتَبرونَ بِهَا لِعَدَمِ إِيمانِهِمْ . واللهُ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ مِنْ أَعْدائِهِ ، رَحيمٌ فِي مَغْفِرَتهِ ورَحْمَتهِ لأَوْلِيائِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أنبأنا عَنْ قِصَّةِ نوحٍ مَعَ قَوْمِهِ ، وهذا مِنْ أنباءِ الغَيْبِ الصَّادِقَةِ .

٢ـ التَّكذيبُ بِرسولٍ واحِدٍ تَكْذيبٌ بالرُّسُلِ كُلِّهِمْ .

٣ـ وُجوبُ التَّعفُّفِ عَنْ مَا عِنْدَ النَّاسِ ، وابتغاءُ الأَجْرِ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ .

٤ـ مَقاييسُ أَهْلِ البَاطِلِ جَاهليةٌ خادِعَةٌ ، لِذلكَ يَحْتَقِرونَ المُؤمنين .

٥ـ عِندَما يَنْهزِمُ أصْحابُ البَاطِلِ أَمامَ حُجَّةِ أَصْحابِ الحَقِّ يَلْجَأونَ إِلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والتَّعذيبِ .

٦ـ المُؤْمِنُ يَلْجأُ إِلىٰ ربِّهِ عِنْدما تضيقُ به السُّبُلُ ، يَطْلُبُ مِنهُ الفَرَجَ والنَّصْرَ .

٧ـ نَتيجةُ الصِّراعِ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ انتصارُ الحَقِّ ونَجاةُ جُنودهِ وهَزيمَةُ الباطِلِ وإهلاكُ أهْلِهِ .

٨ـ لا يَجوزُ لِلدُّعاةِ والقَادَةِ المُسْلمينَ تَفْضيلُ الالتقاءِ بقادَةِ الكُفْرِ علىٰ مُخَالَطةِ الفُقراءِ ومُجَالَسَتِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذَا قَالَ اللهُ : ﴿كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ الْمُرْسَلينَ﴾ مَعَ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ رَسولٌ واحِدٌ ؟

٢ـ أـ بماذا وصَفَ الكُفَّارُ أَتْباعَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ . ب ـ ومَا الَّذي طَلبوهُ منهُ ؟ ج ـ وماذا كان ردُّهُ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ بِمَاذَا تُفَسِّرُ تَهديدَ قَوْمِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُ بالرَّجْمِ ؟

٤ـ كيفَ كانتْ نَجاةُ نوحٍ وأَتْباعِهِ ؟ وما معنَىٰ : ﴿الفلك المشحون﴾ ؟

٥ـ اسْتَخلِصْ مِنْ قصةِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَمْسَ عِبَرٍ وعِظاتٍ ، تَجْعَلُها آيةً لَكَ .

نَشاطٌ :

١ـ طَلَبَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الطَّلَبَ نَفْسَهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ الردَّ نَفْسَهُ . انظرْ الآياتِ (٥٢ـ٥٤) مِنْ سورةِ الأَنْعام . وبيِّنِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (١١١ـ١١٥) .

٢ـ اقرأْ الآياتِ (٣٦ـ٤٤) مِنْ سورةِ هُودٍ ، ولَخِّصْ مِنها أَحْداثَ الطُّوفانِ ، وصُنْعَ السَّفينةِ ، ونَجاةَ المُؤْمنينَ ، وهَلاكَ الكَافِرينَ ، واكتبْهُ فِي دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الشُّعراءِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عادٌ : قَبيلَةٌ ، كانَتْ بَعْدَ إِهْلاكِ قَوْمِ نُوحٍ ، سَكَنَتْ فِي جَزيرَةِ الْعَرَبِ .

رِيعٍ : مَكانٍ مُرْتَفِعٍ .

آيةً : عَلامَةً بارِزَةً ، وَقَصْراً عالِياً .

تَعْبَثُونَ : تَفْعَلونَ ذٰلِكَ عَبَثاً وَلَعِباً مِنْ دُونِ فائِدَةٍ .

مَصانِعَ : قُصُوراً وَسُدُوداً .

بَطَشْتُمْ : أَخَذْتُمْ خُصومَكُمْ بِعُنْفٍ وَقَسْوَةٍ .

جَبَّارِينَ : مُتَسَلِّطِينَ عُتاةً مِنْ دونِ رَأْفَةٍ وَلاَ شَفَقَةٍ .

أَمَدَّكُمْ : أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ .

وَعَظْتَ : نَصَحْتَ وَتَكَلَّمْتَ بِكَلامٍ مُؤَثِّرٍ يُلينُ الْقَلْبَ .

خُلُقُ الأَوَّلِينَ : عادَةُ السَّابِقينَ وَحَياتُهُم .

التفسيرُ :

كانَ الكَلامُ فِي الآياتِ السَّابقةِ عَنْ قصةِ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، والكلامُ فِي هـٰذِهِ الآياتِ عَنْ قوم عادٍ الَّذِينَ كانُوا فِي الزَّمانِ بعدَ قَوْمِ نُوحٍ مُباشرةً ، وكانوا يَسْكُنونَ فِي « الأَحْقافِ » ، وكَانوا أقوىٰ أُمَّةٍ فِي عَهْدِهِم ، بَعَثَ اللهُ لَهُم أخاهُم هُوداً رَسولاً ـ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

أخْبَرَتِ الآياتُ عَنْ تَكْذيبِ قَوْمِ عادٍ المُرْسَلينَ ، عِلماً أَنَّهُم كذَّبُوا رَسولَهُم هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ كذَّبَ رَسولاً فقدْ كذَّبَ كُلَّ رسولٍ ، ولقدْ بَعَثَ اللهُ تعالىٰ لَهُم أخاهُمْ هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فقالَ لَهُم : آمِنوا باللهِ ، واعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، واتَّقوهُ ، وآمِنوا بِي ، واقبَلوا دَعوتِي ، فأنَا رَسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، أَمينٌ علىٰ رِسالَتِي ، أُبلِّغُكُمْ إِيّاها كامِلَةً ، فاتَّقوا اللهَ فِيما أَمَرَ ونهَىٰ ، وأَطيعونِي فيمَا آمُرُكُم بِهِ وأنهاكُم عنهُ ، واعلَموا أنّي لا أطْلُبُ مِنكُمْ علىٰ تبليغِ رسالتِي أجْراً ولا مالاً ، لأنّي أُريدُ الأَجْرَ والثَّوابَ مِنَ اللهِ ربِّ العالَمِينَ .

ولكنَّ القَوْمَ رَفضوا دَعوةَ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وكذَّبوهُ وكفرُوا بهِ .

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

بعدَما دَعا هُودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ إِلىٰ الإيمانِ باللهِ وطاعتِهِ وتَقْواهُ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بعضَ أفعالِهِمْ السَّيئةِ ، الَّتِي أَلْهَتْهُمْ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ ، ومِنْ ذَلكَ تَشْييدُهُمُ المَباني مِنْ دُونِ حاجةٍ ، وإِنَّما بَنوْها لِلَّعِبِ والعَبَثِ ، فقالَ لَهُم : لِماذَا تبنونَ فِي كُلِّ مَكانٍ مُرْتَفِعٍ أبنيةً عاليةً وقُصوراً شاهِقَةً ، تَجْعَلونَها آيةً وعَلامَةً علىٰ قُوَّتِكُمْ وعِزَّتِكُمْ ؟ وأنتُم تَفعلونَ ذَلكَ عَبَثاً ولَهْواً ، وليسَ لِمَنْفَعَةٍ أو حاجةٍ .

ولماذَا تتَّخِذونَ المَصانِعَ المَتينةَ مِنَ القُصُورِ والحُصونِ والسُّدودِ وغيرِها ، لِكَي تُقيموا فِيها مُنَعَّمينَ ؟ وتَفعلونَ ذلكَ كأَنَّكُم مُخلَّدونَ فِي الدُّنيا ، مَعَ أَنَّكُم سَتَرْحَلونَ عنْها!

ومعَ ذٰلِكَ الإسرافِ والمُباهاةِ والحِرْصِ علىٰ الدُّنْيا تُعامِلونَ غَيْرَكُمْ بِجَبروتٍ وطُغيانٍ واسْتبدادٍ ، تَبْطِشونَ بهم مِنْ دُونِ شَفَقَةٍ أو رَأْفَةٍ ، وتَحْرِصونَ علىٰ إذلالِهِمْ! فلماذا هـٰذا التَّجبُّرُ ؟

إِنَّ اتِّخاذَ الأَبْنيةِ العَاليةِ لِلْعَبَثِ يَدُلُّ علىٰ حُبِّ العُلوِّ ، واتِّخاذَ المَصانعِ يَدُلُّ علىٰ حُبِّ البقاءِ ، وإِنَّ التجبُّرَ والطغيانَ يَدُلُّ على حبِّ التَّفردِ . . وقدْ ارْتَكَبَ قَوْمُ عادٍ هـٰذِهِ الجَرائمَ الثَّلاثَ ، ولِذلكَ أنْكَرَها عَلَيْهِم هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

بعدَما أنكَرَ عليهِمْ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُخالفاتِهِمُ الَّتي شَغَلَتْهُمْ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ ، عادَ ليأمُرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ ، الَّتِي تَقودُ إِلى تَرْكِهِمْ مَا هُم عَلَيْهِ مِنْ مُخالفاتٍ ، وطاعَتِهِ فيما يأمرُهُمْ بهِ وينهاهُمْ عَنْهُ .

وذكَّرَهُمْ بِنِعَمِ اللهِ الغامِرَةِ عَلَيْهِمْ ، فاللهُ أنْعَمَ عَلَيْهِمْ وأَمَدَّهُمْ بمَا يَعْلمونَ مِنَ النِّعَمِ الكَثيرةِ ، منْها الأنعامُ والحَيواناتُ المَأْكولَةُ ، ومنْها الأَوْلادُ والأبناءُ الكَثيرونَ ، ومنها البَساتينُ المُثْمِرَةُ ، ومنها العُيونُ والأَنْهارُ العَذْبَةُ .

وحتَّىٰ تبقَى هذهِ النِّعَمُ ويَزيدَهُمُ اللهُ منها ، فلابُدَّ وأنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ، ويَتَّقوهُ حَقَّ تُقاتِهِ ، ويَشْكُروهُ عَلَيْها ، فإنْ لمْ يفعلوا ذٰلكَ أزالَها اللهُ عَنْهُمْ .

ثُمَّ بيَّنَ لَهُم هُودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حِرْصَهُ عليهِم فقالَ لَهُمْ : إنْ أُريدُ إلاَّ الخَيْرَ لكُمْ ، فإنْ رَفَضْتُمْ دَعوتِي وأَصْرَرْتُم علىٰ الكُفْرِ والتَّكذيبِ ، فإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يومٍ عظيمٍ ، وأهوالُهُ شَديدةٌ .

﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ .

بالرُّغمِ مِنْ أنَّ هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَعا قَوْمَهُ بالحُسْنى ، مُسْتَخْدِماً التَّرْغيبَ والتَّرْهيبَ ، والتَّلَطُّفَ والتَّحَبُّبَ ، إلاَّ أنَّهُم رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وقالوا لَهُ : يَستوي عِنْدَنا وعْظُكَ ، فإنَّنا لا نَستجيبُ لَكَ ، ولنْ نَتَخلَّىٰ عَنْ ما نَحْنُ فيهِ . ومَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خُلُقٍ وحَياةٍ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَوَّلونَ السَّابِقونَ مِنْ أَجدادِنا ، هٰكذا عاشُوا ، وهٰكذا ماتُوا ، ونحنُ نَقْتدي بِهِمْ في هٰذا الخُلُقِ ، نَعيشُ كما عاشوا ونَموتُ كما ماتوا . وما تهدِّدُنَا بهِ مِنَ العَذابِ لنْ يَقَعَ ، ولا بَعْثٌ ولا حِسابٌ بعدَ المَوْتِ .

وبذلكَ كذَّبُوا هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ واسْتَمَرَّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، فاسْتَحقُّوا عِقابَ اللهِ ، حيثُ أزالَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ ، وأَهْلَكَهُمْ بالريحِ العاتِيَةِ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ .

إِهْلاكُ قَوْمِ عادٍ الكافِرينَ آيَةٌ وعِبرَةٌ لِلَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ولكنَّ أَكْثَرَ هٰؤلاءِ كافِرونَ ، ولِذٰلكَ لَمْ يَعْتبرُوا ، ولَمْ يَعْلَموا أَنَّ اللهَ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ مِنْ أعْدائِهِ ، رَحيمٌ بأَوْليائِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على الدَّاعيةِ أَنْ يُعْلِنَ عَنْ حَمْلِه رسالةَ اللهِ إلى مَنْ يَدعوهُمْ ويَجْهَرَ بذلكَ طالِباً مِنَ النَّاسِ اتِّباعَهُ .

٢ـ كلُّ الرُّسُلِ دَعوا النَّاسَ إلىٰ تقوىٰ اللهِ ومَخافتِه .

٣ـ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يَسْتَخْدِمَ مُخْتَلَفَ الأَساليبِ اللَّطيفةِ في الدَّعوةِ بالحُسنىٰ ، مِنْ تَرْغيبٍ وتَرْهيبٍ وتحبُّبٍ .

٤ـ الأُسلوبُ الحَكيمُ في الدَّعْوَةِ لا يَعْني السُّكوتَ عَنِ المُنْكَرِ ، فيَجِبُ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يُنكِرَ علىٰ قوْمِهِ مُخالفاتِهِمْ .

٥ـ لا يَجوزُ بِناءُ الأَبْنِيَةِ العاليةِ والقُصورِ الشَّاهقةِ لِلعَبَثِ واللَّهوِ والمُباهاةِ ، فهٰذا إِسْرافٌ مُحرَّمٌ .

٦ـ التجبُّرُ والاسْتِبْدادُ ، والتَّعامُلُ مَعَ الآخَرينَ بالبَطْشِ والقَسْوةِ وعَدَمِ الرَّأْفةِ يَقودُ إلىٰ هَلاكِ صَاحِبِه .

٧ـ الطُّغيانُ والقُوةُ الغَاشِمَةُ تُعمي أَصْحابَها عَنِ الحَقِّ ، واللهُ يَقْصِمُ كُلَّ مُتكبِّرٍ جبَّارٍ ويُهْلِكُهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

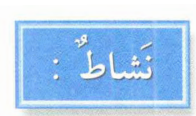
١ـ اذكرْ وَجْهَ الارتباطِ بَيْنَ قِصَّةِ نوحٍ وقِصَّةِ عادٍ في هٰذهِ السُّورةِ .

٢ـ مَا الأَشْياءُ الثَّلاثةُ الَّتِي أنْكَرَهَا هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قَوْمِهِ ؟

٣ـ مَا الوَسيلةُ المَأْمونَةُ لِلمُحافظةِ علىٰ نِعَمِ اللهِ والزِّيادةِ مِنْهَا ؟

٤ـ مَا معنىٰ قولِ عادٍ لِهودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : (إِنْ هَذا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلينَ﴾ ؟

٥ـ كَيْفَ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ عادٍ ؟ وَمَا الدَّلالَةُ الَّتِي تَخْرُجُ بِهَا مِنْ ذٰلِكَ ؟



١ـ سُمِّيَتْ سورةُ الأَحْقافِ باسْمِ المِنْطَقَةِ الَّتِي كَانَ يَسكُنُهَا قَومُ عادٍ ، حَدِّدْ موقعَ الأحقافِ جغرافيّاً ، ومعنىٰ الكلمةِ لُغويّاً ، واكتبْ ذٰلكَ فِي دفْترِكَ .

٢ـ كانَ قومُ عادٍ معتَزِّينَ بقوَّتِهم . سجِّلْ الآيَةَ (١٥) مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ واسْتَخرِجْ مِنهَا اعْتِزازَهُمْ بِهَا وردَّ اللهِ عَليْهِم ، واكتبْ ذٰلكَ فِي دَفْترِكَ .

٣ـ اقرأْ قِصَّةَ إِهْلاكِ قَوْمِ عادٍ في سُورةِ الأَحْقافِ ، وسَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ كَيْفيَّةَ إِهلاكِهِمْ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعُ والعِشرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ - القِسْمُ العاشِرُ

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ثَمودُ : القَبيلَةُ الَّتي جاءَتْ بَعْدَ قَبيلَةِ عادٍ ، في جَزيرةِ الْعَرَبِ .

نَخْلٍ طَلْعُها هَضيمٌ : نَخْلٍ ثَمَرُها رَطْبٌ طَيِّبٌ لَيِّنٌ سَريعُ الْهَضْمِ .

تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً : تَحْفِرُونَ الْجِبالَ ، وَتَجْعَلونَ الْبُيوتَ فيها .

فَارِهِينَ : حاذِقينَ ماهِرينَ فِي النَّحْتِ ، وتَفْعَلونَ ذٰلِكَ بِفَرَحٍ وَنَشاطٍ .

أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ : أَنْتَ مِنَ الْمَسْحورينَ الَّذينَ أَخَذَ السِّحْرُ عُقولَهُمْ .

لَها شِرْبٌ : لَها نَصيبٌ مُحَدَّدٌ مِنَ الْماءِ تَشْرَبُهُ كُلَّ يَوْمٍ .

عَقَرُوها : قَتَلوها .

أَخَذَهُمُ الْعَذابُ : أَخَذَهُمُ اللهُ بِالصَّيْحَةِ فَأَهْلَكَهُمْ .



التفسيرُ :

كانَ الحديثُ في الآياتِ السابقةِ عنْ قصةِ هُودٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ مع قومهِ عادٍ الَّتي انتهتْ بإهْلاكِهِم ونجاءِ هُودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومن معهُ ، والحديثُ في هـذهِ الآياتِ عنْ قصّةِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قومِهِ « ثَمُودَ » .

وقوْمُ ثمودَ جاءوا بعْدَ قوْمِ عادٍ مُباشرة ، وكانُوا يُقيمونَ في منْطقةِ « الْحِجْرِ » في الشَّمالِ الغربيِّ للْجزيرةِ العربيّةِ ، علىٰ الطَّريقِ بيْنَ المدينةِ وتبوكَ ، وقد مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بديارهم في أثناءِ توجُّهِهِ إلىٰ غزْوةِ تبوكَ . ولا تزالُ مساكِنُهُمْ معْروفةً حتّىٰ اليوم .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

كانَ قومُ ثمودَ كافرينَ ، فبعثَ اللهُ لهُمْ أخاهُم صالحًا ـ عليهِ السَّلامُ ـ نبيًا رسولاً ، ودعاهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، ولكنّهُم كفرُوا بهِ وكذَّبُوهُ . ومع ذلكَ نصحهُم وذكَّرهُمْ ، وحثَّهُمْ علىٰ تقوىٰ اللهِ ، لأنَّهُ رسولٌ أمينٌ علىٰ رسالتِهِ ، يُبلِّغهُمْ إيّاها كاملةً ، وأخبرهُمْ أنّهُ لا يُريدُ علىٰ دعْوتِهِ منْهُمْ أجرًا ولا مالاً ، لأنّهُ يبتغي منَ اللهِ وحْدهُ الأجْرَ والثَّوابَ .

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

بالرَّغمِ منْ أنَّ قوْمَ ثمودَ كذَّبُوا رسولَهم وكفروا بهِ ، إلاَّ أنَّ صالحًا ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لمْ يتوقَّفْ عنْ دعْوتِهِمْ وتذكيرِهِمْ ، فقدْ ذكَّرهُمْ بما هُمْ فيه منْ نعمٍ آتاهُمُ اللهُ إيّاها ، وحذّرهُمْ زوالها إنِ استمرُّوا علىٰ مَا هُم عليه .

قالَ لَهُمْ : أتظنّونَ أنّكُمْ تُتركونَ في ديارِكُمْ آمنينَ ، مُتمتّعينَ بما أنْعمَ اللهُ عليْكُم منْ نِعَمٍ كثيرةٍ ، منْها العُيونُ العذْبةُ ، ومنْها البَساتينُ المُثْمِرَةُ ، والزُّروعُ الكثيرةُ ، ومنها بَساتينُ النَّخيلِ علىٰ وَجْهِ الخُصوصِ ، الّتي تَحْملُ لكُمْ أجْودَ أنواعِ الرُّطَبِ الهضيمِ ، الّذي هُو منْ ليونتِهِ وسُهولةِ هَضْمِهِ كأنَّهُ مهضومٌ ، لا يَحْتاجُ إلىٰ هَضْمٍ فِي البُطونِ .

وحذَّرهُمْ منْ زوالِ هـذهِ النِّعمِ والمأكولاتِ والمَشْروباتِ ، فقالَ لهُمْ : إذا بَقيتُمْ كافرينَ ، فإنَّ اللهَ سيُزيلُها عنْكُمْ بسَببِ كُفْرِكُمْ وتكْذيبِكُمْ .

وبعدما ذكَّرهُمْ النِّعَمَ الّتي في الأشْجارِ والثِّمارِ والمياهِ ، ذكَّرهُمْ النعمَ عليْهِم في السُّكنىٰ ، فقدْ مهروا فِي نَحْتِ البُيوتِ في الجبالِ ، حيْثُ كانوا ينحتونَ الجبالَ بأدواتِهم ، ويُخرجونَ منها

الصُّخور ، ويجعلونَ البُيوت مَكانَ لصُّخور ، في داخلِ الجبال ، ويسكنون فيها آمنين .

كانُوا فارِهين حاذقينَ في نَحْتِ البُيوت في الجِبال ، كما كانوا يفعلون ذلك بمرح وبطر وتكبُّر واستعلاء ، وأحياناً لم يَكونُوا مُحتاجين إلى ذلك .

وحذَّرَهُم كذلكَ مِنْ زَوالِ هٰذهِ النِّعمِ إن استمرُّوا علىٰ ما هم عليهِ مِنْ كُفرٍ وتكذيب .

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٥٢ ﴾

بعدَمَا بيَّنَ لَهُم صَالِحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نِعَمَ اللهِ عليْهِمْ في المَأكلِ والمَشْرَبِ والمسكَنِ أمرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ ؛ تَقوىٰ تَقودُ إلىٰ الالْتِزامِ بمَا أمرَ بِهِ وتَرْكِ ما نهاهُم عَنْهُ ، ودعاهُم إلىٰ طاعتِهِ هُوَ ، لأنَّهُ أخوهُمُ الحَريصُ عَليْهِمْ ، ونَهاهُمْ عَنْ طاعةِ المُسْرفينَ فيهِمْ ، وهُمُ الَّذينَ توَلَّوا القِيادةَ والزَّعامةَ فيهِمْ ، فَكانُوا قَادَةً مُسْرِفينَ مُفْسِدينَ ، يُفسِدونَ في الأرْضِ ولا يُصْلِحون! . وتصوَّرْ قوْماً يقودُهُمْ رؤساؤُهُمْ وكُبَراؤُهُمْ لِلإسْرافِ والإفْسادِ والدَّمار ، كَيْفَ يكونُ مُسْتَقبلُهُمْ ؟

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١٥٤ ﴾ .

لَمْ يَقْبَلْ قَوْمُ ثَمُودَ دَعْوَةَ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ولمْ ينفعْهُمْ نُصْحُهُ ووَعْظُهُ وتَذْكيرُهُ ، وكذَّبوهُ في دعْوَتِهِ ، ولمْ يَعْتَبروهُ نَبيّاً ، وقالُوا لَهُ : أنْت رَجُلٌ مَسْحورٌ ، تَمَكَّنَ السِّحْرُ مِنْك ، وسَيْطَرَ علىٰ عَقْلِكَ ، فَصِرْتَ تَتَكلَّمُ كَلامَ مَنْ لا عَقْلَ لهُ! ولاَ يُمْكِنُ أنْ تكونَ نبيًا ، فأنْتَ واحِدٌ مِنَّا ، بَشرٌ مِثْلُنا ، فَكَيْفَ أَوْحَىٰ اللهُ لَكَ دُونَنا ؟ فإنْ كُنْتَ صادقا في دعوىٰ النُّبوّة ، فقدِّمْ لنا آيةً ماديّةً تَدُلُّ علىٰ ذٰلِكَ .

﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦ ﴾ .

طلبوا مِنْ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ آيةً مَاديّة ، فأجْرَىٰ اللهُ علىٰ يديْه آيةً عجيبةً ، وهِي النَّاقَةُ العجيبةُ في شُرْبِ المَاءِ ، فقدَّمَها لَهُم قائِلاً : هٰذه النَّاقَةُ آيةٌ لَكُم ، أيْ في خَلْقِها وتَكْوينِها وجَمالِها ، وقَدِ اشْتَرطَ عَلَيْهِمْ أنْ لا يَرِدوا ماءَ البِئْرِ الَّذي تَشْرَبُ مِنْهُ النَّاقَةُ في اليَوْمِ الَّذي تَرِدُ فيه الماءَ ، فَهِي تُقاسِمُهُم الماءَ ، تَرِدُ الماءَ يَوْماً ، ويَرِدونَهُ يَوْماً آخرَ ، ولاَ يجوزُ لَكُمْ أنْ تأخُذوا شيْئا مِنَ الماءِ في يَوْمِها ، وعَلَيْكُمْ أنْ تهتمُّوا بِها ، وإيَّاكُمْ أنْ تُؤْذوها أوْ تَمَسُّوها بِسوءٍ أو تَقْتُلوها ، فإنْ فَعَلْتُم ذٰلِكَ عذَّبَكُمُ اللهُ عَذاباً عَظيماً .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٥٨ ﴾ .

لَمْ يأْخُذِ القَوْمُ بِنَصيحَةِ صالحٍ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ وسَمَحوا لأشْقَاهُمْ أنْ يَعْقِرَ النَّاقَةَ ويَذْبَحها ،

ورَضوا بذلكَ ، فصاروا شُركاءَ لَهُ فِي الجَريمةِ ، ولمَّا أَخبرُوا صالحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بعقْرِ النَّاقةِ وموْتِها ، أنْظَرَهُم وُقوعَ العَذابِ بِهِمْ بَعْدَ ثلاثةِ أيَّام ، فَندِمُوا علىٰ جَريمَتِهِمْ حَيْثُ لم يَنْفعِ النَّدَمُ ، وبَعْدَ انتهاءِ الأيَّامِ الثَّلاثةِ أَوْقعَ اللهُ بِهِمْ عَذابَهُ ، حَيْثُ زَلْزَلَ بِهِمُ الأَرْضَ زِلزالاً شَديداً ، وأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظيمَةٌ أَهْلَكَتْهُمْ .

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ قِصَّةَ صالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ ثمودَ آيةً وعِبْرةً وعِظَةً ، وَلكنَّهُ لا يَعْتبِرُ بِهَا إلاَّ المُؤْمِنونَ ، ومُعْظَمُ النَّاسِ كافِرونَ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِم ، فَينْتَقِمُ اللهُ العزيزُ مِنْهُمْ ، ويَرْحَمُ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يتَّعِظونَ ويَعْقِلُونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بقصةِ هودٍ مَعَ قَوْمِه .

٢ـ كُلُّ الرُّسُلِ يَتَّصفونَ بِصِفَةِ الأَمانةِ ، فما كانَ لِخائِنٍ أَنْ يُؤْتَمَنَ علىٰ وحْيِ اللهِ .

٣ـ لا تَدومُ نِعَمُ اللهِ علىٰ أُمَّةٍ مِنْ مَأْكَلٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَسٍ ومَسْكَنٍ إلاَّ بطاعةِ اللهِ وشُكْرِهِ .

٤ـ التَّمرُ غِذاءٌ مُفيدٌ شِبْهُ مُتكامِلٍ ، وهوَ هَضيمٌ سَريعُ الامْتِصاصِ يَحْمِلُهُ الدَّمُ إِلىٰ خَلايا الجِسْمِ .

٥ـ نَحْتُ البيوتِ في الجبالِ يحتاجُ إِلىٰ مهارةٍ وإِتقانٍ وإِبداعٍ .

٦ـ مُصيبَةُ الأُمَّةِ كَبيرةٌ عِنْدَمَا يَكونُ قادَتُها مُسْرِفينَ مُفْسِدينَ غَيْرَ مُصلِحينَ ، حَيْثُ يَقودُونَها للدَّمارِ .

٧ـ علىٰ الأُمَّةِ أَنْ تُطيعَ الصَّالِحينَ المُصْلحينَ ، ولا تُطيعُ المُسْرفينَ المُفْسدينَ .

٨ـ مُخالَفَةُ أوامِرِ اللهِ وارْتِكابُ مَا حَرَّمَ اللهُ طَريقٌ لِوقُوعِ عذابِ اللهِ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرِ النِّعَمَ الخَمْسَ الَّتِي ذكَّرَ صالحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ بِها .

٢ـ مَا آثارُ قِيادَةِ المُفْسِدِينَ ؟ وَمَا نَتَائِجُ طاعَتِهِمْ ؟

٣ـ اذكرِ التُّهمةَ الَّتِي وجَّهَها قَوْمُ ثَمودَ لِصالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والشُّبْهَةَ الَّتِي أثاروها حَوْلَهُ .

٤ـ مَا مَعْنَى قولهِ تعالىٰ عَنِ النَّاقَةِ : ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ؟

٥ـ مَا المُعْجزَةُ الَّتِي جَعَلَها اللهُ فِي ناقَةِ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟

٦ـ مَا مَوْقِفُ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ قَصَصِ القُرآنِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ سُورتَي الْحِجْرِ والفَجْرِ ، وسجِّلْ آياتِها الَّتِي تَحدَّثَتْ عَنْ قَوْمِ ثَمودَ وسُكناهُم في الجِبالِ ، ومَا معنَىٰ كلامِ السُّورتيْنِ علىٰ سُكْناهُم ، واكتبْ ذٰلِكَ فِي دفترِكَ .

٢ـ تحدَّثَتْ عنِ القادةِ المُفْسِدينَ مِنْ قومِ ثمودَ الآيةُ (٤٩) مِنْ سورةِ النَّمْلِ . سجِّلْهَا ، وسجِّلْ معنَاهَا ، وقارِنْهَا مَعَ الآيةِ (١٥٣) .

٣ـ اقرأْ آياتِ قِصَّةِ ثَمودَ فِي سُورةِ القَمَرِ ، وسجِّلْ خُلاصةَ قِصَّةِ ثَمودَ مِن خلالِ تِلْكَ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَوْمٌ عادُونَ : قَوْمٌ مُتَجاوزو الْحُدُودَ الشَّرعِيَّةَ والعَقْلِيَّةَ فِي قَضاءِ الشَّهْوَةِ .

لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لوطُ : لَئِنْ لمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ الإنْكارِ عَلَيْنا .

لَتكونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجينَ : مِنَ الْمطْرودِينَ مِنْ بَلَدِنا .

مِنَ ٱلْقالِينَ : مِنَ الْمُبْغِضينَ لِفَواحِشِكُمْ أَشَدَّ الْبُغْضِ .

إلاَّ عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرينَ : إلاَّ امْرأَةَ لُوطٍ أُهلِكَتْ مَعَ الْهالِكينَ .

أَمْطَرْنا عَلَيْهِم مَطَراً : أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَهْلَكَتْهُمْ .

التفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِ ثَمودَ ، وكيفَ انتهَتْ بِإنجاءِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعِهِ المُؤْمنينَ ، وإِهلاكِ قَوْمِهِ الكافرينَ بالصَّيْحَةِ .

وتَتحدَّثُ آياتُ هٰذا الدَّرْسِ عَنْ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ .

ولوطٌ ـ عليه السلامُ ـ قدمَ مع إبراهيم ـ عليه السلامُ ـ مِنْ بلادِ العِراقِ ، واستقرَّ معَهُ في الأرْضِ المُقدّسة ، وبعثَهُ اللهُ نبيّاً رسُولاً إلى قوْمٍ كافِرين كانُوا يَسْكنُونَ شَرْقَ بيت المَقْدِس ، فبلّغهُم دَعْوةَ اللهِ ، وأنكرَ عَليْهِم شُذوذَهُمْ وانحرافَهُمْ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

أَخْبرَتِ الآياتُ عَنْ تكذيب القوْمِ الشّاذّينَ الكافرينَ لنبيِّهم لوطٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهُمْ في تكذيبِهِمْ لهُ مُكذّبونَ لِجميعِ الرُّسُلِ ، ودَعاهُمْ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ تقوىٰ اللهِ ، وأَخْبرَهُم أنَّهُ رَسولٌ أمينٌ لَهُم ، مؤتَمَنٌ علىٰ تبليغِ الرّسالةِ ، ويُريدُ الخيرَ لهُمْ ، ولِذلكَ عَليْهِمْ أنْ يتَّقوا اللهَ ويُطيعوهُ هُوَ ، وهُوَ لا يُريدُ مِنْهُم مالاً أوْ أجْراً مُقابِلَ دعْوتِهِ لهُمْ ، لأنّهُ يبتغي الأَجْرَ منَ اللهِ وحْدَهُ .

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

بَعْدَما قدَّمَ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَفْسَهُ إلىٰ قَوْمِهِ نَبيّاً رسولاً ، وبيَّنَ حِرْصَهُ عَلَيْهِمْ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَبْرَزَ جَرائمِهِمْ وأشْهرَ انْحرافاتِهِمْ ، وهيَ شُذوذٌ في قضاءِ الشَّهوةِ ، حَيْثُ يأتونَ الرّجالَ في أَدْبارِهم ، وهُمْ أوّلُ مَنِ ابتدعَ هـذهِ الفاحشةَ ، فلمْ يمارسْها أحدٌ منْ قبْلِهمْ . قالَ تعالىٰ : ﴿أَتَأْتونَ الفَاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحدٍ منَ العالمينَ﴾ [الأعراف : ٨٠] .

قال لَهُم : لِماذا تأتون الذُّكْرانَ الرّجالَ في أدبارِهِمْ ، وتَرْتكِبونَ معَهُم الفاحشَةَ ، وتَتْركونَ أزواجَكُمْ مِنَ النّساءِ ، اللّواتي خلقهُنَّ اللهُ لكُم لِتَسْتَمْتِعوا بهِنَّ ؟

إنَّكُمْ بهـذا التّصرُّفِ الفاحشِ الشّنيعِ قوْمٌ عادونَ ، مُتجاوزونَ للحُدودِ الشَّرْعيَّةِ والعَقْليَّةِ والفِطْريَّةِ ، وذاهبون إلىٰ هـذه الفاحشةِ التي لا تَتَّفقُ مَعَ الفِطرَةِ أوِ النَّفْسِ أوِ الشَّرْعِ . فاللهُ خلَقَ الرَّجُلَ مَيّالاً إلىٰ المرْأةِ ، والمرْأةَ راغبةً في الرَّجُلِ ، فَيلْتقيانِ زوْجَيْنِ بالزّواجِ الشَّرْعيِّ . أمّا أنْ يَطلُبَ الرَّجُلُ رَجُلاً مِثْلَهُ فهـذا هُوَ العُدوانُ والبَغْيُ والظُّلْمُ والفَسادُ!

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

رَفَضَ القوْمُ نُصْحَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ وأَصَرّوا علىٰ انْحِرافِهِمْ وشُذوذِهِمْ ، وطَالَبوهُ بالتَّوقُّفِ عَنْ دَعْوتِهِمْ والإنكارِ عليْهِمْ ، وهدّدوهُ بأنّهُ إذا لمْ ينتهِ عنْ ذلك فسَوْفَ يُخرِجونَهُ منْ بلْدتِهِمْ ، ويُبْعِدونَهُ عنْهُمْ .

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

لَمّا رأىٰ لوطٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إصْرارَ قوْمِه علىٰ شُذوذِهِمْ ، وتَهْديدَهُمْ لهُ بالطَّرْدِ صارَحَهُم بأنّهُ كارِهٌ مُبْغِضٌ لِعملِهِمُ القبيحِ ، بريءٌ منْهُمْ ومنْ فواحِشِهِمْ ، مُشْمَئِزٌّ منْ ذلِكَ الشُّذوذِ . وطَرْدُهُ وإخراجُهُ منْ بلدتِهِمْ خيرٌ لهُ منْ أنْ يبقىٰ معهُمْ وهُم بذلِكَ الانْحِرافِ .

قال لَهُمْ : إنّي لِعَملِكُمْ منَ القالينَ المُبغِضينَ ، ولمْ يقل : إنّي لِعملِكُمْ قاليًا مُبغِضًا ، لأنّهُ ليس وَحْدَهُ قاليًا ، وإنّما الكثيرونَ مِنَ الأسوياءِ المُستقيمينَ قالونَ مُبغضونَ لِشُذوذِهِمْ ، وهُوَ واحدٌ منهُمْ!

ثمّ دعا لوطٌ - عليهِ السّلامُ - ربّهُ أنْ يُنجيهِ وأهلَهُ المؤمنينَ المُتطهرينَ مِنْ أعمالِهِمُ القبيحةِ .

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾

اقتربَ وُقوعُ العِقابِ بالقومِ الشّاذّينَ لإصرارِهِمْ على كُفرِهِمْ وفَواحِشِهِمْ ، ولَمْ يَستجِبْ للوطٍ - عليهِ السّلامُ - واحدٌ منهُمْ ، فلمْ يَتبعْهُ إلاّ أهلُ بيتِهِ ، ولا نعرفُ عددَهُمْ ولا صِلتَهُمْ بهِ . قالَ تعالى : ﴿فأخْرَجْنا مَنْ كانَ فيها مِنَ المُؤمنينَ فما وَجَدْنا فيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلمينَ﴾ [الذاريات : ٣٥-٣٦] .

وقدْ أمرَ اللهُ لوطًا - عليهِ السّلامُ - أنْ يَخرُجَ بأهلِهِ المُؤمنينَ ليلاً ، وأنْ يبتعدوا مُسرعينَ عنِ البلدةِ ، لأنَّ أهلَها سيُدمّرونَ في الصّباحِ ، فخرجَ بهِمْ ونَجَوْا جميعًا .

ولمْ يَهلِكْ مِنْ بيتِهِ إلا امرأتُهُ العجوزُ ، الّتي كانتْ كافرةً راضيةً بفواحشِ قومِها ، ولذلكَ التفتتْ حينَ نزلَ العذابُ بهِمْ فأصابَها ما أصابَهُمْ مِنَ الدّمارِ والهلاكِ .

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

بعدَما خرجَ لوطٌ بأهلِهِ وفارقَ قومَهُ ، دمّرَ اللهُ القومَ الكافرينَ ، بأنْ جعلَ عالِيَ بيوتِهِمْ سافِلَها ، وقَلَبَها قَلْبًا ، وأمطرَ عليهِمْ مِنَ السّماءِ حجارةً من سجّيلٍ منضودٍ ، فأبادَهُمْ وأهلكَهُمْ وقضى عليهِمْ .

وهذا المطرُ الّذي أنزلَهُ عليهِمْ ليسَ مطرَ رحمةٍ ، بلْ هوَ مطرُ عذابٍ ، ولذلكَ ساءَ ذلكَ المطرُ مطرًا ، وهُمْ مُستحِقّونَ لذلكَ العقابِ ، لأنّهُمْ رفضوا إنذارَ نبيِّهِمْ لوطٍ - عليهِ السّلامُ - ولمْ يستجيبوا لَهُ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

جَعلَ اللهُ قصّةَ لوطٍ - عليهِ السّلامُ - مَعَ قومِهِ آيةً وعبرةً ، يَعتبرُ بها المؤمنونَ ، ويتوقّفونَ عنِ المعاصي والانحرافاتِ ، لأنّهُمْ يَعلمونَ أنّ العِقابَ والعذابَ ينتظرُ الشّاذّينَ مُرتكبي الفَواحشِ ، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يتّعِظونَ لأنّهُمْ كافرونَ ، واللهُ عزيزٌ في عقابِهِ وانتقامِهِ من الأعداءِ ، ورحيمٌ بعبادِهِ المؤمنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١- على الدّاعيةِ أنْ يُنكِرَ على قومِهِ معاصيَهُمْ وانحرافاتِهِمْ ، ويُعلِنَ براءتَهُ مِنْ أفعالِهِمْ .

٢ـ إتيانُ الرِّجالِ شَهْوةً مِنْ دُونِ النِّساءِ عُدوانٌ وانْحِرافٌ وشُذوذٌ ، لا يَتَّفِقُ مَعَ الفِطْرةِ أوِ العَقْلِ .

٣ـ المُنْحَرِفونَ الشَّاذُّونَ لاَ يَقْبَلونَ بِوجودِ أَصْحابِ العِفَّةِ والطُّهْرِ بَيْنَهُمْ ، فَيُحارِبونَهُمْ ويُهدِّدونَهُمْ ويُخرِجونَهُمْ .

٤ـ ارْتكابُ الفَواحِشِ والمَعاصِي يَقودُ إِلىٰ عَذابِ الدُّنْيا قَبْلَ عَذابِ الآخِرَةِ ، كمَا فَعَلَ اللهُ بِقَوْمِ لوطٍ .

٥ـ قدْ لا يُؤثِّرُ الدَّاعيةُ فِي أَقْرَبِ النَّاسِ إليهِ ، بالرَّغمِ مِنْ حِرْصِهِ علىٰ ذٰلِكَ ، لأنَّ ذٰلِكَ القَرِيبَ مَطْموسٌ علىٰ قَلْبِهِ .

٦ـ مِنْ حِكْمَةِ الله تعالىٰ إبقاءُ آثارِ القَوْمِ المُعذَّبينَ لِلْعِبْرةِ والاتِّعاظِ .

٧ـ انْتَشَرَتْ فاحِشَةُ اللّواطِ في بَعْضِ الدُّولِ التي تَدَّعي الحَضارةَ والمَدنيَّةَ فَضَرَبَهُمُ اللهُ بِأَنْواعٍ مِنَ الأمْراضِ الخَطيرةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ أ ـ حدِّدِ المَوْقِعَ الجَغرافيَّ لِقَومِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

ب ـ ومَا الفاحِشَةُ الَّتِي سَبقوا غَيْرَهم إليها ؟

٢ـ الشُّذوذُ في إتيانِ الذُّكْرانِ ، تأبَاهُ الفِطْرةُ ويَرْفُضهُ العقلُ . وضِّح ذٰلِكَ .

٣ـ مَا الذَّنبُ الَّذِي نَسَبوهُ لِلوطٍ وأَهْلِهِ ، وهدَّدُوهُمْ بِسببَهِ بالإِخراجِ والطَّرْدِ ؟

٤ـ فاحِشَةُ قومِ لوطٍ مُنْتَشِرَةٌ في هذا العَصْرِ ، فمَا أهمُّ الأَمْراضِ الَّتي عاقبَ اللهُ بِها أصْحابَها ؟

٥ـ كيفَ كانَ إهلاكُ قَوْمِ لوطٍ ؟

نَشاطٌ :

١ـ أَشارَتْ آياتُ سُورةِ الأَعْرافِ إِلىٰ أَنَّ القَوْمَ أَمَروا بإِخراجِ لوطٍ وأَهْلِهِ المُؤمِنينَ مِنْ بينِهِمْ ، لِذنبٍ عجيبٍ نَسَبوهُ لَهُم . اقرأْ الآياتِ ، وسجِّلْهَا في دفترِكَ ، واستخْرِجْ منها ذٰلِكَ الذَّنْبَ .

٢ـ اقرأْ قِصةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، في سُورةِ هُودٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها خُلاصةَ ما جَرَىٰ بينَ لوطٍ وقَوْمِهِ عندَما راوَدوهُ عنْ ضُيوفِهِ ، فِي اللَّيْلةِ الأَخيرةِ مِنْ حَياتِهِمْ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ - القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **الأَيْكَةِ** : غابَةٌ أَشْجارُها كَثيرَةٌ ، كانَ يَسْكُنُ فيها قَوْمُ مَدْيَنَ .
- **أَوْفوا ٱلْكَيْلَ** : أتمّوا المِكْيالَ عِندَما تَشْتَرونَ مِنَ النَّاسِ .
- **مِنَ ٱلْمُخْسِرينَ** : الَّذينَ يَنْقُصونَ المِكْيالَ ، ويأْكلونَ حُقوقَ النَّاسِ بالتَّطفيفِ .
- **زِنوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُستَقيم** : لِيَكُنْ ميزانُكُمْ سَوِيّاً مُسْتَقيماً عادلاً .
- **لاَ تَبْخسُوا ٱلنَّاسَ أَشْياءَهُمْ** : لا تَنْقُصوا النَّاسَ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِمْ بالتَّطفيفِ .
- **لا تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدينَ** : لا تَنْشُروا الفَسادَ في الأَرضِ .
- **ٱلْجِبِلَّةَ ٱلأَوَّلينَ** : خَلَقَ الخَلْقَ السَّابقينَ على نَفْسِ الخِلْقَةِ والصِّفَةِ والطَّبيعةِ البَشَرِيَّةِ .
- **مِنَ ٱلْمُسَحَّرينَ** : مِنَ الَّذينَ أَخَذَ السِّحْرُ عُقولَهُمْ .
- **كِسَفاً مِنَ ٱلسَّماءِ** : قِطَعُ العَذابِ الكَثيرةِ المُتَتابِعَةِ نازِلَةٌ مِنَ السَّماءِ .
- **يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ** : يَوْمِ الهَلاكِ ، والظُّلَّةُ سَحابَةٌ أَظَلَّتْهُم ، ولمَّا اجْتَمعوا تَحْتَها أَهْلَكَهُمُ اللهُ .

التفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، الَّتِي انتهت بنجاةِ لوطٍ وأَهْلِهِ المُؤْمنينَ وتَدْميرِ قَوْمِهِ الشَّاذينَ الكافرينَ .

وهٰذِهِ الآياتُ تَتحدَّثُ عَنْ قِصَّةِ شُعَيبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ أهلِ مَدْيَنَ . وكانُوا قريبينَ فِي المَكانِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ ، كَمَا كَانُوا قريبينَ مِنْهُم فِي الزَّمَانِ أيضاً .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .

بَعَثَ اللهُ شُعَيباً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نبيّاً رسولا إلىٰ قوم مَدْيَنَ ، وهُوَ واحدٌ منهُم ، وكانُوا يَسْكُنون جَنوبَ بلادِ الشَّام ، عِنْدَ غابةٍ كثيفةِ الأَشْجارِ ، ولهٰذا سُمُّوا « أصحابَ الأيكةِ » .

فَدَعاهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، والتَّخَلِي عَنِ الشِّرْكِ ، وإلىٰ تقوىٰ اللهِ ، وأَخْبَرَهم أَنَّهُ رَسولٌ لهُمْ ، يُبَلِّغُهُمُ الرِّسالَةَ بأمانةٍ ، وأَمَرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ وطَاعَتِهِ ، وأَخْبرَهُمْ أَنَّهُ لا يُريدُ مِنْهُمْ أَجْراً ولا مالاً ، لأنَّهُ يَبتغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ . ولكنَّهُمْ كَفروا بهِ وكذَّبوهُ .

﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

بعدَما نصَحَهُمْ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالنَّصائحِ العامَّةِ ـ التي نَصَحَ بها كُلُّ رَسولٍ قَبْلَهُ قَوْمَهُ ، كما تحدَّثتْ آياتُ السُّورَةِ السَّابقَةِ ـ انْتَقَلَ بِهِمْ لِيُعالِجَ أخطاءَهُمُ الخاصَّةَ الَّتي تَميَّزُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ . فقدْ كَانُوا يتلاعَبونَ فِي المَوازينِ ، ويأْكُلونَ حُقوقَ الآخرينَ ، ويُفْسِدونَ في الأَرْضِ ، فأَمَرَهُمْ بما يأتي :

ـ أَمَرَهُمْ بإيفاءِ الكَيْلِ عِنْدَما يَبيعونَ فَلا يُنقِصُوا مِنْهُ شَيْئاً ، وإيفائِهِ عِنْدَما يَشْتَرُونَ مِنَ الآخَرينَ فلا يَزِيدُوا عَلَيْهِ شَيْئاً ، فالواجبُ عَلَيهِمُ المُساواةُ في الأَخْذِ عِنْدَ الشِّراءِ ، والمُساواةُ في البَيْعِ عِنْدَ الإِعطاءِ . فيُعطونَ كَما يَأْخذونَ ، وَيأْخُذونَ كَما يُعطونَ .

ـ وأَمَرَهُم بِإقامةِ المِيزانِ ، بأَنْ يَكونَ ميزانُهُمْ سَوِيّاً عادِلاً مُسْتَقيماً ، لا يَزيدونَ فيهِ عندَما يَشْتَرونَ ، ولا يُنْقِصونَ مِنْهُ عندمَا يَبيعونَ .

ـ ونَهاهُم عن إنقاصِ النَّاسِ مِنْ أموالِهِمْ وأَشْيائِهِمْ وحُقوقِهِمْ ، في المَكاييلِ والمَوازينِ ، وفِي البَيْعِ والشِّراءِ ، وفي تَقْديرِ أثمانِ الأَشْياءِ ، وفِي سائرِ الحُقوقِ والواجباتِ . لأنَّ إنقاصَها وبَخْسَها ظُلْمٌ مُحرَّمٌ .

ـ ونَهاهُم عنِ الإفسادِ فِي الأَرْضِ ، حَيْثُ كانُوا يَقْطَعونَ الطَّريقَ ، ويَقومونَ بالغارَةِ والسَّلبِ والنَّهْبِ والاستيلاءِ علىٰ ما عندَ الآخرينَ .

وبعدما أنكر عليهم جرائمهمُ الأربعةَ ، خوّفهم من بطش الله الجبّار ، فهُوَ الَّذي خلقهُمْ ، وخلق من قبلَهُمْ الّذين كانوا أشدَّ منْهُم بطْشاً ، ومعَ ذلكَ أهلكَهُمْ اللهُ ودمّرَهُمْ ، فإنْ استَمرّوا على عُتوِّهِم وإفسادِهِمْ فسيُدمّرُهُمْ اللهُ كما دمّرَ منْ كان قبْلَهُمْ .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

رَفضَ القَوْمُ الكافِرونَ ما أمرَهُمْ بهِ شُعيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وما نَهاهُمْ عَنْهُ ، وأنكروا نُبُوّتَهُ ، وقالُوا لَهُ : أنْتَ لستَ نبيّاً رسولاً ، وإنّما أنْتَ مسْحورٌ ، أثّرَ السِّحْرُ فِيك ، وغلَبَ على عَقْلِك ، فكلامُكَ لا خيْرَ فيهِ!

ثُمَّ أنْتَ بَشرٌ مثْلُنا ، وواحِدٌ منّا ، فكَيْفَ خصّكَ اللهُ منْ بينِنا وجَعلَكَ نبيّاً ؟ إذنْ أنتَ كاذِبٌ في دَعواكَ النُّبُوّةَ!

﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ .

لم يَكْتَفِ القَوْمُ بتكْذيبِ شُعَيبٍ ـ علَيْه السَّلامُ ـ وإنّما اسْتَخَفّوا بهِ وبتَهْديدِه . فَقَدْ سبَقَ أنْ هدّدَهُمْ بوُقوعِ العَذابِ بِهِمْ إنِ اسْتَمَرّوا علىٰ كُفْرهِمْ ، فاسْتَخفّوا بذَلِكَ ، وقالُوا لَهُ : إنْ كُنْتَ صادِقاً في تَهْديدِك ووعيدِك ، فأَنْزِلْ علَيْنا قِطَعاً فِيها عذابٌ نازِلٌ مِنَ السَّماءِ ، كالصُّخورِ أَوِ الحِجارةِ ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ كُنْتَ كاذِباً .

وردَّ شُعيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ اسْتِخْفافِهِمْ واسْتِهْتارِهِمْ بإحالةِ ذَلكَ العَذابِ إلىٰ اللهِ ، وقالَ لهُمْ : اللهُ ربِّي أعْلَمُ بعَمَلِكُمْ ، ويُجازيكُمْ بهِ ، ويُوقِعُ العذابَ بكُمْ متىٰ شاءَ ، إنْ عاجِلاً أو آجِلاً .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

أحالَ شُعيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عذابَهُمْ إلىٰ اللهِ ، وَشاءَ اللهُ إيقاعَ العَذابِ بهِمْ ، بَعْدَ إصرارِهِمْ علىٰ كُفرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، ولمَّا طلبُوا إسْقاطَ العذابِ عَليْهِمْ منَ السَّماءِ ، أوْقعَ اللهُ بِهِمُ العَذابَ مِنْ جِنْسِ ما سَألوهُ ، حَيْثُ وجّهَ لهُمْ سَحابةَ أظلّتْهُمْ ، وظنُّوا أنَّ لَها ظِلاً ظَليلاً ، ولكِنَّ اللهَ أرْسَلَ عليْهِمْ مِنْها لَهَباً أحْرَقَهُمْ ، ورَجفَتِ الأَرْضُ بِهِمْ ، وأخذَتْهُمْ صَيْحةٌ أزْهقتْ أرْواحَهُمْ .

ولأنَّ اللهَ أحْرَقَهُمْ بتلْكَ الظُّلَّةِ ، سمَّىٰ ذلِكَ العَذابَ بعذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، وكانَ ذلِكَ العَذابُ شَديداً عَظيماً ، قَضىٰ عَليْهِمْ وأهْلَكَهُمْ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

جَعلَ اللهُ في قِصَّةِ شُعَيْبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِ مَدْينَ عِبْرةً وعِظَةً ، يَعْتَبِرُ بها المُؤْمنونَ ، أمّا الكَافِرونَ فإنّهُمْ عَنْها مُعرِضُونَ ، لأنَّهُ خَتَمَ علىٰ قُلوبِهِمْ ، واللهُ عزيزٌ في انْتِقامِهِ مِنَ الكافِرينَ ، رَحيمٌ بعبادِهِ المُؤْمنينَ .

وختمَ اللهُ بهذهِ الخاتِمَةِ القَصصَ السَّبعَ المَذْكورة في هذهِ السُّورةِ ، للدَّلالةِ على وُجُوبِ أخذ العِبْرةِ والعِظَةِ مِنْ كُلِّ قصَّةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بِقصَّةِ شُعَيْب وقَوْمِه مِنْ أنْباء الغيْبِ التي عرّفنا اللهُ بها .

٢ـ يَجبُ طاعةُ الرُّسُلِ فيما جاؤوا به

٣ـ التَّطْفيفُ في المِيزان مِنَ الجَرائمِ العُظْمى عِنْدَ الله

٤ـ الجرائمُ الاقْتِصاديّةُ وأكْلُ حُقوقِ الآخرينَ سَبَبُهُ عَدَمُ تقوى الله .

٥ـ على الدَّاعِيَةِ مُحاربَةُ المُنْكَرَاتِ المُتعلِّقةِ بالمالِ والاقْتِصادِ والنَّهْيِ عَنْ ظُلْمِ الآخَرين والاعتداء علىٰ حُقوقِهِمْ .

٦ـ الإفْسادُ في الأرْضِ يَقودُ إلىٰ تَخْريبِ الاقْتِصاد وتدميرِ الأمْوالِ .

٧ـ الاسْتِهْزاءُ بأصْحابِ الحقِّ وتَكْذيبُهُمْ وإيذاؤُهُمْ سَببٌ لنيلِ غَضَبِ اللهِ وعِقابِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ « الأَيْكَةِ » ولِماذا سُمّيَ قَوْمُ مدْين أصْحاب الأيْكةِ ؟ وما موْقِعُهُمْ الجغْرافيّ ؟

٢ـ أمَرَ شُعيْبٌ قَوْمَهُ بأمْرين ونَهاهُمْ عن نَهْيين ، اسْتخرجْ ذٰلك مِنْ آياتِ الدَّرس .

٣ـ اتَّهَمَ قَوْمُ مَدْيَنَ شُعَيْبا باتّهامَيْنِ ، وطلبوا منهُ طَلَبا غريبا ، اسْتخرجْ ذٰلك من الآيات .

٤ـ كَيْفَ عَذَّبَ اللهُ قَوْمَ مدْينَ ؟ أيِّدْ إجابتك بالدَّليلِ مِنْ آياتِ الدَّرسِ .

نَشاطٌ :

١ـ تَنهىٰ سُورةُ « المطفِّفونَ » عَنِ التَّطفيفِ في الكَيْلِ والوَزْنِ . اقرأْ الآياتِ الأولىٰ منْها . واشْرَحْ معنىٰ التَّطفيفِ الَّذي تنهَىٰ عنهُ ، واكتبْ ذٰلك في دفترِكَ .

٢ـ كَيْفَ تُوفِّقُ بَيْنَ تعذيبِ قوْمِ مدْين بالرَّجْفةِ والصَّيحَةِ والظُّلّةِ ، اكْتُبْ ذلكَ في دفْترِك .

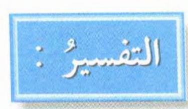
الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الثالِثَ عَشَرَ

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ** : جبريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .
- **زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ** : كُتُبِ اللهِ الّتي أَنْزَلَها عَلَىٰ الأَقْوامِ السَّابِقينَ ، كَالتَّوْرَاةِ والإِنْجيلِ .
- **آيَةً** : دَليلاً وَبُرْهاناً .
- **الأَعْجَمين** : غيرَ العَرَبِ ، الَّذينَ لاَ يَتَكَلَّمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ .
- **سَلَكْناهُ فِي قُلوبِ ٱلْمُجْرِمين** : أَدْخَلْنا التَّكْذِيبَ بِالْقُرْآنِ في قُلوبِ كُفَّارِ مَكَّةَ .
- **بَغْتَةً** : فَجْأَةً .
- **مُنْظَرون** : مُؤَخَّرونَ .
- **مُنْذِرونَ** : رُسُلٌ يُنْذِرُونَ أَهْلَها عَذابَ اللهِ .
- **ذِكْرَىٰ** : عِظَةً وَتَذْكِيراً .
- **مَا يَنْبَغي لَهُمْ** : لاَ يُمْكِنُ لَهُمْ وَلاَ يَتَيَسَّرُ .
- **مَعْزولونَ** : مَمْنوعونَ مِنَ السَّمْعِ بِإِرْسَالِ الشُّهُبِ عَلَيْهِمْ .



التفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ الأَقْوامِ السَّابقين وَما نزل بِهِمْ مِنَ العَذابِ لِكُفْرِهِمْ وَفسادِهِم وتَكْذيبِهِمْ .

وتَتحدَّثُ هَذهِ الآياتُ عَنْ مَصْدَرِ القُرْآنِ ، وَأَنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، أَوْصَلَهُ إلى رَسولِهِ ﷺ عَنْ طَريقِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ويَشْهَدُ لِصحَّةِ ذَلِكَ أَنَّ ذِكْرَهُ مَوْجودٌ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وعُلَماءُ أَهْلِ الكتابِ يَعْلمونَ ذَلِكَ ، كَمَا تَتحدَّثُ آياتُ هـٰذا الدَّرسِ عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، ومَوْقِفِهِمْ مِنَ القُرْآنِ والرَّسُولِ ﷺ وتهدِّدُهُم بِالعَذابِ إِنِ استمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتكْذيبِهِمْ ، وتُقَدِّمُ الأدلَّةَ علىٰ أَنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ .

القُرآنُ الَّذي كَذَّبَ بهِ المُشْرِكونَ هُوَ كَلامُ اللهِ ، المُنَزَّلُ على رَسولِه مُحمَّدٍ ﷺ واللهُ هُوَ الَّذي أَوْحَىٰ بهِ لِلرُّوحِ الأَمينِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ بهِ علىٰ قَلْبِ رَسولِه مُحمَّدٍ ﷺ فنفَّذَ جبْريلُ أَمْرَ رَبِّهِ ، وتَلقَّىٰ الرَّسولُ ﷺ منهُ القُرآنَ كما هُوَ ، مِنْ دونِ زيادةٍ أو نُقْصانٍ .

وشاءَ اللهُ الحَكيمُ أَنْ يَكونَ القُرآنُ بلُغةٍ عربيّةٍ فَصيحةٍ بَليغةٍ مُعْجِزَةٍ ، لِيكونَ مُيسَّراً مَفهوماً .

وأَمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أَنْ يُنذرَ الكُفَّارَ بالقُرآنِ ، ويخوِّفَهُمْ عَذابَ اللهِ ، ويُبشِّرَ بالجَنَّةِ والنَّعيمِ ، وهُمْ يَفْهَمونَ الإنذارَ والتَّخويفَ لأَنَّهُ بلُغَتِهِمْ ، فإنْ كفروا بَعْدَ ذٰلكَ كانَ كُفرُهُمْ عِناداً واستكباراً .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾

مَعَ أَنَّ اللهَ أنزلَ القُرآنَ بلسانٍ عربي مُبينٍ إلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ غَريباً علىٰ أَهْلِ الكِتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارىٰ ، لأنَّ كُتبَهُمُ الَّتي أَنْزلَها اللهُ إِليْهِمْ ـ كالتَّوراةِ والإنْجيلِ ـ ذَكَرَتِ القُرآنَ ونَوَّهتْ بهِ ، كما ذَكَرَتْ صِفاتِ الرَّسولِ الخاتَمِ ﷺ وبشَّرَ بهِ الأَنْبياءُ السَّابِقونَ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وأَمَرُوا أَقْوامَهُمْ بالإِيمانِ بهِ عندَ بَعْثَتِهِ .

أَلاَ يَكفِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ آيةً ودَليلاً عَلىٰ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، عِلْمُ عُلماءِ بني إسرائيلَ بهِ ، وأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وقدْ عَلِمُوا ذٰلكَ مِنْ كُتبِهِمُ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ عَلَيْهِمْ . قالَ تَعالَىٰ : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إِسْرائيلَ على مِثْلِهِ فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾ [الأحقاف : ١٠] .

ولٰكنَّ أَهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارىٰ كَفَرُوا بالقرآنِ وبالرَّسولِ ﷺ مَعَ عِلْمِهِمْ بهِ ، فكانَ كُفرُهُمْ عِناداً واسْتِكباراً وحَسَداً .

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

الأَدِلَّةُ السَّابِقَةُ علىٰ أَنَّ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَمْ تُؤثِّرْ في المُشْرِكينَ ، ولَمْ تأْخُذْ بأيديهِمْ إلىٰ الإِيمانِ ، لأنَّهُم مُعانِدونَ مُسْتَكْبِرونَ ، ومَهْما جاءَتْهم دَلائِلُ وآياتٌ فَلَنْ يُؤمِنوا ، فلَوْ أَنَّ اللهَ أَنْزلَ القُرآنَ العَرَبيَّ المُبينَ المُعجزَ علَىٰ رَجُلٍ أعْجَمِيٍّ ، لا يَعْرِفُ مِنَ اللُّغَةِ العربيَّةِ كَلِمةً واحدةً ، ثم جاءَ وقرأهُ عَلَيْهِمْ قِراءةً عَربيَّةً بيِّنَةً ما آمنوا بهِ ، بسبَبِ عِنادِهِمْ وتعنُّتِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

هٰذا تأكيدٌ علَىٰ عِنادِ الكُفَّارِ ، فالتَّكذيبُ بالقُرْآنِ داخلٌ قُلوبَهُمْ ، مُتَمَكِّنٌ منْهُمْ ، ولِذٰلكَ لاَ يَقبلونَ أيَّ بُرْهانٍ أوْ دَليلٍ ، والكُفْرُ عِنْدَهُمْ مَوْقفٌ مُسْبَقٌ لا تَراجُعَ عَنْهُ ، وسَيبقوْنَ كافِرينَ مُكذِّبينَ حتَّىٰ يروُا العَذابَ الإلهيَّ ، ويَوْمَها لاَ تنفعُهُمْ حُجةٌ ، ولا تُغيِّرُهم آيةٌ .

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

بعدَ أنْ بيَّنتِ الآيةُ السَّابِقةُ اسْتمرارَ الكُفَّارِ في التَّكذيبِ حتَّىٰ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ الأليمُ ذَكَرَتْ هٰذهِ الآياتُ أَنَّ ذٰلِكَ العذابَ سَيأتيهِمْ فَجأةً ، مِنْ دُونِ مَوْعدٍ أَوْ مُقَدِّماتٍ ، ومِنْ دونِ أنْ يَشْعروا هُمْ بمجيئهِ ، أوْ يَسْتَعِدُّوا لَهُ .

وعِنْدَمَا يُفاجَأونَ بهِ يَتمنوْنَ الإمهالَ والإِنْظارَ والتَّأْخِيرَ ، ويقولونَ : يا ربَّنا أخِّرْ عنَّا العَذابَ ، وأَعْطِنَا فُرْصَةً أُخرىٰ لِنُؤْمِنَ! ولنْ يَتحقَّقَ ذلكَ لهُمْ .

ومَعَ أَنَّهم عاجِزونَ عَنْ دَفْعِ العَذابِ عَنْهُمْ ، فإِنَّهُمْ لِحَماقَتِهِمْ وجَهْلِهِمْ يَسْتَعْجِلونَ ذلكَ العَذابَ ، ويَطْلبونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ أنْ يُوقِعَهُ بهِمْ ، بَلْ يَدعونَ ربَّهُمْ أنْ يُوقِعَ العَذابَ بِهِمْ! كمَا قالَ تعالىٰ : ﴿وإِذْ قالوا اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ في هٰذهِ الآيةِ رَسولَهُ ﷺ ويُبيِّنُ لهُ أَنَّ الكافِرينَ يَطلبونَ الإنظارَ والإمهالَ فلا يُجابونَ لذلكَ ، لأنَّهُ لَنْ يَنْفَعَهُمْ ، ومَهْما متَّعَهُمُ اللهُ برَغَدِ العَيْشِ في الدُّنْيا ، واسْتَمرَّ ذلكَ التَّمتعُ سنينَ مُتَعدِّدةً ، فإِنَّه لا يَنْفَعُهُمْ ولا يُغنِي عَنْهُمْ ، لأنَّهُ لا فَائدةَ مِنْ تمتُّعٍ ونعيمٍ يَعْقُبُهُ عَذابٌ أليمٌ ، والكُفَّارُ ذَاهِبونَ إلىٰ النَّارِ ، ويَنْسَونَ فيها كلَّ مُتعِ الحياةِ الدُّنيا . قالَ تعالَىٰ : ﴿ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثوا إلاَّ ساعةً مِنَ النَّهارِ يَتعارَفونَ بَيْنَهُم﴾ [يونس : ٤٥] .

روىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بنِ مالك ـ رضي اللهُ عنهُ ـ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُؤْتىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القيامةِ ، فَيُصْبَغُ في النَّارِ صِبْغَةً ، ثُمَّ يُقالُ : يا ابْنَ آدم : هَلْ رَأَيْتَ خيْراً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ ؟ فيَقُولُ لا واللهِ يا ربِّ » .

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

وبِمُناسبةِ الحَديثِ عَنِ العَذابِ تُقرِّرُ الآياتُ سُنَّةَ اللهِ في ذلك ، القَائمةَ علىٰ عَدْلِه التَّامِّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ . فإنَّهُ لَمْ يُهلِكْ قرْيةً ، ولَمْ يُدمِّرْ قوْماً ، إلاّ بعدما أرْسَلَ إليهِمْ رُسُلاً مُبشِّرين ومُنذِرين يُذكِّرونَهُمْ ويَدْعونَهُمْ ويُقيمون عليهِمُ الحُجّةَ ، فيُعذِّبُهُمُ اللهُ بعدَ ذلكَ بظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، وهُوَ لا يَظْلِمُ أحداً .

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ .

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقةُ مِنَ الدَّرسِ لأدِلّةَ علىٰ أنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ ، وهدَّدتِ المُشركينَ بالعَذابِ إنِ اسْتَمَرُّوا في تَكْذيبِهِم بهِ .

وهٰذهِ الآياتُ تردُّ مَزاعِمَ المُشْرِكينَ أنَّ القُرْآنَ مِن كهانةِ الشّياطينِ ، نزلتْ علىٰ مُحمَّدٍ ﷺ فتُقرِّرُ أنَّ الشَّياطينَ لَمْ تَنزِلْ بآياتِ القُرآنِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ويَمْتَنعُ ذٰلك عليْهَا منْ ثلاثةِ أوْجهٍ :

١ـ القرآنُ لا يَتَّفِقُ مَعَ أهدافِ الشَّياطينِ ، لأنَّهُ هُدىً ونورٌ ، وأهْدافُهم هِيَ الإفسادُ والإضْلالُ ، فبيْنَ القُرْآنِ وأهْدافِ الشَّياطينِ تَعارُضٌ أصيلٌ ، ولِهذا قال : ﴿وما يَنْبَغي لَهُمْ﴾ .

٢ـ الشَّياطِينُ لا تَسْتَطيعُ حَمْلَ القرآنِ وإنزالِه : ﴿وما يَسْتطيعونَ﴾ .

٣ـ الشَّياطينُ لا تَسْتَطيعُ الوُصولَ إلىٰ أصْلِ القرآنِ ومَصْدرِه ، لأنَّهُمْ معزولونَ عنِ اسْتراقِ السَّمْعِ إلىٰ السَّماءِ ، وقدْ مَلأَ اللهُ السَّماءَ حَرَساً شَديداً وشُهُبا ، لِتَمْنَعَ الشَّياطينَ مِنَ الاسْتِماعِ

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ الدَّاعِيَةِ ألاّ يُقصِّرَ في تَقديمِ الأدلَّةِ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، وإبطالِ شبهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَهُ .

٢ـ مَصْدَرُ القُرْآنِ هُوَ اللهُ جاء بهِ جبْريلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ إلى الرَّسولِ ﷺ .

٣ـ أهلُ الكتابِ يَعْلَمونَ أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، لكنَّهُمْ يَكْفُرونَ بهِ عِناداً وحَسَداً .

٤ـ كُفْرُ الكافِرينَ قائِمٌ علىٰ العِنادِ والاستكبارِ ، وهٰذا لا يَنْفَعُ مَعَهُ أيُّ دَليلٍ .

٥ـ لا يَستعجلُ العذابَ إلا جاهِلٌ أحمَقُ ، ولا يُنظَرُ الكافِرونَ ويُمهَلونَ عندما يطلبونَ ذٰلِكَ .

٦ـ كلُّ مَتاعِ الدُّنْيا وإنْ طالَ لا يُساوي غَمْسَةً فِي نارِ جَهنَّمَ مُدَّتُها لَحْظَةٌ .

٧ـ اقْتَضتْ حكْمَةُ الله تعالىٰ أنْ لا يُعذِّبَ أحداً إلاَّ بعدَ إنذارِهِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عليْه .

التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثلاثةَ أدلَّةٍ علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ الله .

٢ـ أخْبرَتِ الآياتُ أنَّ القُرْآنَ في كُتُبِ السَّابقينَ . كيْفَ ؟ ولِمَاذا اعْتَبرَتْ هٰذا آيةً ؟

٣ـ متَى يُؤْمِنُ الكُفَّارُ ؟ وَهَلْ يَنْفَعُهُمْ ذَلكَ الإيمانُ ؟ ولماذا ؟

٤ـ مَاذا يُساوي مَتاعُ الدُّنْيا بالنِّسبةِ لِعذابِ الآخِرَةِ ؟ اسْتشْهِدْ علىٰ ذَلكَ بآيةٍ وحَديثٍ .

٥ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُنَّةَ الله في إهْلاكِ الكُفَّارِ ، واسْتَشهِدْ علىٰ ذلكَ بآيةٍ أُخرىٰ .

٦ـ الشَّياطينُ لا تَسْتَطيعُ إنزالَ القُرآنِ مِنْ ثلاثةِ أَوْجهٍ . استخْرِجْهَا مِنْ هذهِ الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ سورةَ التَّكويرِ وسَجِّلِ الآياتِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنْ صِفاتِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبيِّنْ معانِيَ تلكَ الصِّفاتِ ، واكتبْهَا في دفترِكَ .

٢ـ بِمعنىٰ هٰذهِ الآياتِ الآيةُ رقمُ (١١١) منْ سورةِ الأنعامِ . سجِّلْها فِي دَفْترِكَ ، وبيِّنْ وَجْه اتفاقِها مَعَ الآياتِ (٢٠٠ـ٢٠١) .

٣ـ الآيةُ (٥٩) مِنْ سورةِ القَصصِ بِمَعْنىٰ هذهِ الآيةِ . اكْتُبْهَا في دَفْترِكَ ، ثُمَّ بيِّنْ وَجْهَ التوافقِ بينَها وبَيْنَ الآيتينِ (٢٠٨ـ٢٠٩) .

٤ـ اعْتَرفَ الجِنُّ بوجودِ حُرَّاسٍ منَ المَلائكةِ يمنعون صُعودَهُمْ إلىٰ السَّماءِ ، وَوردَ هٰذا في الآيتَيْنِ (٨ـ٩) مِنْ سورةِ الجنِّ . اكتبْهما وسَجِّلْ مَعناهُما بإيجازٍ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامنُ والعِشرونَ

سُورَةُ الشُّعَراءِ - القِسْمُ الرابِعَ عشَرَ

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَنْذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ** : أَنْذِرْ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَهُمْ بَنو هَاشِمٍ وَبَنو المُطَّلِبِ .
- **ٱخْفِضْ جَناحَكَ** : أَلِنْ جانِبَكَ وَحَسِّنْ خُلُقَكَ .
- **يَراكَ حِينَ تَقومُ** : يَراكَ اللهُ حينَ تَقومُ لِصَلاةِ التَّهَجُّدِ وَحْدَكَ .
- **وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ** : يَراكَ اللهُ حينَ تُصَلِّي بَيْنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ أَصْحَابِكَ .
- **أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** : كَذَّابٍ مُفْتَرٍ فاجِرٍ .
- **ٱلْغَاوونَ** : الضَّالُّونَ الْمُتَّبِعونَ لِلْبَاطِلِ .
- **فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمونَ** : يَسِيرونَ هَائِمينَ عَلى وُجوهِهِمْ مِنْ غَيْرِ هُدىً .
- **أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ** : إِلىٰ أَيِّ نِهايَةٍ يَسِيرونَ .

التَّفسيرُ :

فِي القَصَصِ الَّتي وَرَدَتْ في السُّورةِ تَسْلِيَةٌ ومُواساةٌ لِلرَّسولِ ﷺ علىٰ ما يَجِدُهُ مِنْ أذىً قومِهِ وتكْذِيبِهِمْ .

وخُتِمَتِ السُّورةُ بهذهِ الآياتِ الَّتي قدَّم اللهُ ـ تعالىٰ ـ فيها التَّوْجيهاتِ للرَّسولِ ﷺ ليقوم بواجبه في الدَّعْوة .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ .

بدأتِ التَّوجيهاتُ الرَّبانيَّةُ لِلرَّسولِ ﷺ بنَهْيِهِ عَنْ دُعاء إلٰهٍ آخرَ معَ اللهِ ، لأنَّ ذلكَ شرْكٌ باللهِ ، ومَنْ فعَلَ ذلكَ يَكونُ مُعذَّباً في جَهَنَّمَ . والرَّسولُ ﷺ مَعْصومٌ من الشِّرْكِ ، لكنَّ تهْديدَهُ يدُلّ على أهميَّةِ خُطورةِ ذلِكَ ، والمَقْصودُ إحداثُ هزَّةٍ عَنيفةٍ في قُلوبِ المُشْركين لِيَتخلَوْا عنْ ما هُمْ عليْه .

وعلَىٰ الرَّسولِ ﷺ بعدَ الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ أنْ يَتوجَّهَ إلىٰ دعْوة الآخَرينَ إلىٰ توْحيدِ اللهِ ، وأنْ يبْدأَ في ذلكَ بالأقْربِ فالأقْرَبِ ، فيُنْذِرُ أفرادَ عَشيرتِهِ الأقْربين ، ثُمَّ يُنذرُ الأبعدَ منْهُمْ ، ثُمَّ الأبْعَدَ ، حتَّىٰ تَصِلَ دَعْوَتُهُ إلىٰ النَّاسِ جَميعاً . قالَ تعالَىٰ : ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً﴾ [الفرقان : ١] .

وقدْ نفَّذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأمْرَ المُوجَّهَ إليْهِ في هذهِ الآيةِ ، وذَلِكَ مُنْذُ بدايةِ الدَّعْوَةِ الجَهْرِيَّةِ في مَكَّة .

روىٰ البُخاريُّ عن ابنِ عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال : لمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تعالَىٰ : ﴿وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْربينَ﴾ صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الصَّفَا ، فَجعَلَ يُنادي : يا بَني فِهْرٍ ، يا بَني عدِيّ ، حتَّىٰ اجْتَمَعوا . فجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ ما هُو!

فقالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بالْوَادي تُريدُ أنْ تُغير عليْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصدِّقيَّ ؟

قالوا : نَعَمْ . مَا جَرَّبْنا عَلَيْكَ إلاَّ صِدْقاً .

قالَ : فإنِّي نَذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي عَذابٍ شَديدٍ!

فقالَ لَهُ أَبو لَهَبٍ : تَبّاً لَكَ سائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهـٰذا جمَعْتَنا ؟

فَأَنْزَلَ اللهُ قوْلَهُ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿تبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وما كَسَبَ﴾[1] .

وَهكَذا نفَّذَ رسولُ اللهِ ﷺ ما أمَرَهُ اللهُ بِهِ ، وأنذَرَ عَشيرتَهُ الأقْربين .

وَأمرَ اللهُ ـ سُبحانَهُ وَتَعالَىٰ ـ رَسولَهُ ﷺ بإحْسانِ مُعاملةِ المُؤْمنينَ ورَحْمَتِهِمْ والرِّفْقِ بِهِمْ ، بأنْ يَخْفِضَ جَناحَهُ ، ويُلينَ جانبَهُ ، ويَتَواضَعَ لَهُمْ ، فهـٰذا أطْيَبُ لِقُلوبِهِمْ ، وأزْكىٰ لَهُمْ .

أمَّا الكافرونَ الَّذينَ رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وأصَرّوا علىٰ عِصْيانه ، فَلا عَلَيْه مِنْهُمْ ، حَيْثُ قامَ بواجبه في

---

(١) صحيح البخاري : (٦٥) كتاب التفسير . تفسير سورة الشعراء . حديث رقم : ٤٧٧٠ .

دعوتهم وإنذارهم ، وعليه أن يصارحهم ببراءته من أعمالهم الباطلة : الناتجة عن شركهم بالله .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ .

وبعدما وجه الله رسوله ﷺ إلى التصرف مع أتباعه ومع أعدائه ، وجهه إلى توثيق صلته بربه ، وقال له : توكل على الله ، وفوض جميع أمورك إليه ، وهو العزيز القوي الغالب لأعدائه ، الرحيم بأوليائه .

وهو سبحانه وتعالى يراك أينما كنت ، ويراك عندما تقوم تصلي صلاة التهجد وحدك ، ويراك عندما تصلي مع أصحابك المصلين الساجدين ، تتقلب معهم في الركوع والسجود ، والقيام والقعود .

وعبّر عن المصلين بالساجدين ، لأن العبد أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد .

والله بصير يرى كل شيء ، وسميع يسمع كل شيء ، وعليم يعلم كل شيء ، لا يخفى عليه شيء .

قال تعالى : ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون عملا إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ [يونس : ٦١] .

والمقصود من هذا التوجيه أن يشعر الرسول ﷺ بالرعاية والعناية والحفظ ، وأن الله يؤيده ويحفظه وينصره .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ .

أقامت الآيات السابقة الأدلة على أن القرآن كلام الله ، وذكرت أنه لا يمكن أن تتنزل به الشياطين ، لأنهم معزولون عن السمع .

وبينت هذه الآيات أن الشياطين لا تنزل على رسول الله ﷺ وإنما تنزل على جنودها من الكهنة والشعراء وأصحاب الباطل .

يأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمشركين : هل أخبركم على من تنزل الشياطين ؟

إنها تتنزل على كل أفاك مفتر كذاب ، فاجر فاسق أثيم ، من الكهنة الدجالين ، الذين يصغون سمعهم إلى شياطينهم ، يتلقون منهم وحيهم الزائف الكاذب ، لأن أكثر الشياطين كاذبون في ما يوحون به إليهم ، وأكثر الكهنة كاذبون فيما ينسبونه إلى الشياطين .

وإذا كانت الشياطين تنزل على الكهنة الكاذبين ، فإنها لا تنزل على رسول الله ﷺ لأنه صادق فيما يقول .

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ .

بعدَ أنْ نفىٰ اللهُ عَنْ رسولهِ الكَهانَةَ ، نفىٰ عنهُ أنْ يكونَ شاعِراً ، ونَفىٰ عَن القُرآنِ أَنْ يكونَ شعْرا ، وفرّق بيْنَ رسولِ اللهِ ﷺ وبيْنَ الشُّعراءِ .

فالشُّعراءُ يتبعُهُم الضَّالُّونَ ، المُنْحرفونَ عَنِ الحقِّ ، وأتْباعُ الرّسولِ ﷺ هُمْ المُهتدُون المُسْتقيمونَ .

ومُحَمَّدٌ ﷺ ليسَ شاعِراً ، لأنَّ كَلامَهُ حقٌّ وصِدْقٌ ، وكلامُ الشُّعراءِ زَيْفٌ وباطِلٌ ، فهُمْ يخوضونَ في كلِّ فنٍ منَ الكلامِ ، ويتناقَضون مَعَ أنفسِهِمْ ، وَيذمُّون منْ مَدَحوهُمْ ، وهمْ كاذِبون في كلامِهِمْ ، وَيقولونَ ما لا يفْعَلون .

إنَّ ما عَليهِ الشُّعراءُ مُخالِفٌ لِما عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ فلا يُمْكنُ لَهُ أنْ يكونَ شاعِراً .

ومِنَ الإنصافِ أَنَّ ذلك الوَصْفَ العامَ يَنْطبقُ علىٰ مَعظَمِ الشُّعراءِ ، وهُمْ أصحابُ الباطلِ ، ويُستثنَىٰ مِنْ ذلكَ قِلَّةٌ من الشُّعراءِ المُسْلمينَ الصّالحينَ ، فهُم ليسُوا ضالِّينَ ، ولا يتّبعُهُمُ الغاوُونَ ، ولا يَهيمون في كُلِّ وادٍ ، ولا يَقُولونَ ما لا يَفْعلون .

وهؤلاءِ الشُّعراءُ المُسْتَثْنَوْن لابدَّ وأنْ يتّصفُوا بأربعِ صفاتٍ هي : الإيمانُ باللهِ ، والإكثارُ مِنَ العملِ الصّالحِ ، والإكثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ في شعْرِهِمْ ، ونُصْرَةُ الحقِّ وأهْلِهِ ، هؤلاءِ صالِحون محْمودونَ عِنْدَ اللهِ .

وختمَ اللهُ لسُورةِ بالتّهديدِ والوعيدِ للكافرينَ الظّالمينَ ، فهُمْ ظَلَمُوا أنفسَهُمْ بالكُفْرِ والإعراضِ عنِ الحقِّ ، وكذّبُوا الرُّسُلَ ، وعِنْدَمَا يَموتونَ سيذهبونَ إلى العذابِ ، ويوْمَ القِيامةِ مَصيرُهُمْ إلىٰ النّارِ ، وهُو أَقْبحُ مَصيرٍ ، وعِنْدَ ذلكَ يَعْلَمونَ أيَّ مُنْقلبٍ ينْقلبون!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَجوزُ دعاءُ غَيْرِ اللهِ ، فإنّهُ شِرْكٌ وضَلالٌ .

٢ـ كلُّ مَنْ عَمِلَ عَملاً يُجزَىٰ بهِ ، ولاَ مُحاباةَ عِنْدَ اللهِ ، ولاَ اسْتثناءَ أَوْ تمييزَ في الإسلامِ .

٣ـ وُجوبُ تَبْليغِ الدّعْوَةِ إلىٰ الأَقْرَبِ فالأَقْرَبِ . والقرابَةُ في النّسَبِ لا تَنْفعُ إذا لَمْ يَتبَعْها عَمَلٌ صالِحٌ .

٤ـ وُجوبُ التَّواضُعِ ولِينِ الجانبِ وحُسْنِ الخُلُقِ مَعَ الأتْباعِ والأصْحابِ والإخوانِ .

٥ـ المُؤْمِنُ يَسْتَشعِرُ دائماً أنَّهُ في حِفْظِ اللهِ وعِنايَتِهِ ورِعايتِهِ ، فَيَزْدادُ توكُّلاً عَلَيْهِ وذِكْراً لَهُ .

٦ـ الكَذِبُ والافْتِراءُ سَبيلٌ لإغواءِ الشَّياطينِ واسْتِحْواذِهِمْ علىٰ مَنْ يقومونَ بذلكَ .

٧ـ القُرآنُ وحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ولَيْسَ مِنَ الشَّياطينِ ولا الكُهَّانِ ولا الشُّعَراءِ .

٨ـ الَّذين تتنزَّلُ عَلَيْهِمُ الشَّياطينُ ضالّونَ مُفْتَرونَ ، ولَيْسوا بصالِحينَ أخْيارٍ .

٩ـ مَدْحُ الشُّعراءِ المُسْلِمينَ المُلْتَزِمينَ الَّذينَ يَنْصُرونَ الحَقَّ ويُواجِهونَ الباطِلَ بأشْعارِهِمْ حَقٌّ وواجِبٌ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ طَبَّقَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَمْرَ اللهِ لَهُ ﴿وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ﴾ ؟

٢ـ النَّاسُ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنَ الدَّعوةِ صِنفانٌ . اسْتَخرِجْهُما مِنَ الآياتِ ، وطَريقةَ التعامُلِ مَعَ كُلِّ صِنفٍ .

٣ـ أنتَ قدْ تُصلِّي علىٰ حَالَتَيْنِ ، يَراكَ اللهُ فيهِما . استخرِجِ الحالَتَينِ مِنَ الآياتِ .

٤ـ اذْكُرِ الصِّفاتِ التّي أَوْرَدَتْها الآياتُ لِمَنْ تَتنزَّلُ عَلَيْهِمُ الشَّياطينُ .

٥ـ مَنْ هُمُ الشُّعراءُ المَذْمومُونَ والشُّعراءُ المَمدوحُونَ في الآياتِ ؟ اسْتخرِجْ صِفاتِ كُلِّ فَريقٍ مِنَ الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ امْتَنَّ اللهُ علَىٰ رَسولِهِ فِي سُورَةِ آلِ عِمرانَ بأنْ جَعَلَهُ لَيِّناً لأَصْحابِهِ ، ولَيْسَ فظّاً غَليظَ القَلْبِ ، اسْتَخْرِجْ أَخْلاقَ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّتي تُقَرِّرُها تِلْكَ الآيَةُ .

٢ـ الآياتُ الأخيرةُ مِنْ سورةِ الحَاقَّةِ نفَتْ عَنِ الرَّسولِ أنْ يَكونَ شَاعِراً أَوْ كاهِناً أَوْ كاذِباً . سَجِّلْها في دَفْتَرِكَ وبيِّنْ الاتفاقَ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٢٢٤ـ٢٢٦) .

٣ـ اذكرْ أَسْماءَ ثلاثةِ شُعراءَ مِنَ الصَّحابةِ . وأَسْماءَ ثلاثةِ شُعراءَ مُعاصِرينَ صَالِحينَ .

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ النَّملِ مَكِّيَّةٌ ، نَزَلَتْ بعدَ سُورةِ الشُّعراءِ ، وهِيَ السُّورةُ الثَّانيةُ مِنْ سُوَرِ « الطَّواسِين » لأنَّهَا مفتَتحةٌ بالحرفينِ : طَا . سِينْ .

وسُمِّيَتْ بهٰذا الاسْمِ لِوُرودِ حَديثِ النَّملةِ عِنْدَما مَرَّ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِوادِي النَّملِ .

ومَوْضوعُ السُّورةِ هُوَ العقيدةُ ، بِتَقْريرِ الإيمانِ باللهِ ، وعَرْضِ الأَدِلَّةِ علىٰ الوَحْدَانيَّةِ وإِبطالِ الشِّرْكِ ، واليَقينِ بِالآخِرَةِ وَما فِيها مِنْ ثوابٍ وعِقابٍ .

ويَأْتي القَصَصُ فِي السُّورةِ لتَثبيتِ المَعاني الَّتي قَرَّرَتْها ، وبَيانِ عاقبَةِ المُؤْمنينَ والكافِرينَ ، وسُنَّةِ اللهِ المُطَّرِدَةِ في ذٰلِكَ . والقَصَصُ الوَارِدةُ في السُّورةِ : قصةُ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وقصةُ داودَ وسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وتفرَّدَتِ السُّورَةُ بالحَديثِ عنْ قِصَّةِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ النَّمْلَةِ فِي وادِي النَّمْلِ ، ومَعَ الهُدْهُدِ ، الَّذي أَرْسَلَهُ إِلىٰ اليَمَنِ ، وإِسْلام مَلِكَةِ اليَمَنِ وقَوْمِها ، وتَحدَّثَتْ عَنْ قِصَّةِ صَالحٍ ، وقِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ	الْقُرْآنُ هادٍ ومُبَشِّرٌ لِلْمُؤْمِنين .
بِٱلۡآخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ	يُصَدِّقونَ بالآخِرةِ تَصْديقاً . حازِماً لاشَكَّ فِيهِ .
زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَالَهُمۡ	جَعَلْنَاهُمْ يُحِبّون أَعْمالَهُمُ السَّيِّئَةَ وَيُعْجَبون بِها .
يَعۡمَهُونَ	يَتَرَدَّدونَ وَيَتَحَيَّرونَ .
مِن لَّدُنۡ	مِنْ عِنْدِ .

التفسيرُ :

بَدَأَتِ السُّورةُ بالحَرْفَينِ المُقَطَّعيْنِ « طا . سينْ » . ثُمَّ قرَرَتْ أَنَّ القُرْآنَ مُبينٌ ، وأَنَّهُ هادٍ ومُبَشِّرٌ للمُؤْمنينَ ، وذكَرَتْ أهمَّ صفاتِ المُؤْمنين ، في مُقابِلِ أهمِّ صِفاتِ الكافِرين المُنْكرين للآخرة .

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ .

أَنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ بلسانٍ عربيٍّ بيِّنٍ واضحٍ ، وافْتتح بعْضَ سُوَرِه بحُروفٍ مُقَطَّعةٍ ، مِثْلِ هذهِ السُّورةِ الَّتي افْتُتِحتْ بالحرْفين « طا . سينْ » وذلك لتَنْبيهِ الكافرين إلى أَنَّ هـٰذا القُرْآنَ مُرَكَّبٌ من مثل هـٰذهِ الحُروفِ ، وفي هذا إثباتُ إعْجازِ القُرْآنِ

والآياتُ المُكوَّنةُ من الكلماتِ العربيّةِ المُؤلَّفةِ مِنْ هـٰذه الأحْرُفِ هي آياتُ القُرْآنِ الكريم ، وهـٰذا القُرْآنُ كتابٌ مكتوبٌ في السُّطورِ ، وهُو واضِحٌ بَيِّنٌ ، سَهْلٌ مُشْرِقٌ .

والقرآنُ مُشْتَقٌّ مِنَ القراءةِ ، والكتابُ مُشْتَقٌّ من الكِتابةِ . وتَسْمِيةُ كتابِ اللهِ بهـٰذيْنِ الاسْمَيْنِ : القُرْآنِ والكتابِ ؛ يُشيرُ إلىٰ أَنَّهُ محْفوظٌ بهاتَيْنِ الوسيلتَيْنِ : القِراءةِ والحِفْظِ ، والكِتابةِ والتَّدْوينِ .

﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ .

آياتُ القُرْآنِ الكِتابِ المُبينِ هُدىً وبُشْرىٰ لِلْمُؤْمنينَ بهِ ، المُعْتَقِدين أَنَّهُ كلامُ اللهِ ، فالقرآنُ هادٍ لَهُمْ ، يدلُّهُمْ علىٰ ما يُريدُ اللهُ مِنْهُمْ ، ومُبَشِّرٌ لهُمْ بالجنَّةِ والنَّعيم .

وإنَّ الاهْتِداءَ بالقُرْآنِ والبشارةِ به لا تَحْصُلُ إلا لِمَنْ آمنَ بِهِ ، وعمِلَ بما فيهِ . أمَّا الكافِرون المُنْكِرونَ لهُ فإنَّهُمْ يزْدادون ضَلالاً

كلُّ آياتِ القُرْآنِ هُدىً ، وكلُّها بُشْرى ، ولذلك قالتْ الآيةُ ﴿هُدىً وبُشْرىٰ﴾ ولَمْ تَقُلْ : فيهِ هُدىً

وبُشْرَىٰ . وعَبّرتْ عَنِ الاهْتداء والبِشارةِ بالمَصْدرِ ﴿هُدًى وبُشْرَىٰ﴾ ولمْ تُعبِّرْ باسمِ الفاعلِ : هادٍ ومُبَشِّرٍ ؛ للمُبالَغةِ في تأكيد وتحْقيقِ الهُدىٰ والبُشرىٰ للمُؤمنينَ بالقُرآنِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

القرآنُ يَهْدي ويُبَشِّرُ المُؤْمنين ، ويُؤثِّرُ فيهِمْ ويُربِّيهِمْ ، وهُمْ يُنفِّذونَ الأوامرَ المَوْجودَةَ فيهِ : يُقيمونَ الصَّلاةَ علىٰ أكْمَلِ وُجوهِها وأفْضلِها ، ويُؤدُّونَ الزكاةَ علىٰ أتَمِّ حالاتِها . ويلْتَزِمونَ بكُلِّ ما أمَرَهُمُ اللهُ به ، وينْتَهونَ عنْ كُلِّ ما نهاهُمُ اللهُ عَنْهُ ، ويسْتَقيمونَ في حَياتِهِمْ على شَرْعِ اللهِ .

وهُمْ يعلمونَ أنَّ الدُّنْيا زائلةٌ ، ولذلكَ يُوقِنونَ بالآخرةِ ، ويُصَدِّقونَ بما فيها منْ مشاهدَ وأحْداثٍ ، ويَسْتَعِدُّونَ لها بِصالحِ الأعْمالِ ، ويطلبونَ الجنّةَ ونعيمَها .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

بعدَما ذكرت الآياتُ أهَمَّ صفاتِ المُؤْمنينَ المُهتدينَ بالقُرآنِ ، ذكرت الكافِرين وضَلالَهُمْ في الدُّنْيا وخَسارتَهُم في الآخرةِ .

وإذا كانَ المُؤمِنونَ يُوقِنونَ بالآخرَةِ ، فإنَّ الكافِرينَ لا يُؤمنونَ بها ، بَلْ يُكذِّبونَ بها وينْفونَ وُقوعَها ، ويُنكرونَ الحياةَ بعْدَ الموْتِ ، إنَّهُم لا يَعترِفونَ إلاّ بالدُّنْيا ، ولا يَعْملونَ إلاّ لَها ، ولذلكَ يُقْبِلونَ علىٰ الملَذّاتِ والشَّهواتِ ، وينْغمِسونَ فيها باعتبارِها فُرْصتَهُمُ الوحيدةَ المُتاحةَ ، وتُزيِّنُ لَهُم فيَنْدَفِعونَ إلَيْها بكُلِّ قُوّتِهِم ، ويعيشونَ حَياتَهُمُ الدُّنْيا وَفْقَ أهوائِهِمْ ، يتردّدونَ ويتحيّرونَ ، ويتيهونَ في ضلالِهِمْ وانحرافِهِمْ وشهواتِهِمْ .

وهـٰؤلاءِ الضّالّونَ المُنكِرونَ للآخرةِ سوْفَ يُبْعثونَ ويُحاسَبونَ ، فيُدْخِلُهُمُ اللهُ النّارَ ، يُعذَّبونَ فيها سُوءَ العَذابِ ، ويُحرَمونَ منَ الجنَّةِ ونعيمِها ، وبذلكَ يكونونَ هُمُ الأخْسَرينَ ، أيْ أشَدَّ النّاسِ خُسْرانًا ، وتكونُ خسارتُهُمْ شامِلةً لأنْفُسِهِمْ وأموالِهِمْ وأهْليهِمْ .

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

بعدَما وصفَتِ الآياتُ السَّابقةُ حالَ المُؤمنينَ بالقُرآنِ والمُكذِّبينَ به ، ذَكَرتْ هـٰذه الآيةُ حالَ النَّبيِّ ﷺ معَ القُرآنِ ، فخاطبَهُ اللهُ قائلاً : إنّكَ أيُّها الرَّسولُ تتلقّىٰ القُرآنَ وتأخُذُهُ منْ عنْدِ اللهِ ، نزلَ به جبْريلُ علَيْكَ ، وجعَلَهُ اللهُ كِتابَ هُدى ورحْمةٍ وبُشْرىٰ ، فكُلُّ ما فيهِ حقٌّ وصِدْقٌ وصَوابٌ ، لأنَّهُ منْ عندِ اللهِ الحَكيمِ في كلِّ شَيءٍ ؛ العليمِ بكلِّ شيءٍ ، سُبحانَهُ وتعالىٰ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤْمِنون الصّالِحون هُمْ الّذينَ يهتدون بالقُرْآنِ ويَسْتَبشرون ببشاراتِه .

٢ـ ليْسَ الإيمانُ مُجرّدَ تصديقٍ بلْ لابُدَ وأنْ تنْتُجَ عَنْهُ الأعمالُ الصّالِحَةُ ، كإقامةِ الصّلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ .

٣ـ إنكارُ الآخِرةِ سَبَبُ الإسْرافِ في لملذّاتِ والشّهواتِ ، والوُقوعِ في الطُّغْيانِ والفسادِ .

٤ـ الحَيْرةُ والتردّدُ والضّياعُ ثمنٌ لإنكارِ الآخِرةِ والتّنافُسِ على الدُّنْيا .

٥ـ الكافِرونَ هُمُ الأخْسَرون لأنّ الخَسارةَ المُطْلَقةَ هيَ خسارةُ الأنْفُسِ والأمْوالِ والأَولادِ .

٦ـ القُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ الحكيمِ ؛ العليمِ .

التّقْويمُ :

أجِبْ عن الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا سمّىٰ اللهُ كتابهُ المنزّلَ علىٰ مُحمّدٍ ﷺ قُرْآناً وكِتاباً ؟

٢ـ لماذا قالَ اللهُ عنِ القُرْآنِ ﴿هُدى وبُشْرى﴾ ولمْ يَقُلْ : فيهِ هُدَى ، ولَمْ يَقُلْ : هُوَ هادٍ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ .

٤ـ أ ـ لماذا زُيّنَتْ للكافِرينَ أعْمالُهُمْ ؟ ب ـ وكَيْفَ هُمْ يَعْمَهُونَ ؟

٥ـ الكُفّارُ هُمُ الأَخْسَرونَ . وضّحْ ذلكَ ، واسْتَشْهِدْ عليْهِ بآيةٍ مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ .

٦ـ عِنْدَما نقولُ : اللهُ حَكيمٌ عَليمٌ : ما معنَىٰ ذلِكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ فرّقَتْ الآيَةُ (٤٤) مِنْ سُورةِ فُصّلتْ بيْنَ أثَرِ القُرْآنِ في المُؤْمِنينَ وفي الكافِرينَ . سَجّلِ الآيَةَ في دفترِكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ذلِكَ الفَرْقَ .

٢ـ الخاسِرونَ خُسْراناً مُبيناً هُمُ الّذينَ يَخْسَرونَ أنفسَهُمْ وأَهْليهِم يَوْمَ القيامةِ . اذْكُرْ آيةً مِنْ سُورةِ الزُّمرِ ، وآيةً مِنْ سورةِ الشُّورى ، تَتحدّثانِ عنْ ذلِكَ ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٣ـ تَتَبّعِ السُّوَرَ القُرْآنيّةَ المُفْتَتَحةَ بالحُروفِ المُقَطّعةِ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ مُبيّناً الحُروفَ الّتي افْتُتِحتْ بها كُلُّ سُورَةٍ ، والآيةَ الّتي تليها .

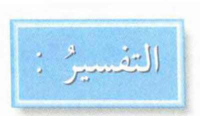
الدَّرسُ الثَّلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الثَّاني

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **آنَسْتُ ناراً** : رَأَيْتُ ناراً مِنْ بَعيدٍ لِي بها أُنْسٌ .
- **آتيكُمْ مِنها بِخَبَرٍ** : أَجِدُ عِنْدَها مَنْ يُخْبِرُني عَنِ الطَّريقِ إِلىٰ مِصْرَ .
- **بِشِهابٍ قَبَسٍ** : قِطْعَةٍ مُشْتَعِلَةٍ مَأْخوذَةٍ مِنَ النَّارِ .
- **تَصْطَلونَ** : تَسْتَدْفِئُونَ بها مِنَ الْبَرْدِ .
- **بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ** : طُهِّرَ وَقُدِّسَ الَّذي فِي مَكانِ النَّارِ فِي الْوادي المُقَدَّسِ .
- **تَهتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ** : تَتَحَرَّكُ حَرَكَةً شَديدَةً كَأَنَّها حَيَّةٌ سَريعَةُ الْحَرَكَةِ .
- **وَلَّىٰ مُدْبِراً** : هَرَبَ بَعيداً .
- **وَلَمْ يُعَقِّبْ** : لَمْ يَتَلَفَّتْ وَراءَهُ مِنَ الْخَوْفِ .
- **جَيْبِكَ** : فَتْحَةِ قَميصِكَ الَّتي عِنْدَ صَدْرِكَ .
- **بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** : بَيضاءَ من دُونِ بَرَصٍ أَوْ سَوادٍ .
- **اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ** : تَيَقَّنُوا أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ .



التفسيرُ :

بعْدَ أنْ قرّر اللهُ حقيقة تلقي الرّسولِ ﷺ القرآن منْ عندِ الحكيم العليم ، بيّن ما تلقّاهُ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامُ ـ منْ ربّهِ ، ليوقن رسولُ الله ﷺ أنّهُ ليس أوّل من تلقّىٰ الوحْي ، فقدْ سبقهُ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامُ ـ إلىٰ ذلكَ .

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

بعدَما أقام موسى ـ عَليْهِ السّلامُ ـ في مدين عشر سنوات ، عادَ بأهْلهِ إلىٰ مصْرَ ، مارّاً بوادي طُوىَ المُقدّسِ في سيناء ، وبينما كان يَسيرُ في ليْلةٍ مُظْلمةٍ باردة ، ضلّ الطّريقَ ، فلمْ يعْرفْ إلىٰ أينَ يتوجّهُ . ونظرَ منْ بعيدٍ فرأىٰ نارا مُضيئة فاسْتبشر بها خيْراً ، واطمأنّتْ نفسُهُ إليها .

فقالَ لأهْلهِ الّذين يَسيرونَ معهُ : انتظروني هُنا ، سأذْهبُ إلىٰ النّارِ ، لعلّي أجِدُ عنْدَها أحَداً يُخْبِرُني عنِ الطّريقِ إلىٰ مِصْرَ ، أوْ لعلّي أُحْضرُ لكُمْ منْها شِهابا مُشْتعِلا ، تَسْتدْفِئون بهِ في هـٰذا البرْدِ!

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

وجدَ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامُ ـ عند النّارِ أكثر ممّا كان يُريدُ ، فقدْ أرادَ أنْ يجدَ منْ يُخبرُه عن الطّريقِ إلىٰ مصْرَ ، فوجدَ منْ يُخبرُهُ بالطّريقِ إلىٰ الحقّ والهُدى وخيرِ الدُّنيا والآخرة .

لمْ تكُنْ نارا كالّتي نوقدُها تحْرق ، إنّما كانتْ نُورا مُضيئا ، ولمّا وصلها موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ سمع النّداءَ منْ جانبِ الوادي الأيمنِ ، حيثُ تظْهرُ النّارُ من الشّجرةِ . قال تعالىٰ : ﴿فلمّا أتاها نُوديَ منْ شاطىءِ الوادي الأيمنِ في البُقعةِ المُباركةِ منَ الشّجرةِ﴾ [القصص : ٣٠] .

والّذي ناداهُ هُوَ اللهُ ربُّ العالمينَ ، حيثُ قال لهُ : تباركَ وتطهّر وتقدّس المكانُ الّذي تُبعثُ منْهُ النّارُ ـ وهُوَ الوادي المُقدّس طُوىَ ـ وتباركَ وتطهّر وتقدّس ما حولَ ذلكَ المكانِ ، وهُو أرضُ الشّام المُقدّسة كُلّها ، لأنّها أرضُ الخيْراتِ والبركاتِ ، ومبْعثُ الرّسالاتِ .

وقد نزّهَ اللهُ نفسَهُ سُبحانهُ عمّا لا يليقُ بهِ ، فقال : ﴿وسُبحانَ الله ربِّ العالمينَ﴾ أي : تنزّهَ اللهُ عنْ كُلِّ نقْص ، وهُو لا يُشْبِهُهُ شيءٌ من المخلوقات ، ولا يحدُّهُ مكانٌ ولا زمانٌ .

وقال اللهُ تعالىٰ لموسىٰ ـ عليْه السّلامُ ـ : يا مُوسىٰ : إنّ الّذي يُخاطبُكَ ويُناجيكَ هُو اللهُ ربُّكَ العزيزُ الّذي قهر كُلّ شيءٍ وأخْضعهُ لهُ ، الحكيمُ في كُلّ ما يقولُ ويفْعلُ .

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

وبَعْدَما عَرَف موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ الَّذي يُكَلِّمُهُ هُوَ اللهُ ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُلقِيَ العَصا الَّتي يَحْمِلُها ، فَنفَّذَ أَمْرَ اللهِ وأَلقاها!

وحَوَّلَهَا اللهُ إِلىٰ حَيَّةٍ حَقيقيَّةٍ ، فيها الحَياةُ! ونظَرَ مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَرآهَا تَتحرَّكُ وتَسيرُ وتَهتزُّ ، كما يَهْتَزُّ ويَتَحرَّكُ ذَلِكَ النَّوْعُ مِن الحَيَّاتِ « الجَانّ » الَّذي يَعْرِفُهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ!

عِنْدَ ذلِكَ خافَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَوْفاً شَديدَاً ، وهرَبَ مُسْرِعاً مِنَ المَكانِ ، ولَمْ يتلفَّتْ ورَاءَهُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ ، لأَنَّ الأَمرَ يَدْعُو للخَوْفِ ، إِذْ كَيْفَ تتحولُ العصَا اليابسةُ إِلىٰ حَيَّةٍ تَهتزُّ وتَسيرُ بِسُرْعَةٍ ؟!

فَنادَاهُ اللهُ قائلاً : يا مُوسَىٰ : لاَ تَخَفْ مِمَّا تَرىٰ ، فإِنِّي أُريدُ أَنْ أَجْعَلَكَ رَسُولاً ، وأُريكَ آيةً ، ولا يَخافُ عِنْدي الرُّسُلُ والأنبياءُ . والَّذينَ يَخافونَ هُمُ الَّذين يظْلِمونَ أَنفُسَهُمْ بالمَعاصِي ، وحتَّىٰ هَؤلاءِ أَفْتَحُ أمامَهُمْ بابَ التَّوْبة ، فمَنْ تابَ وأَنابَ مِنْهُمْ ، وغيَّرَ مَسيرةَ حياتِهِ ، وعَمِلَ الحَسَناتِ بَعْدَ السَّيئاتِ ، فإِنِّي أَتوبُ عليْه وأَغْفِرُ لَهُ ، لأَنِّي غفورٌ رَحيمٌ .

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وبعدما عادَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ واطمأَنَّ ، أَجرىٰ اللهُ المُعْجزَةَ الثَّانية : لَقَدْ كَانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَسْمرَ اللَّونِ ، فأَمَرهُ اللهُ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ السَّمراءَ في فَتْحَةِ ثَوْبِهِ ، وعِنْدَمَا يُخْرِجُهَا يَنْظرُ إِلَيْها وقدْ تغيَّرَ لونُها! ففعَلَ . ولمَّا أَخْرَجَها رآها بَيْضاءَ ساطعَةً تُشعُّ نورا ، لَيْسَ فيها مَرَضٌ أَوْ بَرَصٌ أَوْ سُوءٌ .

وبَعْدَما أَعْطاهُ اللهُ المُعجزتيْنِ : العَصا واليَدَ ، أَمرَهُ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعون وقَوْمِهِ ، لِيُبلِّغَهُمُ الدَّعْوَةَ ويُقيمَ عليْهِمْ الحُجَّةَ ، لعلَّهُمْ يَتخلَّوْنَ عَنْ ظُلْمِهِمْ وفسْقِهِمْ . . ووَعدَهُ اللهُ أَنْ يُؤَيِّدَهُ عندَ فِرْعَوْنَ بِسبع مُعْجزَاتٍ أُخْرىٰ ، لِيَكونَ المَجْموعُ تِسعَ مُعْجِزَاتٍ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

ذَهَبَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ بالآياتِ الدّالَةِ علىٰ صِدْقِ رِسالتِه ، وقدَّمَها لهُمْ ، ورَأَوْها آياتٍ بيِّنةً ، ومُعْجزاتٍ واضِحَةً ، وحُججاً مُقْنِعَةً ، وهِيَ لِفَرْطِ وُضوحِها كأَنَّها مُبصِرَةٌ تُبْصِرُ بِعَيْنَيْها ، لكنْ ماذا كانَ موقفُهُمْ مِنها ؟ وهيَ بهـٰذا الوُضوحِ والظُّهورِ! كذَّبُوا بها وأَنْكَروا أَنْ تكونَ مِنْ

عِنْدِ اللهِ ، وقالُوا : ما هَذهِ الخوارقُ الَّتي يُقدِّمُهَا موسَىٰ إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ واضِحٌ ظاهِرٌ ، وموسَىٰ لَيْسَ نبيّاً كما يَزْعُمُ ، فما هُوَ إلاَّ ساحِرٌ!

وسَبَبُ إنكارِهِمْ لَها وجُحودِهِمْ بها هُوَ عِنادُهُمْ واسْتِكْبارُهُمْ ، رَأَوْا أَنْفُسَهم أكْبَرَ وأعلَىٰ مِنْ أنْ يَخضَعُوا لِلحَقِّ ، ولِذلكَ كَذَّبُوهُ وجَحدُوا بِهِ ، وبِذلكَ كانُوا ظالِمينَ كافِرينَ .

وكانَ جُحودُهُمْ بِهَا بِألسِنَتِهِمْ وظواهِرِهِمْ فَقَطْ ، أمَّا في قُلوبِهِمْ فقدْ كانُوا يُوقِنونَ بِها ، ويَعتقِدُونَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وبِذلكَ خالَفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ مَا فِي قَرارَةِ نُفوسِهِمْ ويَقينِ قُلوبِهِمْ .

وقدْ كانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ في مَوْقِفِهِمْ الغَريبِ قَوْماً فاسِقينَ ، خارِجينَ عَنِ الحَقِّ ، فأَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عِقابَهُ وأغْرَقَهُمْ ، وجَعَلَ هـٰذِهِ النِّهايَةَ السَّيئةَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِم ، لِئلاَّ يَقِفُوا مِثْلَ مَوْقِفِهِمْ .

وفي هـٰذا تَحْذيرٌ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ ، أَلاَّ يَقِفُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الموقفَ نَفْسَهُ ، فَتَحِلَّ بِهِمُ العُقوبةُ ، لأنَّ هَذهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي إهلاكِ المُكَذِّبينَ المُفْسِدينَ!!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُدبِّرُ اللهُ الأحْداثَ بِحِكْمَتِهِ لِتَحْقيقِ إرادتِهِ في عالَمِ الواقعِ ، وإذَا أرادَ شَيْئاً هيَّأَ اللهُ لَهُ أسْبابَهُ .

٢ـ الأرْضُ الَّتي كَلَّمَ اللهُ فيها مُوسَى ومَا حَوْلَهَا أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ مُبارَكَةٌ .

٣ـ خَوْفُ الإنسانِ مِنَ الخَطَرِ أَمْرٌ طَبيعيٌّ لا يُلامُ عَلَيْهِ .

٤ـ يُقيمُ اللهُ الحُجَّةَ علىٰ الكَافِرينَ ، فيؤيِّدُ رُسُلَهُ بأكْثَرَ مِنْ آيةٍ بيِّنةٍ ومُعْجِزَةٍ واضِحَةٍ .

٥ـ الكُفَّارُ يَعْرِفونَ الحَقَّ بقلوبِهِمْ ، وتُوقِنُ بِهِ نُفُوسُهُمْ ، ومَعَ ذَلكَ يُنْكِرُونَهُ بألْسِنَتِهِمْ ، ويُحاربونَهُ عِناداً وعُلوّاً واسْتِكْباراً .

٦ـ علىٰ العُقلاءِ أَنْ يَعتبِرُوا مِمَّا جرَىٰ لِلمُكَذِّبينَ السَّابِقينَ ، لِئلاَّ يُصيبَهُم ما أصابَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرِ الجَوَّ العامَّ الَّذي رأىٰ فيهِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ النَّارَ وذَهَبَ إليْها .

٢ـ مَا مَعنَىٰ قولهِ تعالىٰ : ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ؟

٣ـ تَحدَّثْ عَنْ حَالةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما تَحوَّلَتِ العَصَا إلىٰ حَيَّةٍ ماذا قالَ اللهُ لَهُ .

٤ـ كَيْفَ جَعَلَ اللهُ يدَ مُوسَىٰ ؟

٥ـ اذْكُرِ الآياتِ التِّسْعَ الَّتي أيَّدَ اللهُ بِهَا موسىٰ في مُواجَهةِ فِرْعوْنَ .

٦ـ كانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ في تكذيبهِ لآياتِ اللهِ مُتَناقِضينَ مَعَ مَا فِي قُلوبِهِمْ . وضِّحْ ذٰلِكَ .

٧ـ بيِّنْ عَاقِبَةَ فِرْعَوْنَ وقومِهِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْ ذَلكَ خَمْسَ دَلالاتٍ وعِظَاتٍ .

نَشاطٌ :

١ـ جاءَ في سورةِ طَهَ أَنَّ اللهَ ـ تَعالَىٰ ـ سَأَلَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنِ العصا الَّتي في يَدِهِ . اكتُبِ الآياتِ الدَّالةَ علىٰ ذٰلِكَ في دَفْترِكَ .

٢ـ اسْتَخرِجِ المُعْجزاتِ السَّبْعِ الأُخرَىٰ مِنْ الآياتِ (١٣٠ـ١٣٥) مِنْ سورةِ الأَعْرافِ وسَجِّلْها في دَفْترِكَ .

٣ـ ذكَّرَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِرْعَوْنَ بهذِهِ الحَقيقةِ ، وأَنَّهُ يَعْلَمُ الحَقَّ ويُحَارِبُهُ ويُعْلِنُ كَذِبَهُ . ورَدَ ذلكَ في آيةٍ في آخِرِ سورَةِ الإِسْراءِ . سَجِّلْهَا ، واذكُرْ مَعناها ، واسْتَخْرِجِ الشَّاهِدَ مِنْها .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الحادي والثَّلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ : قامَ سُلَيْمانُ مَقامَ أَبيهِ داوُدَ في النُّبُوَّةِ .

عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ : كانَ سُلَيْمانُ يَفْهَمُ لغةَ الطيورِ .

حُشِرَ : جُمِعَ .

يُوزَعونَ : يُوقَفُ أوائِلُهُم لِيَلْحَقَ بِهِمْ أَواخِرُهُم ، فَيَسيرُونَ سَيْراً مُنَظَّماً .

وادِ النَّمْلِ : وادٍ كَثيرُ النملِ .

لاَ يَحْطِمَنَّكُم : لاَ يَدوسَنَّكُمْ وَيَكْسِرَنَّكُمْ .

رَبِّ أَوْزِعْني : رَبِّ أَلْهِمْني شُكْرَكَ وَيَسِّرْهُ لِي .

التَّفْسيرُ :

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ مَشاهِدَ مِنْ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وتَتَحَدَّثُ هٰذِهِ الآياتُ عَنْ طَرَفٍ مِنْ أَخْبارِ نَبِيِّ اللهِ سُلَيمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ عَنْ ما أنعَم على داودَ وسُليمانَ ـ عَلَيْهما السَّلامُ ـ مِنْ نِعم جليلةٍ ، وَمِنْ أعظمِ هٰذه النِّعَمِ العِلْمُ الَّذي علَّمَهُما إيّاهُ ، وكانَ مُنوَّعا شاملاً ، فقد علَّمَ داودَ صنْعةَ الدُّروعِ ، وعلَّمَ سُليمانَ الصِّناعاتِ النُّحاسيّةَ ، وعلَّمَهُما معاً الشَّرائعَ والأحكامَ والقضاءَ بيْنَ النّاسِ .

واعْترَفَ سُليْمانُ وداودُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بهٰذه النِّعمةِ ، وحَمِدا اللهَ علىٰ تفْضيلِهِ لَهُما بالعِلْمِ علىٰ كَثيرٍ مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنين . وهُما في هٰذا قُدْوَةٌ لصاحبِ العِلْمِ ، بحيثُ يَعْتَرِفُ للهِ بالفَضْلِ عليْهِ ، ويشْكُرُهُ عليْهِ ، ويتواضعُ لعِبادِ اللهِ ، ويسْألُ اللهَ المزيدَ منْهُ ، ويسْتخدِمُهُ في نفْعِ الآخرين .

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

ساعَدَ سُليْمانُ أباهُ داودَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ في حياتِه ، عنْدما كانَ مَلِكاً علىٰ بني إسْرائيلَ ، جَعَلَ عِلْمَهُ وفَهْمَهُ في خِدْمةِ الآخرينَ ، ولمّا تُوفّيَ داودُ ـ عليْه السَّلامُ ـ ورِثَهُ ابنُهُ سُليْمانُ في النُّبوّةِ والمُلْكِ ، أيْ : أنَّ اللهَ جعلَهُ نبيّاً في بني إسْرائيلَ ، وجَعلَهُ ملكاً عليْهِم بَعْدَ أبيه .

ولَمْ يرِثْ سُليْمانُ أباهُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ في المالِ ، لأنَّ الأنْبياءَ لا يُورِثونَ في المالِ ، وإذا ما تَرَكَ أحدُهُمْ مالاً عندَ وفاتِه ـ ومُعْظَمُهُمْ لا يَتْرُكونَ مالاً ـ فإنّ هذا المالَ لا يُقسَّمُ علىٰ أوْلادِهِمْ ، وإنّما يَكونُ صَدَقَةً في سبيلِ اللهِ!

وكانَ مُلْكُ سُليْمانَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أعْظَمَ مِنْ مُلْكِ أبيه داودَ ، واعْترفَ سُليْمانُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بهذا الفَضْلِ للهِ ، وأظْهَرَ شُكْرَهُ لربِّهِ أمامَ النّاسِ ، ليقتدوا به ، لا منْ بابِ الفخْرِ والمُباهاةِ .

وقالَ لهُمْ : يا أيُّها النّاسُ : إنّ رَبّي علّمَني لُغةَ الطّيورِ ، ويسَّرَ لي فهْمَ ما يُريدُ أحَدُها عندما يُخْرِجُ صوتَهُ ، فأسْتطيعُ مَعْرِفَةَ ما يُريدُ ، فأقْضي لهُ حاجتَهُ إنْ أرادَ طعاماً أوْ شراباً ، وأعْرِفُ إنْ كانَ فَرِحاً أو حَزيناً أو مريضاً! ويكونُ صَوْتُهُ نُطقاً وكلاماً يُعبِّرُ عمّا في نَفْسه!

كانَ سُليْمانُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ هُوَ الوحيدُ الّذي علَّمَهُ اللهُ منْطقَ الطَّيْرِ والحيوانِ في عصْرِهِ ، فكنتَ تَراهُ يُحادثُ طيْراً أوْ حيواناً أو حَشَرةً وسطَ اسْتغْرابِ الّذين حوْلَهُ . كما حصلَ مَعَ النَّمْلَةِ والهُدْهُدِ .

ولَمْ يَمْنُنْ اللهُ علىٰ سُليمانَ ـ عليْه السَّلامُ ـ بعِلْمِ منْطقِ الطَّيْرِ فقطْ ، وإنّما آتاهُ مِنْ كلّ شيءٍ خَيْراً كَثيراً ، ممّا يَتعلَّقُ بالدّينِ أوِ الدُّنيا ، منَ المَظاهرِ الماديّةِ والأشْياءِ المعنويّةِ .

وشَكرَ سُليْمانُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ علىٰ هٰذه النِّعمِ ، لأنَّها فَضْلٌ بيِّنٌ ظاهِرٌ منَ اللهِ عليْهِ .

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

كانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حازِماً مَعَ جُنودِهِ مِنْ هٰذِهِ الأَصْنافِ ، يَسيرونَ مَعَهُ بِانتظامٍ وتَرتيبٍ ، ويَخْرُجُ بِهِم لِلجهادِ في سَبيلِ اللهِ .

وأَرادَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ يَخْرُجَ بجنودِهِ يَوْماً ، فجُمِعوا وحُشِروا لَهُ ، وكانوا فِرَقاً مِنْ أَصْنافٍ ثَلاثَةٍ : مِنَ الجِنِّ ، وَمِنَ الإِنْسِ ، وَمِنَ الطَّيْرِ . وكانُوا يُوزَعونَ في مَوْكِبِهِ ، يَسيرونَ بِتَرْتيبٍ وانْتِظامٍ ، وَتَتَوَقَّفُ أَوائِلُهُمْ لِتَلْحَقَ بِهِمْ أَواخِرُهُمْ ، ولا يَتقدَّمُ أَوْ يَتأَخَّرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَكانِهِ ، ولا يَتَخَلَّفُ عَنْ حُضورِهِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَاصَلَ جَيْشُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المُنْظَّمُ سَيْرَهُ حَتَّىٰ وصَلوا إِلىٰ وادٍ يُقالُ لَهُ « وادي النَّمْلِ » ، ويبدُو أَنَّ النَّمْلَ كَانَ فِيهِ كَثِيراً ، ولمَّا سارَ الجَيْشُ فِي الوادِي نادَتْ نَمْلَةٌ بَاقِي النَّمْلِ قائِلَةً : يا أَيُّها النَّملُ ادْخُلُوا بُيوتَكُمُ الَّتي هِيَ تَحْتَ الأَرْضِ ، لِتَنْجوا مِنَ الخَطَرِ ، فإِنْ بقيتُمْ علىٰ وَجْهِ الأَرْضِ يُخْشَىٰ أَنْ يَحْطِمَكُمْ ويَكْسِرَكُمْ ويَدوسَ عَلَيْكُمْ سُليمانُ وجُنودُهُ ، ولَنْ يُلاموا ، لأَنَّهم لَمْ يَشْعُروا بِكُمْ ، فلمْ يتعمَّدوا تَحْطيمَكُمْ!!

سَمِعَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كلامَ النَّمْلَةِ ، وفَهِمَ تَحْذيرَها لِقَوْمِها ، فتبسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها . وتَبَسُّمُهُ كانَ شُكْراً للهِ الَّذي علَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وجَعَلَهُ يَفْهَمُ لُغَةَ النَّمْلَةِ ، وقَدْ حَدَّثَنا بما توَجَّهَ بِهِ إِلى رَبِّهِ حَيْثُ قَالَ : ربِّ أَلْهِمْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنعْمتَ بها عليَّ ، وأَنْعَمْتَ علىٰ والِديَّ مِنْ قَبْلِي . وأَلْهِمْني أيضاً أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً ، تتقبَّلُهُ مِنِّي وتَرضاهُ لِي ، وعِنْدَما تُميتُني وتَتَوَفَّاني آدْخِلْني الجَنَّةَ في زُمْرَةِ عِبادِكَ الصَّالِحينَ مِنَ الأنبياءِ والأَوْلِياءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كانَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ نَبِيّاً مِنْ أنبياءِ بني إِسْرائِيلَ ، لا ساحِراً كَما يَزْعُمُ اليَهودُ .

٢ـ وَرِثَ سُلَيْمانُ مِنْ أَبيهِ النُّبوَّةَ والمُلْكَ لاالمالَ ، فالأَنْبياءُ لا يُوَرِّثُونَ ديناراً ولا دِرْهماً .

٣ـ سَخَّرَ اللهُ لسُلَيْمانَ الجِنَّ والطَّيْرَ والرِّيحَ وآتاهُ مُلْكاً عَظيماً .

٤ـ أفْضَلُ ما يمُنُّ اللهُ بِهِ علىٰ عَبْدِهِ بَعْدَ الإيمانِ هُوَ العِلْمُ ، وبِهِ يُفَضِّلُهُ علىٰ عِبادِهِ الآخَرِينَ .

٥ـ الأَنْبياءُ زاهِدونَ في الدُّنْيا ، وإذا تَركوا مالاً بَعْدَ وفاتِهِمْ يَكونُ في سبيلِ اللهِ .

٦ـ لِكُلِّ مَخْلوقٍ حَيٍّ لُغَةٌ خاصَّةٌ يَتفاهَمُ بها مَعَ بَني جِنْسه ، كالطُّيورِ والحيواناتِ .

٧ـ قدْ يُطلِعُ اللهُ بَعْضَ عِبادِهِ علىٰ لُغَةِ الطُّيورِ والحيواناتِ ، كَما حَصلَ مَعَ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٨ـ المُؤْمِنُ يَعْتَرِفُ للهِ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ ويَشْكُرُهُ عَلَيْها ، ويَسْأَلُهُ المَزيدَ مِنْها .

٩ـ التَّنْظيمُ والتَّرْتيبُ في الأُمورِ الإِدارِيَّةِ مَطْلوبٌ ، كما كانَ جَيْشُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

١٠ـ الاهْتِمامُ بالآخَرينَ ونُصْحُهُمْ وتَقديمُ الخَيْرِ لَهُمْ مَرغوبٌ فيهِ ، وهُوَ مَوْجودٌ حتَّىٰ في عالَمِ الطُّيورِ والحَيواناتِ . كَما حَصَلَ مَعَ النَّمْلَةِ .

التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ بَعضَ مَظاهِرِ العِلْمِ الَّذي آتاهُ اللهُ لِداودَ وسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ وبِماذا وَرِثَ سُلَيْمانُ داودَ ؟

٢ـ هلْ لِلطيرِ لُغَةٌ خاصَّةٌ ؟ وكَيْفَ تعلَّمَها سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أصْنافٍ تَشَكَّلَ مِنْهَا جَيْشُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وكَيْفَ كانُوا يُوزَعُونَ ؟

٤ـ أ ـ ماذَا طَلَبَتِ النَّمْلَةُ مِنَ النَّمْلِ ؟ ب ـ وبِماذَا اعتذرَتْ عَنْ سُلَيْمانَ وجُنودِهِ ؟ ج ـ ولِماذا ضَحِكَ سُلَيمانُ مِنْ قَولِها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ آيةً وحَديثاً صَحيحاً في فَضْلِ العُلَماءِ وعُلوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً صَحيحاً عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ يُبيِّنُ أَنَّ أَمْوالَ الأَنْبياءِ لاَ تُوَزَّعُ علىٰ وَرَثَتِهِمْ وإِنَّما تَكُونُ صَدَقَةً في سَبيلِ اللهِ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَفقَّدَ الطَّيْرَ : نظَرَ سُليْمانُ في الطَّيْرِ لِيعْرِفَ الغائِبَ مِنْها .

لَيأْتِيَنِّي بِسُلطانٍ مُبينٍ : يُقدِّمُ حُجةً واضِحَةً لِغيابِهِ .

مَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ : لَمْ يغِبِ الهُدْهُدُ مُدَّةً طَويلَةً ، وإنَّما عادَ بِسُرْعَةٍ .

أَحَطتُ بما لَمْ تُحِطْ بِه : اطَّلَعْتُ على ما لَمْ تَطَّلِعْ عَليْهِ .

سَبأ : اسم دَوْلَةٍ قويَّةٍ نَشَأتْ في اليَمَنِ في ذَلِكَ العَهْدِ .

عَرْشٌ عَظيمٌ : سَريرُ المُلْكِ الّذي تَجْلِسُ عَليْهِ .

صَدَّهُم عَنِ السَّبيلِ : أَبْعَدَهُمُ الشَّيطانُ عَنْ طَريقِ الخَيْرِ .

يُخْرِجُ الخَبْءَ : يُظْهِرُ اللهُ المَخْفِيَّ المَخْبوءَ في السَّمواتِ والأَرْضِ . كالمَطَرِ والحُبوبِ .

قالَ سَنَنْظُرُ : قالَ : سَنتمهَّلُ ونتأكَّدُ لِنتعرَّفَ على صِحّةِ كَلامِكَ مِنْ كَذِبِهِ .

أَلْقِهْ إِلَيْهِمْ : اطْرَحْ كِتابي عَليْهِمْ .

ثم تَوَلَّ عَنْهُم : تنَحَّ وابْتَعِدْ عَنْهُم قَليلاً .

التفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ سَيْرَ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بجنودِهِ مِنَ الجنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ ، ومُرورَهُمْ بوادي النَّمْلِ . وتُخْبِرُ آياتُ الدَّرْسِ عَنِ الهُدْهُدِ الَّذي كان غائباً ، وما رآه في مَمْلَكَةِ سَبأٍ .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

كانَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حازِماً مَعَ جُنودِهِ ، فبينَما كانُوا سَائِرينَ ، تَفَقَّدَهُمْ كَعادَتِهِ ، ومَرَّ علَىٰ فِرْقَةِ الطَّيْرِ مِنْ جَيْشِهِ ، ونظَرَ في أفْرادِها ، فَلَفَتَ نَظَرَهُ عَدَمُ وُجودِ الهُدْهُدِ بينَهُمْ! فَتَساءلَ : لِماذا لا أَرىٰ الهُدْهُدَ بيْنَكُمْ ؟ هلْ هُوَ حاضِرٌ ومَنَعَني مانِعٌ مِنْ رُؤيتهِ ؟ أمْ غائبٌ . إنْ كانَ غَائِباً فقدْ غَابَ مِنْ دُونِ إذنٍ منِّي!

وبعدَ ذلكَ عرَفَ أَنَّ الهُدْهُدَ غائِبٌ عَنِ الجَيْشِ ، فتهدَّدهُ وتوعَّدَهُ لأنَّهُ غابَ مِنْ دُونِ إذنٍ مِنْهُ ، وقالَ : عندَما يَعودُ سَأُعَذِّبهُ عَذاباً شَديداً ، وسأَقْتُلُهُ قَتْلاً وأذبحُهُ ذَبْحاً ، إلاّ إذَا قدَّمَ لِي دَليلاً مُقْنِعاً ، وحُجةً واضِحَةً ، في سَببِ غِيابِهِ .

ويَبدُو في تَهديدِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الحَزْمُ الإداريُّ المَطْلوبُ ، كمَا يبدُو فيهِ العدْلُ في العِقابِ ، فَهُوَ سَيُعاقِبُهُ لِغيابِهِ من دُونِ إذنٍ مِنْهُ ، وسَيوقِفُ عِقابهُ إنْ أقنَعَهُ بسببِ غِيابِهِ .

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

لمْ تَطُلْ غَيبَةُ الهُدْهُدِ عَنِ الجَيْشِ ، فما هِيَ إلا مدَّةٌ زَمَنيَّةٌ قَصيرةٌ ، حتَّىٰ عادَ إلىٰ الجَيْشِ ، وهذا يَدُلُّ علَىٰ قُرْبِ المكانِ الّذي كانَ فيهِ الهُدْهُدُ ، وعلى انْضباطِ الهُدْهدِ . فلمّا أَنْهى مُهِمّتَهُ عادَ لِلْجَيْشِ فوْراً . ولمَّا عَادَ أَتَىٰ إلىٰ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُباشَرَةً ، فسألَهُ عَنْ سَببِ غيابهِ ، فأجابَهُ الهُدْهُدُ بجُرْأةٍ وثِقَةٍ ، وكانَ جَوابُهُ مُثيراً مُفَاجئاً ، وقالَ لَهُ : اطَّلعْتُ علىٰ ما لمْ تطَّلعْ عَلَيْهِ أنتَ وجُنودُكَ ، وعَلِمْتُ ما لَمْ تَعْلَموهُ! لقدْ كُنْتُ فِي مَمْلَكَةِ سبأٍ في اليَمنِ ، وعَرَفتُ أحْوالَها ، وجِئْتُكَ مِنْها بِخَبَرٍ صَادِقٍ مُتيقَّنٍ .

لقدْ كانَ الهُدْهُدُ في هذهِ البدايةِ المُثيرةِ ماهِراً في تَقديمِ عُذْرِهِ ، والدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ ، وإخبارِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ ما وَجَدَهُ ومَا لَمْ يَعْلَمْهُ سُليْمانُ ، وفي هذا دَعْوةُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ التَّواضُعِ العِلْمِيِّ ، فها هُوَ الهُدْهُدُ عَلِمَ ما لَمْ يَعْلَمْهُ ، على كَثْرَةِ ما يَعْلَمُ ـ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾

وسارَعَ الهُدْهُدُ بتقديمِ تقريرِهِ عَنْ مَمْلكةِ سبأ إِلىٰ سُليْمانَ ، وكانَ التَّقريرُ يتناولُ جانِبينِ : جانبِ المُلْكِ وجانبِ الدِّينِ .

بَدَأَ بالحَديثِ عَنِ المُلْكِ ، فذَكرَ أَنَّ الحُكْمَ في مَمْلَكةِ سَبأٍ بيدِ امرأةٍ ، هِيَ الَّتي تَمْلِكُهُمْ وتَحْكُمُهُمْ ، وهـٰذه المَلِكَةُ أُوتِيَتِ الشَّيءَ الكثيرَ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا ، مِنْ ثَراءٍ وتَرفٍ وغِنىً ، لأنَّ المَمْلَكةَ كانتْ تَعيشُ رَخاءً كَبيراً .

ولِلْمَلِكَةِ عَرْشٌ عَظيمٌ كانتْ تَجْلِسُ عَليْهِ ، وهُوَ سَريرٌ ضَخْمٌ مُزَيَّنٌ بمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الزِّينةِ .

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعدَما فَرَغَ الهُدْهُدُ مِنْ تقريرِهِ عَنِ المُلْكِ ، تَحدَّثَ عن دِينِ القَوْمِ ، وكانَ حَديثُهُ بلَهْجَةِ الدَّاعِيةِ ، الغَيورِ علىٰ الحَقِّ المُنْكِرِ لِلباطِلِ ، فَقالَ : وَجَدْتُ مَلِكَةَ سَبأٍ وقَوْمَهَا يَعْبُدونَ الشَّمْسَ ، ويَسْجُدونَ لها مِنْ دُونِ اللهِ ، والشَّيْطانُ هُوَ الَّذي دَعاهُم إِلىٰ الشِّرْكِ ، فَاسْتجابوا لَهُ ، وزيَّنَ لَهُم سُوءَ عَمَلِهِمْ ، فرأَوْا الشِّرْكَ حَسَناً ، وبذٰلكَ أَبْعدَهُمْ عَنْ طريقِ الحَقِّ ، وأَخَذَهُمْ إِلىٰ الضَّلالِ .

وكَيْفَ يَسْجُدونَ لِلشَّمْسِ ويَعْبُدونَها ويَتْركُونَ عِبادةَ اللهِ والسُّجودَ لَهُ وَحْدَهُ ، واللهُ هُوَ الخالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، العَالِمُ بكُلِّ شَيءٍ ، ومِنْ ذٰلكَ إِخْراجُهُ لِكُلِّ مَخْبوءٍ مَخْفِيٍّ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، كالمَطَرِ والحَبِّ ، وعِلْمُهُ شامِلٌ لِكُلِّ ما عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الأَقْوالِ والأَفْعالِ ، المَخْفِيِّ مِنْها والمُعْلَنِ .

وغَيْرُ اللهِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ إِلـٰهاً لأَنَّ اللهَ هُوَ المَعْبودُ الحَقُّ ، المَالِكُ لِكُلِّ ما في السَّمواتِ والأَرْضِ ، وهُوَ المالِكُ لِلعَرْشِ العَظيمِ ، الَّذي هُوَ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ مِنَ السَّمواتِ والأَرْضِ .

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لقدْ قدَّمَ الهُدْهُدُ عُذْراً عَجيباً لِغيابِهِ ، وبذٰلكَ نجا مِنَ العِقابِ ، وفُوجِيءَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يَسْمَعُهُ مِنَ الهُدْهُدِ ، مِمَّا لَمْ يَكنْ لهُ بهِ عِلْمٌ سَابقٌ ، والمَطْلوبُ الآنَ التَّأَكُّدُ مِنْ صِدْقِ هذه المَعْلوماتِ . والتَّأَكُّدُ عَنْ طَريقِ الهُدْهُدِ نَفْسِهِ .

قالَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلْهُدْهُدِ : سَننْظُرُ في كَلامِكَ ، ونتَمهَّلُ ونَترَيَّثُ في قبولِه ، لِنَعْرِفَ هَلْ كُنْتَ فيهِ صادِقاً أَوْ كاذِباً ، هَذا كِتابٌ مِنِّي إِلىٰ مَلِكةِ سَبأٍ وقَوْمِها ، اذْهَبْ بِهِ إِليْهِم ، واطْرَحْهُ

بينَهُمْ ، وابْتَعِدْ عَنْهم قليلاً ، وراقِبْ رَدَّةَ الفعْلِ عِنْدَهُمْ ، لِترىٰ ما يَفْعلونَ ، وتَسْمعَ ما يَقولونَ ، وتتعرَّفَ علىٰ ما يُقرِّرونَ ، ثمَّ تأْتِي وتُخبِرُني بكلِّ ذلكَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إِخبارُ اللهِ لنا بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ يَتعلَّقُ بِنبيِّ اللهِ سُليمانَ عَليْهِ السّلامُ .

٢ـ علىٰ القائدِ أنْ يَتفقَّدَ جُنودَهُ ، والرَّاعِي رَعِيَّتَهُ ، لِيَقِفَ علىٰ حَاجاتِهِمْ ويرىٰ انضباطَهُمْ .

٣ـ العَدْلُ في التَّحقيقِ والحُكْمِ واجبٌ ، ويَكونُ بِسَماعِ كَلامِ المُتَّهمِ وقَبولِ عُذْرِهِ إِنْ كانَ مَقْبولاً .

٤ـ مَهْما أُوتِيَ الإِنْسانُ مِنْ عِلْمٍ يَبقى عِلْمُهُ قَليلاً ، وقدْ يَكونُ الأَدْنَىٰ مِنْهُ يَعْلَمُ ما لا يَعلمُهُ هُوَ .

٥ـ قدْ يُعطي اللهُ الكافِرينَ الكَثيرَ مِنْ مَتاعِ الدُّنيا للاسْتِدْراجِ ، ولأَنَّ الدُّنْيا لا تُساوِي عِنْدَهُ شيْئاً .

٦ـ وُجوبُ غَيْرةِ المُسْلمِ علىٰ دِينهِ ، وإِنْكَارِهِ علىٰ أَهْلِ البَاطِلِ .

٧ـ على المَسؤولِ التريُّثُ والتأَنِّي في الحُكْمِ علىٰ ما يَسْمَعُ مِنْ كَلامٍ ويَقْرَأُ مِنْ تقاريرِ الآخَرينَ ، وعَدمُ المُسارَعةِ بِقَبولِ ذَلكَ أوْ رَدِّهِ مِنْ دُونِ تثبُّتٍ .

٨ـ قُدرةُ الطُّيورِ على العِلْمِ بِأَحْوالِ النَّاسِ ، وإِدْراكِ حَقائِقِ الأَشْياءِ .

٩ـ إِثباتُ العَرْشِ الّذي اسْتوى عَليه رَبُّ العِزَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ هدَّدَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الهُدْهُدَ بِعُقوبتَيْنِ ، مَا هُما ؟ ومتَىٰ يُوقِفُ إِيقاعَهُما بهِ ؟

٢ـ بماذَا بدأَ الهُدهدُ تقريرَهُ ؟ وماذا تَسْتَفيدُ مِنْ ذلكَ ؟

٣ـ تَقْريرُ الهُدْهُدِ عَنْ مَمْلكةِ سَبأٍ يَشْمَلُ جانبيْنِ . ما هُما ؟

٤ـ اسْتخرجْ مِنْ تَقريرِ الهُدْهُدِ عَنْ دِينِ القَوْمِ إِنكارَهُ عَلَيْهِمْ شِرْكَهُمْ ، وأَدِلّتَهُ الّتي أَوْرَدَها علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ .



١ـ ذكَرَ الهُدْهُدُ العَرْشَ العَظيمَ مَرَّتينِ في تقريرِهِ . ما الفَرْقُ بَيْنَ المَرَّتيْنِ ؟ وما المُرادُ بِهِ في كُلِّ مَرّةٍ ؟ وكَيْفَ اسْتَدَلَّ بهِ على وَحْدانيّةِ اللهِ ؟ اكْتُبِ الإِجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ آياتِ الدَّرْسِ بعنايةٍ ، وَقِفْ مِنها على مُهِمَّةِ الهُدْهُدِ الدَّعَوِيَّةِ قَبْلَ تَقريرِهِ وبَعْدَهُ ، واكتبْ مَوْضوعاً بعُنوانِ « الهُدْهُدُ الدّاعِيَةُ » مُستوحىً مِنَ الآياتِ ، في صَفْحَةٍ ، واقْرَأْهُ علىٰ الطلبةِ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثُ والثلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الخامِسُ

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

اَلْمَلأُ : أَشْرافُ الْقَوْمِ وَوُجوهُهُمْ .

أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ : لاَ تَتَكَبَّرُوا عَلَيَّ ، وَلاَ تَرْفُضوْا دَعْوَتي .

أَفْتوني فِي أَمْري : أَشيرُوا عَلَيَّ بِالرَّأْيِ الصَّوابِ .

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً : لاَ أَجْزِمُ في تَقْريرِ أَمْرٍ .

حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ : حَتَّىٰ تَحْضُروا عِنْدي وَتُشيروا عَلَيَّ .

لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا : لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ مُقاوَمَتِها وَحَرْبِها .

صاغِرُونَ : أَذِلاَّءُ مُهانونَ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ التَّقريرِ الَّذي قدَّمَهُ الهُدْهُدُ عَنْ مَمْلَكَةِ سَبأٍ ، وتَكْليفِ سُليْمانَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بإيصالِ كِتابِهِ إِليهِمْ .

وتُخْبِرُ هـٰذِهِ الآياتُ عَنْ ما جرىٰ بعد وُصولِ الكِتابِ إِلَيْهِمْ ، وَرَدِّ المَلِكَةِ عَلَيْهِ .

﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

قامَ الهُدْهُدُ بالمُهِمَّةِ ، وحَمَلَ الكِتابَ وأَلْقاهُ إليهِمْ ، وَوَقَفَ قَريباً يَنْظُرُ ويَسْمَعُ . وأَخَذَتِ المَلِكَةُ الكِتابَ وقَرَأَتْهُ ، فوَجدَتْهُ كِتاباً خَطيراً ، لِذٰلِكَ اسْتَدْعَتْ مُسْتَشاريها وأَشْرافَ قَوْمِها وأَرْكانَ دَوْلَتِها ، وأَخبَرَتْهُمُ الخَبَرَ .

قالَتْ : يا أيُّها المَلأُ المُسْتَشارُونَ : جاءَنِي كِتابٌ كَريمٌ ، مِنْ مَلِكٍ كَريمٍ هُوَ سُلَيْمانُ مَلِكُ بني إِسْرائيلَ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسةِ ، يَدعُونا فيه للدُّخولِ في الإِسْلامِ ، ويَنْهانا عَنْ رَفْضِ الدَّعْوَةِ . وقَرَأَتْ عليهِمْ نَصَّ الكِتابِ الَّذي كانَ في غايةِ الإِيجازِ والبَلاغةِ .

كانَ نَصُّهُ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحِيمِ : لاَ تَعْلوا عليَّ وأْتوني مُسلمينَ » .

وقدْ اشْتَمَلَ الكِتابُ علىٰ ثَلاثةِ أُسُسٍ : البَسْمَلَةُ الدَّالَّةُ علىٰ وحْدَانيَّةِ اللهِ ورَحْمَتِهِ ، والنَّهْيِ عَنْ الاستكبارِ والاسْتِعلاءِ ، والدَّعوةِ الصَّريحةِ إلىٰ الدُّخولِ في الإِسْلامِ .

﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بعدَما قرأتْ المَلِكةُ علىٰ مُستشاريها نصَّ الكِتابِ إليها طَلَبَتْ مِنهُمُ الرَّأْيَ والمَشورَةَ والتَّصرُّفَ المُناسبَ ، وقالتْ لهُمْ : أيُّها المُسْتَشارونَ « أشيروا عَليَّ بشَأْنِ هذا الكِتابِ ، واقْتَرِحوا عليَّ التَّصرُّفَ المُناسبَ للردِّ علَيْهِ ، وأنا مُسْتمعَةٌ لِكلامِكُمْ ، ولا أَبُتُّ في أمرٍ أوْ أَقْطَعُ في مَسْأَلةٍ حتَّىٰ تَحْضُرُوا وتَتكلَّمُوا وتَقْتَرِحوا . . » .

وقدْ دلَّ هذا السُّؤالُ علىٰ حُسْنِ سِياستِها وحِكْمَتِها في تَسْيِيرِ أُمورِ الدَّوْلَةِ وحَلِّ المُشْكلاتِ الَّتي تَفْتَرِضُها ، إنَّ حُكْمَها لَيْسَ فَرْدِيَّاً اسْتِبداديَاً ، ولكنَّهُ يَقومُ علىٰ المَشورَةِ وحُسْنِ السِّياسةِ .

أجابَ المَلأُ المَلِكَةَ بأَنَّهُمْ جاهِزون لِتنْفيذِ مَا تَأْمُرُ بِهِ ، وذَكَروا لَها أَنَّهُمْ أُولو قُوَّةٍ قِتاليَّةٍ ، وبأْسٍ شَديدٍ في الحَرْبِ ، فإنْ أرادَتِ الحَرْبَ فهُمْ رجالُها وفَوَّضُوا إِليهَا الأَمْرَ واتِّخاذَ القَرارِ المُناسِبِ ، وكانَ جَوابُهُمْ أَحْسَنَ جَوابٍ ؛ حَيْثُ أظهرُوا لَهَا الطَّاعةَ في ما تَتَّخِذُهُ مِنْ قرارٍ ، سَواءٌ أكانَ حرباً أَمْ مُصالَحَةً .

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

حينَ رَأَتِ المَلِكَةُ اسْتعْدادَ رجالِها لِلقتالِ ، أَظْهَرَتْ مَيْلَها للمُسالَمَةِ والمُهادَنةِ ، وذَكَرَتْ لهُمْ وَيْلاتِ الحَرْبِ ، وقالتْ لهُم : إنَّ المُلوكَ إذا دَخلُوا بَلَداً عَنْوةً بعدَ الحَرْبِ خرَّبوهُ ، وأَفْسدُوا

الدِّيار ، وأهلَكُوا الأَمْوالَ ، وأَذلّوا أهْلَهُ الّذينَ كانُوا أعِزّة وأهانوهُمْ . هٰكذا هُمْ ، وهٰذا فِعْلُهُمْ ، وهٰذا هُوَ تَصرُّفُهُمُ الدَّائِمْ .

وأرادَتْ بذلكَ تَحذيرَهُمْ مِنْ قتالِ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لأنّها تَعْلَمُ أَنَّهُ أقوىٰ مِنْها ، وإنْ قاتلَتْهُ فَستَنهزِمُ أَمامَهُ وسَيَفْعَلُ بهِم ما ذكرَتْ لَهُم .

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

بعدَ أنْ نفَّرَتْهُم مِنَ الحَرْبِ ، ذكرَتْ لَهُم قرارَها بمُصالحةِ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومهادَنتِهِ ، وأخبَرَتْهُم أَنَّها قرّرَتْ إرسالَ هَديَّةٍ ثَمينةٍ لَهُ ، تليقُ بمِثْلِهِ ، وانتظارَ ماذا يَكونُ جَوابُهُ عَلَيْها ، هلْ يَقْبَلُها ويَكفُّ عنْهُمْ ، أمْ يَرْفُضُها ويُصِرُّ على دَعْوَتِهِ الوارِدةِ في كِتابِهِ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

اختارَتِ المَلِكةُ هَديّةً ثَمينةً ، وكَلَّفتْ وَفْداً مِنْ كِبارِ رِجالِها أنْ يَتوجَّهَ بها إلىٰ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولمّا قدَّموها لَهُ عرَفَ قَصْدَ المَلِكةِ مِنْ إرْسالِها ، فأعْرَضَ عَنِ الهديّةِ ، ولم يَقْبَلْها ، وقالَ لَهُم مُنْكِراً عليْهِ : أتقدِّمُونَ لي هذا المالَ لأَسْكُتَ عنْكُمْ ، وأتْرُكَكُمْ مَعَ شِرْكِكُمْ ؟ إنَّ اللهَ قد آتاني خَيْراً كثيراً ، وهُوَ أفْضَلُ مِمّا آتاكُمْ ، فَقدْ آتاكُمُ اللهُ مالاً ومَتاعاً دُنيويّاً فقَطْ ، أمّا أنا فقَدْ آتاني مُلْكاً ومالاً ومَتاعاً دُنيويّاً ، وآتاني خَيْراً مِنْهُ وهُوَ العِلْمُ والنُّبوَّةُ ، والقُوَّةُ والحِكْمَةُ .

وأعادَ لَهُمْ هَديَّتَهُمْ وقالَ لَهُم : خُذوا هديَّتَكُمْ مَعكُمْ ، وافرَحوا بها ، وعُودوا بها إلىٰ بلادِكُمْ ، و نتظرُوا الحَرْبَ القادِمَةَ ، لنأتينَّكُمْ بجُنودٍ كَثيرينَ لا قُدْرَةَ لكُم علىٰ قِتالِهِمْ ومُواجَهتِهِمْ ، وسَوْفَ تَنْهَزِمونَ ، ونُخْرِجُكُمْ مِنْ بلادِكُمْ أذِلَّةً صاغِرينَ مُهانِينَ مُحتَقَرينَ !!

وبذلكَ انْتَهَتْ مُحاوَلَةُ المَلِكةِ مُهادَنةَ سُليْمانَ بالفَشَلِ ، لأنَّهُ كانَ رَجُلَ دَعْوَةٍ ولَيْسَ طالبَ مالٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كانَ المُلوكُ وغَيْرُهُمْ يَتراسَلونَ فيما بَيْنَهُمْ مِنْ قَديمِ الزَّمانِ .

٢ـ اسْتِعمالُ الطُّيورِ في المُراسَلاتِ .

٣ـ بَدأَ سُلَيْمانُ خِطابَهُ بالتَّسمِيَةِ ، ولا تَزالُ هَذِهِ السُّنَّةُ مَاضِيَةً في مُخاطَباتِ المُسْلِمينَ .

٤ـ يَجِبُ أنْ تَكونَ الدَّعْوَةُ إلىٰ اللهِ بالحُسْنىٰ واللُّطْفِ ، كَما ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ كِتابِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِمَلِكَةِ سبأ .

٥ـ الحَاكِمُ الصَّالِحُ يَقومُ باسْتشارةِ كِبارِ رجالِ دَوْلَتِهِ ، وفي هـٰذا الخَيْرُ لِلدَّوْلَةِ .

٦ـ مِنْ أَدَبِ المُسْتشارينَ تَقديمُ آرائهمْ بأَحْسنِ صُورة ، وتفويضُ الحاكِمِ باتِّخاذِ القرار .

٧ـ صَدَّقَ اللهُ مَلِكَةَ سَبأ فيمَا ذَكَرَتْهُ عَنْ إفسادِ المُلوكِ بقوله : ﴿وكَذلِكَ يَفعَلونَ﴾ .

٨ـ حِكْمَةُ سُلَيْمانَ في ردِّ الهَديةِ وإغلاظِ القَوْلِ لِمَنْ جاء بالهَدِيَّةِ أَدّى بِهِمْ إلى الخُضوعِ لَهُ والدُّخولِ في الإسلام .

٩ـ الإِسْلامُ دِينُ الأنْبياءِ جَميعاً ، فَهُو الدِّينُ الوَحيدُ عِنْدَ اللهِ ، ولِذلِكَ أَمَرَ سُلَيْمانُ مَلِكَةَ سَبأ وقَوْمَها أَنْ يَأْتُوهُ مُسْلِمين .

١٠ـ الدَّاعِيةُ لَيْسَ جَامِعَ مالٍ ولا طَالِبَ دُنْيا ، ولا يَقْبلُ الهَدِيَّةَ إذا كانَتْ ثَمَنا لِسُكوتِهِ عَنِ الدَّعوةِ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأَسْئلةِ الآتية :

١ـ اذْكُرْ نصّ كِتاب سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ مَلِكَةِ سبأ ، واسْتَخْرِجْ أُسُسَهُ الثَّلاثَةَ .

٢ـ بِمَاذَا تُفسِرُ طَلَبَ مَلِكَةِ سبأ الرَّأيَ من الملأ ؟ وبِمَاذا أشاروا عَلَيْها ؟

٣ـ بماذا سوّغتْ ملِكةُ سبأ عَدَمَ رَغْبتِهِ في القتالِ ؟ وماذ قالتْ عنِ المُلوكِ ؟

٤ـ بماذا بعثَتِ الهَديةَ إلىٰ سُليْمٰنَ ـ عليْه السَّلامُ ـ وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذلِكَ ؟

٥ـ بِماذا رَدَّ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ الوَفْدِ ؟ واسْتَخْرِجْ مِنْ ذلكَ الرَّدِ ثلاث دَلالاتٍ .

نَشاطٌ :

١ـ كَمْ مَرَّةً ورَدَتْ كلمةُ « الأمْرِ » واشتقاقاتُها في الآيتيْنِ (٣٢ـ ٣٣) ، ومَا مَعنَاها في كُلِّ مَرَّةٍ . وعنْ مَنْ صَدَرَتْ في كلِّ مَرَّةٍ ؛ اكتبِ الإجابَةَ في دَفْترِكَ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ « المُعْجَمِ المُفهرسِ لألفاظِ القرآن » عَدَدَ مَرَّاتِ وُرودِ « هَدِيَّةٍ » في القُرْآنِ والسِّياقِ الذي وَرَدَتْ فيهِ . وما الفَرْقُ بيْنَ الهَدِيَّةِ والهُدىٰ في القُرآنِ ؟

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابعُ والثَّلاثون

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ السَّادِسُ

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ : شَيْطانٌ مِنَ الْجِنِّ .

اَلَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ : رَجُلٌ مِنَ الإنْسِ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن كِتابِ اللهِ .

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ : قَبْلَ أَنْ يَرجِعَ إِلَيْكَ بَصَرُكَ ، عِندَما تَنْظُرُ بِهِ إِلَىٰ شَيْءٍ .

رآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ : رَأَىٰ عَرْشَ مَلِكَةِ سَبأٍ مَوْجوداً أَمامَهُ .

لِيَبْلُوَني : لِيَخْتَبِرَني .

نَكِّرُوا لَها عَرْشَها : غَيِّرُوا لَها شَكْلَ عَرْشِها وَهَيْئَتَهُ بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَيْها إذا نَظَرَتْ إِلَيهِ .

صَدَّها : مَنَعَها .

اَلصَّرْحَ : اَلْقَصْرُ العالِي الْمُرْتَفِع .

حَسِبَتْهُ لُجَّةً : ظَنَّتْهُ ماءً مُتَجَمِّعاً كَثيراً .

صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ : هُوَ صَرْحٌ أَمْلَسُ مَبْنِيٌّ مِنْ زُجاجٍ .



التفسيرُ :

أَخبرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ رَفْضِ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هَديَّةَ مَلِكَةِ سبأٍ ، وتهديدَ الوَفْدِ أَنَّهُ قادِمٌ لِفَتْحِ بلادِهِمْ وإِذلالِهِمْ .

وتُخْبرُ هَذِه الآياتُ عمَّا جرَىٰ في رِحْلَتِها لَهُ مِنْ مُفاجآتٍ ، ومَا قدَّمَهُ لَها سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ آياتٍ ، أدَّتْ إلىٰ اقْتِناعِهَا بدينِهِ وإِسْلامِها .

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أَدْرَكَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ مَلِكَةَ سَبأٍ لَنْ تلجأَ إلىٰ الحَرْبِ ، وأَنَّها سَتَتَوجَّهُ بوفْدٍ مِنْ قَوْمِها إليهِ ، لِتَستجيبَ لِدَعْوَتهِ وتَدْخُلَ في دينِهِ ، وأَرادَ أَنْ يُرِيَها بَعْضَ مَظاهِرِ القُوَّةِ الخارِقَةِ الَّتي أَيَّدَهُ اللهُ بِهَا ، لِيُؤثِّرَ فيها ، ويقودَها ذلِكَ إِلىٰ الإِيمانِ باللهِ .

وعَلِمَ ـ فَهُوَ نَبيٌّ يُوحَىٰ إليهِ ـ أَنَّ المَلِكَةَ غادرَتْ عَاصِمَتَها مَعَ وَفْدٍ مِنْ قَوْمِها ، متوجِّهينَ إِليهِ ، فَأَرادَ إِحْضارَ عَرْشِها العَظيمِ ، الَّذي أَخْبرَهُ عَنْهُ الهُدْهُدُ . وعَرَضَ علىٰ رِجالِهِ المُساعِدينَ لَهُ إِحْضارَ عَرْشِها بخارِقَةٍ مَاديَّةٍ ، فقالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَسْتَطيعُ إِحْضارَ عَرْشِها عِنْدي ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ مَعَ وفدِ قَوْمِها ؟

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لَمَّا عَرَضَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ رِجالِهِ إِحْضارَ العَرْشِ تَلقَّىٰ عَرْضَيْنِ لإِحضارِهِ :

العَرْضُ الأَوَّلُ : قدَّمَهُ عِفْريتٌ مِنَ الجنِّ ، وهو جِنِّيٌّ قَوِيٌّ شَديدٌ سَريعٌ نشيطٌ ، واسْتَعَدَّ أَنْ يُحْضِرَ العَرْشَ في مُدَّةٍ قَصيرةٍ ، وقالَ لَهُ : أنتَ الآنَ جالِسٌ في مَجْلِسكَ ، ولَوْ كَلَّفْتَني بِإِحْضارِهِ لأَحْضَرْتُهُ لَكَ قَبْلَ أَنْ تقومَ مِنْ مَقامِكَ ، وأَنا لَهُ ضامِنٌ ، لأَنِّي قَوِيٌّ قادِرٌ علىٰ حَمْلِهِ ، وأَمينٌ علىٰ ما فيهِ مِنَ الزِّينَةِ ، لا آخُذُ مِنْهُ شَيْئاً !

العَرْضُ الثَّاني : قدَّمَهُ رَجُلٌ مِنَ الإِنسِ ، جالِسٌ عِنْدَ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن كتابِ اللهِ اخْتَصَّ بهِ واسْتَطاعَ بذلِكَ العِلْمِ فِعْلَ الخَوارقِ بإِذْنِ اللهِ ، وقالَ لِسُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنا أُحضِرُهُ لَكَ في لَمْحِ البَصَرِ ، فما أَنْ تَفْتَحَ عَيْنَيْكَ ، وتُرْسِلَ بَصَرَكَ ، حَتَّىٰ ترىٰ العَرْشَ أَمامَكَ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ طَرْفُكَ إِلَيْكَ !

وأمرَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الإنسيَّ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ بإحْضارِ العَرْشِ ، فأحْضَرَهُ بقُدْرَةِ اللهِ الَّتِي مكَّنَهُ مِنها ، وأعانَهُ عليْها ، ولا نَعْرِفُ كَيْفَ أحْضَرَهُ ، لأنَّ إحْضارَهُ لمْ يكنْ بوسيلةٍ مُعتادَةٍ بَشَرِيَّةٍ ، لِبُعْدِ المَسافةِ بَيْنَ اليَمَنِ والأرْضِ المُقدَّسَةِ ، المْهِمُّ أنَّهُ أحْضَرَهُ بأمرِ اللهِ .

ولمَّا رأىٰ سُلَيْمانُ العَرْشَ مَوْجوداً أمَامَهُ ، ومُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ ، لَمْ يَنْقُصْ منهُ شَيءٌ ، حَمِدَ اللهَ ، وقالَ : هـٰذا مِن نِعَمِ اللهِ عليَّ ، مَنَّ بِهِ عليَّ لِيَخْتَبِرَني : هلْ أَشْكُرُهُ سُبحانَهُ عَلىٰ هـٰذِهِ النِّعْمَةِ ، أَمْ أكفُرُها وأَجْحَدُها .

وعليَّ أنْ أشْكُرَهُ سُبحانهُ ، لأنَّ نَفْعَ الشَّاكِرِ يعُودُ عليْهِ ، واللهُ لا يَنْتَفِعُ سُبحانَهُ بذٰلِكَ الشُّكْرِ ، ومَنْ جَحَدَ النِّعْمَةَ وكَفرَهَا كانَ هُوَ الخاسِرُ ، ولَمْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً . واللهُ غنيٌّ عنْ عبادةِ عِبادهِ وشُكْرِهِمْ ، غَيْرُ مُحْتاجٍ إليْهِم ، وهوَ كَريمٌ يُعطيهِمُ النِّعَمَ الكَثيرةَ ، ولوْ لمْ يشكُروهُ عليها .

﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

بعدَما رأىٰ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ العَرْشَ عِنْدَهُ ، أرادَ أنْ يَخْتَبِرَ مَعْرِفةَ مَلِكَةِ سبأٍ وذَكاءَها ، فأَمَرَ رِجَالَهُ بِأَنْ يُنَكِّرُوا لهَا عَرْشَها ، وذٰلكَ بتَغْييرٍ في هَيْئَتِهِ وشَكْلِهِ وَصِفَتِهِ ، دُونَ أنْ يُؤَثِّرَ ذلكَ علىٰ حَقيقتِهِ ، وذَكَرَ أنَّ هَدَفَهُ مِنَ التَّغييرِ هُوَ أنْ يَخْتَبِرَ دِقَّةَ ملاحَظتِها ، وقُوَّةَ ذكائِها ، وحُسْنَ تَصرُّفِها ، فَعِندَما تَرىٰ العَرْشَ هلْ تَهْتَدي إليهِ وتَعْرِفُ أنَّهُ عَرْشُها أمْ لا!

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

لمَّا وصَلَتْ مَلِكَةُ سبأٍ استقبلَها رجالُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وعرَضُوا عَلَيْهَا العَرْشَ ، وقالوا لَها : أمِثْلُ هـٰذا العَرْشِ عَرْشُكِ ؟

لقَدْ كانَ السُّؤالُ المُوَجَّهُ لَها ذكيّاً نبيهاً ، فلمْ يَكُنِ السُّؤالُ : أهـٰذا عَرْشُكِ ؟ لأنَّهُ سيكونُ تَلقيناً لَها ، ولنْ تُجيبَ إلاَّ بنعمٍ ، أوْ لا!

وكانَ جوابُها في غايةِ الفِطْنةِ والبَرَاعَةِ والذَّكاءِ ، فلمْ تقلْ : هُوَ عَرْشي! ولمْ تقُلْ : ليسَ عَرْشي! ولمْ تقلْ : هُوَ مِثْلُ عَرْشي! وتخلَّصَتْ مِنَ الإشكالِ والحَيْرةِ بقولِها : كأَنَّ هذا العَرْشَ عَرْشي!

وعلَّقَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ إشْكالِهَا بقولِهِ : آتانا اللهُ العِلْمَ قَبْلَ قُدومِ المَلِكَةِ إلَينا ، العِلْمَ بالحَقائقِ ، والعِلْمَ بقُدومِها مَعَ وفْدِها لإسْلامِهِمْ عِندَنا ، والعِلْمَ بالقدرةِ علىٰ إحْضارِ عَرْشِها ، وآتانا اللهُ هذا العِلْمَ مِنَّةً علَيْنا وإكراماً لنا ، لأنَّنا مُسْلِمونَ . أمَّا هِيَ فلمْ تُؤْتَ ذلكَ العِلْمَ ، لأنَّها لم تَكُنْ مُسْلِمَةً ، والَّذي مَنَعَها مِنْ إسْلامِها هو البيئةُ الكافِرَةُ الَّتي تعيشُ فيها ، فَهِيَ مِنْ قَوْمٍ كافِرينَ ، يَعْبدونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فكانَتْ مِثْلَهُم!

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ .

أعدَّ لَها سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُفاجأة أُخْرى ، لِيُرِيَهَا مُلْكاً أعزَّ مِنْ مُلْكِها ، وسُلْطاناً أعْظَمَ مِنْ سُلطانِها ، مَنحَهُ اللهُ لَهُ ، فَقَدْ جهَّزَ لَها قَصْراً مَبْنيّاً مِنَ الزُّجاجِ الأمْلَسِ ، وجَعَلَ أمامَهُ بِرْكَةَ ماءٍ ، وغَطَّاها بالزُّجاجِ الأبْيَضِ الشَّفَّافِ .

وأُوقِفَتْ أمامَ القَصْرِ ، وقيلَ لَها : ادْخُليهِ . وبالرَّغمِ مِنْ فِطْنَتِها وذَكائِها فإنَّها لَمْ تُشاهِدِ الزُّجاجَ يُغطِّي البِرْكَةَ ، وظَنَّتْ أنَّها سَتَدْخُلُ القَصْرَ بالخَوْضِ في البِرْكَةِ ، فَرَفَعَتْ طَرَفَ ثَوْبِها ، وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها اسْتِعْداداً لِعُبورِ الماءِ!

فقالَ لَها سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : إنَّ البِرْكَةَ مُغطَّاةٌ بالزُّجَاجِ الآمِنِ ، ولنْ تَخوضي الماءَ ، وهذا قَصْرٌ مبنيٌّ مِنَ الزُّجاجِ والرُّخامِ الأمْلَسِ!

عِنْدَ ذَلِكَ اعترفتْ مَلِكَةُ سَبأ بِضَعْفِها وهَزيمتِها أمامَ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وعَلِمَتْ أنَّ هذا المُلْكَ العَظيمَ الّذي أُوتِيهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وهَبَهُ اللهُ إيّاهُ ، فاقْتَنعَتْ بدينِهِ وأعْلَنَتْ إسلامَها قائِلَةً : ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نفسي بِسبَبِ عِبادَةِ غيرِ اللهِ ، وها أنا أُعْلِنُ إيماني باللهِ وَحْدَهُ ، ودُخولي في الإسْلامِ ، وأُسْلِمُ مَعَ سُلَيْمانَ للهِ رَبِّ العالَمين .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ التقدُّمُ العِلميُّ والصِّناعيُّ والتِّقْنيُّ موجودٌ مُنْذُ القِدَمِ يدلُّنا عليْه ما كَانتْ عَلَيْهِ مَلِكَةُ سَبأَ وَما كانَ عليْهِ سُلَيْمان .

٢ـ القُدْرَةُ التي يَتَّصِفُ بها الجِنُّ والشَّياطينُ ، حَيْثُ يستطيعُ الجِنِّيُّ نَقْلَ العَرْشِ مِنَ اليَمَنِ إلى فِلَسْطينَ في مُدَّةٍ وَجيزةٍ .

٣ـ قَدْ يَتفوّقُ الإنْسُ على الجِنِّ بالعِلْمِ .

٤ـ تَواضُعُ نَبيِّ اللهِ سُلَيْمانَ لِعَظَمَةِ اللهِ معَ ما أُوتيه مِنْ مُلْكٍ ، واسْتِخدامُ ما أُوتيهِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ .

٥ـ إذَا ذَكَرَ المُؤْمِنُ بَعْضَ نِعَمِ اللهِ عليه فلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ شُكْرِ اللهِ والتَّحدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ .

٦ـ قَدْ يَتحدَّثُ المُؤْمِنُ عَنْ بَعْضِ مواهبِهِ وصِفاتِهِ مِنْ دونِ رياءٍ ولا مُباهاةٍ ، لكنْ لِيَعْرِفَهُ الآخَرونَ .

٧ـ اللهُ يَبْتلي عِبادهُ الصّالحين ويخْتبِرُهُمْ بالفضْلِ والخيْرِ ليشْكروهُ .

٨ـ علىٰ الدُّعاةِ اسْتخدامُ الوَسائلِ والأساليبِ المَاديّةِ المُتطوِّرةِ للدّعوةِ إلىٰ الله .

٩ـ البيئةُ التي يعيشُ فيها الإِنْسانُ تؤثِّرُ في فِكْرهِ وتَصوُّرِهِ ودينهِ وحَياتهِ .

١٠ـ الإِسْلامُ هُوَ دينُ الأنبياءِ جَميعاً ، وروحُ الرِّسالاتِ كُلِّها ، والمُؤمنونَ السّابِقونَ كُلُّهُم مُسْلِمُونَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِمَاذَا أَرادَ سُلَيْمانُ إِحْضارَ عَرْشِ مَلِكَةِ سَبأٍ ؟ وَمَا العرْضانِ اللّذانِ قُدِّما لَهُ لِتحقيقِ ذٰلك ؟

٢ـ كَيْفَ أُحْضِرَ العَرْشُ إِلىٰ سُلَيْمانَ ؟ وكَمِ الوَقْتُ الّذي اسْتَغرَقَهُ ذَلِكَ ؟

٣ـ ماذا قالَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ عِنْدَما رأىٰ العَرْشَ أمامَهُ ؟ وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذٰلك ؟

٤ـ لماذا أَمَرَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ بِتَنكيرِ عَرْشِ مَلِكة سبأٍ ؟ وكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ التَّنكيرُ ؟

٥ـ ماذا جرَىٰ لِلمَلِكَةِ أمامَ القَصْرِ ؟ وماذا كَانتْ نَتيجةُ ذٰلِكَ ؟

٦ـ كيفَ يَدْعو سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ إلىٰ الإِسْلامِ مَعَ أنَّهُ كانَ قَبْلَ رسولِ اللهِ ﷺ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذكرْ آيةً مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ بأَنَّ المُحْسِنَ يُحسِنُ لِنَفْسِه ، والمُسيءُ يُسيءُ عَليْها . وآيةً مِنْ سورةِ فاطِرٍ بِأَنَّ النّاسَ هُمُ الفُقراءُ إلىٰ اللهِ وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ ، واكْتُبْهُما في دفترِكَ .

٢ـ اقرأْ آياتِ قِصّةِ سيِّدِنا سُليمان مَعَ ملكةِ سبأٍ (٢٠ـ٤٤) بتمعُّنٍ ، واذكرْ عَددَ مرّاتِ ذِكْرِ « الإِسْلام » فيها . وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذلكَ ؟ وكَيْفَ اعتبرتْ دينَ سُليمانَ هُوَ الإِسلامُ مَعَ أَنَّ رسولَ اللهِ هُوَ الّذي جاءَ بالإِسْلامِ ؟ وسُليْمانُ كانَ قبْلَهُ بِمُدّةٍ طَويلةٍ واكْتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ : طائفَتانِ مُؤْمِنَةٌ وَكافِرَةٌ ، بَيْنَهُما جِدالٌ وَنِزاعٌ وَخُصومَةٌ .

اَطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ : تَشاءَمْنَا بِكَ وَبِمَنْ اتَّبَعَكَ .

طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ : مَا يُصيبُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ وبِأَمْرِهِ

تُفْتَنونَ : تُخْتَبَرونَ .

تِسْعَةُ رَهْطٍ : تِسْعَةُ رِجالٍ .

تَقاسَموا بِاللهِ : احْلِفوا بِاللهِ .

لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ : لَنَقْتُلَنَّ صالِحاً وأَهْلَه لَيْلاً .

وَلِيِّهِ : قَريبِهِ الَّذي يُطالِبُ بِدَمِهِ .

مَكَرُوا مَكْراً : دَبَّروا تَدْبيراً خَفِيّاً لِعَمَلِ الشَّرِّ .

بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً : بُيُوتُهُمْ خالِيَةً مِنْهُمْ .



التفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وملِكَةِ سَبأٍ ، ودَعْوتِهِ لها إلىٰ التَّخلي عنِ الشِّرْكِ والدُّخولِ في الإسْلامِ .

وتُخْبِرُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ طَرَفٍ مِنْ قِصَّةِ صَالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِ ثمودَ ، وإنكارهِ عليْهِمُ الشِّرْكَ ودَعوتِهم إلىٰ الإسْلامِ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

أرسلَ اللهُ إلىٰ قَوْمِ ثَمودَ أخاهُم صَالِحاً رَسولاً ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ودَعاهُم إلىٰ أنْ يتخلَّوْا عَنِ الشِّرْكِ ، ويَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ .

وكانتْ نَتيجةُ دَعْوَتهِ انْقِسامَهُمْ إلىٰ فريقيْنِ مُخْتَلِفيْنِ مُتنازِعَيْنِ ، بينَهُما جدالٌ وخِصامٌ : فَريقٍ مُؤْمِنٍ بهِ متَّبعٍ لَهُ ، وهُمُ المُسْتَضْعَفونَ . وفَريقٍ كافِرٍ بهِ مُكَذِّبٍ لَهُ ، وهُمُ الملأُ المُتكبِّرونَ ومَنْ مَعَهُمْ كَثيرونَ .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ولمَّا رَفضَ الفَريقُ الكَافِرُ دَعْوَةَ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ طَلبوا مَنْعَ إيقاعِ العَذابِ بهِمْ ، فأنكرَ عليْهِمْ ذٰلِكَ وقالَ لَهُمْ : لِماذا تَسْتعجِلونَ وُقوعَ العَذابِ بِكُمْ ؟ إنَّكُم لَنْ تَحتمِلُوهُ ولَنْ تتمكَّنوا مِنْ دَفْعهِ عَنكُم !

والأَوْلَىٰ بِكُمْ أنْ تَطلُبوا مِنَ اللهِ رَحْمَتَهُ ، فهلاَّ تَتوبونَ إلىٰ اللهِ مِنْ كُفْرِكُم ، وتَسْتَغْفِرونَهُ مِنْ ذُنوبِكُم ، إنَّكُم إنْ فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ حَصَلْتُمْ علىٰ رَحْمَةِ اللهِ .

وقَدْ رَفضَ القَوْمُ نُصْحَ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لهُمْ ، وردُّوا عَلَيْهِ بغلظةٍ وقَسْوةٍ ، وقالوا لَهُ : دَعْنا مِنْكَ ومِنْ نُصْحِكَ ، فقدْ تَشاءَمْنا مِنْكَ ومِمَّنْ آمنَ مَعَكَ ، فَمنذُ أنْ جِئْتَنا بهٰذا الدِّينِ لَمْ نرَ خَيْراً ، وإنَّما تَتابَعَتْ عَلَيْنا الشَّدائدُ والمَصائِبُ .

وردَّ عَلَيْهِم صَالحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ اتِّهامَهُمْ ، وقالَ لَهُم : طَائِرُكُم عِنْدَ اللهِ وكلُّ ما يُصيبُكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شرٍّ يَكونُ بقدَرِ اللهِ ، مَكْتوباً عِنْدَهُ سُبحانَهُ ، ولَيْسَ كما تَزْعُمونَ أَنَّ ذٰلكَ بِسَببِ ما جِئْتُكُمْ بِهِ .

وأنْتُمْ لا تَعلمونَ هٰذهِ الحَقيقةَ فَتتشاءَمُونَ مِنَّا ، مَعَ أَنَّ اللهَ يمتحِنُكُمْ وَيخْتَبِرُكُمْ ، فإنْ أَطَعْتُمْ أَجْزَلَ لَكُمُ الثَّوابَ ، وإنْ عَصَيْتُم ضاعَفَ عَلَيْكُمُ العذابَ .

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

لم يقبلِ القومُ الكافِرون نُصح صالح ـ عليهِ السّلامُ ـ وأصرُّوا على الكُفرِ والتكذيب ، وكانَ أشدَّهُمْ كُفْراً وعدواةً رجالٌ تسعَةٌ ، جعلوا مُهِمَّتَهُمْ الإفساد في مدينة « الحِجْر » الّتي يُقيمُ فيهَا قومُ ثمود .

قامَ أحدُ هؤلاء التِّسعةِ بعقْرِ النَّاقةِ بالرغم منْ تحذيرِ صالح ـ عليهِ السَّلامُ ـ وبعْدَ ذلكَ هدَّدهُمْ بأنَّ العذابَ سيقعُ بهمْ بعدَ ثلاثةِ أيّام ، فتآمرَ الرِّجالُ التّسعَةُ عليْه ، واتَّفقُوا علىٰ قتْلِه هُو وأهْلِهِ ليْلاً ، وتعاهدُوا علىٰ ذلكَ ، وحلفُوا الأيْمان ، وفي الصَّباح يأتونَ إلىٰ أوْلياء صالح ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأتْباعِهِ ، فيُنْكِرونَ عِلْمهُمْ بقتْلِ صالح ومَنْ معَهُ ، أوْ شهودَهُم لقتلِهِمْ . وسوْفَ يُصدِّقونَهُمْ لأنَّهُمْ زُعماءُ لقوْمِهِمْ ، ولا يُناقشُهُمْ أحدٌ في كلامِهِمْ .

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

تآمَرَ الرَّهْطُ التِّسْعَةُ علىٰ صَالِحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومنْ معهُ ، وكادُوا لهُمْ ، ودبَّروا تدْبيراً خفيّاً لقَتْلِهِمْ . ولكنَّ اللهَ معَ أوْليائه ، فأبْطَلَ كيدَ الكافِرينَ ومكْرهُمْ ، وأوْقعَ بِهِمْ عاقِبةَ مكْرِهِمْ ، وعجَّلَ لهُمُ العذابَ ، مِنْ دُونَ أنْ يَشْعروا بِهِ .

ويَدعو اللهُ رَسولَهُ ﷺ وكُلَّ مُتدبِّرٍ للقُرآنِ ، إلىٰ أنْ ينْظُرَ ويتأمَّلَ كيْفَ كانتْ عاقبةُ تآمُرِهِمْ وكَيْدِهِمْ ، فقدْ دمَّرَ اللهُ الرَّهْطَ التِّسْعَةَ لِمكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ ، كما دمَّرَ قوْمَهُمُ الكافِرينَ جميعاً ، لأنَّهُمْ كفرُوا وكذَّبُوا ، ووافقوا المُتآمِرينَ علىٰ تخْطِيطِهِمْ ضِدَّ المؤْمِنين .

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

كانتْ عَاقبةُ مكْرِ المُتآمرين تدميرَهُمْ وإهْلاكَهُمْ ، هُمْ وجَميعَ الكَافِرين مِنْ قوْم ثمودٍ ، وأبْقَىٰ اللهُ آثارَهُمْ مِنْ بعْدِهِمْ ، فتِلْكَ بيُوتُهُمُ الّتي نحتوها فِي الصَّخْرةِ موْجودَةٌ ، لكنَّها خاليَةٌ مِنْهُمْ ، وهِيَ آيَةٌ وعِبْرةٌ وعِظَةٌ لأهْلِ العِلْمِ والمعْرفةِ ، وهُمُ المُؤْمِنون الّذينَ يعْرِفونَ سُنَّةَ اللهِ في خَلْقِهِ ، إذْ يُدمِّرُ القَوْمَ الكافِرينَ ، ويُنجي المُؤْمنينَ المُتَّقين .

وفي هذهِ النِّهايةِ لِقوم ثمود تذْكيرٌ لِلْمُشْركين المُكذِّبينَ لرسولِ اللهِ ﷺ وتحذيرٌ لهُمْ بوقوعِ العذابِ بِهِمْ إنِ استمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتكذيبِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إعلامُ اللهِ لنا بشَيْءٍ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ بإخبارنا عَنْ قِصَّةِ صالحٍ وقَوْمِه .

٢ـ يَنْتُجُ عَنْ دَعْوةِ النَّاسِ إلىٰ الحقِّ انقسامُهُمْ إلىٰ فريقَيْنِ : مُؤْمنينَ وكافِرينَ .

٣ـ لا يَسْتَعْجِلُ عذابَ اللهِ إلاَّ جاهِلٌ ، لأنَّهُ لا طاقَةَ لَهُ بِهِ ، والأَصْلُ أَنْ يَتوبَ إلىٰ اللهِ ويَطْلُبَ رَحمَتَهُ .

٤ـ الكُفّارُ يَكْرَهونَ المُؤْمنينَ ويتشاءَمُونَ منْهُمْ ، ويَعْتَبرونَهمْ سببَ مَصائِبِهِمْ .

٥ـ دَعْمُ المُتنفِّذينَ لِلفسادِ نَشْرٌ لَهُ بَيْنَ النَّاسِ وتَخريبٌ لحياتِهِمْ .

٦ـ القادَةُ الكافِرونَ متآمِرونَ علىٰ المُؤْمِنينَ ، يُخطِّطونَ لِلقضاءِ عَلَيْهِمْ ، وتَدميرِهِمْ .

٧ـ عاقِبَةُ الكَيْدِ والمكْرِ والتآمُرِ تَنْقَلِبُ علىٰ أَصْحابِهِ المُتآمِرينَ ، لأنَّهُ لا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهْلِهِ .

٨ـ إبقاءُ آثارِ الكافِرينَ الهالِكينَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، بِمَنْ بَعْدَهُمْ ، لِتكونَ آيةً وعِبْرَةً لَهُمْ .

٩ـ إهلاكُ الكافِرينَ ونَجاةُ المُؤْمنينَ سُنَّةٌ رَبانِيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ علىٰ مَدارِ التَّاريخ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

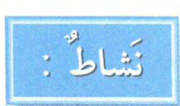
١ـ أـ ماذا طَلَبَ قَوْمُ ثَمودَ مِنْ صالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟ ب ـ وبِماذا رَدَّ عليْهِم ؟ ج ـ وماذا طَلَبَ مِنْهُم ؟

٢ـ ما مَعنَى قولِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في رَدِّهِ علىٰ تَشاؤُمِهِم : ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ؟

٣ـ علىٰ ماذا اتَّفقَ الرَّهْطُ المُتآمِرُونَ ؟

٤ـ المَكْرُ نَوْعانِ . اذكُرْهُما ، وفَرِّقْ بينَهُما ، مِنْ خلالِ آياتِ الدَّرْسِ .

٥ـ مَا وَجْهُ الاعْتبارِ عِنْدَ مُشاهَدَةِ آثارِ القَوْمِ المُعذَّبينَ ؟



نَشاطٌ :

١ـ تتَحدَّثُ الآيتانِ (٧٥ـ٧٦) عَنْ بَعْضِ ما جرَىٰ بينَ الفَريقينِ مِنْ خِصامٍ وجِدالٍ . سجِّلِ الآيتينِ ، واذْكُرْ ما جرَىٰ فِيهما بَيْنَ الفَريقينِ .

٢ـ تردُ الآيةُ (٧٨) منْ سورةِ النِّساءِ تَشاؤُمَ الكُفَّارِ بِالنَّبيِّ ﷺ وتُبَيِّنُ أَنَّ الحَسَنةَ والسَّيْئةَ مِنْ عِندِ اللهِ ، سَجِّلِ الآيةَ ، وبيِّنْ معَنَاهَا ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٤٧) .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثُونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَتَأْتونَ الفاحِشَةَ	: إِتْيانُ الذُّكورِ في أَدْبارِهِمْ .
وَأَنْتُمْ تُبْصِرونَ	: يَنْظُرُ بَعْضُكُم إِلى بَعْضٍ في أثناء اللّواطِ وهَذا أَفْحَشُ .
شَهْوَةً	: تَسْتَمْتِعونَ بِإِتْيانِ الرِّجالِ ، وهُمْ ليسوا مَوْضِعَ اسْتِمْتاعٍ .
أُناسٌ يَتطَّهرونَ	: آلُ لوط يُنزِّهونَ أَنْفُسَهُم وَيعِفّونَ عَنِ الفَواحِشِ .
قَدَّرْناها مِنَ الغابِرينَ	: حَكَمْنا وقَدَّرْنا أَنَّها مِنَ الباقِين في العَذابِ .
أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً	: أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الحِجارَةَ مِنَ السَّماءِ .

التَّفْسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ صَالحٍ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وقَوْمِهِ ، الَّتي انْتَهَتْ بِنَجاةِ المُؤْمِنينَ ، وإِهْلاكِ الكافِرينَ ، وإِبْقاءِ آثارِهِمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ قِصَّةِ لُوطٍ - عَلَيْهِ السَّلامُ - مَعَ قومِهِ ، وهِيَ القِصَّةُ الرَّابعةُ فِي هٰذه السُّورَةِ ، وانتهتْ إِلىٰ إِهْلاكِ المُنْحَرِفينَ ونَجاةِ المُؤْمِنينَ المُتَطَهِّرينَ .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

يطْلُبُ اللهُ مِنْ رسوله ﷺ أنْ يَذْكُر لِلْمُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِهِ قِصَّةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مع قَوْمِهِ الكافرين .

لَقَدْ بَعَث اللهُ لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ رَسُولا إلىٰ قَوْمٍ كافِرينَ شاذِّينَ مُنْحَرِفينَ ، لِيَدْعوَهُمْ إلىٰ الإيمانِ باللهِ وتركِ الانْحِراف والشُّذُوذِ ، فبلَّغَهم دَعْوَةَ اللهِ ، وأنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَعاصِيَهُمْ وانحرافَهم ، وقالَ لَهُم : لماذا تأتونَ الذُّكورَ فِي أَدْبارِهِمْ ؟ لقدْ كُنتُمْ السَّابِقينَ إلىٰ ارْتِكاب هَذِهِ الفاحِشَةِ ، حَيْثُ لمْ يسْبقْكُمْ إليها أحدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبْلِكُمْ . وأنَّكُمْ لَمْ تَكْتفُوا بِإِتْيانِ هـٰذِهِ الفاحِشَةِ ، وإنَّما ارْتكبْتُمْ جَريمةً أقْبحَ وأشْنَعَ ، وهيَ ارْتِكابُكُمُ الفاحِشَةَ بِصُورَةٍ جَماعيَّةٍ ، بِحَيْثُ يَرىٰ ويُبْصِرُ بعضُكُمْ بَعْضاً! قالَ تعالىٰ : ﴿أئِنَّكُمْ لَتأْتون الرِّجالَ وتَقْطَعونَ السَّبيلَ وتأْتون في نادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ .

وقدْ كرَّر عليْهم لوطٌ ـ عليْهِ السَلامُ ـ إنْكارهُ وتوْبيخهُ بقوْلِه : كَيْفَ تَقْبلون إتْيانَ الرِّجالِ فِي أدْبارِهِمْ ؟ وتسْتمتعون بذلك ؟ وتتْركون لِنساءَ اللَّواتِي خَلقهُنَّ اللهُ لِتستمتعوا بهنَّ اسْتِمْتاعاً حَلالاً .

إنَّكُم في الحقيقةِ جُهلاءُ سُفهاءُ ، لا تعْرِفونَ شَيْئا ، وتَجْهلونَ الطَّرِيقَ الفِطْريَّ لِقَضاءِ الشَّهوة ، وتجْهلونَ عاقبةَ ما تفْعلونَهُ مِن فواحش وقبائح .

وعلىٰ هـٰذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿أتأْتون الذُّكْران مِن العالمِين وتَذَرون ما خلَقَ لَكُمْ ربُّكُمْ مِنْ أزْواجِكُمْ بل أنْتُم قوْمٌ عادُون﴾ [الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦] .

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

لَمْ ينْفعْ نُصْحُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ القَوْمَ المُنْحَرِفين ، ولَمْ يقْبَلوا كَلامَهُ ، وأصرُّوا علىٰ شُذوذِهِمْ ، وخطَوْا خُطوةً أقْبحَ ، حَيْثُ أرادوا التَّخلُّصَ مِنْ لوط ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وآله المُؤْمِنينَ ، لِئلاَّ يسْتمِرَّ في نُصْحِهِمْ والإنكارِ عليْهِمْ ، وبعْدما تَشاوروا فيما بينهُمْ بشأنِهِ قالوا : أخْرِجوا لُوطاً وأهْلَهُ وأتْباعَهُ المُؤْمنين مِنْ قَرْيتِكُمْ ، فلا مكانَ لهُم عِنْدكُمْ .

وقولُهُمْ : أخْرِجوا آلَ لُوطٍ مِنْ قريتكُمْ فيهِ اتِّهامٌ لِلوطٍ وآلِه بأنَّهُمْ غريبُونَ عَنْهُمْ ، دُخلاءُ عَلَيْهِمْ ، فالبِلادُ بِلادُهُمْ ، والقَرْيةُ قريتُهُمْ ، وبِما أنَّ لُوطاً ومَنْ معهُ لَيْسوا أصْلا مِنْهُمْ ، وإنَّما هُمْ وافِدون عليْهِمْ ، لِذلِك لا مكانَ لَهُمْ بيْنَهمْ!

وقدْ علَّلَ القَوْمُ المُجرمونَ قرارَهُمْ الظَّالِمَ بعلَّةٍ عجيبةٍ! السَببُ في إخْراجِهِمْ مِن القرْيةِ هُو أنَّهُم أُناسٌ يتطهَّرونَ! قالوا : إنَّ لوطاً وأهْلَهُ المُؤْمنينَ بهِ قوْمٌ يحْرِصون علىٰ الطَّهارةِ والعِفَّةِ عنْد قضاءِ

الشَّهْوةِ ، ويَرْفضُونَ أَفْعالَنا ، ولا يُقرُّونَنا علىٰ تَصرُّفاتِنا ، ولِهٰذا لا مَكانَ لهُمْ عِندَنا!

ومُنْذُ متىٰ كانَتِ العِفَّةُ الجنسيَّةُ والطَّهارَةُ في قَضاءِ الشَّهْوةِ ، والتَّرفُّعُ عَنِ الزِّنا والشُّذوذُ جَريمةً يُدانُ بها أَصْحابُها ، ويُطرَدُونَ مِنَ البلادِ بسَببِها ؟

ولَقدِ انْتَشرَتْ هَذهِ الفَاحِشَةُ الشَّاذَّةُ في العالَمِ في هٰذا الزَّمانِ ، وهِيَ الَّتي يُسمُّونَها « الشُّذوذَ الجنسيَّ » ، وصارَ الكَثيرونَ يَقْبَلونَ بها ، ويَرفُضونَ الإنْكارَ علىٰ مَنْ يَفْعلُها ، ويَعْتَبرونَ العِفَّةَ والتَطهُّرَ وعَدَمَ الزِّنا والشُّذوذِ جَريمةً أَوْ تُهمةً يُذَمُّ بها أَصْحابُها!!

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أصرَّ الكافرونَ الشَّاذُّونَ علىٰ إِخراجِ لوطٍ وآلهِ مِنْ قريتِهم لِطَهارَتِهِمْ ، انتهتْ قِصَّةُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وحَانَ وقُوعُ عَذابِ اللهِ بهِمْ ، فأَنجَىٰ اللهُ لُوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَهْلَهُ المُؤْمنينَ . أَمَّا امْرأَتُهُ فَقدْ كانتْ كَافِرةً ، ورَاضِيةً بفواحِشِ قَوْمِها ، ولِذٰلكَ أَبْقاهَا اللهُ مَعَ القوْمِ الهَالكِينَ حَيْثُ عُذِّبَتْ مَعَهُم . وقدْ أَوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العَذابَ فِي الصَّباحِ ، حَيْثُ جَعلَ عالِيَها سَافِلَها ، وأَمْطرَ عليْهِم حِجارةً مِنْ سِجِّيلٍ أبادَتْهُم!

وبئسَ المَطرُ مَطرُ القَوْمِ المُنْذَرينَ ، حَيْثُ أَنْذَرَهُمْ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ العَذابَ ، وأَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، ولكنَّهُمْ رَفضُوا دَعْوتَهُ ، وأَصرُّوا علىٰ فواحِشِهِمْ ، فاسْتَحقُّوا بِذلكَ العَذابَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بقصَّةِ لوط مَعَ قَوْمِهِ .

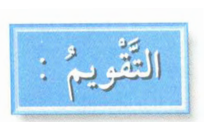
٢ـ مِنْ أَقْبَحِ صُوَرِ الانْحرافِ والشُّذوذِ ارْتكابُ الفَواحِشِ بِصُورةٍ جَماعيَّةٍ كنوادِي العُراةِ في زَمانِنا .

٣ـ إتيانُ الرِّجالِ دُونَ النِّساءِ انْحِرافٌ عَنِ الفِطْرةِ ومَرَضٌ نفْسِيٌّ ، أَوَّلُ ما ظَهَرَ في قَوْمِ لوطٍ .

٤ـ إنْكارُ المُنْكَرِ والنَّهيُ عَنْهُ واجبٌ شَرْعيٌّ علىٰ الدُّعاةِ والمُصْلحِينَ .

٥ـ عِنْدَمَا تَنْتَشرُ الفَواحِشُ بَيْنَ النَّاسِ تكونُ العِفَّةُ والطَّهارَةُ جَريمةً يُعاقَبُ عَلَيْها أَصْحابُها .

٦ـ لا يَنْتَفِعُ الكافرُ بِقَرابةِ المُؤْمنِ ، لأنَّهُ لا يَشْفَعُ مُؤْمِنٌ فِي كافرٍ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ هلْ كانَ لوطٌ مِنَ القَوْمِ الَّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أمْ كانَ غَريباً عَنْهُم ؟ وضِّحْ ذٰلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٢ـ الأَقْبَحُ مِنَ ارْتِكابِ قَوْمِ لوطٍ لِلفاحِشَةِ ارْتكابُهُمْ لَها وَهُمْ يُبْصِرُونَ بَعْضَهُم بَعْضاً . وضِّحْ ذٰلِكَ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أرْبعَ جُمَلٍ لِلإنكارِ أَنْكَرَ بها لُوطٌ علىٰ قَوْمِهِ ارْتِكابَ الفاحِشَةِ .

٤ـ ما التُّهْمَةُ المَنْسوبَةُ إِلىٰ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والَّتي اسْتَحَقَّ بها الإخراجَ مِنَ القَرْيَةِ ؟

٥ـ لِمَاذَا اسْتُثْنِيَتِ امْرأةُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ النَّجاةِ ؟ ومَا دَلالَةُ ذٰلِكَ ؟

٦ـ أـ مَا المُرادُ بالمَطَرِ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ ب ـ ومَا الَّذي أُنْزِلَ علىٰ قومِ لوطٍ ؟ ج ـ ولِماذا سُمِّيَ مَطَراً ؟

نَشاطٌ :

اقرأ آياتِ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ في سُورةِ هُودٍ ، واسْتَخْرِجْ منْها تَفاصيلَ إهلاكِ قَوْمِ لوطٍ ، مُنْذُ قُدومِ المَلائِكَةِ إِلىٰ إبْراهيمَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالبُشْرىٰ إِلىٰ تَدْميرِ القَوْمِ في الصَّباحِ ، وسَجِّلْ ذٰلِكَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّابِعُ والثَّلاثُونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَصْطفَىٰ** : اخْتارَ .
- **حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ** : بَساتِينَ مُسَوَّرَةً بالأسْوارِ ذاتَ حُسْنٍ ورَوْنَقٍ وبَهاءٍ .
- **قَوْمٌ يَعْدِلونَ** : المُشْرِكونَ يُساوونَ اللهَ بآلِهَتِهِمْ ، مَعَ أنَّها لَيْسَتْ آلِهَةً .
- **جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَراراً** : جَعَلْناها مَكاناً صالِحاً لِلإقامَةِ ، يَستقرُّ عَلَيْها الإنْسانُ .
- **جَعَلَ لَها رَواسِيَ** : جَعَلَ لها جِبالاً ثابِتَةً ، ثَبَّتَ بها الأَرْضَ .
- **جَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حاجِزاً** : جَعَلَ مَانِعاً بَيْنَ الماءِ العَذْبِ والماءِ المالِحِ .
- **يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ** : يَسْتَجيبُ دَعْوَةَ ذِي الحاجَةِ الَّتي اضْطَرَّتْهُ إِلى الطَّلَبِ .
- **يَكْشِفُ ٱلسُّوءَ** : يَرْفَعُ الضُّرَّ والأذَى .

يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ	يَجعلُكُمْ ترثون الأرْضَ عنْ منْ قبْلكُمْ ، وتَسْكُنونها بعْدَهُمْ .
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ	يُرْشِدُكُم إلى مَقَاصِدِكُمْ في سَيْرِكُمْ في الظَّلامِ بَرّاً وبَحْراً .
بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ	مُبَشِّرات قبَيْل نُزولِ الغَيْث .
تَعَالَىٰ ٱللَّهُ	تَنَزَّهَ اللهُ عنِ النَّقْصِ .
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ	قدِّموا دليلَكُمْ وحُجَّتَكُمْ على أنَّ للهِ شَريكاً .

التفسيرُ :

وَرَدَ في الآياتِ السَّابقةِ قصَصُ أربعة من الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ وهِيَ قصَصٌ تَدُلُّ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ وعلىٰ أَنَّ مُحَمَّداً هُوَ رسُولُ اللهِ ﷺ كَما تَدلُّ علىٰ وحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتهِ وحِكْمَتهِ سُبحانَهُ . وتُقَدِّمُ هذهِ الآياتُ الأَدِلَّةَ علىٰ وَحْدَانيَّةِ الله وقُدْرَته ، ونَفْي الشُّركاءِ مِنَ الآلِهَةِ المَزْعومينَ .

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

بِمَا أَنَّ الآياتِ السَّابقةَ تحدَّثتْ عَنْ أنبياءَ سابقينَ ، وأَثْبَتَتْ نُبوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فإنَّ هٰذهِ الآيَةَ خِطابٌ مِنَ اللهِ لِنبيِّهِ ﷺ يَقولُ اللهُ لهُ : احْمَدْ ربَّكَ واشْكُرْهُ علىٰ نعَمه الَّتي لا تُحْصىٰ ، وسَلِّمْ علىٰ الَّذينَ اصْطفاهُمُ اللهُ واخْتارَهُم مِنْ بَيْنِ عبادهِ الصَّالحينَ ، فجعَلَهُمْ أنبياء ورُسُلاً ، وهٰذا الخطابُ لَيْسَ خاصًّا برَسولِ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ يَشْمَلُ الأُمَّةَ مِنْ بعْدِه ، فكُلُّ مُسْلِمٍ مأْمورٌ بحَمْدِ اللهِ وشُكْرِهِ والصَّلاةِ والسَّلامِ على رُسُلِهِ ـ عَلَيْهِمْ الصَّلاةُ والسلامُ ـ .

ويُنْكِرُ اللهُ علىٰ المُشْرِكينَ عِبادَتَهُمْ لغيرِ اللهِ ، ويُبيِّنُ ضلالَتَهُمْ وجهْلَهُمْ في ذٰلِكَ ، فيَقولُ : أيُّهُما خَيْرٌ ؟ اللهُ رَبُّ العالَمينَ أَوِ الَّذي يُشْرِكون به مِنَ الأَصْنامِ ؟

ولا يَدلُّ هذا الاسْتِفْهامُ على المُوازنةِ بَيْنَ خيْرِ اللهِ وخَيرِ الشُّركاءِ المَعْبودينَ بالباطلِ ، لأَنَّ الشُّرَكاءَ لا يُقدِّمونَ خيْراً أبداً ، والخيْرُ كُلُّهُ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، والهَدَفُ من الاسْتِفْهام هُوَ توبيخُهم وذَمُّهُمْ وَتهكُّمٌ بِهِمْ ، لأَنَّهُمْ آثَروا عِبادةَ الأَصْنام علىٰ عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

بَعْدَما بيَّنتِ الآيةُ السَّابقةُ أَنَّ الخيْرَ كُلَّهُ بيدِ الله ، وأَنَّ الشُّركاءَ لا خَيْرَ فيهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ لا يَمْلِكونَ شَيْئاً ؛ ذَكَرَتْ هذهِ الآيةُ دَليلاً علىٰ وَحْدانيةِ الله ، وهُوَ خلْقُ السَّماواتِ والأَرْضِ وإِنزالُ الماءِ مِنَ السَّماءِ ، وإِنباتُ الزَّرْعِ والأَشْجارِ بهِ . يقولُ اللهُ للمُشرِكين : أَيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادةُ الأَوْثانِ والأَصْنامِ

التي لا تَنْفعُ ولا تَضُرُّ ، أَوْ عِبادَةُ اللهِ الخالِقِ ؟ إنَّ اللهَ هُوَ الَّذي خلقَ السَّماواتِ السَّبْعَ ، وخَلَقَ الأَرْضَ الصَّالحةَ لِلحياة ، وأَنْزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فأَحْيا بِهِ الأَرْضَ ، وأَنْبَتَ بِهِ النَّباتَ والزُّروعَ والأَشْجارَ والثِّمارَ ، وجَعَلَ البَساتينَ الجَميلةَ ، والحَدائقَ الحَسَنةَ البَهيجَةَ وأَنتُمْ مِنْ دونِ هـٰذا الماءِ لا تَقْدِرُونَ علىٰ إنباتِ الأَشْجارِ والزُّروعِ . إنَّ العِبادةَ لا تكونُ إلاَّ للهِ لأَنَّهُ المُتفرِّدُ بالخَلْقِ والرِّزقِ سُبحانَهُ وتعالَى ، ولا يَصِحُّ أَنْ يَكونَ مَعَ اللهِ إلهٌ آخرُ يُعْبَدُ . والمُشْرِكونَ مُجْرِمونَ ظالِمونَ عندَما جَعَلَوا مَعَ اللهِ آلِهَةً وساوَوْها بِهِ ، وجَعَلوها شُركاءَ لَهُ .

والَّذي لا يَخْلُقُ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكونَ إلَهاً . قالَ تعالىٰ : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ﴾ [النحل : ١٧] .

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قدَّمَتِ الآيةُ دليلاً آخرَ علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ ، يَقولُ اللهُ للمُشْركينَ : أيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادةُ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ولا تَنْفعُ ، أَوْ عِبادَةُ اللهِ الخالِقِ الحَكيمِ المُتصرِّفِ ؟ إنَّهُ الَّذي جعَلَ الأَرْضَ مُسْتَقرّاً للإنسانِ والحَيوانِ وجعَلَ الأَنْهارَ تَجْري خِلالَها ، وجَعَلَ فيها جِبالاً ثابتةً شامِخَةً ، تُرسي الأَرْضَ وتُثَبِّتُها لِئَلاَّ تَتَحركَ ، وجَعَلَ حاجِزاً بَيْنَ الماءِ العذْبِ والماءِ المالِحِ ، لِئلاَّ يَخْتَلِطا ويَمْتَزِجا فيُفْسِدُ أحَدُهُما الآخَرَ .

إنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي فَعلَ هـٰذا ، فكَيْفَ جَعَلَ المُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً وعَبَدُوها مِنْ دُونِهِ ، مَعَ أَنَّها لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ ؟ إنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكينَ لا يَعْلَمونَ قَدْرَ عَظَمَةِ اللهِ ، فَيَعبُدونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وبذلِكَ يُوقِعونَ بأَنْفُسِهِمُ الهَلاكَ .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ دَليلٌ آخرُ علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ ، وهُوَ مِنْ واقعِ حَياةِ النَّاسِ . يقولُ اللهُ لَهُم : أَيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادَةُ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ؛ أَوْ عِبادةُ اللهِ رَبِّ العَالَمينَ ، الَّذي يُجيبُ المُضْطَرَّ المُحْتاجَ عِنْدمَا يَلْجأُ إليهِ ؟ يَدْعوهُ ويَتضرَّعُ إليهِ ، إنَّ هذا المُضطَرَّ بِسَببِ فَقْرٍ أَوْ مَرضٍ أَوْ كَرْبٍ لَمْ يَجِدْ إلاَّ اللهَ ، وإنَّ اللهَ يَسْتجيبُ دَعْوَتَهُ ، ويَكْشِفُ عنهُ السُّوءَ الَّذي وَقعَ بهِ .

وإنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يتكفَّلُ بحياةِ النَّاسِ ، ويَحْفَظُهُمْ ويَرْعاهُمْ ، ويَدْفَعُ عَنْهُمُ الأَخْطارَ ، ويَسْتَخْلِفُهُمْ في الأَرْضِ ، فيأتي بِقَرْنٍ مِنَ النَّاسِ يَخلُفونَ الَّذينَ قَبْلَهُمْ ، يسكُنونَ الأَرْضَ بَعْدَهُمْ ويَرِثونَهم فيها .

اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هذا بالنَّاسِ ، فَكَيْفَ جَعَلَ الْمُشْرِكونَ آلِهَةً مَعَهُ ، وعَبدُوها مِن دُونِهِ ؟ مَا أَقلَّ تَذكُرَهُمْ لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ولَوْ تذكَّرُوهَا لَمَا عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ .

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

تُقَدِّمُ هذهِ الآيةُ دَليلاً آخَرَ علىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ ؛ مَأخوذاً مِنْ حَرَكَتِهِمْ علىٰ الأرْضِ ، وانتفاعِهِمْ بِمَا فيها ، يَقولُ اللهُ لَهُمْ : عِبادةُ الأصْنامِ الَّتِي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ أوْ عِبادةُ اللهِ ربِّ العَالَمينَ ؟ وهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُرشِدُكُمْ إلىٰ الطَّريقِ ويَهديكُمْ سُبُلَكُمْ ، وأنْتمْ مُسافِرونَ في ظُلُماتِ البرِّ والبَحْرِ ، وخَلَقَ لكُمْ مِنَ الدَّلائلِ السَّماويَّةِ والأَرْضيَّةِ كالنُّجومِ والجِبالِ وغيرِها ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

واللهُ وحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُرسِلُ عَلَيْكُمُ الرِّياحَ تَسْبِقُ نُزولَ الغَيْثِ ، تُبَشِّرُ بِقُرْبِ وُصولهِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ يُنزِلُ عَلَيْكُمُ الغَيْثَ رَحْمةً مِنهُ بِكُمْ ، فَيُحْيِي بِهِ الأرْضَ ويُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ .

اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هذا ، فَكَيْفَ جَعَلَ الْمُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ ؟ تعالىٰ اللهُ وَتَنزَّهَ عمَّا يُشْرِكونَ بِهِ ومَعَهُ ، لأنَّهُ لَيْسَ لَهُ شريكٌ .

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

في هٰذهِ الآيةِ دَليلٌ آخَرُ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، مَأخوذٌ مِنَ البِدايةِ والنِّهايةِ والرِّزقِ ، يقولُ اللهُ لَهُمْ : أيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادةُ الأَصْنامِ الَّتِي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، أوْ عِبادةُ اللهِ رَبِّ العالَمينَ ؟ إنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ المُبْدِعُ لِلخَلْقِ ، خَلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنْ غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ ، وخَلَقَ النَّاسَ وتَكفَّلَ بِهِم ، ورَزَقَهُمُ الرِّزقَ الكَثيرَ ، رَزَقَهُمْ مِنَ الماءِ النَّازِلِ مِنَ السَّماءِ ، ومِنَ الزُّروعِ والثِّمارِ النَّاتِجةِ مِنَ الأَرْضِ ، وهُوَ الَّذِي يُميتُ النَّاسَ عِنْدَما تَحينُ آجالُهُمْ ، وهُوَ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القِيامةِ ويُعيدُ لَهُمُ الحَياةَ مَرَّةً أُخْرىٰ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذي يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم : ٢٧] .

إنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ جَعَلَ الْمُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً عبَدوهَا مِنْ دونِهِ ؟

إنَّهُ لا إلَهَ مَعَ اللهِ ، وإذا كانَ الْمُشْرِكونَ مازالُوا يُؤْمِنونَ بوجودِ إلـٰهٍ مَعَ اللهِ ، فَعَلَيْهِمْ أنْ يُقدِّمُوا دَليلاً مُقْنِعاً وبُرْهاناً واضِحاً ، إنْ كانُوا صادِقينَ مَعَ أنْفُسِهِمْ ومَعَ غَيْرِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ وحْدَهُ المُسْتَحِقُّ للعبادَةِ مِنْ دُونِ الآلِهَةِ الأُخْرى الّتي لا تَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ خَصائِصِ اللهِ .

٢ـ الدَّلائِلُ الدَّالَّةُ على وَحْدانيةِ اللهِ كَثيرةٌ لا تُحْصى مَبْثوثةٌ في الكَوْنِ الّذي نَعيشُ فيهِ .

٣ـ الخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ اللهِ وبيدِه ، فكَيْفَ يَعْبُدُ المُشْرِكُونَ غَيْرَهُ ، مِمَّنْ لا يَقْدِرُ علىٰ شَيءٍ ؟

٤ـ وُجوبُ تَقْديمِ الأدلَةِ اليَقينيَةِ المُقْنِعَةِ لِمَسائِلِ العَقيدةِ ، وجِدالُ الكُفّارِ بالحُسْنى لإقناعِهِمْ .

٥ـ يُسْرُ الدَّليلِ القُرآنيِّ لِمَسائِلِ العَقيدةِ وبَساطَتُهُ ، لأنَّهُ مَأْخوذٌ مِنَ الواقعِ الَّذي يَشْهَدُهُ النَّاسُ ويَعْرِفونَهُ .

٦ـ مُطالَبَةُ المُخالِفينَ تَقديمَ البُرْهانِ والدَّليلِ علىٰ صِحَةِ ما عِنْدَهُمْ ، وإنْ يُقدِّموهُ ظَهَرَ بُطلانُ ما هُمْ عَلَيْهِ .

٧ـ يُعلِّمُنا اللهُ كَيْفَ نُواجِهُ المُشْرِكينَ بالحُجَّةِ والبُرهانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ أ ـ مَا نوعُ الاسْتفهامِ في قَوْلِهِ : آللهُ خَيْرٌ أمَّا يُشْرِكون ؟ ب ـ وَما الهَدَفُ منهُ ؟ ج ـ وهَلْ عِنْدَ الَّذينَ يُشْرِكونَ باللهِ خَيْرٌ ؟

٢ـ وضِّح الدَّليلَ الأوَّلَ الَّذي قدمَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، ومَا مَعنىٰ قولهِ : ﴿بَلْ هُمْ قَومٌ يَعْدِلونَ﴾ ؟

٣ـ الدَّليلُ الثَّاني على الوَحْدانيَّةِ ذُكِرَ فيهِ أَرْبعةُ أَفْعالٍ مِمَّا يَحْدُثُ علىٰ الأَرْضِ بأَمْرِ اللهِ وحْدَهُ ، اذكرْهَا وبيِّنْ معانِيها .

٤ـ الدَّليلُ الثَّالثُ علىٰ الوَحْدانيَّةِ يَتعلَّقُ بالإنْسانِ ، كَيْفَ تَسْتَدِلُّ أَنْتَ بهِ علىٰ الوَحْدانيَّةِ ونفي الشِّرْكِ ؟

٥ـ كَيْفَ يَهدِي اللهُ النَّاسَ فِي ظُلُماتِ البرِّ والبَحْرِ ؟ وكيْفَ يُرسِلُ الرِّياحَ مُبشِّراتٍ ؟ وَمَا الدَّليلُ على ذلكَ ؟

٦ـ الَّدليلُ الخامِسُ علىٰ الوَحْدانيَّةِ يَتعلَّقُ بالبِدْءِ والإعادةِ ، وضِّحْ ذَلِكَ .

نَشاطٌ :

١ـ أَوْرِدْ آيةً مِنْ سُورةِ الأَنْعام تَدُلُّ علىٰ أَنَّ النُّبوَّةَ اصْطفاءٌ مِنَ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالتَهُ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينها وبَيْنَ الآيةِ (٥٩) ، واكْتُبْ ذٰلكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ تَتَحدَّثُ الآيةُ الأَخيرةُ مِنْ سُورةِ الأنعامِ عَنِ اسْتِخلافِ النَّاسِ فِي الأَرْضِ ، سَجِّلِ الآيةَ في دَفْترِكَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٢) .

٣ـ هُناكَ آيةٌ في أواخِرِ سُورَةِ (المُؤْمنونَ) تُبيِّنُ أَنَّ المُشْرِكينَ خاسِرونَ لأَنَّهُمْ يَعْبُدونَ آلِهَةً لا بُرهانَ لَهُم عَليْها . سجِّلِ الآيةَ وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٤) .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ العاشِرُ

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثونَ	: لاَ يَعْرِفُ الْكُفَّارُ مَتَىٰ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ .
ٱدَّارَكَ	: تَلاحَقَ وَتَتابَعَ .
بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ	: هُمْ عُمْيُ ٱلْقُلوبِ وَٱلْبَصائِرِ ، وَلِذٰلِكَ يُنْكِرُونَ ٱلْحَقَّ وَٱلآخِرَةَ .
أَإِنَّا لَمُخْرَجونَ	: هَلْ نَخْرُجُ أَحْياءً مِنْ قُبُورِنَا ؟
أَساطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ	: أَكاذيبُ ٱلأَقْدَمِينَ ٱلسَّابِقِينَ .
عاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمينَ	: نِهايَةُ ٱلْكُفَّارِ وَهَلاكُهُمْ .
لاَ تكنْ فِي ضَيْقٍ	: لاَ يَضيقُ صَدْرُكَ بِهِمْ وَتَحْمِلُ ٱلْهَمَّ مِنْ أَجْلِهِمْ .

التفسيرُ :

قدَّمتِ الآياتُ السَّابقةُ الأدلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وناقشَتِ المُشْرِكينَ فِي عِبادَتِهِمُ الباطِلَةِ لِغَيْرِ اللهِ ، وبيَّنَتْ بَعْضَ أَفْعالِ اللهِ فِي الكَوْنِ والحَياةِ والإِنْسانِ .

وَتأْتي آياتُ هذا الدَّرْسِ لِتُقرِّرَ أمْرَ الآخِرَةِ والبعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ ، وتُبيِّنُ لِلْمُشْرِكينَ جَهْلَهُم بالآخِرَةِ ولِذلكَ أنْكرُوا وقُوعَها .

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

تُبيِّنُ هذهِ الآيةُ أنَّ اللهَ ـ تَعالَىٰ ـ اخْتصَّ بِعِلْمِ الغَيْبِ ، فالغَيْبُ المَجْهولُ المَسْتورُ لا يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ .

ويأْمرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لِلنَّاسِ : لا يَعْلَمُ أَحدٌ مِنَ المَخلوقينَ الغَيْبَ ، سَواءٌ أكانوا مَلائِكةً في السَّمواتِ أمْ إنْساً وجنّاً علىٰ الأرْضِ . واللهُ وَحْدَهُ هُو المُتفرِّدُ بِعِلْمِ الغَيْبِ ؛ لأنَّهُ أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، وهُوَ سُبْحانَهُ عالِمُ الغَيْبِ ؛ لأنَّهُ أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، وهُوَ سُبحانَهُ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادةِ .

واللهُ يُطْلِعُ مَنْ يَشاءُ مِن عِبادِهِ علىٰ بَعْضِ أَنْباءِ الغَيْبِ ، فَيَعْلَمونَ تِلْكَ الأَنْباءَ بَعْدَ تَعليمِ اللهِ لهُم .

قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسولٍ﴾ [الجن : ٢٦ـ٢٧] .

وبعدَما نفىٰ اللهُ عَنِ المَخْلوقينَ عِلْمَ الغيْبِ بِصورةٍ عَامَّةٍ نَفىٰ عَنْهُمُ العِلْمَ بِمَسْأَلةٍ غَيْبيَّةٍ خاصَّةٍ ؛ هِيَ وَقْتُ قيامِ السَّاعةِ ، وبَعْثِ النَّاسِ أحياءً مِنْ قُبورِهِمْ .

إنَّ المَخْلوقينَ جَميعاً لا يَعْلَمُونَ ولا يَدْرونَ ولا يَشْعرون متىٰ تَقومُ السَّاعةُ ومَتى يُبْعثون مِنْ قُبورِهِمْ ، ونَفْيُ الشُّعورِ بِوقْتِ قِيامِ السَّاعةِ أَبْلغُ مِنْ نَفْيِ العِلْمِ بِهَا ، لأنَّ الشُّعورَ خَفِيٌّ غامِضٌ .

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

إذَا كانَ النَّاسُ جَميعاً لا يَعْلَمُونَ متىٰ تَقومُ السَّاعةُ ، سَواءً أكانوا مُؤْمنينَ أَمْ كافِرينَ ، فإنَّ المُؤْمنينَ لا يُنْكِرونَ قِيامَ السَّاعةِ ومَجيءَ يوْمِ القِيامةِ ، بلْ يُوقِنونَ بِذلكَ لأنَّ اللهَ أَخْبَرَهُمْ بهِ ، وهُوَ عالِمُ الغَيْبِ .

أمَّا الكُفَّارُ فإنَّهُمْ يَجْعلونَ جَهْلَهُمْ بوقتِ قيامِ السَّاعةِ دَليلاً علىٰ عَدَمِ قُدومِها ، وقَدْ أَخْبَرَ اللهُ أنَّهُ قَدْ تَدارَكَ عِلْمُ الكُفَّارِ في الآخِرَةِ ، وتَتابعَ وتَلاحَقَ ، حتَّىٰ نَقصَ وتَلاشَىٰ وانْتَهَىٰ ، وبذلِكَ قصَّرَ عَنِ الوُصولِ إليْها ، ووَقفَ دُونَها لا يَبْلُغُها .

وبِمَا أنَّ عِلْمَهُمْ قصَّرَ عَنِ الوُصولِ إلىٰ الآخِرَةِ ، فإنَّهُم لَمْ يَأْخذوا أَخْبارَها مِنَ اللهِ العالِمِ بها ، وإنَّما وَقعُوا في شَكٍّ وحَيْرَةٍ ، مِنْ قُدومِ الآخِرَةِ ووُجودِها ، هَلْ تأْتِي أمْ لا ؟

وارْتَقىٰ في الآيةِ مِنْ وَصْفِهِمْ بالشَّكِّ مِنْ مَجيءِ الآخِرَةِ إلىٰ وصْفِهِمْ بالعَمَىٰ عنْها ، فَقَدْ أَصابَ

هـذا العَمَى قُلوبَهُمْ وبَصائِرَهُمْ ، فلا يُبصِرون الدَّلائِلَ الَّتي تَدُلُّ عليْهَا ، ولا يُدْرِكُون شيْئاً مِنْ طبيعَتِها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ لا عِلْمَ لَهُم بالآخرةِ ، وَهُمْ شَاكُّون فيهَا ، وعُمْيٌ عنِ الدَّلائِلِ الَّتي تدُلُّ عَليْها ، ولِذلكَ أنكرُوا مَجيئَها ، واسْتَبْعدُوا العَوْدةَ لِلحياةِ بَعْدَ الموْتِ ، ويعُدُّون الوَعْدَ بهذا أُسْطورةً كاذِبَةً .

قالَ الكُفّارُ المُنْكِرونَ لِلآخرةِ : لَقَدْ ماتَ آباؤُنا وصَاروا تُراباً ونحْنُ سَنموتُ ونَصيرُ تُراباً ، فَهَلْ ستُعادُ إلَيْنا الحَياةُ يَوْمَ البَعْثِ ؟ وهلْ سَنَخْرُجُ أَحْياءً مِنْ قُبورِنا ؟ أمْ هذا لَنْ يكونَ ؟ وقَدْ سَمِعنا هذا الوَعْدَ كَثيراً كما سَمِعَهُ آباؤُنَا مِنْ قَبْلِنا كَثيراً ، ولكنَّهُ لَمْ يَتحقَّقْ ، فلَمْ نرَ أَحَداً قامَ حيّاً بَعْدَ مَوْتِهِ ، فهذا الوَعْدُ بالْعَوْدَةِ إلى الحَياةِ أُكذوبةٌ وخُرافةٌ مِنْ أَساطيرِ السَّابقين يَتناقلُهَا النَّاسُ مِنْ بَعدِهِمْ .

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

بِمَا أَنَّ الكافِرينَ كَذَّبُوا بالبَعْثِ فهُمْ مُجْرِمُونَ وقدْ كانَ قبْلَهُمْ مُجْرِمُونَ ومُكذِّبونَ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ .
وهُنا يَدعُوهُمُ اللهُ إلى أنْ يتَّعِظُوا بِمَا جَرى لِلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِم فيأْمُرُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لهُمْ : سيروا في أَرْضِ الحِجازِ واليَمَنِ والشَّامِ وَغيْرِها ، وتعرَّفُوا علىٰ مَصيرِ مَنْ سَبَقَكُمْ مِنَ المُكَذِبينَ ، وانْظُرْوا كَيْفَ كانَتْ عَاقِبةُ كُفْرِهِمْ وإجْرامِهِمْ ، أَلَمْ يُدمِّرْهُمُ اللهُ ؟ وإنْ لَمْ تَتخلَّوْا عَنِ التَّكذيبِ فَسَيُصيبُكُم ما أَصابَهُمْ .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

إنِ اسْتَجابَ الكُفَّارُ لِلدَّعوةِ واعتَبروا بِمَا جَرىٰ لِمَنْ قَبْلَهُمْ وآمنُوا فَهـذا خَيْرٌ لَهُمْ ، وإنْ رَفضُوا ذَلِكَ واسْتَمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، فعلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ أنْ لا يَحْزَنَ عَليْهِمْ لِكُفْرِهِمْ ولِخَسارَتِهِمْ ، فَلَقَدْ نَصَحَهُمْ وَلكنَّهُمْ رَفضُوا النَّصيحَةَ فاسْتَحقُّوا العَذابَ ، كَمَا أَنَّ عليْهِ أَلاَّ يَضيقَ صَدْرُهُ بِمَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ وتآمُرِهِمْ عليْهِ ، فإنَّهُمْ لا يَضرُّونهُ شيْئاً وإنَّ اللهَ مَعَهُ يَنْصُرُهُ ويُؤيِّدُهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على العبادِ أنْ يُؤمِنوا بعِلْمِ الغَيْبِ الصَّادِقِ الَّذي صَحَّ عَنِ اللهِ وعَنْ رُسُلِهِ ، ومِنْهُ العِلْمُ باليومِ الآخِرِ .

٢ـ عِلْمُ البَشَرِ مَحْدودٌ قَليلٌ مَهْما أُوتوا مِنْ عِلْمٍ ، والعِلْمُ الكامِلُ الشَّامِلُ إنَّما هُوَ للهِ .

٣ـ الكُفَّارُ يُنكِرُونَ وُجودَ ما لَمْ يَعلَمُوهُ ويُشاهِدُوهُ وهـذا مِنْ جَهْلِهِمْ وسُوءِ نَظَرِهِمْ .

٤ـ الكُفَّارُ يكذِّبُون بالآياتِ الَّتي تتحدَّثُ عنِ الآخرةِ ، ويَعُدُّونَها مِنْ أَساطيرِ الأَوَّلِينَ .

٥ـ السَّيْرُ في الأَرْضِ ورُؤْيَةُ آثارِ السَّابقينَ يقودُ إِلىٰ العِبْرةِ والعِظَةِ .

٦ـ إهلاكُ المُكذِّبينَ المُجْرِمينَ سُنَّةٌ ربانيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ .

٧ـ علىٰ المُؤْمِنِ الدَّاعيةِ أَنْ لا يَحْزَنَ بَعْدَ دعْوَةِ الكُفَّارِ ، وأَنْ لاَ يَخْشاهُمْ لأَنَّهُ فِي رِعايةِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرْ آيتيْنِ تَدلاَّنِ علىٰ أَنَّ اللهَ اخْتَصَّ بِعِلْمِ الغَيْبِ وحْدَهُ .

٢ـ كيْفَ يعْلَمُ البَشَرُ بَعْضَ أنباءِ الغَيْبِ ؟ وما دليلُكَ علىٰ ذلكَ ؟

٣ـ لماذا نَفَتِ الآيةُ عنِ الكُفَّارِ شُعورَهُمْ بوقتِ قيامِ السَّاعَةِ ؟

٤ـ ما معنى قولهِ : ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهمْ بالآخِرَةِ﴾ ؟

٥ـ لِمَاذا يأْمُرُ اللهُ المُنْكِرين بالسَّيْرِ في الأَرْضِ ؟ وما هِيَ السُّنَّةُ الرَّبانيَّةُ الَّتي تَأْخُذُها مِن ذلكَ ؟

٦ـ ما هِي الشُّبْهَةُ الَّتي اعْتمدَ عَليْهَا الكُفَّارُ في إِنكارِ البَعْثِ ؟

٧ـ بِمَ يأمرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ والدُّعاةَ عِنْدَ كُلِّ مِنْ :

أ ـ إصرارِ الكُفَّارِ علىٰ كُفْرِهِمْ بَعْدَ تبليغِهِمُ الدَّعوةَ .

ب ـ مَكْرِ الكافرينَ وتآمُرِهِمْ .

نَشاطٌ :

١ـ أَخْبرَتْ الآيةُ (٥٩) مِنْ سُورةِ الأنعامِ أَنَّ مَفاتيحَ الغيْبِ عِنْدَ اللهِ ، وهـٰذهِ المَفاتِحُ مَذكورةٌ في الآيةِ (٣٤) مِنْ سورةِ لُقْمانَ . سَجِّلِ الآيتيْنِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُما مَفاتِحَ الغَيْبِ الخَمْسَةِ .

٢ـ حَرْفُ « بَلْ » للإِضْرابِ والانْتِقالِ ، وهُوَ مَذْكورٌ في الآيةِ (٦٦) ثلاثَ مَرَّاتٍ ، اذْكُرِ الصِّلَةَ بَيْنَ الجُمَلِ الثَّلاثةِ ، ووَصْفَها لأَحْوالِ المُشْركينَ وحِكْمَةَ التَّعبيرِ بِحرْفِ « بَلْ » في كلِّ واحِدَةٍ مِنْها ، واكْتُبِ الإِجابَةَ في دَفْتِرِكَ .

٣ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الأَخيرةُ مِنْ سورةِ يسٓ الَّذي اسْتَبعدَ البَعْثَ وحَياةَ العِظامِ وهِيَ رَميمٌ ، ورَدَّتْ عَليْهِ ، سَجِّلِ الآياتِ واسْتَخْلِصْ مِنْهَا الدَّليلَ الَّذي أَوْرَدَتْهُ علىٰ البَعْثِ .

الدَّرسُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ : مَتَىٰ يَقَعُ بِنا ٱلْعَذابُ الَّذي تُهَدِّدونا بِهِ .

رَدِفَ لَكُمْ : تَبِعَكُمْ وَلَحِقَكُمْ .

ما تُكِنُّ صُدورُهُمْ : ما تُخْفيهِ صُدورُهُم .

ما يُعْلِنونَ : مَا يُظْهِرونَهُ مِنْ أَقْوالٍ وَأَفْعالٍ

غائِبَةٍ : أَيُّ شَيْءٍ خَفِيٍّ عَنِ النَّاسِ . وَالتَّاءُ فِيها لِلْمُبالَغَةِ ؛ فَهِيَ بِمَعْنَىٰ : غائِبٍ .

فِي كِتابٍ مُبينٍ : فِي ٱللَّوْحِ ٱلْمَحْفوظِ .

التفسيرُ :

أَخْبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ إِنكارِ الكُفَّارِ لِلآخِرَةِ ، وَدعَتْهُمْ إِلىٰ السَّيْرِ في الأَرْضِ لِلاعْتبارِ بِهَلاكِ المُكذِّبينَ السَّابقينَ .

ولكنَّ الكُفَّارَ لا يَعْتبرُونَ ، واسْتَمرُّوا فِي إِنكارِهم وتَكذيبِهم ، فَتُهدِّدُهُمْ هـٰذهِ الآياتُ بالعَذابِ ، وتتحدَّثُ عنْ شُمولِ عِلْمِ اللهِ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُهَدِّدُ المُشْرِكينَ بالعَذابِ في الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ ، إِنِ اسْتَمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، ويَدعُوهُمْ إلىٰ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ لِمُشاهدةِ آثارِ المُعذَّبينَ السَّابقينَ لِيعْتَبِروا ويتَّعِظُوا بما أصابَهُم .

ولكنَّهُمُ اسْتقبَلوا هٰذا التَّهْديدَ بالاسْتِخْفافِ ، وأَخَذوا يَسأَلونَ عَنْ مَوْعِدِ قُدومِهِ سؤالَ اسْتِبعادٍ واسْتِهانةٍ ـ ويَقولونَ لِلمُؤْمِنينَ : أنتُمْ تُهَدِّدونَنا بوقوعِ العَذابِ بنا ، وقدِ انْتظرْناهُ فَلَمْ يَقَعْ ، فَأَخْبِرُونا متَىٰ مَوْعِدُ قُدومِهِ إِلَيْنا ، إنْ كُنتُم صادقينَ في دَعْواكُم أَنَّ العَذابَ قادِمٌ .

ومِنَ اسْتِخْفافِهِمْ بالعَذابِ أَنَّهُمْ كانوا يَطْلُبونَ مِنَ اللهِ إيقاعَهُ بِهِمْ .

﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

جاءَ الرَّدُّ علىٰ طَلَبِهِمُ العَذابَ مُخيفاً ، والتَّهديدُ مُرْعِباً ، فَيأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ : أَنتُمْ تَسْتَعْجِلونَ العَذابَ فانْتَظِروهُ ؛ لَعلَّهُ قادِمٌ إليكُمْ عَنْ قَريبٍ ، وعَسَىٰ أَنْ يكونَ لَحِقَكُمْ وتَبِعَكُمْ واقْتَرَبَ مِنْكُم ، وأَنتُمْ لا تَشْعرونَ بهِ .

وهٰذا فيهِ مِنَ الرُّعْبِ والخَوْفِ والهَوْلِ مَا فِيهِ ؛ لأَنَّهُ يَجْعَلُ العَذابَ وراءَهُمْ رديفاً لَهُمْ ، كَما يَكونُ الرَّديفُ وراءَ الراكِبِ فَوْقَ الدَّابةِ ، تَحمِلُهُما مَعاً !! فالعَذابُ رَديفُهُمْ قَريبٌ مِنْهُمْ وهُمْ لا يَشْعُرونَ بهِ ، ويَسْتَعْجِلونَ وُقوعَهُ .

وقدْ وقَعَ بهِم ذٰلكَ العَذابُ فِي الدُّنْيا يومَ بَدْرٍ ، حَيْثُ هزمَهُمُ اللهُ وقَتَلَ زُعماءَهُمْ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

لِماذا يؤخِّرُ اللهُ العَذابَ عَنِ الكُفَّارِ مَعَ أَنَّهُم يَطلبونَهُ ويَسْتَعْجِلونَهُ ؟ يُؤخِرُهُ تفضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ ، ويُؤَخِّرُ العُقوبةَ عَنِ الكافِرينَ والمُذْنبينَ مِنْهُمْ .

ومَعَ ذلكَ الفَضْلِ والإنعامِ مِنَ اللهِ ، إلاَّ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يشْكُرونَهُ علىٰ فَضْلِهِ سُبحانَهُ ، وإِنَّما يُقابِلُونَ إِنْعامَهُ بالجُحودِ ، ولا يَشْكُرُهُ إلاَّ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ ، وهُمْ قَليلٌ !

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

وفي هٰذهِ الآيةِ تهديدٌ أيضاً للكُفَّارِ المُسْتَعْجِلينَ لِلعذابِ ، فاللهُ لَمْ يتركْهُمْ ويُهْمِلْهُمْ عندَما أَخَّرَ العَذابَ عَنْهُمْ ، فهُوَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَقولونَهُ ويَفْعلونَهُ ، وما يُخفونَهُ ويُظهرونَهُ ، ويُسجِّلُهُ عَلَيْهِمْ ، وسَيُحاسِبُهم عَلَيْهِ يومَ القِيامةِ .

وإنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ شيءٍ ، ويَعْلَمُ كُلَّ مَا عِندَ النَّاسِ ، ما يُظهرونَهُ ويُعلنونَهُ مِنَ الأَقْوالِ والأَفْعالِ ،

وما يُسرّونَهُ ويُخْفونَهُ ، وما في القُلوبِ والضّمائرِ والسّرائرِ ، كُلُّ ذلكَ يَعْلَمُهُ اللهُ مِنْ أصْحابِهِ ، ويُحْصيهِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يُحاسِبُهُمْ عَلَيْهِ .

وإنَّ شُعورَ المُؤْمِنِ بهذهِ الحَقيقةِ يَدعُوهُ إلىٰ أنْ يَحْرِصَ علىٰ طاعةِ اللهِ ، والابْتِعادِ عمّا حَرَّمَ اللهُ ، وتَنظيفِ قَلْبِهِ وضَميرِهِ مِنَ الخواطِرِ السّيئةِ والأفكارِ الباطِلَةِ .

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

ينتقلُ النَّصُّ مِنْ بيانِ عِلْمِ اللهِ بِمَا يُخفيهِ النَّاسُ في صُدورِهِمْ وما يُعلنونَهُ إلىٰ بيانِ شُمولِ عِلْمِ اللهِ كلَّ شيْءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، لأنَّهُ سُبحانَهُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً .

إنَّهُ ما مِنْ شَيءٍ غَائِبٍ مَخْفِيٍّ في السَّمواتِ والأَرْضِ إلاَّ وهُوَ مَعْلومٌ عِنْدَ اللهِ ، مَوْجودٌ مَحْفوظٌ في اللّوحِ المَحْفوظِ ، الّذي أثْبَتَ اللهُ فيهِ كُلَّ ما سَيكونُ إلىٰ يومِ القِيامةِ .

ويَجولُ خَيالُ المُؤْمِنِ في الأرْضِ والسَّماءِ ، ورَاءَ كُلِّ غائبةٍ مِنْ شيءٍ أوْ سِرٍّ أوْ خَبَرٍ ، فإذا بِها مُقَيَّدَةٌ في عِلْمِ اللهِ ، لا يَغيبُ مِنْها شَيْءٌ .

ويردِّدُ مَعَ لُقمانَ قولَهُ لابنِهِ ، الّذي أخْبَرَنا اللهُ عَنْهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ [لقمان : ١٦] . فسُبْحانَ ربِّي عَلاّمِ الغُيوبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَسْتَعْجِلُ عَذابَ اللهِ إلاَّ جاهِلٌ أحْمَقُ ؛ أمَّا العاقِلُ فإنَّهُ يَسْأَلُ اللهَ رَفْعَ العَذابِ .

٢ـ الكُفّارُ يَسْتَخِفُّونَ بالعَذابِ ويَسْتَهينونَ بهِ ، وهـٰذا لَيْسَ مِنْ مَصْلَحتِهِمْ .

٣ـ قدْ يكونُ العَذابُ قريباً مِنَ الإنسانِ وهُوَ لا يشعرُ بهِ .

٤ـ الكافرُ يُقابلُ فَضْلَ اللهِ وإنعامَهُ بالجُحودِ ، والمُؤْمِنُ يُقابلُ ذلكَ بالشُّكْرِ .

٥ـ شُعورُ المُؤْمِنِ بأنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُخْفيهِ وما يُعْلِنُهُ يَدْعوهُ للإقبالِ علىٰ الطّاعاتِ والابتعادِ عنِ المُحرَّمَاتِ .

٦ـ سَعَةُ عِلْمِ اللهِ وإحاطَتُهُ بكلِّ شَيءٍ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا كانَ الكُفَّارُ يَسْألونَ عنْ مَوْعدِ يومِ القيامةِ ؟ ومَاذا تَسْتَنْتِجُ أَنْتَ مِنْ ذلك ؟

٢ـ كَيْفَ يكونُ العَذابُ رَديفاً لِلكُفَّارِ ؟

٣ـ يَنْقَسِمُ النَّاسُ بالنِّسبةِ إِلىٰ عَذابِ اللهِ قِسْمَيْنِ . اذْكُرْهُما مُسْتَخْرِجاً دَليلَ ذلكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ اللهُ يَعْلَمُ ما تُخْفيهِ أَنْتَ وما تُعْلِنهُ ؛ اذْكُرْ ثَلاثةَ آثارٍ لِهذهِ الحَقيقةِ علىٰ حَياتِكَ .

٥ـ اذْكُرْ مَعنىٰ الآيةِ الأَخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ وَرَدَ طلبُهمُ العَذابَ صَريحاً في الآيةِ (٣٢) مِنْ سورةِ الأنفالِ ، وذَكَرَتِ الآيةُ الَّتي بَعْدَها سَبَبَ تَأْخِيرِهِ عنْهُمْ ؛ سَجِّلِ الآيتينِ في دَفْتركَ ، واسْتَخْرِجْ ذَلكَ مِنْهُما .

٢ـ سَجِّلْ آيتيْنِ أُخرَيَيْنِ بمعنى الآية (٧٤) تَتحدَّثانِ عَنْ عِلْمِ اللهِ بالسِّرِّ والجَهْرِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَرْبَعُونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَقْضي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ : يَفْصِلُ اللهُ بَيْنَهُم يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ بِعَدْلِهِ .

إِنَّكَ عَلَىٰ الحَقِّ ٱلْمُبِينِ : أَنْتَ عَلَىٰ ٱلدِّينِ الْحَقِّ الْواضِحِ .

لاَ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى : لاَ يَتَأَثَّرُ بِكَ الكُفَّارُ لأَنَّ قُلوبَهُم مَيتَةٌ .

لاَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعاءَ : الْكُفَّارُ لاَ يَنْتَفِعونَ بِسَماعِهِمْ دَعْوَتَكَ ، كَأَنَّ بِهِم صَمَماً .

وَلَّوْا مُدْبِرينَ : أَعْرَضوا عَنِ الْحَقِّ هارِبينَ .

عَنْ ضَلالَتِهِمْ : عَنْ كُفْرِهِمْ .

التَّفْسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ عِلْمِ اللهِ المُطْلَقِ ، الشَّامِلِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي السَّماءِ والأَرْضِ وَعَنْ فَضْلِ اللهِ علىٰ النَّاسِ ، لِيَذْكُروهُ ويَشْكُروهُ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ القُرْآنِ ، الَّذي أَنْزَلَهُ اللهُ مُفصَّلاً لِكُلِّ شَيْءٍ .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

القُرْآنُ الكريمُ كلامُ اللهِ ، أنْزَلَهُ على رسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ وجَعَلَهُ مُهَيمناً على ما سَبَقَهُ مِنْ كُتُبٍ كَالتَّوْراةِ والإنْجيلِ ، فما قالَهُ فهُوَ الحَقُّ الثَّابتُ الَّذي لا شَكَّ فيهِ .

وقَدِ اخْتلفَ بنو إِسْرائيلَ فيمَا بينَهُمْ ، بالرَّغمِ مِنْ إنزالِ التَّوراةِ والزَّبورِ والإنجيلِ عَلَيْهِمْ ، وانْقَسَموا إلى شِيَعٍ وأَحْزابٍ مُتقاتِلةٍ ، وحَرَّفُوا التَّوْراةَ ، ومَلأُوها بالأَكاذيبِ والأَساطيرِ والاتِّهاماتِ ، فقَصَّ اللهُ في آياتِ القُرْآنِ على بَني إِسْرائيلَ الحَقَّ ، وأَخْبَرَهُمْ الخَبَرَ الصَّحيحَ ، وحَسَمَ المَسائِلَ الخِلافيَّةَ الَّتي فرَّقَتْهُمْ ، وذَكَرَ وجْهَ الحَقِّ فيها ، ولَوْ أَنْصَفُوا لَصدَّقُوهُ واتَّبعوهُ ، لكِنَّهُم كَفَروا وكَذَّبوا بهِ بَغْياً وعُدْواناً .

وهٰذا يَدُلُّ على أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، وأَنَّ مُحَمَّداً هُوَ رسولُ اللهِ ﷺ لأنَّهُ كانَ أُمِّياً ، لَمْ يَتَتَلْمَذْ على أَحَدٍ ، فمِنْ أينَ عَرفَ تَفصيلاتِ أَخْبارِ السَّابقين ؟

وهٰذا القُرْآنُ هُدىً للْمُؤْمنينَ ، يُرْشِدُهُمْ للحقِّ ويُثبِّتُهُمْ عليهِ ، كَمَا أَنَّهُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ يَرْحَمُهُمْ بِهِ ، ويَجْعَلُ حياتَهُمْ مُباركَةً طَيِّبَةً عِنْدَما يُطَبِّقونَ أَحْكامَهُ . ومَنْ لَمْ يَهْتَدِ بهَدْيِ القُرْآنِ فَهُوَ الضَّالُّ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾

جعلَ اللهُ القُرْآنَ فاصِلاً للخلافِ بيْنَ المُخْتَلِفينَ مِنْ بني إِسْرائيلَ وغَيْرِهِمْ ، فإِنْ أَخَذُوا بهِ نالوا الهُدىٰ والرَّحْمَةَ ، وإِنْ أَصرُّوا على الكُفْرِ والتَّكذيبِ خَابوا وخَسِروا .

واللهُ لا يدعُ هؤلاءِ الكافرينَ المُخْتلفينَ ، وإِنَّما يَقْضِي بَيْنَهمْ بقَضائهِ العادِلِ ، ويَحْكُمُ فِيهِمْ حُكْمَهُ الصَّادقَ ، ويَوْمَ القيامةِ يكونُ العقابُ والثَّوابُ ، حَيْثُ يَنْتَقِمُ اللهُ العادِلُ مِنَ المُبْطِلِ الظَّالِمِ ، ويُكافِئُ المُحْسِنَ الصَّالحَ .

وحُكْمُ اللهِ نافذٌ ، وقَضاؤُهُ ناجزٌ ، لأنَّهُ لا رَادَّ لِقضائِهِ ، ولا مُلْغِيَ لِحُكْمِهِ ، فَهُو الفَعَّالُ لِما يُريدُ . وهُو العزيزُ القَويُّ سُبْحانَهُ ، الّذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وهُوَ العَليمُ الَّذي أَحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾

اللهُ هُوَ العَزيزُ العَليمُ ، وهُوَ الَّذي يَقْضي بَيْنَ النَّاسِ بحُكْمِهِ العادِلِ ، ويَجبُ التَّوكُّلُ عَلَيْهِ ، ولِذلكَ يأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ بذلكَ ، ويقولُ لهُ : توكَّلْ علىٰ اللهِ ، وثِقْ بهِ ، واعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وفوِّضْ جَميعَ أَمْرِكَ إِليهِ ، وهُوَ حَسْبُكَ وكافيكَ ، يَتولَّىٰ أُمورَكَ .

ويثبِّتُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ على الحَقِّ ، فيُذَكِّرُهُ بأَنَّهُ علىٰ الحَقِّ المُبينِ الواضِحِ ، وأَنَّ ما مَعَهُ هُوَ

القُرآنُ ؛ كلامُ اللهِ ، وأنَّهُ رسولُ اللهِ ، وأنَّ اللهَ ناصِرُهُ علىٰ أعْدائهِ ، ومُظْهِرُ دينِهِ ، فلاَ يَلْتَفِتُ لِلأعداءِ ، ولا يَحْسبُ لَهُمْ حِساباً .

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وَبِمَا أنَّ الرَّسولَ ﷺ علىٰ الحَقِّ ، فَلْيَثْبُتْ عليْهِ ، ولْيَتوكَّلْ علَىٰ اللهِ ، ولْيَقُمْ بواجِبِهِ فِي الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ ، ولاَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذلكَ أنْ يَسْتجيبَ النَّاسُ لِدَعْوتِهِ أوْ يَرفُضونَها ، فالَّذينَ فيهِمْ خَيْرٌ يَستجيبونَ لَهُ ويُؤْمِنونَ بِهِ ، والعُمْيُ الصُّمُّ المَوْتَىٰ يَرْفُضُونَ دَعْوَتَهُ .

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُواسِي رسولَهُ ﷺ عمَّا يَجِدُهُ مِنْ أذىٰ قَوْمِهِ ، ويقولُ لهُ : إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تُسْمِعَ الكُفَّارَ مِنْ قَوْمِكَ سَماعَ اسْتِجابةٍ ، عِنْدَمَا يَرْفضُونَ دَعْوَتَكَ ، ويَتوَلَّوْنَ مُدبرينَ عَنْكَ ، لأنَّهُمْ كالصُّمِّ الّذينَ لاَ يَسْمَعونَ ، والعُمي الَّذينَ لا يُبصِرونَ ، وكالمَوْتَىٰ الَّذينَ لا حَياةَ فيهِم .

وهـٰذا مَعْناهُ أنَّ الكُفَّارَ مَوْتَىٰ فِي قُلوبِهِمْ وأَرْواحِهِمْ ، فلا يتَّعِظونَ ويَعْتَبِرونَ ولا يَنْتَفِعونَ ، والكُفَّارُ لا يَسْتفيدونَ مِمَّا يَسْمعونَ ، فكَأنَّهُم لا يَسْمعونَ ، وكأنَّ في آذانِهِمْ صَمَماً ، وهُمْ لاَ ينتبِهونَ لِما يُشاهِدونَهُ ، فكَأنَّهُم عُمْيٌ لاَ يُبْصِرونَ .

مَنْ هُمُ الَّذينَ يستفيدونَ مِمَّا يَسْمَعونَهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ إنَّهُمُ العُقلاءُ الأحْياءُ المُبْصِرونَ السَّامِعونَ ، وهؤلاءِ هُمُ المُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ ، المُلْتَزِمونَ بِشَرْعِ اللهِ ، الَّذينَ صاروا مُسْلِمينَ مُتَّبِعينَ لِرسُولِ اللهِ ﷺ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، منها :

١ـ اخْتَلَفَ أَهْلُ الكِتابِ في دِينِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الحقُّ ، والقُرْآنُ حَسَمَ الخِلافَ بينَهُمْ بِمَا قدَّمَ مِنَ الحَقِّ .

٢ـ لاَ يهتَدي بالقُرْآنِ ولا يَسْتَفيدُ مِمَّا فيهِ مِنْ رَحْمةٍ إلاَّ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ .

٣ـ اللهُ عادِلٌ في حُكْمِهِ وقَضائِهِ ، ويَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ ويُزيلُ الخِلافَ بَيْنَهم يَوْمَ القِيامةِ .

٤ـ التَّوَكُّلُ علىٰ اللهِ مَعْلَمٌ مِنْ مَعالِمِ العَقيدةِ ، وَواجِبٌ علىٰ كُلِّ رسولٍ وداعِيَةٍ .

٥ـ علىٰ المُؤْمنِ أنْ لا يُفارقَهُ شُعورٌ أنَّهُ علىٰ الحَقِّ المُبينِ ، لِيَثْبُتَ علىٰ الحقِّ ويُواجِهَ الباطِلَ .

٦ـ الكافرُ عَطَّلَ مَنافِذَ المَعْرِفةِ عِنْدَهُ مِنْ سَمْعٍ وبَصَرٍ وقَلْبٍ بإصرارِه على الكُفْرِ ، وَلِذلك يَرْفُضُ دَعْوَةَ الحَقِّ .

٧ـ المُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ ويَتَّعِظُ مِمَّا يرىٰ ويَسْمَعُ لأنَّ مَنافِذَ المَعْرِفةِ عِنْدَهُ فاعِلَةٌ نَشيطةٌ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ تَجْعَلُ حَديثَ القُرْآنِ عنِ اخْتلافِ بني إسْرائيلَ دَليلاً علىٰ أنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟

٢ـ لِماذا لاَ يَهْتَدِي الكُفَّارُ بالقُرْآنِ ؟

٣ـ ما معنَى توكُّلِ المُؤْمِنِ علىٰ اللهِ ؟

٤ـ عِندَما تُوقِنُ أنَّكَ علىٰ الحقِّ المُبين ؛ ما هِيَ أهمُّ آثارِ ذلكَ عَليْكَ ؟ سجِّلْ أرْبَعةً مِنْها .

٥ـ لِماذا لم يَسْتَجِبِ الكُفَّارُ لِمَا يَسْمعونَهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وبِمَاذا شبَّهَتْهُمُ الآياتُ ؟

٦ـ مَنِ الّذينَ يَسْمَعونَ ويَسْتَجيبون لآياتِ اللهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ كُلُّ الأَنْبياءِ والصَّالِحينَ توكَّلوا على اللهِ ، وأَخْبَروا أَعْداءَهُمْ بذلكَ صَراحةً ، اسْتَخْرِجْ آيتيْنِ فِي توكُّلِ الأَنْبياءِ علىٰ اللهِ ، وآيتيْنِ في توكُّلِ الصَّالِحينَ علىٰ اللهِ ، وبيِّنِ الشَّاهِدَ فِي كُلِّ آيةٍ ، واكتبِ الإجابةَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ في آياتِ سورةِ الأَنْفالِ يَنهىٰ اللهُ المُؤْمنينَ عَنْ قولِهِم سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمعونَ ، ويَعْتَبِرُ الصُّمَّ البُكْمَ شرَّ الدَّوابِّ . سَجِّلْ أَرْبَعَ ايَاتٍ مُتَتابعاتٍ في ذَلِكَ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٨٠ ـ ٨١) .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الحادِي والأَربَعونَ

سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ** : اقْتَرَبَ مَجيءُ يَوْمِ الْقِيامَةِ .
- **أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ** : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ قُبَيْلَ السَّاعَةِ ، وَهِيَ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ الْكُبْرىٰ .
- **تُكَلِّمُهُمْ** : تُنَبِّئُهُم وتُخْبِرُهُمْ .
- **فَهُمْ يُوزَعُونَ** : يُجْمَعُ أَوَّلُ النَّاسِ عَلىٰ آخِرِهِمْ عِنْدَما يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ .
- **وَلَمْ تُحِيطوا بِها عِلْماً** : لَمْ تَعْرِفوا حَقيقَةَ آياتي ، وسارَعْتُمْ بِالتَّكْذيبِ بِها .
- **وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَموا** : حَلَّ بِهِمُ ٱلْعَذابُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .
- **ٱلنَّهارَ مُبْصِراً** : جَعَلْنا النَّهارَ مُضيئاً ، يَتَحَرَّكُونَ فيهِ لِمَعاشِهِم .

التفسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ الكُفَّارِ الَّذينَ كَذَّبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ وعَطَّلُوا أَسْماعَهُمْ وأَبصارَهُمْ وقلوبَهُمْ ، فَلَمْ تَقْبَلِ الهُدىٰ .

وتَتَحدَّثُ هـٰذهِ الآياتُ عنِ الكُفَّارِ الَّذينَ يَكونونَ قُبَيْلَ السَّاعةِ ، فتخبرُهُمُ الدَّابَّةُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤمِنينَ ، وتُقَدِّمُ لَنا الآياتُ صورةً لِخزيِ الكُفَّارِ ، وذَلكَ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

تُخْبِرُ هذهِ الآيةُ عَنْ آيةٍ عَجيبةٍ مِنْ آياتِ اللهِ ، تَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ ، قُرْبَ قيامِ السَّاعَةِ ، وهيَ خُروجُ الدَّابَّةِ مِنَ الأَرْضِ ، وكَلامُها مَعَ النَّاسِ .

فَعِندَما يَقعُ علىٰ النَّاسِ قُبَيْلَ السَّاعةِ أَمْرُ اللهِ ، ويَحِقُّ عليْهِمْ عَذابُ اللهِ ، ويَشاءُ اللهُ إِنهاءَ الدُّنْيا ، يُخْرِجُ لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِمُهُمْ . ومَع ظُهورِ الآياتِ ومُشاهَدَةِ النّاسِ لَها فإنَّهمْ لا يُؤْمِنونَ باللهِ ، ولِذلِكَ يَسْتَحِقُّونَ عَذابَ اللهِ .

وخُروجُ الدَّابَّةِ مِنْ عَلاماتِ السَّاعةِ الكُبْرى ، وهِيَ مِنْ آخرِ عَلاماتِها .

رَوىٰ مُسْلِمٌ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « إنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُروجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ ضُحىً ، وأَيُّهُما كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِها فَالأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِها قَريباً »[١] .

وعِنْدَما تَخْرُجُ الدَّابَّةُ علىٰ النَّاسِ الكافِرينَ تُكلِمُهُمْ كَلاماً واضِحاً مَفْهوماً ، وتَقولُ لهُمْ : أَنتُمْ أَيُّها النَّاسُ لا تُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ ، وبِذٰلِكَ اسْتَحقَقْتُمْ عَذابَ اللهِ ، فانتظِرُوا وُقوعَهُ بِكُمْ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

تَقومُ السَّاعةُ ، ويُهْلِكُ اللهُ الكافِرينَ ، ثمَّ تَبْدَأُ مَشاهِدُ يَوْمِ القِيامةِ ، حَيْثُ يَبْعثُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً ، ويُساقونَ إِلىٰ أَرْضِ المَحْشرِ لِلحساب .

ويَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ أفْواجاً ، مِنْهُمُ الكَافِرونَ المُكَذِّبونَ بآياتِ اللهِ ، ويَحْشُرُ فَوْجاً مِنْ هؤلاءِ الكافِرينَ ، وهُمْ رؤساؤُهُمْ وقادتُهُمْ ، ويَكونُ حَشْرُهُمْ في غايةِ الذِّلةِ والمَهانةِ لهُمْ ، إِذْ يُوزَعونَ ويُساقونَ ، ويَجْمَعُ أَوَّلَهُمْ علىٰ آخِرِهِمْ ، ويَسيرونَ : مِنْ دونِ إِرادةٍ ولا اختيارٍ ، ويُحَرَّكونَ بالرَّغْمِ عنْهُم .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

بعدَ أَنْ يُساقَ هـٰؤلاءِ الظَّالمونَ المُكَذِّبونَ بذِلّةٍ ومَهانةٍ يوقَفونَ في ساحةِ العَرْضِ لِلحِسابِ ،

---

(١) صحيح مسلم (٥٢) كتاب الفتن (٢٣) باب خروج الدجال . حديث رقم : ٢٩٤١ .

ويَسألُهُمُ اللهُ سُؤالَيْنِ لِلتَّوبيخِ والتَّأْنيبِ ، فيقولُ لَهُمْ : لَقَدْ قدَمتُ لَكُمْ في الدُّنْيا آياتي ، أَكَذَّبْتُمْ بها ؟ ورَفضْتُمْ أنْ تُصدِّقوا بِمَا فِيها ، ولَمْ تُحيطوا بِها عِلْما ؟ أمْ ماذا كُنْتُم تَعْمَلونَ في حَياتِكُم ؟

وإنَّ اللهَ تعالى يَعْلَمُ أنَّهُمْ كذَّبُوا بآياتِه بِمُجرَدِ سماعِهِمْ لها ، وأنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا في حَياتِهِمْ شَيْئاً لَهُ قِيمةٌ ، ولِذلكَ لَمْ يَنْتظِرِ الجَوابَ مِنْهُمْ ، لأنَّ الهَدَفَ هُوَ التَّوبيخُ والتَّأنيبُ .

وعرَفوا الهَدَفَ مِنَ السُّؤالَيْنِ ، فازْدادوا شُعوراً بالذُّلِّ والخِزْيِ ، ولَمْ يَنْطِقوا بجوابٍ ، وكانَ سُكوتُهُمْ أَبْلَغَ مِنْ أيِّ نُطْقٍ مِنْهُم . قالَ تعالىٰ : ﴿هذا يوْمُ لا يَنطِقون وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيعتَذِرونَ﴾ [المرسلات : ٣٥] .

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

يُتْرَكُ الكافِرونَ صامِتينَ ، مُقِرّينَ بِتَكْذيبِهِمْ بآياتِ اللهِ في الدُّنْيا ، ويُذكِّرُهُمْ بِعَدَمِ التفاتِهِمْ إلىٰ هذهِ الآياتِ ، فَقَدْ كانُوا يَعيشونَ ساعاتِ اللَّيْلِ والنَّهارِ مِنْ دُونِ انتباهٍ ولا تدبُّرٍ ، ولَمْ يرَوْا أنَّ اللهَ جَعَلَ لَهُمُ اللَّيلَ لِيَسْكُنوا فيهِ ، فَيَسْتَريحوا وَيناموا ، وجَعَلَ لَهُمُ النَّهارَ مُضيئاً لِيَتحرَّكوا فيهِ ويَقُوموا بأَعْمَالِهِم ومَعايِشِهِمْ .

إنَّهُ لا يتدبَّرُ آياتِ اللهِ في اللَّيلِ والنَّهارِ وغيرِهِما إلاّ القومُ المُؤْمِنونَ ، حَيْثُ يَزيدُهُمْ ذلكَ إيماناً والْتِزاماً وطاعَةً ، أمَّا الكافِرونَ فإنَّهُمْ يَتعامَلونَ معَها بِعَمًى وصَمَمٍ ، فَيُكَذِّبونَ ويكفُرونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مِنْ علاماتِ السَّاعةِ الكُبْرىٰ خُروجُ الدَّابّةِ وكَلامُها لِلنَّاسِ ، واللهُ وحْدَهُ الَّذي يَعْلَمُ حقيقتَها وتَفاصيلَ خُروجِها ، ويَكونُ النَّاسُ كافِرينَ عِنْدَ خُروجِها .

٢ـ المُتَكبِّرونَ في الدُّنْيا يُحْشَرونَ أذِلاَّءَ مُهانينَ يَوْمَ القِيامةِ ، والجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .

٣ـ يُسْأَلُ الكُفَّارُ أَسْئلةً يومَ القِيامةِ لِلتَّوبيخِ والتَّأْنيبِ ، فَيكونُ جَوابُهُمُ الصَّمْتُ إقراراً بالذَّنْبِ وشُعوراً بالخِزْيِ والذُّلِّ .

٤ـ الكُفَّارُ لا يَنْتبِهونَ لآياتِ اللهِ الَّتي حَوْلَهُمْ في الدُّنْيا ـ لأنَّهُم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ، ولا يَتفاعَلُ مَعَ آياتِ اللهِ إلاَّ المُؤْمنونَ .

٥ـ تَقَلُّبُ اللَّيلِ والنَّهارِ وتَناوبُهما لِمَصْلَحةِ النَّاسِ وتَنظيمِ حَياتِهِمْ ، والمُؤْمِنُ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ هٰذهِ النِّعْمةِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ متىٰ تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ؟ ب ـ وَعلىٰ مَنْ تَخْرُجُ ؟ ج ـ وماذا تَقولُ لِمَنْ تَخْرُجُ عليهِمْ ؟ د ـ وَما الَّذي لا نَعْرِفهُ عَنْها ؟

٢ـ كيفَ يُحْشَرُ الكافِرونَ وهُم يُوزعونَ ؟ وَما الحِكْمَةُ مِنْ ذَلكَ ؟

٣ـ أـ اذْكُرِ السُّؤالَيْنِ المُوَجَّهيْنِ لِلكفَّارِ عِنْدَ وقوفِهِمْ في سَاحةِ العَرْضِ . ب ـ وما الهَدَفُ مِنْهُما ؟ وما جوابُهُمْ عَلَيْهِما ؟

٤ـ كَيْفَ كانَ الكُفَّارُ يَتعاملونَ في الدُّنْيا معَ آيتَي اللَّيلِ والنَّهارِ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا أثَرُ تقلُّبِ اللَّيلِ والنَّهارِ في المُؤْمِنِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ مُعْظَمُ مَا فِي سورةِ النَّملِ مِنْ مَخلوقاتٍ حيَّةٍ تَتكَلَّمُ ، ويَفهَمُ السَّامِعُ كَلامَها . اذْكُرْ أَرْبعةَ أَصْنافٍ مِنْ هٰذهِ المَخْلوقاتِ تُكلِّمُ الإنسَ ، واذْكُرِ الآيَةَ الَّتي أَخْبرَتْ عَنْ كلامهِ ، واكتبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ وَرَدَ فعلُ « يُوزَعونَ » في صيغةِ الفِعْلِ المُضارعِ وفِعْلِ الأَمْرِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ في هذهِ السُّورةِ . اذْكُرْ هٰذه المَرّاتِ ، وعَمَّنْ ذُكِرَتْ في كُلِّ مَرَّةٍ ، وَمَعناهُ فيهَا ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دفترِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إِلىٰ أَحَدِ كُتبِ الحَديثِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ علاماتِ السَّاعةِ ، واكتبْها في مَجلّةِ الحائطِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والأربعونَ

سُورَةُ النَّملِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ : يَوْمَ يَنْفُخُ إسْرافِيلُ فِي الْبُوقِ النَّفْخَةَ الأُولَىٰ .

فَزِعَ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ : يَخافُ الأَحْياءُ جَميعاً عِنْدَما يَسْمَعونَ النَّفْخَةَ الأُولَىٰ فَيَموتُونَ .

إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ : بَعْضُ ٱلْمَلائِكَةِ لا يَخافونَ كَجِبْريلَ وَميكائيلَ وَإسْرافِيلَ وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ .

كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرينَ : كُلُّ ٱلْمَخْلوقاتِ الْحَيَّةِ يُبْعَثونَ وَيُحْشَرونَ أَذِلاَّءَ مُهانِينَ .

تَحْسَبُهَا جامِدَةً : تَظَلُّ ٱلْجِبالُ ثابِتَةً فِي مَكانِها عِنْدَ ٱلنَّفْخَةِ الأُولَىٰ .

وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحابِ : ٱلْجِبالُ تَجْري مُسْرِعَةً كَما يَجْري ٱلسَّحابُ مُسْرِعاً فِي الفَضاءِ .

ٱلَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ : اللهُ أَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَأَوْجَدَهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ حالَةٍ .

هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ : يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ يَأْمَنونَ فَلاَ يَخافونَ مِنَ العَذابِ .

كُبَّتْ وُجوهُهُمْ فِي النَّارِ : أُلْقِيَتْ وُجوهُهُمْ فِي النَّارِ مَنْكُوسَةً مَقْلوبَةً لإهانَتِهِمْ .

هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ : مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ .

ٱلَّذي حَرَّمَها : اللهُ جَعَلَ مَكَّةَ حَرَماً آمِناً .



التفسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ الدَّابَّةِ الَّتي تخْرُجُ قُبَيْلَ قيامِ السَّاعةِ ، وعَنْ حَشْرِ الكُفَّارِ يومَ القيامةِ . وقدَّمَتْ مَشْهَداً لِخزْيِهِمْ وذُلِّهِمْ وهُمْ بَيْنَ يَدَي اللهِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآيةُ عنِ النَّفْخِ في الصُّورِ ، وعدالةِ الحِسابِ بَيْنَ يَدَي اللهِ ، وتَدْعو إلىٰ عبادةِ اللهِ وحَمْدِه .

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) ﴾ .

مِنْ أحْداثِ السَّاعةِ النَّفْخُ في الصُّورِ ، وهُوَ بوقٌ كَبيرٌ ، لاَ يَعْلَمُ حَجْمَهُ وشَكْلَهُ إلاَّ اللهُ . والمَلَكُ الّذي يَنْفُخُ في الصُّورِ إسْرافيلُ ، يَنْفُخُ فيهِ النَّفْخَةَ الأُولَى فيُهْلِكُ اللهُ الأحْياءَ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ النَّفْخَةَ الثَّانيةَ ، فَيَبْعَثُ اللهُ الأَمْواتَ فَيقومونَ خائِفينَ وَجلينَ . والَّذي يَظْهَرُ أَنَّ الآيةَ تَتحدَّثُ عَنِ النَّفْخَةِ الثَّانيةِ ، لِقولِهِ : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرينَ﴾ .

والفَزَعُ يُصيبُ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ومِنْ هَؤلاءِ الَّذينَ لا يُصيبُهُمُ الفَزَعُ المُؤْمنونَ الأَتْقياءُ الصَّالِحونَ الَّذينَ قالَ اللهُ فيهِمْ ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئذٍ آمِنونَ﴾ [النمل : ٨٩] وفيهِمْ يَقولُ أيْضاً : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِهِ ﷺ : اذكُرْ لِلنَّاسِ الهَوْلَ والفَزَعَ الَّذي يُصيبُهُمْ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُحيي اللهُ الخَلائِقَ جَميعاً ، ويَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويَحْشُرُهُمْ إلى ساحَةِ العَرْضِ لِلحِسابِ ، ويُساقونَ داخِرينَ صاغِرينَ خاضِعينَ مُسْتَسْلِمينَ ، والكافِرونَ صَغارُهُمْ صَغارُ ذُلٍّ وهَوانٍ وحَسْرَةٍ ، والمُؤْمنونَ صَغارُهُمْ صَغارُ هَيْبَةٍ وخَشْيَةٍ وخُشوعٍ للهِ ربِّ العالَمينَ .

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) ﴾ .

يُحَدِّثُنا اللهُ تعالىٰ عَنْ مَشْهَدِ الجبالِ في يَوْمِ القيامَةِ ، فالجبالُ الثَّابِتَةُ الرَّاسِخَةُ ، الَّتي كانتْ أَوْتاداً رَواسِيَ ، يَنْظُرُ إليها الإنْسانُ فَيظنُّها جامِدةً رَاسِيَةً ، مَعَ أَنَّها تَمُرُّ مُروراً سَريعاً ، كأَنَّها السَّحابُ في سُرْعَتِهِ وخِفَّتِهِ . قالَ تعالىٰ : ﴿وسُيِّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَرَاباً﴾ [النبأ : ٢٠] .

وهٰذا الصُّنْعُ صُنْعُ اللهِ ، والفِعْلُ فِعْلُهُ ، فَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وأَتْقَنَ ما فيهِما . وَهُوَ الَّذي أَزالَهُما عِنْدَ قيامِ السَّاعةِ ، وهُوَ الَّذي يَأْتي بيومِ القِيامَةِ بِقَدَرِهِ ، ويُرَتِّبُ كُلَّ ما فيهِ

بحِكْمَتِهِ ، فهْوَ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ . في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وهْوَ الخَبيرُ بما يَفْعَلُهُ النَّاسُ في الدُّنْيا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ .

بَعْدَ نَفْخَةِ البَعْثِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويُساقونَ إلىٰ أرْضِ المَوْقِفِ لِلحِساب ، ويكونُونَ فَريقَيْنِ :

الفَريقُ الأوّلُ : المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ ، الَّذين اسْتقامُوا في الدُّنْيا علىٰ طاعةِ اللهِ ، فالواحِدُ مِنْهُمْ يَكونُ سَعيداً عنْدَ الحِسابِ ، لأنَّهُ جاءَ بالحَسَناتِ والطَّاعاتِ ، فيَرْحَمُهُ اللهُ بأنْ يُكافِئَهُ علىٰ ذلكَ الثَّوابَ الجَزيلَ ، وهذا خَيْرٌ مِنْ حَسناتِهِ ، ويُدْخِلُهُ جَنَّاتِ النَّعيمِ ، وبذلكَ يأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ والخَوْفِ و لعَذابِ والنَّارِ .

الفريقُ الثَّاني : الكافِرونَ الظَّالِمونَ ، الَّذينَ كَفرُوا باللهِ وعَمِلوا السَّيئاتِ والمَعاصي في الدُّنْيا ، وهؤلاءِ يَكونونَ أَشْقياءَ خَاسرينَ ، لأنَّهُمْ جاءوا بالسَّيئاتِ ، فيُعاقِبُهُمُ اللهُ بالعَذابِ الشَّديدِ ، ويَكُبُّهُمْ على وُجوهِهِمْ في النَّارِ ، ويَطْرَحُهُمْ فيها بإذْلالٍ وهَوانٍ ؛ ويُقالُ لَهُمْ وهُمْ فيهَا : ما هـٰذا العَذابُ إلاَّ جَزاءٌ لِما كُنتُمْ تَعْملونَهُ في الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ ومَعاصٍ ومُنْكَراتٍ .

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ .

بعدَ ذِكْرِ قاعِدَةِ الحِسابِ ، وأَساسِ الثَّوابِ والعِقابِ يوْمَ القِيامةِ ، يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُلَخِّصَ لِلكفَّارِ دَعْوَتَهُ ومَنْهَجَهُ وَوَظيفَتَهُ وَواجِبَهُ ، ويُبلِّغَهُمْ ذَلكَ لِيُقيمَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ .

يَقولُ اللهُ لَهُ : قُلْ لِقَوْمِكَ : أَمَرَني رَبِّي أَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وهُوَ ربُّ بَلْدَتِكُمْ هـٰذِهِ « مَكَّةَ » وهُوَ الَّذي جعَلَها حَرَماً آمِناً ، يَأْمَنُ فيها الإنْسانُ علىٰ نَفْسِهِ ومالِهِ ، وحَرَّمَ الصَّيْدَ والقَتْلَ وقَطْعَ الشَّجَرِ فيها ، واللهُ المالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لَيْسَ لهُ في ذلِكَ شَريكٌ !

وبما أَنَّ اللهَ حَرَّمَ بَلْدَتَهُمْ وجَعَلَها واحَةَ أَمانٍ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، ولَكِنَّهُمْ قابَلوا هذا بالكُفْرِ حَيْثُ عَبَدوا مِنْ دُونِهِ الأَوْثانَ والأَصْنامَ .

ويُتابِعُ الرَّسولُ ﷺ كلامَهُ مَعَ قَوْمِهِ ، فَيقولُ : وأَمَرَني اللهُ أَنْ أَكونَ مِنَ المُسْلِمينَ ، الَّذينَ دَخَلوا في دِينِهِ ، واسْتَسْلَمُوا لهُ خاضِعينَ ، كَمَا أَمَرَني أَنْ أُكْثِرَ مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ ، لأَزْدادَ صِلَةً بِهِ ، وأَنْ أَقْرأَ القُرْآنَ علىٰ النَّاسِ لأُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ .

قد تلوتُ القرآن عليكم ، وبلَّغتُكمُ الدعوة ، وأقمتُ عليكُمْ الحجَّة ، وعليكُمْ أنْ تختارُوا ، فمَن اختار منكُمْ الإيمان ، واهتدىٰ للحقّ ، فإنما يَهتدي لِنفسه ، وهُوَ الّذي يستفيدُ مِنْ ذلكَ ، ويُنقِذُ نفسهُ من النّار ، وينالُ الجنّة برحْمةِ الله ومنْ رفض مِنكُمْ الإيمانَ ، وأصرَّ على الكُفْرِ والضّلالِ ، فإنّما يضلّ عليها ، وينالُ عاقبةَ ذلكَ النار و العذاب!

وما أنا إلاَّ منذِرٌ ، بلَّغتُكمْ الدَّعوة ، وخلصتُ مِنَ العُهْدَةِ ، ولا أَقْدِرُ علىٰ جَعْلِ الإيمانِ في قلوبِكُمْ ، فإنْ رفضْتُمْ دعْوتي كُنْتُم من الخاسرينَ الهالكين .

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾

ويأمُرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقول لقوْمه : الحمدُ للهِ علىٰ ما أَنْعَمَ علىٰ عِبادِهِ مِنْ نِعم ، منْها نِعَمٌ دينيّةٌ ومنْها نِعَمٌ دُنيوِيّةٌ ، وأحْمدُهُ حمْداً خاصّاً علىٰ مَا انعَم عليَّ مِنْ نِعْمَةِ النُّبوّةِ ، وقدْ بَلَّغْتُكُمْ ما أمرني بتبْليغِه .

وسيُريكُمْ اللهُ آياتِهِ الدَّالّةَ علىٰ وَحْدانيته وقُدْرته ، ويُقدّمُ الأدلَّةَ والبَراهينَ الدَّالّةَ علىٰ صِدْقِ دعْوتي ، لتتبَعُوني وتدْخلوا في ديني .

واللهُ عالِمٌ بكُلِّ أعمالِكُمْ ، شَهيدٌ عَليكُم وأنتُمْ تعْمَلونَها ، لا يَغْفَلُ عَنْها ولا يَترُكُها ، وإنّما يَسجّلُها ويُحصيها ، ثُمّ يُحاسِبُكُمْ عَليْهِ يومَ القيامةِ . فَعَلَيْكُمْ أنْ تُخلِصوا أَعْمالَكُمْ للهِ ، ولا تَفْعلوا ما حرّمهُ عَليْكُمْ!

وصَدقَ اللهُ ، ففِي كُلِّ يَوْمٍ يُري عبادهُ بعْضَ آياتِهِ في الأَنْفُسِ والآفاقِ ، الدَّالّةِ على الحقِّ والخيْرِ . قالَ تعالى : ﴿سنُريهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أنّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُلُّ النّاسِ يأتُون صاغِرينَ أذِلاَّء خائفينَ وجلينَ ويأْتي المُؤْمِنونَ المُوَحّدونَ كاملوا الإيمانِ آمنينَ مِنْ فزعِ ذلكَ اليَوم .

٢ـ أهْوالُ يوْمِ القِيامةِ مُخيفةٌ ، ولابُدَّ لِلمُؤمِنِ مِنْ أنْ يَستعدَّ لها بالطّاعةِ ، وأنْ يُديمَ التَّفْكيرَ فيها .

٣ـ أجْرُ الحَسناتِ وثَوابُها مُضاعَفٌ فَضْلاً مِنَ اللهِ ، وعِقابُ السَّيئاتِ بالمِثْلِ عَدْلاً مِنَ اللهِ .

٤ـ المُؤمِنونَ يأمنون من الفزعِ والخوْفِ يومَ القيامةِ ، لأنَّهُمْ استقامُوا في الدُّنيا علىٰ طاعةِ اللهِ .

٥ـ يُقدِّمُ اللهُ لنا الآياتِ والأَدِلَّةَ علىٰ الحَقِّ باسْتِمرارٍ ، وعلينا الالتفاتُ لها وتَدَبُّرُها .

٦ـ لا يُفارِقُ المُؤْمِنَ شُعورُهُ بأَنَّ اللهَ يُراقبهُ ولا يَغْفَلُ عَنْهُ ، لِيَسْتقيمَ علىٰ طاعته .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ يُنْفَخُ في الصُّورِ نَفْخَتانِ . اذْكُرْهُما ، واسْتَدِلَّ لَهُما بالقُرآنِ ، وما نَتائِجُ كُلِّ نَفْخَةٍ ؟

٢ـ اذْكُرِ القَاعِدَةَ العادِلَةَ في احْتِسابِ الحَسَناتِ والسَّيئاتِ ، والمُحاسَبةِ عَليْها يَوْمَ القيامةِ .

٣ـ اذْكُرِ الأَوامِرَ الثَّلاثةَ الَّتي أَمَرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ تَبْليغَها للكُفَّارِ .

٤ـ وَعَدَ اللهُ النَّاسَ أنْ يُريَهُمْ آياتِهِ باسْتِمْرارٍ . اذْكُرْ أَرْبعَ آياتٍ مِنْ حَوْلِكَ دالَّةٍ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ .

٥ـ في قولِهِ : ﴿وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ﴾ تَرْغيبٌ وتَرْهيبٌ . وضِّحْ ذَلِكَ .

نَشاطٌ :

١ـ ذَكرتِ الآيةُ (٦٨) مِنْ سورةِ الزُّمَرِ النَّفْخَتيْنِ . اذكرِ الآيَةَ ، واسْتَخْرِجِ النَّفْخَتيْنِ مِنها ، ووفِّقْ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨٧) ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ سورةَ القارعَةِ ، وسَجِّلْ منها الآياتِ الَّتي تتحدَّثُ عَنْ حالةِ الجِبالِ عِنْدَ قيامِ السَّاعة ، واجْمَعْ بَيْنَ تِلكَ الآياتِ وبَيْنَ الآيةِ (٨٨) .

٣ـ سَجِّلْ آيةً مِنَ الآياتِ الأَخيرةِ مِنْ سورةِ الأَنْعامِ تُبيِّنُ مُضاعَفَةَ الأَجْرِ لِمَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ ، والعَدْلَ لِمَنْ جاءَ بالسَّيئةِ .

٤ـ أَنْتَ تَحْفَظُ سورةَ « قُريشٍ » ؛ سَجِّلْهَا مِنْ حِفْظِكَ ، واذْكُرْ وجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٩١) .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ القَصَصِ مَكيَّةٌ ، آياتُها ثَمانٍ وثَمانونَ ، وسُمِّيَتْ سورةَ القَصَصِ لِوُرودِ قِصَّةِ مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ فيها مُفَصَّلَةً ، مُنْذُ وِلادَتِهِ حتَّىٰ نَجاتِهِ مَعَ أَتباعِهِ ، وإِهْلاكِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وقِصّةِ قارونَ ومالِهِ وإِهْلاكِهِ ، فالقَصَصُ هوَ الغالِبُ علىٰ السّورَةِ ، الَّذي اسْتَغْرَقَ مُعْظَمَ آياتِها .

نَزَلَتِ السُّورَةُ والمُسْلِمونَ مُسْتَضْعَفونَ في مَكَّةَ ، تُقَرِّرُ لَهُمْ مَجْموعَةً مِنَ الحَقائِقِ الثَّابِتَةِ ، وتُبَشِّرُهُمْ بتجاوُزِ المِحْنَةِ وتَحَقُّقِ النَّصْرِ ، مِنْ خِلالِ عَرْضِ مَشاهِدِ القَصَصِ والتَّعقيبِ علَيْها .

وتَتحدَّثُ آياتُ الدَّرْسِ الأَوَّلِ مِنْها عَنْ بِدايةِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَيْثُ تُبَيِّنُ الأَجْواءَ الَّتي وُلِدَ فيها ، وهِيَ اضْطهادُ فِرْعَوْنَ لِبَني إِسْرائيلَ وطُغيانُهُ ، ومَظاهِرُ فَسادِ حُكْمِهِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱلْكِتابِ ٱلْمُبِينِ : الكِتابِ ٱلواضِحِ الَّذي يُظْهِرُ ٱلْحَقَّ مِنَ الْباطِلِ .

عَلاَ فِي ٱلأَرْضِ : تَجَبَّرَ وَٱسْتَكْبَرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ .

جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً : قَسَمَ أَهْلَها فِرَقاً وَأَصْنافاً مُخْتَلِفَةً ، بَيْنَها الْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ .

يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ	يَجْعَلُهُمْ ضُعفاءَ مَقْهورينَ ، وَهُمْ بَنو إسرائيلَ .
يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ	يُبْقي نِساءَهُمْ أَحْياءً لِلاسْتِعْبادِ وَالْخِدْمَةِ .
نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا	نَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرَفْعِ الاضْطِهادِ عَنْهُمْ .
نَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً	نَجْعَلُهُمْ قادَةً يُقْتَدىٰ بِهِم فِي الْخَيْرِ .
هَامانَ	اَلْوَزيرَ الأَوَّلَ (رَئيسَ الْوُزَراءِ) عِنْدَ فِرْعَونَ ، الَّذي يُدِيرُ الْبِلادَ بِأَمْرِهِ .
كَانُوا يَحْذَرونَ	كَانوا يَخافونَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ .

التفسيرُ :

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾

« طَا . سِينْ . مِيمْ » ثلاثةُ أَحْرُفٍ مُقَطَّعةٌ ، افتُتِحَتْ بِها هذهِ السُّورةُ ، مثلُ سورةِ الشُّعراءِ قَبْلَها ، وهٰذهِ الأَحْرُفُ لِلتَّحدِّي وإثباتِ إعْجازِ القُرْآنِ ، وتَقْريرِ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ . جاءَ الكَلامُ عَنِ القُرآنِ ، كتابِ اللهِ المبينِ الواضحِ ، الَّذي يُظهِرُ الحَقَّ ويُمَيِّزُهُ مِنَ الباطِلِ .

والإِشارَةُ في ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ إلىٰ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ ، أيْ : مِنْ مِثْلِ هذهِ الحُروفِ تَتَألَّفُ آياتُ الكتابِ المُبينِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

الكِتابُ المُبينُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ البشرِ ، وإنَّما هُوَ كلامُ اللهِ ، أَوْحَىٰ بهِ إلىٰ رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأخْبَرَهُ فيهِ بِقَصَصِ السَّابقينَ .

يَقولُ اللهُ لِرسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : نَقْرَأُ عَلَيْكَ في آياتِ الكِتابِ المُبينِ بَعْضَ أَخْبارِ ومَشاهِدِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومُواجَهَتِهِ لِفِرْعَوْنَ ، ونُخْبِرُكَ بها حَقًّا وصِدْقاً ، كأَنَّكَ كُنْتَ شاهِداً لَها ، حاضِراً مَعَ أَحْداثِها . ونُقَدِّمُ لَكَ هَذهِ الأَخْبارَ لِتُخْبِرَ أَنْتَ بِهَا أَتْباعَكَ المُؤْمِنينَ ، فَتَطْمَئِنَّ قُلوبُهُمْ ، وَيَزْدادُوا ثِقَةً بِنَصْرِ اللهِ لَهُمْ ، وهَزيمَتِهِ لأَعْدائِهِمْ .

وتَخْصيصُ المُؤْمِنينَ بالذِّكْرِ فِي الآيةِ ، مَعَ أَنَّ القُرْآنَ لِلنَّاسِ أَجْمعينَ ، لِبيانِ أَنَّهُ لا يَنْتَفِعُ بِهِ ولا يَتَدَبَّرُ بآياتِهِ إلاَّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ ، أمَّا الآخَرونَ فهُمْ عنْها مُعْرِضونَ .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ .

بَدَأَتْ قِصَّةُ موسَىٰ مَعَ فِرعونَ بِذِكْرِ الجَوِّ الَّذي وُلِدَ فيهِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُوَ البِداياتُ

الأولى للقصة ، فقد كان بنو إسرائيل في مصر معذبين مضطهدين من قبل فرعون وقومه ، وتتحدث هذه الآية وما بعدها عن مظاهر فساد حكم فرعون .

وفرعون لقب للحاكم الذي كان يحكم مصر في فترة من الزمن ، وليس اسماً لحاكم بعينه ، ولذلك يميز فرعون الذي تحدث القرآن عنه بأنه فرعون موسى ، أي الفرعون الذي كان حاكماً في ذلك العهد ، وإليه أرسل موسى ـ عليه السلام ـ .

فرعون علا في أرض مصر وتجبر واستكبر ، وطغى وبغى ، وقسم الناس فيها إلى شيع وأحزاب مختلفة ، وزرع بينها الفرقة والخلاف والنزاع والبغضاء ، واستضعف بني إسرائيل ، وجعلهم أذلة مقهورين ، معذبين مضطهدين ، وحتى يضمن ذلك كان يقتل مواليدهم ويذبح الذكور منهم ، ويبقي مواليدهم الإناث ، فكثرت النساء وقل الرجال في بني إسرائيل .

وبذلك كان فرعون من المفسدين في الأرض ، وكان الإفساد مدعوماً لأنه صادر عن الملك نفسه !

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

أراد فرعون استمرار استضعاف بني إسرائيل وفعل بهم ما فعل مما ذكرته الآية السابقة ، ولكن الله يريد رفع الظلم عن بني إسرائيل ، ولا يكون إلا ما يريده الله .

الله يريد أن يتفضل على بني إسرائيل ، ويرفع الاستضعاف والاضطهاد عنهم ، وينقذهم من طغيان فرعون وقومه ، ويجعلهم أئمة صالحين يقتدى بهم ، ويجعلهم الوارثين ، الذين يرثون الحكم من بعد إهلاك فرعون ، ويريد أن يمكن لهم في الأرض ، ويجعل لهم فيها الأمر والحكم والسلطان ، وبذلك يعرف فرعون وهامان وجنودهما أنهم هم المهزومون ، ويريهم أن ما كانوا يحذرونه قد وقع بهم ، حيث يذهب ملكهم ويتم هلاكهم على أيدي بني إسرائيل .

وقد أنفذ الله إرادته ، وحقق أمره ، فتم هلاك فرعون وجنوده على يد موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه ، ومكن لبني إسرائيل في الأرض ، وصاروا حاكمين وارثين أئمة في الأرض المقدسة .

دروس وعبر :

ترشد الآيات الكريمة إلى دروس وعبر كثيرة ، منها :

١ ـ ما يتلوه الله في القرآن من قصص السابقين فهو الحق ، وقد وقع كما أخبر الله .

٢ ـ فرعون نموذج للحاكم الذي يتكبر ويطغى عندما يبتعد عن هدى الله .

٣ـ عندَمَا يصْدُرُ الفسادُ عَنْ أعلىٰ سُلْطةٍ في الدَّوْلةِ يكونُ مدعوماً راسخاً ، وهذه مُصيبةُ الأمّة

٤ـ لا رادّ لأمْرِ الله ، ولا تقِفُ قُوّةٌ أمامَ إرادة الله ، وكُلُّ منْ عادىٰ اللهَ فهْو مهزومٌ

٥ـ مِنْ أعْظَمِ الفَسادِ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ ، كما فعل فِرْعوْنُ وأعْوانُهُ

٦ـ عِندَما يَمْكُرُ الطُّغاةُ بأصْحابِ الحَقِّ ، فإنَّ عاقبَةَ مكْرِهِمُ السَّيئة تَقَعُ بِهِمْ .

٧ـ علىٰ أصْحابِ الحَقِّ أنْ يَقوموا بواجبِهِمْ ، ثُمَّ يُحْسِنُوا التَّوكُّل علىٰ اللهِ ، ويُسْلِمُوا أمْرَهُمْ إليهِ .

٨ـ يَمُنُّ اللهُ علىٰ أصْحابِ الحَقِّ ، ويَجْعَلُهُمْ أئِمّة وارِثين ، بعْدَ جِهادِهِمْ وصبْرِهِمْ وثباتِهِمْ!

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ حدِّدِ المُشارَ إليهِ في قولِهِ : ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ . ب ـ وما الدَّلالةُ الَّتي تخْرُجُ بها مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الرَّابعة خَمْسَةَ مظاهِرَ لِفسادِ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيتيْنِ الخامسةِ والسَّادسةِ خَمْسَةَ مظاهِرَ مما أرادَ اللهُ إعْطاءَهُ لبني إسْرائيل

٤ـ جَعَلَ اللهُ بني إسْرائيل وارِثين ، ما دَليلُك على ذلك ؟

نَشاطٌ :

١ـ زعم فِرْعوْنُ أنّهُ إلهٌ لقوْمه ، اسْتخْرِجْ هذا منْ آية في سورة القصص ، وزعم أنّهُ ربٌّ أعلى لِقَوْمِهِ ، اسْتَخْرِجْ هذا مِنْ آيةٍ في سورة النَّازعاتِ ، واكْتُبْهما في دَفْتَرك .

٢ـ سَجِّلِ الآيةَ مِنْ سورةِ الأعْرافِ ، الَّتي تدُلُّ علىٰ أنّ الله أوْرثَ المُسْتضعفينَ مشارِقَ الأرْضِ المُباركَةِ ومَغارِبَها ، بعْدَ تدميره لِفرْعَوْنَ وقوْمه ، واذْكرِ الشَّبه بيْنها وبيْنَ الآيةِ (٥) .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ الثَّانِي

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَوْحَيْنا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ : أَريناها في المنام .

أَلْقيه فِي ٱلْيَمِّ : اطْرَحيهِ فِي نهرِ النيلِ .

رادُّوهُ إِلَيْكِ : سَنُرْجِعُهُ إِلَيْكِ .

ٱلْتَقطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ : أَخذُوهُ مِنْ غيرِ طَلَبٍ لَهُ وَلاَ بَحْثٍ عَنْهُ .

كانُوا خاطِئِينَ : كانُوا آثِمينَ .

قُرَّةُ عَيْنٍ : مَصْدَرُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ .

فارِغاً : خالِياً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - .

لتُبْدي بِهِ : أَوْشَكَتْ أَنْ تُظْهِرَ أَمْرَهُ أَنَّهُ ابْنُها .

أَنْ رَبَطْنا عَلَىٰ قَلْبِها	أَنْ ثَبَّتْناهُ وَسَكّناهُ بالْيَقينِ والصَّبْرِ .
قُصِّيهِ	: اقْتَفي أَثَرَهُ وَتَتَبَّعِي خَبَرَهُ لِتَعْلَمِي أَيْنَ اسْتَقَرَّ .
بَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ	: نَظَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ بَعيدٍ .
حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ	مَنَعْناهُ أَنْ يَرْضَعَ مِنَ الْمُرْضِعاتِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ .
يَكْفُلونَهُ لَكُمْ	يَتَكَفَّلونَ بِهِ وَيَقومونَ عَلَىٰ شُؤونِهِ .

التَّفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ الأَجْواءِ الَّتي وُلِدَ فيها مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَتَتَحَدَّثُ هٰذِهِ الآياتُ عَنْ وِلادَةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَوُصولِهِ إِلىٰ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وَتَبَنِّيهِم لَهُ ، وَعَوْدَتِهِ إِلىٰ أُمِّهِ .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

عِنْدَما وَلَدَتْ موسىٰ أُمُّهُ الصَّالِحَةُ ، في أَجْواءِ الخَطَرِ ، حَيْثُ يَقْتُلُ فِرْعَوْنُ المَواليدَ الذُّكورَ مِن بَنِي إِسْرائيلَ ؛ أَوْحَى إِلَيها عَنْ طَريقِ الرُّؤْيا في المَنامِ ، ذٰلِكَ أَنَّ الرُّؤْيا الصَّالِحَةَ جُزْءٌ مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ كَما وَرَدَ في حَديثٍ صَحيحٍ ، وَقَدْ أَمَرَها فيما أَوْحى إِلَيْها في تِلْكَ الرُّؤْيا أَن تُرْضِعَهُ لأَهَمِّيَةِ الرَّضاعَةِ لِلْمولودِ الجَديدِ ، وَعِنْدَما تَخافُ عَلَيْهِ ، وَتَشْعُرُ بِالخَطَرِ المُباشِرِ مِنْ رِجالِ فِرْعَوْنَ ، فَعَلَيْها أَنْ تُلْقِيَهُ في التَّابوتِ ، وَتُلْقي التَّابوتَ في البَحْرِ ، وَعَلَيْها أَنْ لا تَخافَ عَلَيْهِ فَلَنْ يَكونَ في خَطَرٍ ، وَلا تَحْزَنْ هِيَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ في أَمانٍ .

لَنْ يَغْرَقَ ، وَلَنْ يَضيعَ ، وَلَنْ يُقْتَلَ ، لأَنَّهُ في حِفْظِ اللهِ وَرِعايَتِهِ ، وَسَيَرُدُّهُ اللهُ إِلَيْها ، وَيَعيشُ في حِضْنِها ، وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُها ، وَعِنْدَما يَكْبُرُ سَيَكونُ رَسولاً مِنَ المُرْسَلينَ .

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

وَضَعَتْ أُمُّ مُوسَىٰ ابْنَها في التَّابوتِ ، وَأَلْقَتِ التَّابوتَ في البَحْرِ ، وَساقَهُ البَحْرُ بِأَمْرِ اللهِ إِلىٰ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وَلَمَّا رَآهُ أَهْلُ فِرْعَوْنَ الْتَقَطوهُ ، وَأَدْخَلوهُ إِلىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، الَّتي أَحَبَّتْهُ ، وَطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِها أَنْ يُبْقِيَهُ ، وَبِذٰلِكَ قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَصِلَ إِلىٰ يَدِ عَدُوِّهِ اللَّدودِ فِرْعَوْنَ ، وَأَنْ يَكونَ في أَمانٍ عِنْدَهُ ، وَهٰذا مِنْ حُسْنِ تَدْبيرِ اللهِ ، وَمَكْرِهِ بِفِرْعَوْنَ وَجُنودِهِ .

وبَيَّنت الآيةُ عَاقِبَة الْتِقاطِ وتَبَنِّي فِرْعَوْن وآلِهِ لِلمَوْلودِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَخْبَرتْ أَنَّهُ عِنْدَما يَكْبُرْ سَيكونُ لهُم عَدوّاً وحَزناً ، يَكونُ لهُم عَدُوّاً في دِينِهِمْ ، لأنَّهُ سَيأْتي بالحقِّ ، وهُمْ علىٰ باطِلٍ ، ويَكونُ لهُمْ حَزَنا ، لأنَّهُ سَيكونُ هَلاكُهُمْ علىٰ يديْهِ!

واللاَّمُ فِي ﴿لِيكون﴾ تُسَمَّىٰ « لامَ العاقِبَةِ » فَما بَعْدَها عاقِبَةٌ ونَتيجةٌ لِما قَبْلَها ، ولا تَصْلُحُ أَنْ تكونَ « لامَ التعليلِ » فهُمْ لَمْ يُربّوهُ لِيكون لَهُمْ عدوّاً ، إِنَّما ربّوهُ لِيكون لهُم قُرَّةَ عَيْنٍ ، ولكنَّ اللهَ جعَلَ عاقِبَة ذلكَ عَداوَةً لَهُمْ وحزناً عليْهِم .

والسَّبَبُ في ذَلِكَ هُوَ خَطاياهُم ، وذُنوبُهُمْ ، فقَدْ كان فِرْعَوْنُ وهامانُ وجُنودُهُما خَاطِئِينَ ، فَعاقَبَهُمُ اللهُ بأَنْ جعلَهُمْ يُربّون عَدُوَّهُمْ وهُمْ لا يَشْعرون ، ولا يَعْرِفونَ .

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ .

يُريدُ اللهُ أَنْ يتربّىٰ هذا المَوْلودُ في قصْرِ فِرْعَوْن ، ولِذلكَ حبَّبَهُ إِلىٰ امْرأَةِ فِرْعَوْنَ ، فلمَّا رأَتْهُ أَنِستْ بهِ ، وقالتْ لِزَوْجِها : هٰذا المَوْلُودُ قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولكَ ، سَيكونُ سَلوىً وأُنْساً لنا ، تَقَرُّ بهِ عُيونُنا ، وتَفْرَحُ بهِ نُفوسُنا ، فلا تقْتُلوهُ ، وعِنْدَما يكْبُرْ لَعلَّهُ ينْفَعُنا ، ويَجْلِبُ الخَيْرَ لنا ، ولَعَلَّنا نَتَبنَّاهُ ونَتَّخِذهُ وَلَداً .

واسْتَجاب فِرْعَوْنُ لِطلبِ امْرأَتهِ ، وتَبنّى مُوسىٰ ، وأَمرَ رِجالَهُ أَنْ يَعتَنوا بهِ ، وهُمْ لا يَشْعرونَ بِما يَنْتُجُ عنْ ذٰلِكَ ، ولا يَعْرِفونَ أَنَّهُ سيكونُ لَهُمْ عدُوّا وحزناً ، وهٰذا مِنْ مكْرِ اللهِ بِفرْعَوْنَ وآلِهِ .

وهٰكذا حمَى اللهُ موسَىٰ في قَصْرِ فِرْعوْن بالمحبَّةِ ؛ مَحبَّةِ امْرأةِ فِرْعوْن لَهُ ، لا بالسِّلاحِ ، ولا بالرِّجالِ ، ولا بالمال . وما يَعْلَمُ جُنودَ ربِّكَ إِلاَّ هُوَ! قال تعالىٰ : ﴿وأَلْقَيْتُ علَيْكَ محبَّةً مِنّي ولِتُصْنعَ عَلى عيْني﴾ .

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ .

وبينَما مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في أَمانٍ عِنْدَ امْرأةِ فِرْعَوْنَ ، وهِيَ فَرِحَةٌ مسْرورةٌ بهِ ، كانتْ أُمُّهُ قَلِقَةً بشأْنِهِ ، تَهْجُمُ علَيْها الوساوِسُ والهَواجِسُ .

فَبَعْدَما أَلْقَتِ ابنها في البَحْرِ أَصْبَح فُؤادُها فارغا مِنْ كلِّ شيءٍ مِنْ أُمور الدُّنْيا ، لأنَّهُ مَشْغولٌ بموسَىٰ ، فلا مَكان فيهِ لِغَيْرِه . ومِنْ فَرْط اهْتِمامِها به وقَلقِها علَيْهِ أَوْشَكَتْ أَنْ تُظْهِرَ أَمْرَهُ لِلنَّاسِ ، وتُخْبِرَهُمْ أَنَّها أُمُّهُ! ولو فَعَلَتْ ذلكَ لَكَشفَتِ السِّرَّ وأَبْطلَتِ التَّدْبير!

ولقدْ تداركتْها رحمةُ اللهِ ، فملأَ اللهُ قلبَها إيماناً وثقةً ويقيناً ، ومَنَحها الصَّبْرَ والطُّمأْنينةَ والسَّكينةَ ، وازْدادَتْ إيماناً باللهِ وتصديقاً بوعْدِهِ ، فصبَرَتْ ولمْ تفْصحْ بشيءٍ منْ أَمْرِه .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

كان لموسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أُخْتٌ فطِنةٌ ، كلَّفتْها أُمُّها أنْ تراقِبَ التَّابوتَ الَّذي فيهِ أخوها بحَذَرٍ ، لتعْرفَ نِهايتَهُ ، فراقَبَتْهُ وتابَعَتْهُ ، وقَصَّتْ أثَرَهُ ، وكانتْ تنظُرُ إليه خِلْسَةً ، وهِي بعيدةٌ عَنْهُ ، بحَيْثُ لا تَلْفِتُ إليْها أنْظارَ المُراقِبينَ والجَواسيسَ ، فمِنْ دِقَّةِ مُراقبتِها لأخِيها لَمْ يشْعُرِ الجَواسيسُ أَنَّهَا تقُصُّ أثَرَهُ ، وتُتابِعُ أمْرَهُ .

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وعَدَ اللهُ أمَّ موسىٰ أنْ يرُدَّ ابنها إليها ، وهاهُوَ الآنَ عندَ فرْعَوْنَ ، فكيفَ سيرُدُّهُ إليْها ؟ كانَ منْ عظَمَة تدبيرِ اللهِ وتقْديرِهِ ، أنْ جَعَلَ إرجاعهُ آيةً منْ آياته !

حرَّمَ اللهُ عليْهِ المَراضِعَ ! فلَمْ يقْبلْ ـ بقدرِ اللهِ ـ أيَ ثدْيٍ منْ أيّ امْرأةٍ مُرْضعٍ ، إلاَّ ثَدْيَ أُمِّهِ . وكُلَّمَا أتَوْهُ بمُرضعٍ كانتْ تَضعُهُ في حضنها وتُلْقمُه ثدْيَها فكانَ يرْفُضُ أنْ يَرْضَعَ منهُ !

وصارَ فرْعوْنُ حريصاً على انقاذِ حياته ، وكانَ قبلَ ذلكَ حريصاً على قَتْلهِ ، وسُبحانَ اللهِ الحكيمِ !

وتدخَلتْ أُخْتُهُ في الوَقْتِ المُناسبِ ، منْ دُونِ أنْ تثيرَ حوْلها شُبْهةً ، فقالتْ لَهُمْ : أتريدُونَ أنْ أدلَّكُمْ على أهْلِ بَيْتٍ يكْفُلُونهُ لكُمْ ، ويَتعهّدونَ تربيتِهِ والإشْرافِ عَلَيْهِ ، وهُمْ حَريصونَ عَلَيْهِ ناصِحونَ حافظونَ لهُ ؟

وَوَافقوا علىٰ عَرْضِها ، وأتوْا بأُمّهِ ، وما أنْ ألْقمَتْهُ ثدْيَها حتىٰ رَضَعَ واطْمأَنَّ ! وسَلَّمَ فِرْعَوْنُ المَوْلودَ إلىٰ أُمّهِ ، وهُوَ لا يَعْلَمُ أَنَّهَا أُمُّهُ ، وأعْطاها أُجْرةَ مُقابِلِ إرْضاعِها لَهُ وإشْرافِهَا عَلَيْهِ .

وهٰكذا ردَّهُ اللهُ بحِكْمَتهِ وعظَمة تقديرِه وتَدْبيرِه إلىٰ أمّهِ ، وحَقَّقَ لها وعْدَهُ ، وبذٰلكَ قرَّتْ عَيْنُها بابْنِهَا ، وسُرَّتْ بوُجودِهِ عِنْدَها ، ولَمْ تحْزنْ علىٰ فِراقِهِ . هذا ما نالَها بسَببِ ذلكَ مِنَ التُّحَفِ والهَدايا والأمْوالِ .

وأكثرُ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ حِكْمةَ اللهِ في أفْعالِهِ ، وعواقبِها المَحْمودَةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فَقَدْ يَكونُ الشَّيْءُ بَغيضاً إلىٰ النُّفوسِ في الظَّاهرِ ، لكِنَّ عاقبةَ الخيْرِ لها فيهِ ، فسُبْحانَ علاَّمِ الغُيوبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ يُلْهِمُ أَوْلياءَهُ بالتَّصرُّفِ المُناسِبِ لِلخُروجِ مِنَ الخطَرِ ، فعلَىٰ المُؤْمِنِ الرِّضا والتَّسليمُ لأَمْرِ اللهِ .

٢ـ يَمْكُرُ اللهُ بِالكُفَّارِ ، ويُفْشِلُ مُخططاتِهم ومَكائِدَهُمْ ، ويَجْعلُهُمْ يَفْعلونَ أَشْياءَ عاقِبَتُها تَسوؤُهُمْ .

٣ـ في الآياتِ مِثالٌ لِلكَيْفيَّةِ الَّتي يُجْري اللهُ قَدَرَهُ وَلُطْفَهُ في عابِدِهِ ، حَيْثُ نَجّى موسى بإلقاءِ مَحبَّتِهِ في قَلْبِ المَلِكَةِ ، ومَنَعَهُ مِنَ الرَّضَاعِ إلاّ مِنْ أُمِّهِ ، فكانَ ذلكَ سَبَباً في عَوْدَتِهِ إليْها .

٤ـ للهِ جُنودُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنودَهُ إلاَّ هُوَ ، يَحمي بِهِمْ أَوْلياءَهُ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَكونَ حَذِراً ، وأَنْ يَتصرَّفَ بِفِطْنَةٍ وذَكاءٍ .

٦ـ يُقدِّرُ اللهُ الأُمورَ تَقْديراً لِتحقيقِ إرادتِهِ ، ويُرَتِّبُ الأَحْداثَ بِحِكْمَةٍ وبِوَسائلَ لا تَخْطُرُ علىٰ بالِ أَحَدٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ أَوْحَىٰ اللهُ إلى أُمِّ مُوسَىٰ مَعَ أَنَّهَا لَيْستْ نبيَّةً ؟ وَمَا الَّذي أَوْحَىٰ بِهِ إليْها ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خَبَرَيْنِ وأَمْرَيْنِ ونَهْيَيْنِ وبِشارَتَيْنِ .

٣ـ كَيْفَ الْتَقَطَ آلُ فِرْعَوْنَ موسَىٰ لِيَكونَ لَهُمْ عَدُوّاً وحَزناً ؟ ومَا معنَى اللاّمِ في « لِيَكونَ » ؟

٤ـ مَاذَا طَلَبَتِ امْرأَةُ فِرْعَوْنَ من زَوْجِها ؟ ومَا الَّذي أَمَّلَتْهُ مِنَ المَوْلُودِ ؟

٥ـ هلْ كانَ فُؤادُ أُمِّ مُوسَىٰ فارغاً أَمْ مُمْتَلِئاً ؟ ومَا الَّذي أَوْشكَتْ أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ وَمَا الَّذي رَحِمَها اللهُ بِهِ ؟

٦ـ اذْكُرْ مُهِمَّةَ أُخْتِ مُوسَىٰ الَّتي كَلَّفَتْها بهَا أُمُّها ، وبَيِّنْ كَيْفَ قامَتْ بها .

٧ـ مَا مَعنَىٰ قولِهِ عنْ مُوسَىٰ : ﴿وحَرَّمنا عَلَيْهِ المَراضِعَ﴾ ؟ وَكَيْفَ تُصَوِّرُ أَنْتَ ذَلِكَ الجَوَّ ؟

٨ـ كَيْفَ رَدَّ اللهُ المَوْلُودَ إلىٰ أُمِّهِ ؟ وَمَا آثارُ رَدِّهِ عَلَيْها ؟

٩ـ مَا مَوْقِفُكَ أَنْتَ مِنَ الأَشْياءِ المَكْروهَةِ الَّتي تُصيبُكَ ؟ وَلِماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ رَوائع التَّعبيرِ القُرآنيِّ المُعْجزِ أَنَّ هذهِ الآيةَ جَمعَتْ بَيْنَ خَبَرينِ وأَمْرَيْنِ ونَهْيَيْنِ وبِشارَتَيْنِ ، اسْتَخْرِجْ ذلكَ مِنَ الآيةِ (٧) ، واكْتُبهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ موضوعُ الآيةِ (٣٩) مِنْ سورةِ طه قَريبٌ مِنْ مَوْضوعِ هـٰذهِ الآيةِ . سَجِّلْهَا في دَفْتَرِكَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨) .

٢ـ ورَدَتْ جُمْلَةُ ﴿رَبَطْنا على قَلْبِها﴾ في سِياقِ المَدْحِ والثَّناءِ علىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ، اسْتَخْرِجْ مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ مِنَ القُرآنِ رَبَطَ اللهُ فيهِمَا علىٰ قُلوبِ أَوْليائهِ ، وثَبَّتَهُمْ واكْتُبهُما في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ وَالأَرْبَعونَ

سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَلَغَ أَشُدَّهُ : بَلَغَ غايَةَ نُمُوِّهِ ، واسْتَكْمَلَ قُوَّتَهُ ٱلْجِسْمِيَّةَ .

ٱسْتَوَىٰ : نَضِجَ عَقْلُهُ وفِكْرُهُ .

آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً : آتَيْناهُ ٱلْحِكْمَةَ وَحُسْنَ ٱلتَّصَرُّفِ وَدِقَّةَ الفَهْمِ وَٱلْعِلْمِ .

عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها : فِي وَقْتٍ يَكُونُ أَهْلُها غافِلِينَ فِيهِ ، وَقَدْ يَكُونُ وَقْتَ ٱلْقَيْلُولَةِ ظُهْراً .

هٰذا مِنْ شيعَتِهِ : هٰذا إِسْرائِيلِيٌّ مِنْ جَماعَةِ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ .

وَهٰذا مِنْ عَدُوِّهِ : ٱلشَّخْصُ الثّاني مِنَ الأَقْباطِ ٱلْكافِرينَ ٱلْمُخالِفِينَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ .

ٱسْتَغاثَهُ : طَلَبَ مِنْهُ ٱلْمُساعَدَةَ وَٱلنُّصْرَةَ وَٱلْغَوْثَ .

وَكَزَهُ : ضَرَبَهُ مُوسَىٰ بِيَدِهِ وَهِيَ مَجْمُوعَةُ الأَصابِعِ .

هٰذا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطانِ : هٰذا القَتْلُ مِنْ تَزْيِينِ ٱلشَّيْطانِ وَإِغْرائِهِ .

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ	ٱلشَّيْطانُ عَدُوٌّ لِلإِنْسانِ ظاهِرُ العداوَةِ لَهُ حَرِيصٌ عَلَىٰ إِضْلالِهِ .
لَنْ أَكُونَ ظَهِيراً	لَنْ أَكُونَ مُعِيناً .
يَتَرَقَّبُ	يَتَلَفَّتُ ، يَنْتَظِرُ مَا قَدْ يَصِلُهُ مِنْ أَذىٰ .
يَسْتَصْرِخُهُ	يَسْتَغِيثُ بِهِ عَلَىٰ قِبْطِيّ آخَرَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ .
غَوِيٌّ مُبِينٌ	ضالٌّ ظاهِرُ الغِوايَةِ .
تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلْأَرْضِ	تكونَ مُؤْذِياً لِلنّاسِ ، تَتَطاوَلُ عَلَيْهِم .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السّابقَةُ عَنْ نشأةِ مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وتَتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ حادثةٍ خَطيرةٍ وقَعتْ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهْوَ شابٌ ، كانَ لَها أثرٌ كبيرٌ علىٰ مَسيرةِ حَياتِهِ فيما بَعْدُ .

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

نَشَأَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ حَتَّىٰ صار شابّاً قَوِيّاً ، بِحَيْثُ بَلَغَ أَشُدَّهُ واكْتَمَلَ نُمُوُّهُ ، وقَوِيَ جِسْمُهُ ، واسْتَوَى بِنُضْجِ عقْلِهِ وفِكْرِه . وهذا يَكونُ بَعْدَ سِنِّ الأرْبعينَ ، لقولِ اللهِ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وبَلَغَ أَرْبعينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف : ١٥] .

عِنْدَ ذَلِك آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ وحُسْنَ التَّصرُّفِ وجَوْدَةَ الفَهْمِ والعِلْمَ النّافِعَ ، جَزاءً مِنْهُ لَهُ لاسْتِقامَتِه وإحْسانِه ، لأنَّ اللهَ يَجْزِي المُحسنينَ بإحْسانِهِمْ .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

لمْ يَنْسَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ إسرائيليٌّ ، بالرَّغْمِ مِنْ نَشْأتهِ في قصْرِ فِرْعَوْنَ ، فكانَ مَعَ قَوْمِهِ المُؤْمنينَ مِنْ بني إسْرائيلَ ضِدَّ الكافِرين الأَقْباطِ .

وفي أَحَدِ الأيّام دَخلَ مُوسَىٰ المَدينةَ الّتِي يُقيمُ فيها ، وكانَ دُخولُهُ في وَقْتِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها ، لَمْ يَكونُوا فيهِ في الشَّوارِعِ ، وإنَّما كانُوا في بُيوتِهِمْ .

فرأَىٰ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ بَعيدٍ رَجُلَينِ يقتَتِلان ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ منْهُما عَرَفَهُما ، فَأَحَدُهما

إِسْرائيليٌّ مُؤْمِنٌ مِنْ شِيعتِهِ وقَوْمِهِ ، والآخرُ كان كافِراً مِنْ أَعْدائِهِ القِبْط ، وكانَ القِبْطِيُّ مُعْتدِياً على الإِسْرائيليِّ ، علىٰ عادةِ الأَقْباطِ في اسْتِعْبادِ بني إِسْرائيلَ .

ولمَّا رأىٰ الإِسْرائيليُّ موسىٰ اسْتَنْصرهُ واسْتَغاثهُ واسْتَنْجدَ بهِ ، وطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُساعِدَهُ علىٰ عَدُوِّهِ ، وأَنْجَدَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لإِسْرائيليَّ لأَنَّهُ مَظْلومٌ مُعْتَدىٰ عَليْهِ ، وتوجَّهَ نَحْوَ القِبْطيِّ ، وضَرَبَهُ ضَرْبَةً غَيْرَ شَديدةٍ ، عَبَّرَ عَنْها بالوكْزِ ، ولكنَّها كانَتْ كافِيةً لِقَتْلِهِ ممَّا يَدلُّ على القُوَّةِ الَّتي كانَ يَتَمَتَّعُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بِها ، ولم يَقْصُدْ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَتْلَهُ ، وبذٰلِكَ كانَ قَتْلُهُ بالخَطأ ولَيْسَ بالقَصْدِ والتَّعمُّدِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

فوجِىءَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِمَوْتِ القِبْطِيِّ فَنَدِمَ علىٰ ما فَعَلَ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ قَتْلَهُ ، وقالَ : هٰذا الفِعْلُ مِنْ تَزيينِ الشَّيطانِ وإِغرائِهِ ، والشَّيْطانُ عَدُوٌّ للإِنسانِ ، ظاهِرُ العَداوةِ لَهُ ، حَريصٌ علىٰ إِضْلالِهِ .

ثمَّ توجَّهَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلىٰ ربِّه ، فَدَعاهُ قائِلاً : يا ربِّ إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسي بِقَتْلِي لِلرَّجُلِ خَطَأً فاغْفِرْ لِي .

وقدِ اسْتَجابَ اللهُ لَهُ فغَفَرَ لَهُ ، لأَنَّهُ غَفورٌ يَغْفِرُ لِعبادِهِ ذُنوبَهُمْ ، ورَحيمٌ بِهِمْ يَرْحَمُهُمْ ويَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ . وأَتْبَعَ موسى تَوْبَتَهُ لِربِّهِ بِمُعاهَدَتِهِ إِيّاهُ بما أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وأَفاضَ عَلَيْهِ مِنَ العَطايا أَنْ لا يَكونَ مُعيناً أَوْ ظَهيراً أَوْ مُساعِداً لِمُجْرِمٍ .

وموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يَعْصِ بقتْلِهِ للقبطيِّ لأَنَّهُ لمْ يَتعمَّدْ قَتْلَهُ ، ولَمْ يَكُنْ مُعاوِناً مُساعِداً لِلْمُجْرِمينَ ؛ لأَنَّهُ مَعَ اللهِ رَبِّ العَالَمين ، ولَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطانِ سَبيلٌ عَلَيْهِ ؛ لأَنَّ اللهَ يَعْصِمُهُ ويَحميهِ مِنْهُ ، ولَمْ يُذْنِبْ في فِعْلِهِ ، ومَعَ ذلِكَ ناجَىٰ اللهَ بِتلكَ الكَلِماتِ ، وشَعَرَ بالتَّحرُّجِ مِمَّا فعلَ .

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وصارَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُفكِّرُ في عَاقبةِ قَتْلِ القِبْطيِّ ، ويَخْشَىٰ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّهُ هُوَ القاتِلُ فَيُقْتَلُ ، وفي صَباحِ اليَوْمِ التَّالي دَخَلَ المَدينةَ كعادَتِهِ ، ولَكنَّهُ كانَ خائِفاً مِمَّا فَعَلَ أَمْسِ ، وكانَ يمشِي وهوَ يترقَّبُ ويتلفَّتُ بحذَرٍ ؛ يَتوقَّعُ الخَطَرَ في أيِّ لَحْظَةٍ .

وبينَما كانَ يَسيرُ علىٰ هٰذِهِ الصُّورَةِ ، إِذا هُو بالرَّجُلِ الإِسْرائيليِّ الَّذي أَغاثَهُ أَمْسِ مُشْتَبكاً مَعَ قِبطيٍّ آخَرَ فلَمَّا رآهُ الإِسْرائيليُّ اسْتَصْرَخَهُ ونادَاهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وطَلَبَ منهُ أَنْ يُعينهُ علىٰ خَصْمِهِ الجديدِ .

لَمْ يَرْتَحْ موسىٰ مِنْ فِعْلِ الإسْرائيليّ ، ولذلك ردَّ عليه قائلا : أنت رَجُلٌ ظاهِرُ الغِوايةِ ، كَثيرُ الفَسادِ والشَّرِّ ، تُنازِعُ النَّاسَ وتُخاصِمُهُمْ ، بالأَمْسِ عَمِلْتَ مُشكلةً ، واليَوْمَ أنت في مُشْكِلةٍ أُخْرَىٰ!

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وبالرَّغمِ مِنْ لَوْمِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلإسْرائيليّ ، إلاَّ أَنَّهُ أَرادَ نَجْدَتَهُ ، لأَنَّهُ مظلومٌ مُعْتدىً عَلَيْهِ ، فتوجَّهَ نَحْوَ الرَّجُلَيْنِ المُشتبِكَيْنِ لِيَنْصُرَ الَّذي مِنْ شيعتهِ ، ويَبْطِشَ بالقِبْطِيّ عَدوِّهِما ، ويُوقِفَهُ عَنْ عُدوانِهِ .

ولكنَّ الإسْرائيليَّ الَّذي سَمِعَ لَوْمَ موسىٰ لهُ قَبْلَ قَليلٍ خافَ مِنْهُ ، وظَنَّ أَنَّهُ قادِمٌ لِقَتْلِهِ هُو ، فقالَ لهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : يا موسىٰ : أَتُريدُ أنْ تَقْتُلَني ، كما قتلْتَ الرَّجُلَ القِبْطِيَّ بالأَمْسِ ؟ إنّ هذا تَجَبُّرٌ وعُلُوٌّ! وهَلْ تُريدُ أنْ تكونَ جَبّاراً في الأرْضِ ، تضْرِبُ مَنْ تشاءُ ، وتَقْتُلُ مَنْ تَشاءُ ، مِنْ دُونِ أنْ تُفكِّرَ في عَواقبِ ذلكَ ونَتائِجهِ ؟ ولا تُريدُ أنْ تَكونَ مِنَ المُصْلحين الحريصينَ علىٰ إصلاحِ الأرْضِ ، ونشْرِ الخَيْرِ بَيْنَ أهلِها!!

وسَمِعَ القِبْطِيُّ كَلامَ الإسْرائيليّ ، وعَرَفَ أنَّ القاتِلَ بالأمْسِ هُوَ مُوسَىٰ ، ولَمْ يكُنْ أحَدٌ يعلَمُ قتلَهُ ، فهَرَبَ مِنْهُما ، وذَهَبَ مُسْرعا إلىٰ رِجالِ فِرْعَوْنَ ، وأخبَرَهم أَنَّ مُوسَىٰ هُوَ القاتِلُ لِلقبطيِّ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يكْتَمِلُ جِسْمُ الرَّجُلِ ويَنْضُجُ عَقْلُهُ في سِنِّ الأَرْبعين الَّذي هُوَ عُمْرُ « الأَشدِّ » فعلىٰ الإنْسانِ عِنْدَ ذلك أنْ يتَّصِفَ بالاتِّزانِ ، ويَحْمَدَ اللهَ علىٰ ذلكَ .

٢ـ مِنْ مروءةِ الرَّجُلِ أنْ يُلبيَ دَعْوَةَ المُسْتَضْعَفينَ والمُحْتاجينَ ، ويَنْتَصِرَ لِلمظلومينَ .

٣ـ الأعْمارُ بيدِ اللهِ ، ويَجْعَلُ اللهُ لانْتِهائِها أَسْباباً مُتعدِّدة ، فقَدْ يموتُ الإنسانُ بحادثٍ بسيط .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَحْذَرَ وساوِسَ الشَّيْطانِ وتزيينهُ ، لأَنَّهُ عَدُوٌّ للإنسانِ حَريصٌ علىٰ إغْوائِهِ .

٥ـ عِنْدَما يَقَعُ المُؤْمِنُ في ذَنْبٍ فعَلَيْهِ أنْ يَنْدَمَ علىٰ ذلِكَ ويَلومَ نَفْسَهُ ويعْتَرِفَ بِخَطئِهِ ، ثمَّ يَسْتَغفرَ اللهَ ويَتوبَ إليهِ .

٦ـ على المُؤْمِنِ أنْ يَنْصَحَ أقْرَبَ النّاسِ إلَيْهِ ، وأنْ يَلومهُ علىٰ خطَئِهِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ متَىٰ يَبْلُغُ الإِنْسانُ أشُدَّهُ ؟ ب ـ ومَا آثارُ ذَلكَ عليْهِ ؟ ج ـ وما دَليلُكَ علىٰ ذَلكَ مِنَ القُرآنِ ؟

٢ـ أـ لِماذا تَدخَّلَ موسَىٰ لِصالحِ الإِسْرائيليِّ ؟ ب ـ وما مَعنَى وكْزِهِ لِلقِبْطيِّ ؟ ج ـ وماذا نَتَجَ عنْ ذلكَ ؟

٣ـ أـ بماذا تُفسِّرُ اعْتِرافَ موسىٰ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، واسْتغفارَهُ لِرَبِّهِ ؟ ب ـ وهَلْ كانَ بفِعْلِهِ ذلكَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمينَ ؟

٤ـ أـ لِماذا أصْبَحَ موسَىٰ خائِفاً ؟ ب ـ وما الَّذي كانَ يَتَوقَّعُهُ ؟

٥ـ أـ لِمَنْ قالَ مُوسَىٰ : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ؟ ب ـ ومَا معنَىٰ هٰذهِ الجُمْلَةِ ؟

٦ـ أـ مَنِ الَّذي قالَ لِمُوسىٰ : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ ؟ ب ـ ولِماذا قَالَ لَهُ ذلكَ ؟ ج ـ وكَيْفَ عَرَفَ آلُ فِرْعَوْنَ أنَّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دفْتَرِكَ بلُغَتِكَ مُلخَّصاً أَحداثَ قِصّةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ ولادَتِهِ حتَّىٰ قَتْلِهِ للقبطيِّ ، وانْكِشافِ أمْرِهِ تَحْتَ عنوانِ « المَشْهدُ الأوَّلُ لِقصةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ » .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّادِسُ والأَرْبَعُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصىٰ ٱلْمَدِينَةِ	: جاءَ مِنْ آخِرِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَبْعَدِ مَكانٍ فِيهَا .
ٱلْمَلأَ يَأْتَمِرونَ بِكَ	: يَتَآمَرُ عَلَيْكَ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَقْتُلُوكَ .
تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ	: سارَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي فِيها مَدْيَنُ .
وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ	: وَصَلَ بِئْرَ الماءِ الَّتِي يَسْتَقِي مِنْها قَوْمُ مَدْيَنَ .
أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ	: جَماعَةً كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ .
ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ	: ٱمْرَأَتَيْنِ تَطْرُدانِ غَنَمَهُما عَنِ الْماءِ .
مَا خَطْبُكُما ؟	: مَا شَأْنُكُما وَقِصَّتُكُما ؟
حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعاءُ	: حَتَّىٰ يَسْقِيَ ٱلرُّعاةُ مَواشِيَهُم ، ثُمَّ يَنْصَرِفوا عَنِ الْماءِ .
لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقيرٌ	: أَنَا مُحْتاجٌ لِلْخَيْرِ مِنْ طَعامٍ وَغَيْرِهِ ، أَطْلُبُهُ مِنْكَ يا رَبِّ .



التفسيرُ :

تحدثتِ الآياتُ السَّابقَةُ عَن ما جرىٰ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما نَصَرَ الإِسْرائيليّ المظْلومَ وقَتَل القِبْطِيّ خَطَأً ، وإِخْبار القِبْطِيّ الآخَر بأَنّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ .

وتُخْبِرُ هذهِ الآياتُ عَنْ مَا جرىٰ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ذَلِكَ ، حَيْثُ نَصَحَهُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ شيعةِ فِرْعَوْنَ يُخْفي إِيمانَهُ بالخُروجِ مِنَ البلدِ ، فَتوجَّهَ إِلىٰ مَدْيَنَ .

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

بعدَما هَرَبَ القِبْطِيُّ مِنْ موسَىٰ والإسرائيليّ ، ذَهَبَ إِلىٰ آلِ فِرْعَون وأخْبَرَهم أَنَّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ ، فاجْتَمعوا يُناقِشونَ أَمْرَ موسَىٰ ويَتآمَرونَ عَلَيْهِ ، وعَلِمَ رَجُلٌ مؤْمِنٌ باجتماعِهِمْ وتآمُرِهِمْ ، وأَرادَ نُصْحَ موسَىٰ وإِنقاذَهُ مِنَ الخَطَرِ ، وكانَ في آخِرِ المَدينةِ ، وأَبْعَدِ مَكانٍ فيها ، فَجاءَ إِلىٰ موسَىٰ الَّذي كانَ وَسَطَ المَدينةِ ، وكانَ يَسْعَىٰ ويَمْشي مُسْرِعاً لِيَسْبِقَ جُنودَ فِرْعَوْنَ ، وقالَ لِموسَىٰ : يا مُوسَىٰ إِنَّ فِرْعَوْنَ ورِجالَهُ يتشاوَرونَ في شأْنِكَ ، ويَتآمَرُونَ عَلَيْكَ ، ويُريدُونَ قَتْلَكَ ، فاخْرُجْ بِسُرْعَةٍ مِنْ هـٰذا البَلَدِ ، لِتَنْجوَ مِن الخَطَرِ ، وإِنِّي لَكَ ناصِحٌ أَمينٌ .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِنَصيحةِ الرَّجُلِ المُؤمِنِ ، وسارعَ بالخُروجِ مِنَ البَلَدِ ، وغادَرَها قَبْلَ وُصولِ رجالِ فِرْعَوْنَ ، وكانَ في خُروجِهِ خائِفاً علىٰ نَفْسِهِ ، يَتَلَفَّتُ يَميناً وشِمالاً ، ويَتَرَقَّبُ ما حَوْلَهُ ، خَشْيَةَ مُتابَعَةِ أَحَدٍ لَهُ .

وبما أَنَّهُ مُقْبِلٌ علىٰ مِحْنَةٍ شَديدةٍ ، ولا يَدْري إِلىٰ أَيْنَ يَسيرُ ، ولا ما الَّذي يَنْتَظِرُهُ ، لِذلكَ لَجَأَ إِلىٰ اللهِ ، وطَلَبَ مِنْهُ النَّجاةَ وناجاهُ قائلاً : رَبِّ نَجِّني مِنْ هَؤلاءِ القَوْمِ الظَّالِمينَ ؛ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ . فاسْتَجابَ اللهُ لَهُ ونَجّاهُ مِنَ الخَطَرِ ، وكَتَبَ لَهُ النَّجاةَ ، وغَادَرَ البِلادَ الَّتي يَحْكُمُها فِرْعَوْنُ بِأَمانٍ . قالَ تعالىٰ : ﴿وقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ وفَتَنَّاكَ فُتوناً﴾ [طه : ٤٠] .

وأَلْهَمَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ يسيرَ في الطَّريقِ المُوصِلَةِ إِلىٰ مَدْينَ ، وهِيَ مِنْطَقَةٌ تَقَعُ إِلىٰ الجَنوبِ مِنْ بِلادِ الشَّامِ ، المُحيطةِ بوادِي عَرَبَةَ وحَوْلَ خليجِ العَقَبَةِ ، وبَيْنَها وبَيْنَ مِصْرَ أَرْضٌ صَحْراوِيَّةٌ مُوحِشَةٌ في سِيناءَ ، قُدِّرَ لِموسى أَنْ يَقْطَعَها ويَصِلَ إِلى مَدْيَنَ .

وأقْبَلَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ رَبِّهِ مرَّةً أُخْرىٰ ، مُتوكِّلاً عَليْهِ ، راجياً مِنْهُ أنْ يَهْدِيَهُ السَّبيلَ الصَّحيحَ ، وأنْ يُرْشِدَهُ إلىٰ الطَّريقِ الآمِنِ ، الَّذي يَجِدُ فيهِ الأمْنَ والتَّوفيقَ .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

تابَعَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَيْرَهُ في الصَّحْراءِ حتَّىٰ وصَلَ أرْضَ مَدْيَنَ ، ووَقَفَ علىٰ بِئْرِ الماءِ الَّتي يَسْتَقي منْها أهْلُ مَدْيَنَ ، ويَسْقونَ مَواشيَهُمْ ، فرأىٰ مَنْظراً لا يَتَّفِقُ مَعَ المُروءَةِ ، رأىٰ جَماعةً مِنَ النَّاسِ يَسْقونَ مَواشيَهُم منْ ماءِ البِئْرِ ، ورأىٰ امْرأتيْنِ بعيدتَيْنِ عنِ القَوْمِ ، تَمْنَعانِ غَنَمَهُما مِنَ الاسْتِقاءِ ، لِئلاَّ يَخْتَلِطَ غَنَمُهُما بِغَنَمِ الآخَرينَ ، وتَبْذُلانِ جُهْداً كبيراً في مَنْعِ الغَنَمِ عَنِ الماءِ .

سَأَلَ موسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَرْأتَيْنِ : ما شَأْنُكُما وخَبَرُكما ؟ ولِماذا لا تَسْقيانِ الغَنَمَ مَعَ القَوْمِ ؟

قالَتَا لَهُ : إنَّنا لا نَقْدِرُ أنْ نُزاحِمَ الرِّجالَ ، ولا نَتمكَّنُ مِنْ سَقْيِ غَنمِنا معَهُمْ ، ولِهٰذا نَقِفُ بَعيدتَيْنِ ، نَنتظِرُ أنْ يَنتَهوا ، ثمَّ نَسْقِي غَنَمَنا بَعْدَهُمْ .

ثُمَّ اعْتَذرَتا لهُ عَنْ قِيامِهِما بهذهِ المُهِمَّةِ الشَّاقةِ في رَعْيِ الغَنَمِ وسَقْيِها ، الَّتي لا تَتَّفِقُ مَعَ طَبيعةِ المَرْأةِ النَّاعِمَةِ ، فَقالَتَا : أبونَا شَيْخٌ كَبيرٌ ، طاعِنٌ في السِّنِّ ، لا يَسْتَطيعُ أنْ يرعىٰ الغَنَمَ ويُتابِعَها ويَسْقِيَها .

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

رَقَّ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلمَرْأتَيْنِ ، وتَعامَلَ مَعَ المَسْأَلةِ بِنَخْوةٍ وشَهامةٍ ، وصَحَّحَ الخَطأَ ، فَساقَ غَنَمَهُما وتَوجَّهَ بِها إلىٰ البِئْرِ ، وزاحمَ الرِّجالَ الرُّعاةَ ، وسَقَى الغَنَمَ وأعادَها لَهُما .

وبَعْدَما غادَرتِ المَرْأتانِ المَكانَ أوَىٰ إلىٰ ظِلِّ شَجَرةٍ كانتْ بجانِبِ الماءِ لِيَسْتَريحَ ، وبينَما كانَ يَسْتَرْوِحُ الظِّلَّ والنَّسيمَ أقْبلَ علىٰ اللهِ يُناجيهِ ويَدعُوهُ قائلاً : ربِّ إنِّي مُحْتاجٌ إلىٰ ما عِنْدَكَ مِنْ خيْرٍ ، مِنْ طَعامٍ أوْ غَيْرِهِ ، وأَسْأَلُكَ أنْ تَمُنَّ عَليَّ بِشَيءٍ منهُ!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ علىٰ المُؤمِنِ أنْ يُقدِّمَ النَّصيحةَ لِغيرِهِ ، وأنْ يُساعدَ المُحْتاجَ ، وأنْ يُحَذِّرَ الآخَرينَ مِنَ الخَطَرِ .

٢ـ علىٰ الإِنْسانِ المُؤْمِنِ أنْ يَقْبَلَ النَّصيحةَ ، ويَشْكُرَ صاحِبَها عَلَيْها ، ويُنفِّذَها .

٣ـ كان مُوسى معَ اللهِ دائما ، يقْتُلُ القِبْطيَّ فَيُسارِعُ بالتَّوبةِ ، ويُلاحِقُهُ الطُّغاةُ فيدعُو اللهَ أنْ يُنْجيه منْهُمْ ، وَيتوجّهُ إلى مَدين فيطْلُبُ مِنَ اللهِ الهِداية ، ويصِلُ غريباً إلى مَدْينَ فيدعو ربّهُ : ربِّ إنّي لِما أنْزلتَ إليَّ مِنْ خيْرٍ فقيرٌ .

٤ـ لا حَرَجَ على المُؤْمِنِ أنْ يَفِرَّ مِنَ الأخْطارِ عِنْدما لا يَسْتطيعُ مُواجهَتها .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ عِنْدما يقعُ في ضِيقٍ أوْ همٍّ أنْ يَلْجأَ إلىٰ اللهِ ، طَالبا مِنْهُ السَّدادَ والنَّجاة .

٦ـ الأَصْلُ في المرْأةِ أنْ تقومَ بالأعمالِ المُتَّفقةِ مَعَ طبيعتِها اللّيِّنةِ ، ولا تَلْجأُ لِلأعْمالِ الشّاقّةِ الصَّعْبةِ إلاّ في حالةِ الحاجةِ .

٧ـ يُمْكِنُ لِلرَّجلِ أنْ يتكلَّمَ مَعَ المَرْأةِ الأجْنَبيّةِ إذا احْتاجَ لِذلك معَ الأدَبِ والأخْلاقِ .



أجِبْ عنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ ماذا قال الرّجُلُ القادِمُ لموسىٰ ـ عليْه السَّلامُ ـ ؟ وبِماذا نصَحَهُ ؟ ولِماذا ؟

٢ـ حدِّد المَوْقِعَ الجغرافيَّ لمدين ، وصِفِ الطَّريقَ بيْنهُ وبيْن مِصْرَ .

٣ـ ماذا قالَ موسىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عندما خرجَ منْ مصْرَ ؟ وماذا قالَ عِنْدما توجّه لمدين ؟ وماذا نستفيد مِنْ ذلك ؟

٤ـ بِماذا تُفسِّرُ كلامَ موسىٰ مَعَ المرْأتيْنِ ، وسَقْيِهِ غنَمَهُما ؟ وماذا تأْخُذُ دَلالةً مِنْ ذلكَ ؟

٥ـ ماذا فعلَ موسىٰ بعد سقْيِ الغنمِ ؟ وماذا قالَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ اسْمَ النّبيِّ الّذي بعثهُ اللهُ إلىٰ أهْلِ مَدْينَ .

٢ـ لِماذا كانَ هذا المنْظرُ لا يتّفِقُ مَعَ المُروءةِ ؟ وماذا كانَ يَجِبُ علىٰ الرِّجالِ الرُّعاةِ أنْ يفْعلوا ؟ ولو طلبتْ مِنْكَ عجوزٌ المُساعدةَ فماذا تفْعلُ ؟ اكْتُبْ ذلكَ في دفْترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَمْشي عَلَى ٱسْتِحْياءٍ : تَمْشي وَهِيَ مُسْتَحِييَةٌ حَياءً شَديداً .

قَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ : أَخْبَرَهُ بِما جَرىٰ لَهُ مُنْذُ قَتْلِهِ القِبْطِيَّ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيهِ .

ٱسْتَأْجِرْهُ : ٱتَّخِذْهُ أَجيراً يَرْعَىٰ ٱلْغَنَمَ بَدَلَنا .

أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ : أُزَوِّجُكَ واحِدَةً مِنْ بِنْتَيَّ .

تَأْجُرَني ثَمانِيَ حِجَجٍ : تَعْمَلَ أَجيراً عِنْدي ثَمانِيَ سِنينَ .

أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ : أَيَّ المُدَّتَيْنِ : الثَّمانِيَةِ أَوْ الْعَشْرَةِ قَضَيْتَ .

ٱللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكيلٌ : اللهُ شاهِدٌ عَلَىٰ اتِّفاقِنا .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عن قُدومِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلَىٰ مَدْيَنَ ، ومُساعَدَتِهِ لِلْمَرأَتَيْنِ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عن الْتِقائِهِ بِوالِدِ المَرْأَتَيْنِ وعَمَلِهِ عِنْدَهُ .

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بعدما سقى موسىٰ للمرأتين ، وجلس في ظلِّ الشَّجرة ، عادتِ المرأتانِ إلىٰ أبيهما ، وأخبرتاهُ الخبرَ ، فطلبَ منْ إحداهُما أنْ تأتيَ إلىٰ ذلكَ الرَّجلِ وتدعوهُ ليكرموهُ ، ولوْ كانَ عندهُ رجلٌ لبعثه إليهِ ، لكنَّها الضَّرورةُ .

جاءتِ المرأةُ موسىٰ وهوَ جالسٌ في ظلِّ الشَّجرةِ ، وكانتْ تمْشي علىٰ استحياءٍ ، وهيَ مِشْيةُ الفتاةِ الطَّاهرةِ الفاضلةِ العفيفةِ النَّظيفةِ حينَ تلقىٰ الرِّجالَ ، حيثُ تمْشي مُستحْيِيةً ، مِنْ دونِ تبذُّلٍ أو تبرُّجٍ أوْ إغواءٍ .

وكلَّمتْهُ كلمةً مُختصرةً دقيقةً واضحةً ، قالتْ لهُ : إنَّ أبي يدْعوكَ إلىٰ البيتِ ، ليُكافِئَكَ ويجْزيكَ على إحْسانِكَ لنا ، ويُعْطِيَكَ الأجْرَ مُقابلَ سقْيِكَ لِغنمنا .

وكانتْ دعوةُ الأبِ لِموسىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فرجاً مِنَ اللهِ ، واستجابةً منْهُ لِدعاءِ موسىٰ السَّابقِ : ربِّ إنِّي لمَا أنزلتَ إليَّ منْ خيْرٍ فقيرٌ .

واستجابَ موسىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ للدَّعوةِ ، وتوجَّهَ إلىٰ منْزلِ الرَّجُلِ الصَّالحِ ، لينالَ عِندهُ التكريمَ ، وأخبرَهُ موسىٰ بقصَّتهِ مع فِرْعونَ وقومِهِ ، وقتْلِهِ للقبْطيِّ ، وخروجِهِ مِنْ مصْرَ خائفاً لأنَّهم يطْلبونهُ ويلاحقونهُ .

فطمْأنهُ الرَّجُلُ الصَّالحُ قائلاً : اطمئنَّ ولا تخفْ ، فأنْتَ هُنا قدْ نجوْتَ مِنْ قوْمِ فرعونَ الظَّالمينَ . لأنَّكَ خرجْتَ منْ مملكتِهِمْ ، ولا سُلطانَ لهُمْ علىٰ هذهِ البلادِ .

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾

بعدما اطْمأنَّ موسىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في بيْتِ الرَّجُلِ الصَّالحِ ، فكَّرتِ المرْأتانِ في رَعْيِهما الغنمَ ، والمهمَّةِ الشَّاقَّةِ الَّتي تقومانِ بها يوْميّاً لِعدمِ وُجودِ رجُلٍ ، والآنَ الرَّجُلُ موْجودٌ ، فلماذا لا تستريحانِ ؟

لذلكَ عرضَتْ إحْداهُما علىٰ أبيها عرْضاً طيِّباً ، فقالتْ لهُ يا أبَتِ استأْجِرْ هذا الرَّجُلَ لِرعْيِ الغنمِ ، وهوَ صالحٌ لهذهِ المهمَّةِ قادرٌ عليْها ، وهوَ قويٌّ في عملِهِ ، أمينٌ في خُلُقِهِ ، وكوْنُهُ قويّاً أميناً فإنَّ ذلكَ يُؤهِّلُهُ للعملِ عندنا .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أعْجبَ الرَّجُلُ بِعرْضِ ابنتِهِ ، ووجدهُ مُناسباً ، ولكنْ كيْفَ يسْتأْجِرُ رجُلاً غريباً لِرعْيِ الغنمِ

عِنْدَهُ ؟ وكَيْفَ يُقيمُ عِنْدَهمْ في البَيْتِ ، وهوَ غَريبٌ عَنِ ابْنَتَيْهِ ؟

الحلُّ هُوَ في الزَّواجِ فَعَرَضَ الرَّجُلُ على موسَىٰ أَنْ يُزَوِّجَهُ مُقابِلَ اسْتِئْجارِه ، فَيكونَ زَواجُهُ أُجْرةً لَهُ ، ويَكونَ مَهْرُ المَرْأَةِ قِيامَهُ برَعْيِ الغَنَمِ . قالَ لهُ الرَّجُلُ : إِنِّي أُريدُ أَنْ أُزَوِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هاتَيْنِ ، ومَهْرُها أنْ تَرْعىٰ غَنمي ثَمانيَ سَنَواتٍ ، فإِنْ تَبرَعْتَ أَنْتَ بزِيادةِ سَنَتَيْنِ ، وعَمِلْتَ عَشْرَ سَنواتٍ فَهُوَ إِلَيْكَ وإِحْسانٌ مِنْكَ ، ولَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ في العَمَلِ أَوْ أُكَلِّفُكَ فَوْقَ طاقَتِكَ ، وسَوْفَ تَستَريحُ في العَمَلِ عِنْدي ، وسَتَجِدُني إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحينَ .

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

قَبلَ موسَىٰ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ عَرْضَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وكانَ ذَلِكَ فَرَجاً وأَماناً واسْتِقْراراً لَهُ ، ولِذلكَ قالَ لهُ : ذَٰلِكَ الأَمْرُ بيني وبَيْنَكَ ، وأنا مُخَيَّرٌ في أَحَدِ الأَجَلَيْنِ ، ثَمانِي سَنواتٍ وعَشْرِ سَنواتٍ ، وأَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَيْتَهُ فلاَ عُدوانَ مِنْك عليَّ ، سَواءٌ أكانَ الأطولَ أَمِ الأَقْصَرَ!

واللهُ بينَنا وكيلٌ حَافِظٌ علىٰ ما جَرَىٰ بينَنا ، وشَاهِدٌ علىٰ ما أَلْزَمَ بِهِ كلٌّ مِنَّا نَفْسَهُ .

وقَدِ اخْتارَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأَجَلَ الأَطْولَ عَشْرَ سَنواتٍ مِنْ بابِ كَرَمِهِ ونَخْوَتِه . فَقَدْ سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ ـ رَضيَ اللهُ عنْهما ـ أيَّ الأَجَلَيْنِ قضَىٰ موسىٰ ؟ فقالَ أكثرَهُما وأطيبَهُما . إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ إذا قالَ فعَلَ[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حَياءُ المَرْأَةِ خُلُقٌ حَميدٌ ، ودَليلٌ علىٰ العِفَّةِ والاسْتِقامَةِ ومُوافَقَةِ الفِطْرَةِ .

٢ـ يُمْكِنُ للمرأَةِ أَنْ تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عِنْدَ الحَاجةِ ، علىٰ أَنْ يَكونَ كَلامُها مُخْتَصَراً مُفيداً مُؤَدَّباً .

٣ـ مِنَ المُروءَةِ والشَّهامةِ مُكافأةُ ومُجازاةُ المُحْسِنِ علىٰ إِحْسانِه .

٤ـ لِلْمَرأَةِ رأيٌ فِي ما حَوْلَها ، تُقَدِّمُهُ لِصاحِبِ القَرارِ ، الَّذي يُفَكِّرُ فيه وَيقْبَلُهُ .

٥ـ القُوَّةُ والأَمانَةُ صِفَتانِ ضَروريَّتانِ لِكُلِّ مَنْ يَقومُ بالأَعْمالِ العامَّةِ .

٦ـ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِضَ ابْنَتَهُ علىٰ الصَّالِحِ المُسْتَقيمِ لِلزَّواجِ .

---

(١) صحيح البخاري (٥٢) كتاب الشهادات (٢٨) باب من أمر بإنجاز الوعد . حديث رقم : ٢٦٨٤ .

٧ـ يُمْكِنُ أنْ يَكونَ مَهْرُ المَرْأَةِ مَنْفعةً عامَّةً تَتحقّقُ لَهَا أَوْ لأَحَدِ أفرادِ البَيْتِ .

٨ـ لُطْفُ اللهِ بِموسى إذْ يَسَّرَ لَهُ في غُرْبَتِه العَمَلَ والزَّواجَ والسَّكَنَ في اليَوْمِ الأوَّلِ الَّذي حَلَّ فيهِ بِمدينةِ مَدْيَنَ .

٩ـ يَجوزُ أنْ يَكونَ المَهْرُ عَمَلاً يَقومُ بِهِ الرَّجُلُ لِزوجتهِ أَوْ والِدِها .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا اسْتَدعَىٰ الرَّجلُ موسَىٰ ؟ وصِفْ قُدومَ المَرْأَةِ إليهِ . ومَاذا قالَتْ لَهُ ؟

٢ـ مَاذا عَرَضَتِ المَرأَةُ علىٰ أَبيها ؟ ولِماذا ؟ وبِماذا وَصَفَتْ موسَىٰ ؟ ومَا أَهَمِيَّةُ ذَلِكَ الوَصْفِ ؟

٣ـ اذْكُرْ أَرْبعَ دَلالاتٍ مِنْ عَرْضِ الرَّجلِ ابنتَهُ علىٰ موسَىٰ لِلزواجِ مُقابِلَ رَعْيِهِ الغَنَمَ .

٤ـ أيَّ الأجَليْنِ قضَىٰ موسَىٰ ؟ وَمَا دَلِيلُكَ علىٰ ذلكَ ؟

تَعَلَّمْ :

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ : أَفْرَسُ النَّاسِ ثلاثةٌ : أَبو بكرٍ حِينَ اسْتخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ وصَاحِبُ يوسفَ حينَ قالَ لامْرأَتهِ : ﴿أكْرِمي مَثْواهُ عسى أَنْ يَنْفَعَنا﴾ ، وصاحِبةُ موسَىٰ حينَ قالتْ لأبيها : ﴿يا أَبَتِ اسْتأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتأْجَرْتَ القَويُّ الأَمينُ﴾ .

نَشاطٌ :

١ـ القُوَّةُ والأَمانةُ ضَروريَّتانِ لِمَنْ يَقومُ بالعَمَلِ العامِّ . واتَّصفَ بِهما رَجُلٌ عِنْدَ سُليمانَ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ وذَكَرَتْ ذَلكَ سورةُ النَّمْلِ . اذكرِ الآيَةَ في ذَلِكَ ، والمُهِمَّةُ الَّتي قامَ بها ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّامِنُ وَالأربَعونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَضىٰ مُوسَىٰ ٱلأجَلَ : أَتَمَّ الْمُدَّةَ الْمُتَفَقَ عَلَيْها .

آنَسَ مِنْ جانِبِ ٱلطُّورِ ناراً : رَأىٰ ناراً عِنْدَ الجانِبِ الأيْمَنِ لِجَبَلِ الطُّورِ فَاسْتَأْنَسَ بها .

جَذْوَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ : جَمْرَةٍ مُلْتَهِبَةٍ مِنَ النَّارِ .

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلونَ : لَعَلَّكُمْ تَسْتَدْفِئونَ عَلَيْها .

شَاطِىءِ ٱلوادي ٱلأَيْمَنِ : ٱلْجانِبِ الأَيْمَنِ لِلْوَادِي الْمُقَدَّسِ .

ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ : الْمَكانِ الْمُبارَكِ الَّذي فِيهِ الشَّجَرَةُ الْمُشْتَعِلَةُ فِي النَّارِ .

تَهْتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ : تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كَالْحَيَّةِ سَريعَةِ الْحَرَكَةِ .

وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ : أَدْبَرَ هارِباً مِنَ الخَوْفِ وَلَمْ يَرْجِعْ .

ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ : أَدْخِلْ يَدَكَ فِي فَتْحَةِ قَميصِكَ .

ٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ : ضُمَّ يَدَكَ عَلَىٰ صَدْرِكَ لِتَزولَ الرَّهْبَةُ وَالْخَوْفُ عَنْكَ .

ذانِكَ بُرْهانانِ : الْعَصا وَالْيَدُ آيَتانِ وَمُعْجِزَتانِ وَدَليلانِ .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ إقامةِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَدْيَنَ ، يَرعىٰ الغنَمَ عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالحِ ، بعدَ أنْ تزوَّجَ ابنتَهُ .

وتتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عنْ ما جَرىٰ لِمُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلىٰ مِصْرَ ، حَيْثُ ناداهُ اللهُ في الوادِي المُقَدَّسِ « طُوىً » وكلَّفَهُ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَوْنَ ، وآتاهُ مُعجزَتَي العَصا واليدِ .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

أقامَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَدْيَنَ عَشْرَ سَنواتٍ ، وقضىٰ المُدَّةَ الَّتي اتَّفقَ عليْهَا مَعَ الرَّجُلِ الصَّالحِ ، ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللهُ أنْ يَعودَ إِلىٰ مِصْرَ ، حَيْثُ أُسْرَتَهُ هُناكَ .

سارَ بأهْلِهِ عَبْرَ الصَّحراءِ ، وَوَصَلَ إِلىٰ الوادِي المُقَدَّسِ « طُوىً » الواقعِ بجانبِ الطُّورِ ، في سِيناءَ ، وبَيْنَما كانَ يَسيرُ في المِنْطَقةِ لَيْلاً ضَلَّ الطَّريقَ بِسببِ الظَّلامِ ، وكانَتْ لَيْلةً بارِدَةً شَديدةَ البُرودةِ .

وبينَمَا هو كذلكَ أبْصَرَ ناراً تُضيءُ علىٰ جانبِ الطُّورِ ، فتفاءَلَ بهَا وأنِسَ إِليْهَا ، فَطَلَبَ مِنْ أهْلِهِ أنْ يَتوقَّفُوا عَنِ السَّيْرِ ، ويَمْكُثُوا حَيْثُ هُمْ ، ويَنْتَظِرُوهُ ، فَسَيَذْهَبُ إِلىٰ النَّارِ المُضيئَةِ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَها أحَدَ النَّاسِ ، فَيُخْبِرُهُ عَنِ الطَّريقِ المُوصِلَةِ إِلىٰ مِصْرَ ، فإنْ لَمْ يَجِدْ أَحداً يَسْأَلُهُ ، يَأْتِيهِمْ بِجَمْرَةٍ مُشْتَعِلَةٍ مِنَ النَّارِ ، يَسْتَدْفِئونَ بها مِنَ البَرْدِ الشَّديدِ .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

لمَّا وَصَلَ موسَىٰ المَكانَ ، حَيْثُ النَّارُ المُضيئَةُ ، هُناكَ ناداهُ ربُّهُ مِنْ جانبِ الوادي الأَيْمنِ ، عَنْ يَمينِ مُوسَىٰ ، فِي البُقْعَةِ المُباركَةِ ، المَوْجودةِ في الشَّجَرَةِ ، الَّتي تَشْتَعِلُ ناراً غَيْرَ حارقةٍ . قالَ تَعالَىٰ : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَينا إِلى مُوسَى الأَمْرَ﴾ [القصص : ٤٤] .

وسَمِعَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نِداءَ اللهِ ، حينَ قالَ لَهُ : يا مُوسَىٰ : الَّذي يُكلِّمُكَ هُوَ اللهُ ربُّ العالَمينَ . ولا شَكَّ أَنَّ موسىٰ أَيْقَنَ بأنَّ الذي يَسْمَعُهُ هوَ كلامُ اللهِ ربِّ العَالَمينَ ، لأنَّ كلامَ اللهِ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كلامِ الخَلْقِ .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

كانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُمْسِكُ عَصاهُ بِيَدِهِ وهُوَ يَسْمَعُ كلامَ اللهِ ، وأَرادَ اللهُ أَنْ يُرِيَهُ آيةً دالَّةً علىٰ نُبُوَّتِهِ ، فأَمَرَهُ أَنْ يُلقِيَ عَصاهُ ، ولمَّا أَلْقاها أَجْرَىٰ اللهُ بِقُدْرَتِهِ فيها حَياةً حَقيقيَّةً ، حَيْثُ جَعَلَها حيَّةً تَسْعىٰ .

ونَظَرَ مُوسَىٰ إِلى الحَيَّةِ فرآها تَتحرَّكُ وتَضْطَرِبُ وتَهْتَزُّ بِسُرْعَةٍ وخِفَّةٍ ، وتَتَلَوّىٰ وتَتَقَلَّبُ ، كما تَفعَلُ الحَيّاتُ الصِّغارُ السَّريعةُ الَّتي تُسمَّىٰ « جانّ » .

كانَ المَنْظَرُ مُخيفاً مُرْعِباً ، لَمْ يَتحمَّلْهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِذَلكَ هَرَبَ خائفاً ، وَوَلَّىٰ مُدْبِراً ، ولَمْ يُعَقِّبْ أَوْ يَلتفِتْ خَلْفَهُ ، ونَسِيَ أَنَّهُ في حَالَةِ مُناجاةٍ مَعَ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ يُخاطِبُهُ .

فَهَدَّأَ اللهُ رَوْعَهُ وأَزالَ خَوْفَهُ بقولِهِ : يَا مُوسَىٰ : تَعالَ ، وارْجِعْ إِلىٰ المَكانِ الَّذي كُنْتَ واقِفاً فيهِ ، ولا تَخَفْ مِنَ الحَيَّةِ ، فإِنَّها لَنْ تُؤْذِيَكَ ، وسَتَكونُ آمِناً مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

ولمَّا عادَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَراهُ اللهُ آيةَ أُخْرَىٰ ، فقدْ كانتْ يَدُهُ سَمْراءَ ؛ لأَنَّهُ كانَ أَسْمَرَ اللَّونِ ، فأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُدْخِلَها في فَتْحَةِ ثَوْبِهِ ، ويَنْظُرَ إِلَيْها ، فَستَكونُ بَيْضاءَ تَتلألأُ ، مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ ولا سُوءٍ ولا بَرَصٍ .

وأَرْشَدَهُ اللهُ إِلىٰ طريقةٍ لإِزالةِ الرَّهْبَةِ والخَوْفِ ، فقالَ لَهُ : اضْمُمْ إِليكَ جَناحَكَ ، وضَعْ يَدَكَ علىٰ صَدْرِكَ ، لِتَشْعُرَ بالسَّكينةِ والطُّمأنينةِ ، وتَخِفَّ ضرباتُ قلْبِكَ ، وتَزولَ عَنْكَ الرَّهْبَةُ .

وأَخْبَرَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ آتاهُ بُرْهانَيْنِ واضِحَيْنِ ، ومُعجزتَيْنِ مَادِّيَتَيْنِ ، تَدلَّانِ علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، ويُقدِّمَ لَهُ البُرهانَيْنِ : العَصا تَصيرُ حيَّةً تَسْعىٰ ثُمَّ تَعودُ عَصاً خَشَبيَّةً ، ويَدَهُ سَمْراءَ تَخْرُجُ مِنْ جَيْبِهِ بَيضاءَ ، ثُمَّ تَعودُ سَمْراءَ ، كلُّ ذَلِكَ بِفِعْلِ اللهِ وأَمْرِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يُوجِّهُ اللهُ الإِنْسانَ إِلىٰ ما يَسَّرَهُ لَهُ وقَضاهُ عَلَيْهِ ؛ ويُدبِّرُ لهُ الأَحْداثَ الَّتي تُوصِلُهُ إِلىٰ ذَلِكَ .

٢ـ اللهُ حكيمٌ فيما يُقدِّمُ لِرُسلِهِ مِنْ مُعْجزاتٍ وآياتٍ ؛ لِيَسْتوعبَها الأَقْوامُ الْمُوجَّهةُ لهُمْ لِتَقوم عَليْهِمُ الحُجَّةُ .

٣ـ الخَوْفُ مِنَ الخَطَرِ والفِرارِ مِنْهُ أَمْرٌ فطرَ اللهُ نُفوسَ البَشَرِ عَليْهِ ، فَقَدْ فَرَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما تَحوَّلَت عَصاهُ إلى أَفْعى ، وهذا لا يُنافي عِصْمَةَ الرُّسُلِ .

٤ـ اللهُ يُكَلِّمُ مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ كَيفَ شاء كما كلَّمَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٥ـ العَصا واليَدُ ، وضَمُّ موسى جَنَاحَه إليْهِ مِنَ الرَّهَبِ آياتٌ اخْتَصَّ بها موسَىٰ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ اذْكُرِ الجَوَّ العامَّ الَّذي رأىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فيهِ النَّارَ ، وحَدِّدِ البُقْعَةَ الَّتي اشْتَعَلتْ فيها النَّارُ . ولِماذا لَمْ تَحْرِقْها النَّارُ ؟

٢ـ مَاذَا أرادَ مُوسَىٰ أخذَهُ مِنْ عندِ النَّارِ ؟ ولِماذا ؟

٣ـ ماذا فَعَلَ موسَىٰ عندَما رَأىٰ عَصاهُ تهتزُّ كأَنَّهَا جانٌّ ؟ وبِمَاذَا تُفَسِّرُ ذَلِكَ ؟

٤ـ مَا المُعْجزَةُ الثَّانِيةُ الَّتي آتاهَا اللهُ لِموسَىٰ وَمَا معنىٰ قولِهِ : ﴿بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ؟

٥ـ ما معنَىٰ قولِهِ : ﴿ذانِكَ بُرْهانانِ﴾ ؟ وكَمْ آيةً آتى اللهُ موسَىٰ إلىٰ فِرْعَونَ وقَوْمِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ الوادِي الَّذي كانَ فيهِ مُوسَىٰ ، ولِماذا طَلَبَ اللهُ مِنْهُ خَلْعَ نَعْلَيْهِ فيهِ ، وماذا صارَ وَصْفُ الوادِي بَعْدَ نِداءِ اللهِ لهُ . واسْتَعِنْ في ذَلِكَ بالآياتِ الأُولىٰ مِنْ قِصَّةِ موسَىٰ في سورةِ طَهَ .

٢ـ اجْمَعِ الآياتِ الَّتي تحدثَتْ عَنْ تَحْويلِ العصا إلىٰ حَيَّةٍ ، مِنْ سورِ : طَهَ ، والنَّمْلِ ، والقَصَصِ ، وَسَجِّلْ أَرْبعةَ فُروقٍ بَيْنَها .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ التَّاسِعُ والأربَعونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً : أَكْثَرُ مِنِّي بَياناً .

رِدْءاً : مُعِيناً وَمُساعِداً لي .

يُصَدِّقُني : يُوَضِّحُ مَا قُلْتُهُ وَيُقيمُ عَلَيْهِ الأَدِلَّةَ .

سَنَشُدُّ عَضُدَكَ : سَنُقَوِيكَ وَنُساعِدُكَ . وَالْعَضُدُ ما بَيْنَ الْمِرْفَقِ وَالْكَتِفِ .

سُلْطاناً : حُجَّةً قَوِيَّةً وَغَلَبَةً وَتَفَوقاً .

سِحْرٌ مُفْتَرَى : سِحْرٌ مُخْتَلَقٌ مَكْذُوبٌ .

عَاقِبَةُ الدَّارِ : النِّهَايَةُ الْحَسَنَةُ فِي ٱلآخِرَةِ ؛ لأَنَّ الدُّنْيا تُوصِلُ إِلَىٰ الآخِرَةِ .

التفسيرُ :

أَخبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ تكليمِ اللهِ لِمُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في تِلْكَ اللَّيلةِ المُباركةِ ، وتَكْليفهِ بالنُبُوَّةِ والرِّسالةِ ، وأَمْرهِ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، وإِعْطائِهِ عِدَّةَ بَراهينَ دالَّةٍ علىٰ صِدْقِهِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ طَلَبِ مُوسَىٰ مُساعَدَته بأخيهِ هارونَ ، وعَنْ مَوْقفِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ مِنْهُما ، وبِدايةِ المُواجَهةِ بَيْنَ الفَريقيْنِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

لمَّا أَبْلغَ اللهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالرسالةِ ، وكلَّفَهُ بالذهاب إلىٰ فِرعونَ ومَلَئِهِ ، تذكَّرَ أنَّهُ قتَلَ مِنْهُم رَجُلاً قَبْلَ عَشْرِ سَنواتٍ وَخَشِيَ أنْ يَقْتلوهُ بِسَببِه .

ولِذلكَ قالَ مُوسَىٰ : يَا رَبِّ ، لقدْ سبَقَ أنْ قَتَلْتُ مِنْهُم رَجُلاً قِبْطِيّاً ، وهَرَبْتُ مِنْهُمْ إلىٰ مَدْينَ . وإذا ذَهَبْتُ إليهِم ورَأَوْنِي فإنِّي أَخافُ أنْ يَقْتُلوني بِسَبَبِ ذَلِكَ . ثُمَّ إنَّ أخِي هَارونَ هُوَ أَفْصَحُ منِّي لِساناً ، وأَحْسَنُ بَياناً ، فاجْعَلْهُ مَعِيَ نَبيّاً وَوزيراً ومُساعِداً ومُعِيناً ، لِيُصَدِّقَني فيمَا أَقولُ ، ويُوضِّحَ كلامِي بالحُجَجِ والأدلَّةِ والبَراهينِ .

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ لِطَلَبِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَبعثَ مَعَهُ أخاهُ هارونَ وَزيراً ، وطَمْأَنهُ بأَنَّهُ سَيكُونُ مَعَهُما ، وسَيَنْتَصِرانِ علىٰ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ .

قالَ لَهُ : سَنُقوِّيكَ ونُعينُكَ بأخيكَ ، ونَشُدُّ عَضُدَكَ بهِ ، وسَيكونُ وَزيراً مُعِيناً لَكَ ، وسَنَجْعَلُ مَعَكُمَا سُلْطاناً قويّاً وبُرْهاناً واضِحاً ، يَتَمثَّلُ في المُعْجزاتِ الَّتي نُحَقِّقُها علىٰ أَيْديكُما . ولَنْ يَتمَكَّنوا مِنَ الوُصُولِ إِلَيْكُما وإِيقاعِ الأذىٰ بِكُما ، لأنَّنا مَعَكُما بالتَّأْييدِ والتَّوْفيقِ .

ثُمَّ وعَدَهُ اللهُ بالنَّصْرِ علىٰ القَوْمِ الكافِرينَ فَقالَ لَهُ : سيتَّبِعُكَ أَنْتَ وأَخوكَ مُؤْمِنونَ ، وسَتَكُونونَ أنْتُمُ الغالِبينَ . وسَتكونُ العاقِبةُ لكُمْ ، والدَّمارُ والهَلاكُ لأَعدائِكُمْ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

غادرَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَكانَ المُقدَّسَ نَبيّاً رَسولاً ، مُؤيَّداً بالآياتِ الباهِراتِ ، مُسْتَبْشِراً بأَنَّهُ سَيَكونُ أَخوهُ مَعَهُ ، وعادَ إلىٰ أَهْلِهِ ، وتابَعوا سَيْرَهُم إلىٰ مِصْرَ ، والْتَقىٰ هُناكَ بأَخيهِ هَارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وذَهَبا مَعاً إلَىٰ فِرْعَوْنَ ؛ بَعْدَ أنْ طمأَنَهُما اللهُ .

قَالَ تعالَىٰ : ﴿قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغَى قالَ لا تَخافا إِنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ وأَرَى فَأْتِياهُ فَقولا إِنَّا رَسولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَني إِسْرائِيلَ ولا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ [طه : ٤٥-٤٧] .

قدَّمَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ الآياتِ الدَّالَّةَ علىٰ صِدْقِهِ ونُبُوّتِه ، وأنَّ اللهَ ربُّ العالَمينَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي أَرْسَلَهُ ، وأراهُمُ العصَا يُحوِّلُها اللهُ إِلَىٰ ثُعْبانٍ مُبينٍ ، ويدَهُ السَّمراءَ يُحوِّلُها اللهُ بَيْضاءَ .

وبدَلَ أنْ يُؤمِنَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤُهُ لِقيامِ الحُجَّةِ عليْهِمْ بالآياتِ البيِّناتِ ، كفروا وكذَّبوا تكبُّرًا وعِنادًا ، واتَّهموا موسَىٰ بأنَّهُ ساحِرٌ ولَيْسَ رَسولًا ، وأنَّ ما مَعَهُ هُوَ سِحْرٌ مَصْنوعٌ مُفتعَلٌ مُختلَقٌ ، وقالوا لهُ : يا أيُّها السَّاحِرُ ، مَا تقولُهُ لنا كَذِبٌ وسِحْرٌ مُفْترىً ، ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ صَحيحًا ، لأنَّنا ما سَمِعْنا عَنْهُ فيمَا مضَىٰ ، ولَمْ يكنْ أحَدٌ مِنْ آبائِنا السَّابِقينَ يَدينُ بِهِ ، ونحْنُ مُتابعونَ لَهُمْ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ردَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تُهْمَتَهم بأنْ أَحالَ الأَمْرَ إلىٰ عِلْمِ اللهِ ، فقالَ لهُم : ربِّي هُوَ اللهُ الَّذي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، وهُوَ عالِمُ الغيْبِ والشهادةِ ، ولا تَخفَى عليهِ خافيةٌ ، فهُوَ أعْلَمُ مِنِّي ومِنْكُم بالمُحِقِّ مِنَ المُبْطِلِ ، وبِمَنْ جاءَ بالهُدَىٰ مِنْ عندِهِ الدَّاعِي إلىٰ الرَّشادِ .

وهوَ الأَعْلَمُ بالمُنْتَصِرِ الفائِزِ ، المُفْلِحِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، الَّذي تكونُ لَهُ العاقِبَةُ المَحْمودةُ والنِّهايةُ الحَسَنَةُ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ .

ثُمَّ قدَّمَ لَهُم سُنَّةً رَبَّانيَّةً مُطَّرِدَةً لا تتخلَّفُ ، وهِيَ أنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمونَ ولا يفوزونَ ولا يَنجَحونَ ، لا فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ ، وإنَّما هُمْ في خَسارةٍ وخَيْبةٍ ، لأنَّ الفلاحَ والفَوْزَ إنَّما هُوَ لِلْمُؤمنينَ الصَّالِحينَ .

وموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي رَدِّهِ عليْهِم مُؤدَّبٌ مُهذَّبٌ ، كُلُّهُ ثِقةٌ بالفَوْزِ والنَّصْرِ ، وَهُوَ لهُم ناصِحٌ أَمينٌ ، يُرَهِّبُهُمْ ويُحَذِّرُهُمْ عاقبةَ ضَلالِهِمْ وكُفْرِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ النَّاسَ مُتفاوتينَ في المواهِبِ والقُدراتِ ، فهَا هُوَ هارونُ أفْصَحُ مِنْ مُوسَىٰ لسانًا ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ يَحتاجُ الدَّاعيةُ إِلَىٰ مَنْ يكونُ مُساعِدًا مُعاوِنًا لَهُ فِي تَبليغِ الدَّعْوةِ ، ولِذلكَ طَلَبَ موسَىٰ مِنْ ربِّه هارونَ مُعينًا .

٣ـ الغلبةُ والنَّصرُ لا يكونُ إلاَّ بالالتزام الصّادقِ التّام بآياتِ اللهِ .

٤ـ كانتِ العصا آيةً دالّةً على صِدْقِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبِهَا غَلَبَ فِرْعَونَ ومَلأَهُ .

٥ـ الكُفّارُ مُعانِدون رافِضونَ للحقِّ ، ويتهمون أصْحابَ الحقِّ بالتُّهَمِ الباطلة .

٦ـ وُجوبُ اسْتِخْدام أدبِ الخطابِ والمَوْضوعيّةِ في الحوارِ والنِّقاشِ مَعَ المُخالِفينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا طلبَ موسَىٰ أخاهُ هارونَ ؟ وماذا قالَ اللهُ لَهُ ؟

٢ـ ماذا قالَ قومُ فِرْعونَ لِموسَىٰ ؟ وبماذا اتَّهموهُ ؟

٣ـ بماذا ردَّ موسَىٰ عَلَيْهِم تُهْمَتَهم ؟ وَما الدّرسُ الَّذي تَتعلَّمُهُ أنتَ مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ سُنَّةً ربانيّة تتعلَّقُ بالمُؤْمنينَ ، وسُنَّةً أُخْرىٰ تتعلّقُ بالظّالِمينَ .

تَعَلَّمْ :

قولُهُ تَعالَىٰ : ﴿فلا يَصلونَ إليْكما بآياتنا أنتُما ومَنْ اتَّبعَكُما الغالِبونَ﴾ مُكوَّنٌ مِنْ جُمْلَتينِ :
الجملةُ الأُولىٰ : ﴿فلا يَصلونَ إلَيْكُما﴾ . والجُمْلَةُ الثّانيةِ : ﴿أنْتما ومَن اتَّبَعَكُما الغَالِبونَ﴾ فشبْهُ الجُملةِ « بآياتِنا » مُتعلّقةٌ بِما بَعْدَها . والتّقديرُ : أنْتُما ومَنِ اتَّبعَكُما غالِبونَ بآياتِنا .

نَشاطٌ :

١ـ سجّلِ الآياتِ (٢٧ـ٣٢) مِنْ سورةِ طَه ، واسْتَخْرِجْ منها ما طَلَبَهُ مُوسَىٰ مِنْ ربِّهِ ، واذكرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٣٣ـ ٣٤) .

٢ـ سجِّلْ في دَفْترِكَ الآيتيْنِ (٢٥ـ٢٦) مِنْ سورة سَبأ ، في النّقاشِ بَيْنَ رسولِ اللهِ ﷺ وبَيْنَ المُشْركينَ ، واذْكرْ وجه الشَّبهِ بينها وبَيْنَ الآيةِ (٣٧) .

٣ـاكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُلَخَّصاً بلُغتِكَ تَحتَ عُنوانِ المَشْهدِ الثّاني مِنْ قِصّةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ خُروجِهِ مِنْ مِصرَ حَتَّىٰ رُجوعِهِ إلَيْها .

الدَّرْسُ الْخَمْسُونَ

سُورَةُ الْقَصَصِ - الْقِسْمُ الثَّامِنُ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

مَعاني الْمُفْرَداتِ :

- **أَوْقِدْ لِي يَا هامانُ عَلَى الطِّينِ** : اصْنَعْ لِي يَا هامانُ الطُّوبَ وَالآجُرَّ .
- **صَرْحاً** : قَصْراً عالِياً .
- **أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ** : أَصْعَدُ وَأَرْقَىٰ لأَصلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ .
- **فَنَبَذْناهُمْ فِي ٱلْيَمِّ** : طَرَحْناهُم وَأَلْقَيْناهُمْ فِي الْبَحْرِ .
- **أَئِمَّةً يَدْعونَ إِلَى ٱلنَّارِ** : قادَةً يَقُودُونَ أَتْباعَهُمْ إِلَىٰ النَّارِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ الْكُفرِ .
- **أَتْبَعْناهُمْ** : أَلْحَقْناهُمْ وَأَوْقَعْنا بِهِم .
- **لَعْنَةً** : طَرْداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .
- **مِنَ ٱلْمَقْبوحِينَ** : مِنَ ٱلْمَخْزِيِّينَ الْمَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .
- **ٱلْقُرونَ الأُولَىٰ** : الأَقْوامَ السَّابِقِينَ الْكَافِرِينَ .
- **بَصائِرَ** : أَنْواراً لِلْقُلُوبِ ، لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ والباطِلِ .



التفسيرُ :

أخْبرتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ تَوجُّهِ النَّبيَّيْن موسَىٰ وهارون ـ عَلَيْهما السَّلامُ ـ إلىٰ فِرْعَوْن وقومه ، ودعوَتِهم إلى اللهِ ، ورَفْضِ القَوْمِ الظَّالمينَ للدَّعْوةِ ، واتهام موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ والكَذِب .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ اسْتكبارِ فِرْعَوْنَ ، وادِّعائهِ الأُلوهيَّةَ ، واسْتِكبارهِ هُوَ وجُنودهِ ، وكَيْفَ انتُهتْ قِصَّةُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعَوْنَ بنجاةِ المُؤْمنينَ وإهْلاكِ الكافِرينَ الظَّالمين .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

رفَضَ فِرعونُ دَعْوَةَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبالغَ في طُغيانهِ وتَجبُّرِه ، فادَّعىٰ الأُلوهيَّةَ ، ونادَى المَلأَ مِنْ كبارِ رجالِ دَوْلَتِهِ ، وقالَ لَهُمْ : مُوسَىٰ يَزْعُمُ أَنَّ لكُمْ إلهاً غيري ، وهُوَ كاذِبٌ ، فأنا ما عَلِمْتُ لكُم مِن إلـٰهٍ غَيْري .

وفِرْعَوْنُ في ادِّعائهِ الأُلوهيَّةَ لَم يدَّعِ أَنَّهُ خالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، إنَّما طَلَبَ مِنْ قَوْمِهِ تَعظيمَهُ والخُضوعَ لهُ وعِبادَتَهُ ، كما يَخْضَعُ المُؤْمنُ لِربِّ العالَمينَ ويَعبُدُهُ .

وهوَ ادَّعىٰ الرُّبوبيَّةَ أَيْضاً ، حَيْثُ قالَ لِقوْمهِ : أنا ربُّكُمُ الأَعْلَىٰ ، قالَ تعالَىٰ : ﴿فَحشَرَ فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى﴾ [النازعات : ٢٣ـ٢٤] .

وقَدْ بَلَغَ النِّهايَةَ في الكُفْرِ والفُجورِ والطُّغيانِ ، عِنْدَما ادَّعىٰ الأُلوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ مَعاً . وقَدْ تلقَّىٰ قَوْمُهُ دَعْوتَهُ بالإقرارِ والتَّسْليمِ والطَّاعة .

وبَعدَما ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ الأُلوهيَّةَ تَظاهرَ بالجدِّ في البَحْثِ عَنِ الحَقيقةِ ، والتَّفكيرِ في دَعْوةِ موسَىٰ إلىٰ الإيمانِ بإلـٰهٍ آخرَ غَيْرِه ، فاسْتَدعَىٰ هامانَ وَزيرَهُ الأَوَّلَ وساعِدَهُ الأيْمَنَ ، الَّذي يَحْكُمُ مِنْ خِلالهِ هُوَ ورجالُهُ ، وقالَ لَهُ : اصْنَعْ لي يا هامانُ آجُرّاً وطُوباً ، بأنْ تَحْرِقَ الطِّينَ ، وعِنْدَما يَيْبَسُ ابْنِ لي مِنْهُ قَصْراً عالِياً جِدّاً ، شَامِخاً في الفضاءِ ، لأَصْعَدَ عَلَيْهِ وأَرْتَقي إلىٰ السَّماءِ ، وأَبْحَثُ فيها عَنِ الإلـٰهِ الَّذي يَعْبُدُهُ موسَىٰ ، فإنْ وَجدْتُهُ هناكَ آمنتُ بِه ، وإنْ لَمْ أَجِدْهُ سَيكونُ موسَىٰ كاذِباً ، مَعَ أَنِّي لَنْ أَجِدَهُ ، لأنَّهُ لَيسَ هُناكَ إلَهٌ غَيْري ، وأَنَّ موسَىٰ كاذِبٌ .

وهـٰذا كقولهِ تعالَىٰ : ﴿وقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ أَسبابَ السَّمواتِ فأَطَّلِعَ إلى إلهِ مُوسى وإنِّي لأظنُّهُ كاذِباً﴾ [غافر : ٣٦ـ٣٧] .

﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

لِماذا رَفَضَ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ الحَقَّ ، وكَذَّبوا موسَىٰ ـ علَيْه السَّلامُ ـ ؟

السَّبَبُ هُوَ اسْتِكبارُهُمْ في الأَرْضِ بغيرِ الحَقِّ ، بِحَيْثُ طَغَوْا وبَغَوْا وتجبَّروا ، وأَكْثَروا في الأَرْضِ الفَسادَ ، ورأَوْا كُلَّ مَنْ سِواهُم صَغيراً حَقيراً لا يُساوي شَيْئاً .

وسَببٌ آخَرُ في اتِّخاذِهِمْ ذَلكَ المَوْقفَ هُوَ إنكارُهُمْ لِلآخِرَةِ ، فقدْ كانوا يرَوْنَ أَنَّ الدُّنيا هِيَ كُلُّ شيءٍ ، وأَنَّ المَوْتَ هُوَ النِّهايةُ ، وأَنَّهُ لاَ قِيامةٌ ولا بَعْثٌ ولا حِسابٌ ولا جَزاءٌ ، ومَعْلومٌ أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بالآخِرةِ يَهونُ عَليْهِ الطُّغيانُ والاسْتِكبارُ والفَسادُ .

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

وقَعَ بِفرْعَوْنَ وجُنودِهِ نَتيجةَ اسْتكبارِهِم ، حَيْثُ عجَّلَ اللهُ العُقوبةَ فِي الدُّنْيا ، تَمْهيداً لِعذابِهِمْ النَّديدِ فِي الآخِرَةِ ، فقدْ لَحِقوا بموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ ، فَشَقَّ اللهُ البَحْرَ ، وأَنجَىٰ المُؤْمِنينَ ، وأَخَذَ فِرْعوْنَ وجُنودَهُ ، وجعَلَهُمْ يَدْخلونَ البَحْرَ لِيَلْحَقوا بالمُؤْمنينَ ، ولمَّا كانُوا فِي وسَطِ الطَّريقِ أَطْبَقَ اللهُ عليْهِمْ الماءَ ، فأَغْرَقَهُمْ فيهِ .

وجَعَلَ هلاكَهُمْ علىٰ هذهِ الصُّورةِ عِبْرةً لِغيْرِهِمْ ، حَيْثُ دَعا كُلَّ ناظِرٍ باحِثٍ مُتَأَمِّلٍ مُسْتَبْصِرٍ إِلىٰ الاعْتِبارِ مِمَّا حَدَثَ ، ومُلاحَظَةِ مَظاهِرِ قُدْرةِ اللهِ وعَظَمتِهِ ، ومَعْرِفَةِ النِّهايةِ السَّوداءِ الحَتميَّةِ الَّتي يَنْتَهي إِلَيْها كُلُّ الظَّالِمينَ والمُجْرِمينَ .

﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

كانَ إِغْراقُ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ في البَحْرِ عِقاباً مِنَ اللهِ لَهُمْ في الدُّنْيا ، ولَكِنَّهُ لَيْسَ كُلَّ شيءٍ ، فهُناكَ عَذابُهُمُ الشَّديدُ الَّذي أَعَدَّهُ لَهُمْ في الآخِرَةِ .

ولِذلِكَ جعَلَهُمُ اللهُ أَئِمَّةَ كُفْرٍ وقَادةَ ضَلالٍ ، قُدْوةً لِغيرِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ فِي ذَلِكَ ، يَدْعونَهم إِلى النَّارِ . وهُمْ بذَلِكَ ارتَكَبُوا جَريمتَيْنِ : جَريمةَ كُفْرِهِمْ ، وجَريمةَ دَعْوَةِ غَيْرِهِمْ لِلْكُفْرِ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا عِقابَيْنِ : عِقابَ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، وعِقابَ إِضْلالِهِمْ لِغيرِهِمْ .

وهؤلاءِ الأَئمةُ في الآخِرَةِ لا يَجدونَ مَنْ يَنْصُرُهُمْ ويُدافِعُ عَنْهُم ويُنْقِذُهُمْ مِنْ جَهنَّمَ ، وهُمُ الخاسِرونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، ففي الدُّنْيا أَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ لعنتَهُ وطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وجَعَلَها لازِمةً لَهُمْ ، دائِمَةً عَليْهِمْ . وجعَلَهُمْ في الآخِرَةِ مِنَ المَقْبوحينَ المَذْمومينَ ، البَعيدِينَ عَنْ رَحْمةِ اللهِ . قالَ اللهُ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿وأُتْبِعُوا في هَذهِ لَعْنَةً ويَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفودُ﴾ [هود : ٩٩] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآيَةُ مِنْ ذِكْرِ نِهايَةِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ الأَليمةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ إلىٰ الحديثِ عَنْ ما أنْعَمَ بِهِ علىٰ بني إسْرائيلَ بَعْدَ نَجاتِهِمْ ، فَقَدْ أنزلَ اللهُ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كِتابَهُ « التَّوراةَ » ، ومَكَّنَ لِبني إسْرائيلَ في الأرْضِ ، بعدما أهْلَكَ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ، وأهْلَكَ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الكُفَّارِ السَّابِقينَ ، كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ .

وجَعَلَ اللهُ التَّوْراةَ بَصائِرَ لِلنَّاسِ ، يُبْصِرونَ بِها الحَقَّ ، ويُمَيِّزونَ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، كما جَعَلَها هُدىً لَهُم ، يَهْتَدُونَ بها مِنَ العَمىٰ والضَّلالِ ، ورحمةً مِنْهُ لَهُمْ ، يرْحَمُهُمْ بها ، عِندما يُطَبِّقونَ ما فيها ، وذِكْرىٰ لَهُمْ يتذكَّرونَ ويتَّعظونَ ويعتبرونَ .

والتَّوراةُ المَوْصوفةُ بِهذِهِ الصِّفاتِ هِيَ الَّتي أنْزَلَها اللهُ علىٰ مُوسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وليْسَتِ التَّوراةُ الَّتي حرَّفَها اليهودُ بعد ذلكَ ، وسَمَّوْها « العَهْدَ القديمَ » فَهِيَ كلامٌ مُحرَّفٌ ، لا بَصيرةَ فيهِ ولا هُدىً ولا رَحْمةَ .

وهكذا تَنْتهي قِصَّةُ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ فِرعونَ في هذهِ السُّورةِ ، مُنْذُ وِلادةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ونشأتِهِ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ إلى إهلاكِ فِرْعونَ وجُنودِهِ ، وإنزالِ التَّوراةِ بصائرَ ورَحْمةً وهُدىً لِبني إسْرائيلَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ قدْ يغتَرُّ الطَّاغيةُ بقُوَّتِهِ ، فيدَّعي الألوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ ، ويُعَبِّدُ النَّاسَ لَهُ من دونِ اللهِ .

٢ـ جهلُ فرْعوْنَ بِعظَمةِ السَّمواتِ حيْثُ ظنَّ أنَّهُ يُمكِنُ الوُصولُ إلى السَّماءِ بواسطةِ بناءٍ يَظْهَرُ عليْهِ .

٣ـ التكبُّرُ علىٰ الآخرينَ واحْتقارُهُمْ واستعْبادُهُمْ يقودُ إلى رفضِ الحَقِّ ومُحاربَةِ أهْلِهِ .

٤ـ مِنْ أسبابِ طُغْيانِ النَّاسِ وانْحِرافِهِمْ في الدُّنْيا إنكارُهُمْ لِلآخِرَةِ ، والإيمانُ بالآخرةِ صمَّامُ الأمانِ للمُؤْمنِ .

٥ـ يجبُ علىٰ المُؤْمنِ النَّظَرُ في عواقبِ الهالِكينَ لِلْعِبْرَةِ والعِظَةِ .

٦ـ الأئِمَّةُ نوعانِ : أئِمَّةُ هُدىً وقُدْواتٌ في الخيرِ ، وأئِمَّةُ ضَلالٍ دُعاةٌ إلىٰ النَّارِ ، وقُدْواتٌ في الشَّرِّ .

٧ـ الكُفّارُ مَلْعونون خاسِرونَ مَذمومُون مَقبوحُونَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

٨ـ إهلاكُ الظَّالِمينَ والتَّمْكينُ لِلمُؤْمِنينَ بَعْدَ الصَّبْرِ والثَّباتِ ، سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ مطَّرِدَةٌ .

٩ـ كُلُّ كُتُبِ اللهِ بصائرُ وهُدىً ورَحْمَةٌ وذِكْرىٰ ، لكنّ تحْريفَ اليَهودِ والنَّصارىٰ لِكُتبهِمْ أَزالَ عنْها ذلِكَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ الأُلوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ ؛ أَوْرِدْ آيةً مِنَ القُرآنِ علىٰ كُلِّ دَعوىٰ مِنهُما .

٢ـ مَنْ هُوَ هامانُ ؟ وَما عَمَلُهُ عِنْدَ فِرعونَ ؟ وماذا طَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنهُ ؟ ولِماذا ؟

٣ـ استخرجْ من الآيةِ (٣٩) مِنْ آياتِ الدَّرسِ سَببيْنِ لِطغْيانِ وعِنادِ فِرْعوْنَ وجُنودِهِ .

٤ـ كانَ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ أئِمَّةً ! كَيْفَ ؟ وماذا كانَتْ نتائِجُ إمامتِهِمْ علىٰ الآخَرينَ ؟

٥ـ مَا المُرادُ بالقُرونِ الأُولَى ؟ واذْكُرْ أرْبعةَ أمْثِلَةٍ لها .

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ أربَعَ صِفاتٍ إيجابيَّةٍ لِلتَّوراةِ ؟ وبيِّنْ مدىٰ انْطباقِها علىٰ العَهْدِ القديمِ .

نَشاطٌ :

١ـ فسَّرَ القُرآنُ سَبَبَ طَاعةِ القومِ لِفرعونَ بالرَّغمِ مِن استِخْفافِهِ بِهِمْ . اذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ الزُّخْرُفِ صَريحَةً في ذلِكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها مَظاهِرَ استِخْفافِهِ بِهِمْ وسَببَ طاعَتِهِم لَهُ ، واكْتُبِ الإجابَةَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ كَلِمَةُ « أئِمَة » في القُرآنِ وَرَدَتْ بمعنيينِ ، اكتبْهُما في دفْتَرِكَ .

٣ـ اقرأْ سورةَ القَصَصِ إلىٰ هذا الموضوعِ (١ـ٤٣) ، واسْتخْرِجْ مِنْها عشْرَ دلالاتٍ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ وَجْهِ الاسْتِدْلالِ .

٤ـ اكْتُبْ فِي دَفْتَرِكَ مُلَخَّصاً بِلُغتِكَ تحْتَ عُنوانِ : « المَشْهدُ الثَّالثُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ وُصُولِهِ إلَى مصْرَ حَتَّىٰ نَجاتِهِ وهلاكِ فِرْعَونَ »

* * *

الدَّرسُ الحادي والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱلغَرْبِيِّ : الجَبَلِ الغَرْبِيِّ الَّذي كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَهُ .

قَضَيْنا إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمْرَ : عَهِدْنا إِلَىٰ مُوسَىٰ بِالرِّسالَةِ .

تَطاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلعُمُرُ : طالَتْ أَعْمارُهُمْ وبَعُدَ عَهْدُهُمْ بِالرِّسالَةِ .

ثاوِياً : مُقيماً .

ٱلطُّورِ : جَبَلِ الطُّورِ الَّذي نادَىٰ اللهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَهُ .

لَوْلا أَرْسَلْتَ : هَلاَّ أَرْسَلْتَ .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنِ أَحْداثِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ وجُنودِهِ ، الَّتي انتهَتْ بإغْراقِ القَوْمِ الكافِرينَ ، ونجاةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعِهِ المُؤْمِنينَ .

ويَأْتي بَعْدَ ذَلِكَ التّعقيبُ القرآنيُّ علىٰ تلكَ الأحداثِ ، لاسْتِخلاصِ الدَّلالاتِ ، وتَوظيفِ ذِكْرِ

تِلْكَ الأَحْداثِ في القُرآنِ دَليلاً لإثباتِ أنَّ القُرآنَ هو كلامُ اللهِ ، وأنَّ مُحَمَّداً هُوَ رَسولُ اللهِ ﷺ لأنَّه أُميٌّ لَمْ يَتعلَّمْ مِنْ أَحَدٍ ، فمِنْ أينَ لَهُ أنْ يَعْرِفَ التَّفاصيلَ الدَّقيقَةَ لِتلكَ الأَحْداثِ ؟ إنَّ اللهَ هُوَ الَّذي أَوْحَىٰ بها إليْهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لِنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ : لم تَكُنْ يا مُحَمَّدُ حاضِراً هُناكَ بجانِبِ جَبَلِ الطَّور الغَربيِّ ؛ غَرْبَ الجِهَةِ الَّتي كانَ يقفُ فيها موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ حَيْثُ كلَّمَ اللهُ موسَىٰ ، وبَلَّغَ بالرِسالَةِ ، وأَمَرَهُ بالذَّهابِ إلىٰ فِرْعَوْنَ وقومِهِ . إنَّكَ لَمْ تكنْ حاضِراً ولا شاهِداً تِلْكَ الليلةَ المُبارَكَةَ ، فمنْ أَيْنَ عَرَفْتَ تَفاصيلَ تِلْكَ الحادِثَةِ .

نحنُ الَّذين أَعْلمناك بتِلْكَ التَّفاصيلِ ، حَيْثُ أنزلْنا عَلَيْكَ آياتِ القُرْآنِ المُتَضَمِّنَةِ لَها ، وأَنْتَ تُخْبِرُ النَّاسَ بها ، كأنَّها واقِعَةٌ أمامَك ، وهٰذا مِنْ أَفْصَحِ الأدِلَّةِ علىٰ نُبوَّتِكَ .

﴿ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ رسولَه ﷺ أَنَّهُ أَنْشَأَ بَعْدَ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أُمَماً كَثيرةً ، ومَرَّتْ علىٰ النَّاسِ قُرونٌ كثيرةٌ ، تَطاولَ عَلَيْهِمْ فيها العُمُرُ ، وطالَ عَلَيْهِمُ العَهْدُ ، وبَعُدَ بِهِمُ الأَمَدُ بالوَحْيِ ، فانْدَرَسَتِ العُلومُ ، وتَغَيَّرَتِ الشَّرائِعُ ، ونَسِيَ النَّاسُ الدِّينَ الحَقَّ . . فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً رَسولاً ﷺ لِيُجَدِّدَ لَهُمُ العَهْدَ ، ويُبيِّنَ لهُمُ الرِّسالةَ . وأَخْبَرَهُ بأخْبارِ السَّابِقينَ ، وجَعَلَ ذَلِكَ دَليلاً عَلىٰ نُبوَّتِهِ ، لأَنَّ الإخْبارَ عَنِ التَّفاصيلِ الدَّقيقةِ لِقِصَّةٍ حَدَثَتْ قَبْلَ قُرونٍ مُتعدِّدَةٍ مِنْ رَجُلٍ أُميٍّ ، لَمْ يَحْضُرْها ، ولَمْ يَدْرُسْها ، دَليلٌ علىٰ أَنَّه رسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

وجَعَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسولاً ، ولَوْلا الوَحْيُ لما عَلِمْتَ أَنْتَ بِذلكَ ، ولا أَخْبَرْتَ أَحَداً بهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

لم تَكُنْ مَعَ موسَىٰ ـ عليه السلام ـ وهو يَسْمَعُ كلامَنا ، ولَمْ تَكُنْ واقِفاً بِجانبِ جَبَلِ الطُّورِ تَحْضُرُ ذلكَ المَشْهَدَ العَجيبَ .

اللهُ هوَ الَّذي جَعَلَكَ رَسولاً ، وأَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ رَحْمَةً مِنْهُ ، وأَخْبَرك فيهِ بِتفاصيلِ مُناجاةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ على جَبَلِ الطُّورِ ، وغَيْرِها مِنْ قَصَصِ السَّابِقينَ .

وأَمَرَكَ اللهُ أَنْ تُنْذِرَ قَوْمَكَ بَأْسَ اللهِ وعَذابَهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، إذا اسْتَمَرُّوا علىٰ الكُفْرِ والشِّرْكِ

بالله ، وتُبشّرهُمْ بالجنّةِ والنّعيم إذا آمنوا واستقاموا ، ولعلّهمْ يتذكّرون فيهتدون عندما يسْمعون إنْذارَك .

ولقدْ بعث اللهُ مُحمّدًا ﷺ رسولا إلى قومه ، الّذين لمْ يأْتهمْ رسول نذيرٌ من قبْله

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

بَعثَ اللهُ مُحمّدًا ﷺ رسولا إلىٰ قوْمه رحْمة بهمْ ، ولإقامة الحُجة عليْهم ، وقطْعا لأعْذارهمْ قبْل أنْ تُصيبَهُمْ مُصيبةٌ بسَبب كُفْرهمْ ، فيوقعَ اللهُ بهمُ العذاب ، وعنْد ذلك يقولُون : يا ربّنا لماذا عذّبْتنا ؟ هلاّ أرْسلْت إلينا رسولا لنُؤمن ! إنّك لوْ أرْسلْت إليْنا رسولا لآمنّا و تبعنا آياتك .

فمنْ أجلِ أنْ لا يقولوا ذلك ، ولئلاّ يعتذرُوا بهذا العُذْر ، بعثَ اللهُ لهُمْ مُحمّداً رسولا ﷺ

قال تعالىٰ : ﴿رُسُلا مُبشّرين ومُنْذرين لئلاّ يكون للنّاس على اللهِ حُجّةٌ بعْد الرُّسُلِ﴾ [النساء ١٦٥] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة ، منها :

١ـ تحْرصُ الآياتُ على ذكْرِ الأدلّة الواضحةِ علىٰ نُبوّةِ مُحمّد ﷺ ليقْتنع المُشْركون بذلك .

٢ـ ذِكْرُ تفصيلاتِ قَصصِ السّابقين في القُرْآن مِنْ أوْضحِ الأدِلّة علىٰ الوحْي والنُّبوّة .

٣ـ علىٰ الدّاعية أنْ يُقدّم الأدلّةَ المُقْنعة للمدْعوّين ، ليُقْنعهُمْ بدعْوته ، ويُزيل شُكوكهُمْ حوْلها .

٤ـ اللهُ يرْحمُ النّاس ، ويقْطعُ أعْذارهُمْ ، ويُقيمُ عليْهمُ الحُجّة ، فيقدّمُ لهُمُ الحقّ على أيْدي رُسله ودُعاته .

٥ـ الكُفّارُ كاذبون في أُمْنياتهمْ ، فقدْ تمنّوْا إرْسال رسولٍ ليُؤْمنوا به ، ولمّا أرْسل اللهُ لهُمْ رسولا كفرُوا به .

التّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسْئلة الآتيةِ :

١ـ مَا معنَى قوله ﴿ومَا كُنْتَ بجانب الغرْبيّ إذْ قضيْنا إلىٰ موسىٰ الأمْرَ﴾ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ منْ آياتِ الدَّرْسِ ثلاثه أدلةٍ مِنْ أخْبار السّابِقين في القُرْآن على صِدْقِ نُبُوّة مُحمَّد ﷺ

٣ـ ما الفرْقُ بيْن قوله ﴿وما كُنْت بِجانِب الغرْبِيّ﴾ وقوله ﴿وما كُنْت بجانبِ الطُّورِ﴾ معَ أنَّ الآيتيْنِ تتحدّثانِ عَنْ موسى ـ عليْه السّلامُ ـ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرة حِكْمةَ إرْسال مُحَمَّدٍ ﷺ رسولا

نَشاطٌ :

١ـ الآيةُ (١٩) منْ سورة المائدة تُبيِّنُ أنّ الله بعث رسولنا على فتْرةٍ منَ الرُّسُل . سجِّلِ الآيةَ واذْكُرْ وجْهَ الشّبهِ بيْنها وبيْنَ الآية (٤٥) .

٢ـ اكْتُبْ في دفترك ثَلاثَ آيات في التَّعقيب على قصص السّابقين ، عُدّتْ تلكَ القَصصُ دَليلاً على نُبُوّة مُحمد ﷺ : قصّةُ مريمَ في سورة آل عِمران ، وقصّةُ نوح في سورةِ هودٍ ، وقِصَّةُ يوسُفَ في سورة يوسف .

* * *

الدَّرْسُ الثَّانِي والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ العاشِرُ

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

مَعانِي المُفْرَداتِ :

لَوْلَآ	: هَلاَّ .
قَالُوا۟ سِحْرانِ تَظَاهَرا	: قالُوا : التَّوْراةُ والْقُرْآنُ سِحْرانِ ، اجْتَمَعا وتَعَاوَنا عَلَىٰ خِداعِ النَّاسِ .
إِن لَّمْ يَسْتَجِيبوا لَكَ	: إِنْ لَمْ يَأْتوا بالكتابِ الَّذي طَلَبْتَهُ مِنْهُم .
يَتَّبِعونَ أَهْواءَهُمْ	: يَكْفُرونَ مِنْ دونِ دَليلٍ وإِنَّما باتِّباعِ الهَوَىٰ .
وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ	: أَنْزَلْنا القُرْآنَ مُنَجَّماً مُتَتابِعاً ، مُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ .

التَّفْسيرُ :

أَقامَتِ الآياتُ السَّابِقةُ الأَدِلَّةَ مِنْ ذِكْرِ أَخْبارِ السَّابِقينَ فِي القُرْآنِ ، عَلَىٰ حَقيقةِ الوَحْيِ وصِدْقِ النُّبُوَّةِ ، وأَشارَتْ إِلَىٰ حِكْمةِ إِرْسالِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسولاً .

وتُخْبِرُ الآياتُ عَنْ سوءِ مَوْقفِ الكُفَّارِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ فبالرَّغمِ مِنْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذين تَمَنَّوْا إِرْسالَه إِلاَّ أَنَّهُمْ كفرُوا بهِ .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) ﴾ .

لَوْ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ لِلْمُشْرِكِينَ رسولا لَقالوا : هلاَّ أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسولاً لِنَتبعَ آياتك ونكونَ مِنَ الْمُؤمنينَ ، فلمّا بعث لَهُمْ رسولا ، وأَنْزلَ عليهِ القُرْآن بالحقِّ مِنْ عنْده سُبْحانَهُ وتعالى ، كَفروا بهِ ، ولَمْ يُعْجِبْهُمْ إنزالُ القُرْآنِ مُنجَّما مُفرَّقا ، وطَلبوا مُعْجزات مادِّية ، وقالُوا : هلاَّ آتَىٰ اللهُ مُحمّداً مُعْجزاتِ مِثْلِ تلْكَ الّتي آتاها موسَىٰ ، مِثْل العصا واليد ، لَوْ كانَ مُحمّدٌ رَسولا حقّا لَقدّمَ لنا مُعْجزات مادِيَّة!

وهٰذا الطَّلبُ مِنْهُمْ مِنْ بابِ العِنادِ والْمُكابرةِ والتّهرُّب مِن الإيمانِ واتّباعِ الحقّ ، ولمْ يكونوا جادِّينَ فيهِ . فقدْ سبَقَ أنْ كفروا بما أوتيَ موسَىٰ ـ عليه السّلامُ ـ مِن التَّوْراةِ والْمُعجزاتِ المَادِيَّةِ ، ولَمْ يعْترِفوا أنّه رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فمَا معنىٰ أنْ يطْلُبوا الآنَ هٰذا الطَلَب ؟!

لقدْ كفرو بموسىٰ وبِمُحمّد ـ عليهما الصّلاةُ والسّلامُ ـ وكفروا بما أنْزلَ اللهُ عَلَيْهِما مِنَ التَّوْراةِ والقُرْآنِ ، وقالوا عَنْ هٰذيْنِ الكِتابيْنِ : هُما كتابا سِحْرٍ ، وقالوا عَنِ الرّسوليْنِ : هُما ساحِرانِ تَظَاهرا وتعاونا وتآزرا علىٰ السِّحْرِ والتَّضْليلِ ، وصَدَّقَ كلٌّ منْهُما الآخر وشهد لَهُ ، ونحْنُ كافرونَ بِكُلٍّ مِنَ الرّجُلَيْنِ ، مُكذّبون بكلٍّ مِنَ الكِتابيْنِ .

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) ﴾

بما أنَّ الكُفّارَ كذّبوا الكِتابيْنِ التَّوْراةَ والقُرْآنَ ، واعتبَروهُما سِحْرَيْنِ مُتعاونَيْنِ ، فَلْيُقدِّموا البَديلَ عَنْهُما ، الّذي هُوَ خيْرٌ منْهُما .

يقولُ اللهُ لِرسوله ﷺ : قلْ لِهؤلاءِ الكافرينَ : هَلُمّوا وائْتوا بكتاب مِنْ عِنْدِ اللهِ ، هُوَ أفْضَلُ مِنَ التَّوْراةِ والقُرْآنِ ، وأكْثرُ هِدايةً لِلبَشرِ منْهُما ، واطْلُبوا مِن اللهِ أنْ يُنزِّلَه عليْكُمْ! لِكَيَ أتبعهُ أنَا وغيْري ، إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين في دَعْواكُم ، وجادِّين في كَلامِكُمْ وطَلَباتِكُمْ .

وهٰذا التّحدي لَهُمْ لِيَعْرِفوا عَجْزهُمْ عنِ الإتْيانِ بالمَطْلوبِ ، ويَكون عَجْزُهُمْ دَليلاً آخرَ علىٰ أنَّ القُرْآنَ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وليْس كتاب سِحْرٍ!

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ .

يَقولُ اللهُ لِرسولهِ ﷺ : أَنْتَ تَطْلُبُ مِنَ الكُفّارِ المُكذِّبينَ الإتْيانَ بِكتابٍ أهدَىٰ مِنَ التَّوراةِ والقرآنِ ، فإنْ لَمْ يَأْتوا بالمَطْلوبِ فَعليْهِم أنْ يُؤْمنوا بِكَ ويسْتجيبوا لَكَ ويتَّبِعوكَ .

فإنْ لَمْ يسْتجيبوا لَكَ ، ولَمْ يتّبعوا الحقَّ الّذي معَك ، فاعْلَمْ أنّهُمْ مُعاندونَ مُكابِرونَ ، وأَنّهُمْ

يتبعونَ أهواءَهُمُ الباطلة ، بلا دليل أوْ حُجَة .

إنّ اتباعَهُمُ الأهْواء هُوَ الّذي أهْلَكهُم ، ودَفعهمْ إلىٰ العِناد والمُكابَرة ، وهُو سببُ كلّ جريمة . لأنَّه لا يُوجَدُ أحدٌ أشدّ ضلالا وانحرافا منْ ذلك الّذي يتّبعُ هواهُ ، لأنّهُ بذلك يكون على غيرِ هُدى مِنَ اللهِ ، ومَعْلومٌ أنه لا يَجْتمِعُ الهوىٰ والهُدى .

والكُفّارُ باتّباعِهِمُ الهَوىٰ ظالمون ، ظلموا أنْفُسهُمْ باخْتيارهِمُ الكُفْرَ ، حيْثُ حرموها من الهدىٰ والخيْرِ ، وبذلك حكموا علىٰ أنْفُسهِمْ بالضّلال والهلاكِ ، لأنَّ اللهَ لا يَهْدي القَوْمَ الظّالمين الكافرين ولا يوفّقُهُمْ للإيمانِ ، وهذه سُنّةٌ ربانيّةٌ مُطّردة تَنْطبِقُ علىٰ كُلّ كافر .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

الكُفّارُ مُتّبعونَ للْهوىٰ ، وهذا الّذي دفعهُمْ إلى التّكذيب بالقُرآنِ ، مُكابرة وعِنادا ، ومَعَ ذلك وَصّلَ اللهُ لَهُمُ القُرْآن ، وجعلَ نُزوله مُنجّما مُفرّقا ، مُتواصِلاً مُتتابعا ، تنْزِلُ آياتُهُ حَسب الحَوادثِ والوَقائِع ، يَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضاً ، ولَمْ ينْزِلْ دُفْعَة واحدَة كالتّوْراة والإنجيل .

ومِنْ حِكَمِ إنزالِهِ مُفرّقا مُتواصِلاً مُتتابعا أنْ يتذكّروا ويتّعظوا ويعْتبِروا ، لأنّهُمْ على امْتدادِ الزّمانِ يَجدونَ فِي آياتِه حِكْمَةً جديدَة ، ومعْلومة مُفيدَة ، وتوْجيها حكيماً ، فيسْتمِرُّ ذكرُهُم وانْتباهُهُم وتَفاعُلُهمْ معَ القُرْآنِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرة ، منها :

١ـ الكفّارُ غيْرُ جادّين في ما يطْلُبونهُ من الرّسُلِ منْ آيات ، ولو اسْتُجيبتْ طلباتُهُمْ لما آمنوا .

٢ـ الّذين يُنكرونَ الحقّ مُعاندونَ مُكابرون ، ويفْعلونَ ذلك بالرّغم منْ وُضوح الأدِلّة عندهُمْ

٣ـ اتّباعُ الهوىٰ هُو سببُ رَفْض أصْحاب الباطِل لِلْحقّ ، وسيْرِهِمْ مع الضّلالِ ، وأشدُّ النّاسِ ضلالا هُمْ أتباعُ الهوىٰ ، فهُو الذي يحْجُبهُم عن الهُدىٰ .

٤ـ الهُدىٰ والهوىٰ خطّان مُتقابلانِ لا يلتقيانِ ، ولا يُمكِنُ أنْ يجمع الإنسانُ بيْنهما ، فإمّا أنْ يكونَ مُتّبعاً لِلْهُدى ، أوْ يكون مُتّبعا للهوى .

٥ـ لا يَهْدي اللهُ الظّالمين ، ولا يُوفّقهم للإيمان ، لأنّهُمْ رفضوه ، وهذه سُنّةٌ ثابتةٌ مُطّردةٌ .

٦ـ آياتُ القُرآنِ مُتواصِلةٌ مُتتابعةٌ ، في موضوعاتها وتوْجيهاتِها ، وهٰذا أدْعىٰ لِلتّذكُّرِ والتّفاعُلِ مع القُرْآنِ .



أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الّذي طلبه المُشْرِكونَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ في قَوْلِهِم : ﴿لولا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ موسَىٰ﴾ ؟

٢ـ ماذا قالَ الكُفّارُ عنْ موسَىٰ ومُحمّدٍ ـ علَيْهِمَا السَّلامُ ـ وعَنْ كِتابَيْهِما ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ (٥٠) سِرَّ انْحِرافِ الكُفّار وتَكذيبِهِمْ بالحَقِّ .

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ الآيةِ المَذْكورةِ نَفْسِها سُنَّةً ربانيَّةً ثابتةً .

٥ـ اذْكُرِ المَعنَىٰ الإجماليَّ مِنَ الدَّرْسِ رقمِ (٥٢) .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ ما قالهُ فِرْعونُ عَنْ مُوسىٰ وهارونَ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سورةِ الجاثيةِ آيةً تَذُمُّ الّذي اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَواهُ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ (٥٠) ، وسجِّلْ مِنها صفاتِ ذَلكَ الّذي يَعْبُدُ هَواهُ .

٣ـ ذكَرَتِ الآيةُ (٥١) حِكْمةً لإنزالِ القُرْآنِ مُنجّما . اسْتَخْرِجْ حِكْمَةً أُخْرىٰ لإنزالِهِ مُفصَّلا مِنَ الآيةِ (١٠٦) مِنْ سورةِ الإسْراءِ . وحِكْمَةً ثالثةً من الآيةِ (٣٢) مِنْ سورةِ الفُرْقانِ . واكْتُبْهُما في دفْتَرِكَ .

٤ـ تحدّىٰ اللهُ الكُفّارَ الإتيانَ بمثلِ القُرْآنِ ، أوْ بعشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ، أوْ بِسُورةٍ . اذكُرْ آياتِ التّحدي في سورِ : البقَرَةِ ويونسَ وهودٍ والإسْراءِ والطُّورِ واكْتُبْها في دفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّالثُ والخَمسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آتَيْناهُمُ ٱلْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ : أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ ٱلتَّوْراةَ وَٱلإِنْجيلَ مِنْ قَبْلِ ٱلْقُرْآنِ .

كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ : كُنَّا خاضِعينَ مُنْقادينَ للهِ قَبْلَ إِنْزالِ ٱلْقُرْآنِ .

يَدْرَءُونَ : يَدْفَعونَ .

ٱللَّغْوَ : ٱلكَلامَ ٱلتَّافِهَ السَّاقِطَ ، ٱلَّذي حَقُّهُ أَنْ يُلْغَىٰ وَيُتْرَكَ .

أَعْرَضوا عَنْهُ : تَرَكوا اللَّغْوَ تَكَرُّماً .

لاَ نَبْتَغي ٱلْجاهِلينَ : لاَ نُريدُ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ السَّفَهِ وَالْجَهْلِ ، وَلاَ أَنْ نُصاحِبَهُمْ .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ عِنادِ المُشْرِكينَ ومُكابَرتِهِمْ ، حَيْثُ كفروا بالتَّوراةِ وبالقُرْآنِ ، وكذَّبوا موسَىٰ ومُحَمَّداً ـ عَلَيهِمَا الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

وتَتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ الصُّورَةِ المُشْرِقَةِ ، وتُقَدِّمُ لنَا صِفاتِ أَهْلِ الكتابِ الصَّالِحينَ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

إذا كانَ المُشْرِكونَ قَدْ كَذَّبوا بالقُرْآنِ ، فإنَّ فَريقاً مِنْ أَهْلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَىٰ قدْ آمَنوا

بهِ ، وهُمُ الصّالِحونَ الصّادِقونَ في إيمانِهِمْ ، الّذينَ يَجِدونَ البشاراتِ في كُتُبِهِمْ بالنّبيِّ الخاتَمِ وبالقُرْآنِ الّذي يُنزلُهُ اللهُ عَلَيْهِم ، فلمّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدا ﷺ نبيّاً آمنوا بهِ ، وبالقرآنِ الّذي أنزلَهُ اللهُ عليْهِ .

ومِنْ هؤلاءِ : عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ ، وزَيْدُ بنُ سَعيةَ ، ومُخيريقُ ، كانوا يَهوداً فأسْلَموا ، ومنهُم : سَلْمانُ الفارِسيُّ وصُهَيْبٌ الرُّوميُّ وعَديُّ بنُ حاتِمٍ الطّائيُّ ، كانوا نَصارَىٰ فأسْلَموا ـ رَضِيَ اللهُ عنهُم ـ .

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

كانَ مُؤمنو أهْلِ الكِتابِ يُؤْمِنونَ بالقُرْآنِ قَبْلَ أنْ يُتلىٰ عَلَيْهِم ، أيْ : كانوا يَنْتَظِرُونَ إنْزالَهُ علىٰ رسولِ اللهِ الخَاتَمِ ﷺ لِما عِنْدَهُمْ مِنَ البشاراتِ لهُ في كُتُبِهِمْ .

فلمّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً رَسولاً ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ ، وتَلَىٰ القُرْآنَ علىٰ هَؤلاءِ الصّالِحينَ الّذينَ يَنْتَظِرونَهُ ، آمَنوا بهِ فِعْلاً ، وقالوا : آمَنّا بالقُرْآنِ ، وشَهِدْنا أنَّهُ الحَقُّ مِنْ ربِّنا ، أنْزَلَهُ علىٰ رَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ وقدْ كُنَّا مِنْ قَبلِ بَعثةِ مُحَمّدٍ ﷺ مُسْلمينَ ، خَاضِعينَ مُنْقادينَ للهِ ، لأنّنا اتَّبعنَا رُسُلَنا وطَبَّقنا ما فِي كُتُبِ اللهِ إليْنا ، وها نَحْنُ بَعْدَ بَعْثةِ مُحَمّدٍ ﷺ مُسْلمونَ أَيْضاً ، حَيْثُ آمنّا بالقُرْآنِ وبه ، ودَخَلْنا في دينِه ، وصِرْنَا مُسْلمينَ مِنْ أُمَّتِهِ .

إنَّ إسْلامَ أهْلِ الكِتابِ يَدُلُّ علَىٰ أنَّه لا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّصْديقِ والإيمانِ النّظريِّ بالقُرْآنِ والنُبوَّةِ ، ولا بُدَّ مِنَ الإسْلامِ العَمَليِّ ، بالنّطقِ بالشّهادَتيْنِ ، والدُّخولِ ضِمْنَ الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يُكْرِمُ اللهُ مُسْلِمِي أَهْلِ الكِتابِ ، ويُؤْتيهِمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ :

ـ المرةَ الأُولَىٰ : مُكَافأةً لَهُم على إيمانِهِمْ بِكُتُبِهِمُ السّابقةِ ، التَّوْراةِ والإنْجيلِ .

ـ والمَرَّةَ الثانيةَ : مكافأةً لَهُم علىٰ إيمانِهِمْ بالقُرْآنِ ، وتَصْديقِهِمْ بالنبيِّ ﷺ .

ونظيرُ هذهِ الآيةِ قَولُه تعالَىٰ : ﴿اتَّقوا اللهَ وآمِنوا بِرَسولِه يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد : ٢٨] .

وروَىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي موسَىٰ الأشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ » وذَكَرَ مِنْهُم : « رَجُلٌ مِنْ أَهلِ الكتابِ ، آمنَ بنبيِّهِ ، ثم آمنَ بِي »[1] .

وقدْ أثنَىٰ اللهُ علَىٰ هَؤلاءِ المُؤْمِنينَ لاتّصافِهِمْ بالصِّفاتِ الطيّبةِ ، وقيامِهِمْ بالعباداتِ والأعْمالِ الصَّالِحةِ ومِنها :

---

(١) أخرجه البخاري : (٣) من كتاب العلم (٣١) باب تعليم الرجل أهله . حديث رقم : ٩٧ . ومسلم : (١) كتاب الإيمان (٦٨) باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ . حديث رقم : ١٥٤ .

ـ الصَبْرُ : فقدْ صَبرُوا علىٰ اتّباعِ الحَقِّ ، والاسْتقامةِ علىٰ الدّينِ في الأُولَىٰ والآخِرَةِ .

ـ حُسْنُ الخُلُقِ : حَيْثُ يَدفعونَ السَّيئةَ بالحَسَنَةِ ، فإذا أساءَ أحَدٌ إليْهِمْ يَعفونَ عنْهُ ويُحْسِنونَ إليهِ ، وهٰذا مِنَ الصّبْرِ أيْضاً! فمَا أجْمَلَ أنْ يُرَدَّ القَبيحُ بالجميلِ ، وأنْ يُقابَلَ السَّفيهُ بالإحسانِ .

ـ الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ : إنّهم يُنفِقونَ فِي سبيلِ اللهِ مِنْ ما رَزَقَهُمُ اللهُ ، فيُخْرِجونَ الزَّكاةَ الواجبَةَ ، والصَّدَقةَ المُسْتَحبَّةَ ، ويُنْفِقونَ على أهْلِهِمْ وأقاربِهِمْ .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

هؤلاءِ المُسْلمُونَ الصّالِحونَ يَترفَّعونَ عنِ اللّغوِ والبَاطلِ ، فإذا سَمِعوهُ أعْرَضوا عَنْهُ وتركوهُ ؛ واللّغْوُ هُوَ التافِهُ السّاقِطُ مِنَ القوْلِ أوِ الفِعْلِ ، كالأذىٰ والفُحْشِ والسبِّ والشّتمِ .

فالمُؤْمِنونَ يُعرِضونَ عَنِ اللَّغوِ ، وإذا تعرَّضَ لَهُمْ أحَدُ السُّفهاءِ الجَاهِلين بالأذىٰ ، وكلَّمَهُمْ بالسّوءِ ، لَمْ يردُّوا عَليْهِ بمِثْلِ سُوئِهِ ، ويَترَفّعونَ عَنْ ذٰلكَ . ويَقولونَ لِلمُعتدِينَ : لَنا ثوابُ أعْمَالِنا الحَسَنَةِ ، ولَكُمْ تبِعاتُ أعْمَالِكُمُ السَّيئةِ وعَذابُها ، ولِذلكَ لا نَرُدُّ عَلَيْكُمْ ولا نُجاريكُمْ ، ولا نُضَيِّعُ وقتَنا الثَّمينَ مَعَكُمْ ، سَلامٌ عليْكُمْ سَلامُ مُتارَكَةٍ وترفُّعٍ ، ونَحْنُ لا نُريدُ اتّباعَ طَريقِ الجاهِلينَ ، ولا نُصاحِبُ أهْلَها ، ولا نُقابِلُ القَبيحَ بمِثلِهِ .

وهٰذا كقولِه تعالى : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان : ٦٣] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يُعَدُّ أهلُ الكِتابِ مُؤْمِنين إلاّ بَعْدَ دُخولِهِمْ في الإسلامِ ، واتِّباعِهِمُ الرّسولَ ﷺ .

٢ـ الإسْلامُ هُوَ دينُ الأنبياءِ جميعاً ، ولا بُدَّ مِنْ أنْ يَكونَ النَّاسُ جَميعاً مِنَ الأُمةِ الإسْلاميّةِ .

٣ـ علىٰ المُسْلِمِ الاتّصافُ بالسّماحةِ ، ومُقابلةُ الإساءةِ بالإحْسانِ وَرَدُّ القَبيحِ بالجميلِ ، والإعراضُ عنِ اللّغوِ .

٤ـ الإيمانُ الحَقُّ لا بدَّ وأنْ يَظْهَرَ أثَرُهُ علىٰ صاحِبِهِ ، وأنْ يَنتُجَ عَنْهُ العَمَلُ الصّالِحُ .

٥ـ اللهُ كَريمٌ رَحيمٌ ، ويُجازِي بالإحْسانِ إحْساناً ، ولِذَلكَ يُضاعِفُ للمُحْسِنينَ الأجْرَ والثّوابَ .



أجب عن الأسئلة الآتية .

١ـ لا يُعَدُّ أهلُ الكتاب مؤمنين مسلمين إلاّ بشرط ، ما هو ؟ وما الدليلُ عليه من آيات الدَّرْسِ ؟

٢ـ كيف كان أهْلُ الكتاب مُسْلمين قبْل سماعهمُ القرآن ودخولهمْ في الإسْلام ؟

٣ـ اذكرْ آية أوْ حديثاً صحيحاً في مُضاعفة الأجرِ لِمُسْلمي أهْلِ الكتاب .

٤ـ استخْرِجْ مِنْ آيات الدَّرْسِ أربع صفات للمُسْلمين الصَّالحين ، مع الاسْتِدْلالِ على ذلكَ بالآياتِ .

٥ـ لِماذا يُعْرِضُ الصَّالِحونَ عن اللَّغْوِ ؟ وماذا يقولُون لِمن يجْهل عليْهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ الآياتُ التي تمْدحُ مُسْلمي أهْلِ الكتاب كثيرةٌ . سجِّل الآياتِ الأرْبع مِنْ سورة المَائدةِ في أوَّلِ الجُزْءِ السَّابع . واذْكرِ الشَّبه بينها وبيْن الآية (٥٣) .

٢ـ أثنى اللهُ على المؤمنين بالإعراض عنِ اللَّغو في سورة (المؤمنون) وفي سورةِ (الفُرقانِ) . سجِّلِ الآيتيْنِ مِنَ السورتين في دفْترِك . واذْكُر فرقاً في المعنى بيْن الآيتيْن .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابعُ والخَمسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ	: إِنَّكَ لاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ إِدْخَالِ الإِسْلامِ وَالهِدايَةِ فِي قَلْبِ مَنْ أَحْبَبْتَ .
نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا	: يَخْطَفُنا الأَعْداءُ مِنْ بلادنا ، وَيُخْرِجُونَنا مِنْها .
نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً	: جَعَلْنا عِنْدَ أَهْلِ مَكَّةَ المَسْجِدَ الحَرامَ الَّذي يَأْمَنونَ حَوْلَهُ .
يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ	: تُحْمَلُ إِلَىٰ الحَرَمِ وَأَهْلِهِ أَنْواعُ الثَّمَراتِ مِنْ مُخْتَلَفِ البُلْدَانِ .
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا	: بَغَتْ وَتَجَبَّرَتْ ، وَلَمْ تَحْفَظْ حَقَّ اللهِ فِي رِزْقِها وَمَعِيشَتِها .
يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسولاً	: يَبْعَثَ رَسُولاً فِي أَعْظَمِ وَأَكْبَرِ قَرْيَةٍ مِنَ القُرَىٰ المُتَجاوِرَةِ .

التَّفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ مُسْلِمي أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ آمَنوا بالقُرْآنِ لَمَّا سَمِعوهُ اهتدَوْا بهِ ، وذَكَرَتْ مَجموعةً مِنْ صِفاتِهِمُ الحَسَنَةِ .

وتتحدَّثُ هذه الآياتُ عنِ المُشْركينَ الّذين لمْ يُؤْمنوا ولمْ يهتدوا ، بالرّغم ممّا بَذلَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ جُهدٍ كبيرٍ .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

تُبيّنُ هذهِ الآيةُ أنّ الهدايةَ بيدِ اللهِ وَحْدَه ، وهيَ الهدايةُ الّتي يُدْخِلُ اللهُ بها القُلوبَ الإيمانَ .

يقولُ اللهُ لِرسولِهِ مُحمّدٍ ﷺ : إنّكَ يا مُحَمَّدُ لا تقْدِرُ علىٰ هدايةِ مَنْ أَحْبَبتَ هِدايتَهُ . بمعنىٰ أنّكَ لا تَسْتطيعُ أنْ تجْعلَ الإيمانَ في قلْبه ، وأنْ توفّقهُ للإيمانِ ، أوْ تأخُذَ بيدِهِ إليهِ ، لأنَّ هذا بيدِ اللهِ وحْدَهُ ، أمّا أنْتَ فعليْكَ البَلاغُ والإرْشادُ والبَيانُ والنّصيحةُ .

هدايةُ التوفيقِ للإيمانِ بيدِ اللهِ وحْدَهُ ، فمَنْ أرادَ هِدايتَهُ يُوفّقُهُ ويَشْرحُ صدْرَهُ ، ويفْتحُ قلبَهُ لأنْوارِ الإيمانِ . هوَ ـ سُبحانه ـ لأعْلَمُ بالنّاسِ الرّاغبينَ في الهدايةِ ، المُسْتعدّينَ لها ، فيَشْرحُ صُدورهُمْ ويُوفّقُهُمْ لها ، فيُؤمنونَ ويهتدونَ .

سَبَبُ نُزولِ الآيةِ :

نزَلَتْ هذهِ الآيةُ مُواساةً للنّبي ﷺ بشأْنِ مَوْقفِ عمّهِ أبي طالبٍ ، فَقدْ حزِنَ ﷺ لأنّهُ ماتَ على الكُفْرِ ، بالرّغْمِ منْ أنّهُ كانَ حريصًا علىٰ إيمانِه .

رَوىٰ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عنْ سعيدِ بنِ المُسيّبِ ، عنْ أبيه ، قال : لمّا حضرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ ، جاءهُ رسولُ اللهِ ﷺ فوجدَ عِنْدَه أبا جهلٍ وعبْدَ اللهِ بنَ أبيّ أميّةَ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : يا عمُّ ، قُلْ : لا إلهَ إلاّ اللهُ ، كَلمةً أشْهدُ لكَ بها عنْدَ اللهِ . فقالَ أبُو جهْلٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ أبيّ أميّةَ : يا أبَا طالبٍ : أترْغَبُ عنْ مِلّةِ عَبْدِ المُطّلِبِ ؟ فلمْ يزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يعْرِضُها عليْهِ ، ويُعيدُ لَهُ تلْكَ المقالةَ ، حتىٰ قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كلّمَهُم به : هوَ علىٰ مِلّةِ عبدِ المُطّلبِ . وأبىٰ أنْ يقولَ لا إلهَ إلاّ اللهُ .

فأنزلَ اللهُ فيهِ قوْلَه لِرَسولِه ﷺ : ﴿إنّكَ لا تهْدي مَنْ أحْببْتَ ، ولكنّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يشاءُ﴾[1]

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

اللهُ يهدِي مَنْ يشاءُ الهدايةَ لِنفْسِه ، والمُشْركونَ لا يُريدونَ ذَلِكَ ، ولِذلكَ لَمْ يَهْدِهِمُ اللهُ ، ولمْ يُوفّقْهُمْ لِلإيمانِ . وقدْ سَجّلتِ الآيةُ شُبْهَتهُمْ في رَفْضِهِمُ الهُدىٰ ، وردّتْ عَليْها .

---

(١) أخرجه : البخاري : (٢٣) كتاب الجنائز (٨٠) باب إذا قال المشرك . حديث رقم : ٩٧ .
ومسلم . (١) كتاب الإيمان (٩) باب أول الإيمان . حديث رقم : ٢٤ .

قالُوا لِلنَّبي ﷺ : إذا آمنّا بكَ ، واتبعنا ما معك منَ الهُدىٰ ، فإنّنا سنُخالفُ الّذينَ الّذي عمه قَبائلُ العَرب من حوْلنا ، وبذلك سيُحاربوننا ويُخرجوننا من بلادنا ، وسيتخطّفوننا أينما كُنّا .

وقدْ ردَّ اللهُ عَليْهِمْ ، بتكذيبهمْ في شبهتِهمْ ، وذكّرهُمْ بنعمهِ عَليْهم ، فقدْ جعلهمْ في حرمٍ آمنٍ ، ومكّنَ لهُمُ الإقامة فيهِ ، ويسّر لهُمْ الرّزق الكثير ، فبالرّغم منْ أنّ أرْضهُم لا تُنبتُ إلاّ أنّ اللهَ سخّرَ لهُم المناطق الأُخرىٰ ، يحْمِلُ أهلُها مُختلف ثمراتها ، ويأتُون بها إليهمْ ، وهٰذا الرّزقُ تفضّلٌ منَ الله سُبْحانهُ .

إنَّ اللهَ هُو الّذي يَسّرَ لهُمْ الرّزق ، ووهبهمْ الأمْن ، بمُجاورَتِهمَ للمسْجدِ الحرام ، فلماذا يخافونَ أنْ يتخطَّفَهُمْ النَّاسُ لو اتّبَعوا الهُدىٰ ؟ أفمنْ أمّنَهُمْ وهُمْ مُشْركون يَتَخلّىٰ عنْهُمْ وهُمْ مُؤْمنونَ ؟

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

في هذه الآية الرّدُّ الثّاني علىٰ شُبْهة المُشْركين ، فقدْ ابتعدُوا عن الإيمان خوفاً من زوال النّعم عنْهُمْ ، فبيّن اللهُ لهُمْ أنّ عدم الإيمان هو سببُ زوال النعم ، فقدْ أهْلكَ اللهُ كثيراً من القُرىٰ عندما رفضَ أهلُها الإيمان بالله ، وأصرُّوا على الكُفْر ، وطغوْا وبغوْا ، وبَطروا معيشتَهُمْ ، وجحدوا نِعم الله عَليْهمْ ، واسْتَخْدَموها في ما يُغْضبُ وجْه الله .

وبعْدما أهْلكَ اللهُ أصحاب تلْك القُرى أصْبحتْ مساكنُهُمْ خاوية ، لمْ يسْكنْ فيها أحدٌ ، إلاّ منْ كانَ مارّاً بها ، يُقيمُ فيها ثُمّ يتْرُكُها ، واللهُ هو الوارثُ لها ، لأنّه لمْ يُبْق لأهْلها أحداً يخْلُفُهُمْ فيها ، واللهُ هو المالكُ لكُلّ ما في الكوْن .

ونظيرُ هذهِ الآية قولُه تعالىٰ : ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل : ١١٢] .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وبمناسبة الحديث عنْ إهْلاكِ أهْل القُرىٰ السّابقين ، بعْد كُفْرهم وبَطَرهمَ تُقرّرُ الآيةُ سُنّةَ الله في الإهْلاكِ والعقاب ، القائمة على عَدْل الله ـ سبحانَه ـ فهْو لا يُهْلكُ الكُفّارَ إلاّ بعد إقامة الحُجّة عليهم ، بإرْسال الرّسول إليهمْ ، فَعندما يكْفُرون به يُوقعُ اللهُ بهمْ عِقابهُ .

يقولُ اللهُ لرسوله مُحمّد ﷺ : سُنّةُ ربّك يا مُحمّدُ ، أنّهُ لا يُهْلكُ أهْل المُدُن والقُرىٰ إلاّ بعْد أنْ يُرْسل رَسولاً إليْها ، ويبْعثَهُ إلىٰ أُمّها وأكْبرها وعاصمتها ، فيتلوا علىٰ أهْل تلْكَ القُرىٰ آياتِ الله ،

ويبيّنُ لهم الحقَّ ، ويُقيمُ عليْهِمُ الحُجّةَ . وكانُوا يُكذّبونه ويَكْفرونَ بهِ ، وبذلِكَ يَظْلمُونَ أنفُسَهُمْ ، فَيُعَذّبُهمُ اللهُ لِكُفرِهِمْ وظُلْمِهِمْ ، ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أحَداً .

إنَّ اللهَ عَادلٌ مَعَ خلقِه ، فلاَ إهْلاكَ مَعَ الإيمانِ ، ولا عِقابَ إلاَّ بَعْدَ البَيانِ وإقامَةِ الحُجّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الدَّاعِيَةُ مَأْمورٌ بالدَّعْوَةِ والبَلاغِ ، وهُو يَهدِي النَّاسَ هِدايةَ البَيانِ والإرشادِ وبها تَنْتَهي مُهِمَّتُهُ .

٢ـ الهِدايَةُ الّتي بمعنَىٰ التَّوفيقِ والثَّباتِ وإدْخالِ الإيمانِ القُلوبَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، ولَيْسَتْ بيدِ أحَدٍ مِنَ البَشَرِ .

٣ـ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يَحْرِصَ علىٰ دَعْوَةِ النَّاسِ ، وأنْ يُحِبَّ هِدايتَهُمْ مِنْ كلِّ قَلْبِهِ ، كما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ .

٤ـ الكفَّارُ يُقدِّمونَ الأعْذارَ الباطِلَةَ الواهِيَةَ ، ويُسَوِّغونَ بها رَفْضَ الهِدايةِ ويَعُدُّونَ الالْتِزامَ بالحَقِّ مُتعارِضاً مَعَ الأمْنِ والرِّزقِ .

٥ـ الأمانُ والرَّخاءُ مُلازِمانِ لِلإيمانِ والهُدىٰ والاسْتِقامَةِ ، ويَجِبُ علىٰ المُؤْمِنِ شُكْرُ اللهِ عَليْهِما .

٦ـ بَطَرُ المَعيشَةِ وارْتِكابُ المَعاصِي والذُّنوبِ نَذيرُ شُؤْمٍ ، يَرْفَعُ البَرَكاتِ ويَقودُ لِلعَذابِ .

٧ـ اللهُ عَادِلٌ في خَلْقِهِ ، فلا يُعاقِبُ النَّاسَ إلاّ بَعْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، بإرْسالِ الرَّسولِ وتَبليغِ الدَّعْوَةِ .

٨ـ الكُفْرُ سَبَبُ الهَلاكِ في الدُّنْيا والعَذابِ في الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الأُولَىٰ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ مَا الهِدايةُ الّتي يَقْدِرُ عليهَا الرسولُ ؟ وما الهِدايَةُ الّتي اخْتَصَّ اللهُ بهَا نَفْسَهُ وَحْدَه ؟

٣ـ مَنِ الَّذي يَهْديهِ اللهُ ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ بماذا برَّرَ الكفَّارُ مِن قُرَيشٍ عَدَم إيمانِهِمْ ؟

٥ـ أَبْطَلَ اللهُ تَبْرِيرَ كُفّارِ قُرَيشٍ بتذكيرِهِمْ بنِعْمَتَيْنِ أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِما ، ما هُما ؟

٦ـ استَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْس سَببيْنِ لِلهلاكِ وزَوالِ النِّعَمِ ، مَعَ ذكْرِ الدّليلِ علىٰ ذَلِكَ .

٧ـ مَا مَعنى قولِه : ﴿ومَا كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القُرىٰ حتّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً﴾ ؟

فكِّرْ :

تَسْمعُ بَعْضَ النَّاسِ يَقولونَ لِمَنْ يدعُو إلىٰ الخيْرِ : ﴿لاَ تَهْدِي مَنْ أحببْتَ﴾ .

١ـ كَيْفَ تُصَحِّحُ هٰذا الفَهْمَ الخَاطِىءَ ؟

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ هٰذا الفَهْمِ وبَيْنَ الآيةِ : ﴿إنَّكَ لاَ تهدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ في سورةِ البَقَرَةِ آيةٌ يَقولُ اللهُ فيها لِرَسولِه بأنَّه ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُم﴾ اذْكُرْ تِلْكَ الآيَةَ ، وبيِّنْ وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٦) ، واكْتُبْها في دَفْتَرِك .

٢ـ اكْتُبْ سورةَ قُرَيشٍ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٧) ، واسْتَخْرِجْ منهَا ثلاثَ نِعَمٍ مَنَّ اللهُ عليْهِمْ بها والوَاجِبُ عَليْهِمْ مُقَابِلَها .

٣ـ في الآياتِ الأُولَىٰ مِنْ سورةِ الإِسْراءِ آيةٌ تُقرِّرُ أنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ النَّاسَ إلا بَعْدَ إرسالِ الرَّسولِ إليهِمْ . سجِّلِ الآيَةَ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٩) .

* * *

الدَّرْسُ الخَامِسُ والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ : مِنَ الَّذينَ يُؤْتَىٰ بِهِم لِلعَذابِ .

حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ : ثَبَتَ القَوْلُ عَلَيْهِم بِدُخُولِ النَّارِ لِكُفْرِهِم .

أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا : أَضْلَلْناهُمْ كَما ضَلَلْنا .

تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ : نَحْنُ بَريئونَ مِنْهُمْ ، وَلاَ نَعْتَرِفُ بِعِبادَتِهِم لَنا .

لَمْ يَسْتَجِيبوا لَهُمْ : لَمْ يُجيبوهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ ، لِعَجْزِهِمْ عَنْ ذٰلِكَ .

عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنْبَآءُ : خَفِيَتْ عَنْهُمْ الحُجَجُ وَغَابَتْ عَنْهُمْ الأَخْبارُ الَّتي تُنَجّيهِمْ مِنَ العَذابِ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ الهِدايَةِ الَّتي بِيَدِ اللهِ ، وأَبْطَلَتْ شُبْهَةَ الكُفَّارِ في عَدَمِ الإيمانِ خَوْفاً علىٰ الأَمْنِ والرِّزْقِ .

وتُبيِّنُ هذه الآياتُ قيمةَ الدُّنْيا بالنِّسْبةِ للآخِرَةِ ، وفَلاحَ الْمُؤْمِنِ في الآخِرَةِ وخَسارةَ الكافِرِ .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

هذا رَدٌّ آخرُ علىٰ اعْتِذارِ الْمُشْرِكين عنْ عَدمِ إيمانِهِمْ ، فهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا لِئلاَّ تفوتَهُمْ الخَيْراتُ والأَرْزاقُ ، فبيَّنَ اللهُ لهُمْ أنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ نعيمِ الجنَّةِ خيْرٌ وأبقىٰ مِنْ كُلِّ ما فِي الدُّنْيا .

وكلُّ مَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ نِعمٍ وخَيْراتٍ ، كالأَمْوالِ والأَوْلادِ والزّخارفِ ، فَهِيَ مُجرَّدُ مَتاعٍ دُنْيَوِيٍّ مُؤَقَّتٍ ، وَزِينةٌ دُنْيَوِيَّةٌ زَائِلَةٌ ، وكُلُّ ما فِي الدُّنْيا مِنْ مَتاعٍ وَزينةٍ إلىٰ زَوالٍ ، ولا يُساوِي شيئاً إذا ما قِيسَ بالآخِرَةِ ونَعيمِها .

إنَّ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّعيمِ هُوَ خَيْرٌ في طَبيعَتِهِ وَصِفَتِهِ ، وأَبْقَىٰ في مُدَّتِهِ وَوَقْتِهِ ، لأنَّه لا زَوالَ ولا نَفادَ لَهُ .

أفلاَ تَعْقِلُون أيُّها النَّاسُ وتُفكِّرونَ ؟ لوْ كُنْتُمْ تعْقِلونَ حقًّا لَمَا اخْتَرْتُمُ الدُّنيا علىٰ الآخِرَةِ ، ولَما آثرْتُمُ الفانيَ الزائلَ علىٰ الباقِي الدَّائِمِ!

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

تدعُو الآيةُ النَّاسَ إلىٰ المُقارَنةِ بَيْنَ المَصيرَيْنِ في الآخِرَةِ ، مَصيرِ المُؤْمِنِ المُسْتقيمِ ، والكافِرِ الضَّالِ ، لِيَخْتاروا ما عِنْدَ اللهِ ، ويُفَضِّلوا الآخِرَةَ الباقيةَ علىٰ الدُّنْيا الزَّائِلةِ .

يَقولُ اللهُ لَهُمْ : أفمَنْ كانَ في الدُّنْيا مُؤْمِناً صالِحاً ، مُصدِّقاً بالوَعْدِ والثَّوابِ في الآخِرَةِ ، والأَجْرِ الحَسَنِ الّذي سَيُلاقِيهِ ، كَمَنْ كانَ كافِراً في الدُّنْيا ، مُكَذِّباً بوَعْدِ اللهِ وَوَعيدِه ، مُمَتَّعاً في دُنْياهُ القَصيرةِ مَتاعاً قَصيراً ؛ أيَّاماً قَلائِلَ ثُمَّ سُرْعانَ ما تقومُ السَّاعَةُ ، فَيَحْضُرُ بَيْنَ يدَيِ اللهِ ، لِيُلاقِيَ جزاءَ أَعْمالِه . هَلْ يسْتَوِيانِ ؟ لا . فإنَّ الأوَّلَ مُفْلِحٌ فائِزٌ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَهُ وَعْدَهُ ، وسَيُنَعَّمُ في الجَنَّةِ ، أمَّا الثاني فإنَّهُ خاسِرٌ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ اللهَ سَيأْمُرُ المَلائكةَ بإحْضارِه والإتْيانِ بهِ ، وإيقافِهِ لِلحِسابِ العَسيرِ!

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

بمَا أنَّ الكُفَّارَ يُحْضَرُونَ ويُؤْتَىٰ بهم يوْمَ القيامةِ لِلحِسابِ ، فإنَّهُمْ يُوقَفُونَ أذِلاَّءَ مُهانينَ ، ويُنادَىٰ عَليْهِمْ لِيَشعُروا بالخِزْيِ ، ويُسْأَلونَ أسْئِلَةً مِنْ بابِ التَّوْبيخِ والذَّمِ والتَّأنيبِ .

يُنادِي عَليْهِمُ اللهُ ـ سبْحَانَهُ وتَعالَىٰ ـ ويَسْأَلُهُمْ مُوَبِّخا لهُمْ : أيُّها المُشْرِكونَ ، أيْنَ الآلِهَةُ الّتي عَبَدْتُموهَا فِي الدُّنْيا ، وجَعَلْتُموهُمْ شُركاءَ لِي ؟ هلْ يَنْصُرونَكُمْ أوْ يَشْفعونَ لكُمْ أوْ يَنْفعونَكُمْ ؟

وأنَّ اللهَ يعْلَمُ أنْ لا نفْعَ لِهؤلاءِ الشُّركاء ، ولكنَّ السُّؤال يُفضِح المُشْركينَ وخَزْيهِمْ وتأْنيبهِمْ .

والمُشْركونَ المُوجَّهُ لهُمُ السُّؤالُ صِنفانِ : المُتَّبعون مِن الرُّؤساءِ والقادةِ ، والأتْباعُ مِنَ الرَّعيّةِ ولغوْغاءِ ، يُجيبُ الرُّؤساءُ على السُّؤالِ ، وهُمُ الّذينَ حَقَّ عليْهِمُ القوْلُ مِنَ اللهِ ، وَوَجبَ عليْهِمْ عَذابُهُ فِي النَّارِ لِكُفْرِهِمْ ، كمَا قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ القوْلُ مِنّي لأَمْلأنَّ جهَنَّمَ مِنَ الجنَّةِ والنَّاسِ أجمعينَ﴾ [السجدة : ١٣] .

يُجيبون علىٰ السُّؤالِ مُحاولِينَ التَّبرُّؤَ مِنْ إغْواءِ أتباعِهم وإضْلالِهِمْ ، فيقولُون : يا ربَّنا ، هَؤلاءِ أتْباعُنا الّذين أغْويناهُمْ وأضْلَلْناهُمْ ، ولمْ نُجْبرْهُمْ علىٰ ذلِك أوْ نُكْرِهْهُمْ ، إنّما فعلُوا ذلك باخْتيارِهِمْ ، كمَا أنَّنا نَحْنُ غوْينا وضَلَلْنا باخْتيارِنا ، فتبعَةُ غيّهِمْ وضَلالِهِمْ عليْهِمْ وليْسَتْ علَيْنا .

ثمَّ يُفَاجِئونَ أَتْباعَهُمْ بِبراءَتِهِمْ منْهُمْ ، فَيقولونَ : يا ربّنا ، نَحْنُ نَتبرَّأُ إليْك مِنْهُمْ ، ومِنْ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ وما كانُوا يَعْبدونَنا في الحَقيقةِ ، إنَّما كانُوا يَعْبُدون أهْواءَهُمْ ، ويُطيعونَ شَياطينَهُمْ .

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

كانَ السُّؤالُ الأوّلُ لِلْمُشْركينَ عَنْ وُجودِ شُركائِهِم وقوَّتِهِمْ ، والسُّؤالُ الثّاني فِي هذهِ الآيةِ عنْ جَوابِ شُركائِهِمْ عِنْدَما طلبُوا نُصْرَتهُمْ ، حَيْثُ تَخلَّوْا عنْهُمْ ، فَمَشْهَدُ الخزْيِ والذُّلِّ ما زالَ مَعْروضاً .

يُقالُ لِلْمُشْركينَ يَوْمَ القيامةِ : ادْعوا ونادوا شُركاءَكُمْ ، الّذينَ جعلْتمُوهُمْ آلِهَةً في الدُّنْيا ، واطْلبُوا مِنْهُمْ أنْ يُخلِّصوكُم مِمَّا أنْتُمْ فيهِ .

فيَتوجَّهُ المُشْركونَ إلىٰ شُركائِهِمْ ، ويَدْعونَهُمْ ويَطْلبون ذلكَ منهُم ، ولكنَّهُمْ لا يَسْتجيبونَ لهُمْ ، ولا يُنفِّذونَ لهُمْ طلَبهُمْ ، لِعجْزِهِمْ عَنِ الجوابِ وعَنِ الإنقاذِ والنُّصْرةِ ، ولا يُتوَقَّعُ مِنْهُم غيْرُ ذَلِكَ ، لأنَّهُمْ ضُعَفاءُ .

ويرَىٰ المُشْركونَ العَذابَ أمامَهُمْ ، وعَجْزَ آلِهَتِهِمْ عنْ إنقاذِهِمْ ، ويُوقنونَ أنَّهُمْ ذاهِبونَ إلىٰ النَّارِ ، عِنْدَ ذلِك يَتمنَّوْنَ لَوْ أنَّهُمْ كانُوا في الدُّنْيا مِنَ المُؤْمنِينَ المُهْتدينَ ، لأَنقذُوا أنْفُسَهُمْ مِنَ العَذابِ ، فيَزْدادُونَ حَسْرَةً ونَدامَةً .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

هذا هُو السُّؤالُ الثَّالثُ الّذي يُوجَّهُ لِلْمُشْركينَ يَوْمَ القيامةِ ، كمَا تذْكُرُ آياتُ الدّرْسِ ، لِلْمُبالغةِ في تأْنيبِهِمْ وتَوْبيخِهِمْ .

يُناديهِمُ اللهُ ، ويُذكِّرُهُمْ بِسوءِ مَوْقفِهِمْ مِنَ الرُّسُلِ ، لَقدْ بعَثْتُ لكُمْ رُسُلاً ، ودعَوْكُمْ إلىٰ الإيمانِ والتَّوْحيدِ ، فماذا كانَ مَوْقفُكُم مِنْهُمْ ؟ وماذا كانَ جوابُكُمْ لهُمْ ؟

فيُواجهونَ السُّؤال بالذُّهولِ والصَّمْتِ ، لأنَّهم يعْلمونَ أنَّ اللهَ يَعْلمُ جوابَهُمْ لِلمُرْسَلين ، وأنَّ هَدَفَ السُّؤالِ ذمُّهُمْ وتَوْبيخُهُمْ ، ويَتذَكَرون ما فَعَلوا بالمُرْسَلينَ وما قالُوا لهُمْ ، فيَزْدادُون ذُلاً وَحَسْرَةً ، فيَصْمِتونَ صَمْتَ الأَذلاَّءِ .

وبذَلِكَ تَخْفَىٰ عليْهِمُ الأنْباءُ ، وتَضيعُ عَنْهُمُ الحُجَجُ التي يُسَوِّغونَ بها مَوْقِفَهُمْ ، ولا يَجدُونَ ما يقولُونَهُ ويُدافِعون بِهِ عَنَ أنْفُسِهِمْ ، فيَخْرسونَ خاسئينَ ، ويَلوذونَ بالصَّمْتِ ، ولا يسْألُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنَ الدَّهشةِ والذُّهولِ .

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

تَتْرِكُ الآياتُ المُشْرِكينَ في حَسْرَتِهِمْ وصَمْتِهِمْ وعَذابِهِمْ . وتَنْتَقِلُ لِلصَّفحةِ المُقابِلَةِ ، وتَعْرِضِ الصُّورَةَ المُشْرِقَةَ ، صُورَةَ المُفْلحينَ الفائِزينَ بالجَنَّةِ ، وتُعَرِّفُنا عَلَيْهِمْ :

إنَّهُمُ الَّذينَ آمَنُوا في الدُّنْيا باللهِ ، وصَدَّقُوا الرُّسُلَ وابْتَعدُوا عَنِ الكُفْرِ والشِّرْكِ والذُّنوبِ والمَعاصِي ، وأَكْثَروا مِنَ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ ، هؤلاءِ مُفْلِحونَ ناجون فائِزونَ في الآخِرَةِ ، يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ مُنعَّمينَ خالِدينَ فيهَا .

ولاَ يَدلُّ قولُه : ﴿فعسَىٰ أنْ يكونَ مِن المفلحينَ﴾ على التَّرَجّي والتَوقُّع والاحْتِمالِ ، وإنَّما يَدلُّ علىٰ التَّحقُّقِ والجَزْمِ القاطِعِ ، لأنَّ ﴿عسَىٰ﴾ مِنَ اللهِ لِلقطْعِ واليَقينِ ، ولأنَّه لا يُخْلِفُ الميعادَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الدُّنْيا لا تُساوِي شَيْئاً بالنِّسبةِ للآخِرَةِ ، لأنَّ ما فيها مِنْ مَتاعٍ وَزينةٍ إلىٰ زوالٍ ، والخَيْرُ الباقِي هُو الجنَّةُ ونَعيمُها .

٢ـ المُؤْمِنُ يَثِقُ بوَعْدِ اللهِ ، لأنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ ولِذلِك يَرْجُو التَنعُّمَ بالجَنةِ ونعيمها .

٣ـ تَوْجيهُ الأَسْئلةِ لِلكُفَّارِ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ بابِ تَوْبيخِهِمْ وذمِّهِمْ وإشْعارِهِمْ بالذِّلَةِ والحَسْرَةِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عليْهِمْ .

٤ـ يَتبرَّأُ المتَّبَعُونَ المَعْبودون مِنْ تابِعيهِمُ الَّذين عَبدوهُمْ في الدُّنْيا ، ويَتَخلَوْنَ عَنْهُمْ لِعَجْزِهِمْ عَنْ نُصْرتِهِمْ .

٥ـ لا يجدُ الكُفّارُ حُجّةً أَوْ مُبرِراً يُدافِعونَ بهِ عَنْ كُفْرِهِمْ في الدُّنْيا ، فيلوذونَ بالصَّمْتِ والسُّكوتِ .

٦ـ طَريقُ الفوْزِ والفلاحِ في الآخِرةِ مُصوّرٌ في الإيمانِ والتّوْبةِ والعَمَلِ الصّالحِ في الدُّنْيا .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا كانَ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأبقَىٰ مِنْ ما فِي الدُّنْيا ؟

٢ـ ما الوَعْدُ الحَسَنُ الّذي وَعَدَ اللهُ بهِ المُؤْمِنَ في الدُّنْيا ؟ وما نظْرَةُ المُؤْمِنِ لِذلكَ الوَعْدِ ؟

٣ـ بِماذا يَعْتَرِفُ الرُّؤساءُ علىٰ أنْفُسِهِمْ وعلىٰ أَتْباعِهِمْ يوْمَ القيامة ؟ وما الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بها مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ بِماذا تُفَسّرُ سُؤالَ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ عَنْ شُركائِهِمْ ؟

٥ـ لِماذا لا يَسْتَجيبُ الشُّرَكاءُ لِطَلَبِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ الشُّروطَ الثَّلاثةَ لِلفلاحِ في الآخِرَةِ .

٧ـ علىٰ ماذا يدلُّ الفِعْلُ « عسَىٰ » في قولِه تعالىٰ ﴿فعسَىٰ أنْ يَكونَ مِنَ المُفْلِحينَ﴾ ؟ ولماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ آياتُ بَراءَةِ المَتْبوعِينَ مِنْ أَتْباعِهِمْ يَوْمَ القيامةِ كثيرةٌ . سَجِّلْ في دفْتَرِك الآياتِ : (٨١/ ٨٢) مِنْ سورَةِ مريمَ و(٥ـ٦) مِنْ سورةِ الأحْقافِ ، و(٢٥) مِنْ سورَةِ العَنْكَبُوتِ ، و(١٦٦) من سورةِ البَقَرةِ .

٢ـ اذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ الكَهْفِ بمعنىٰ الآيةِ (٦٠) ، تَدْعُو إلىٰ اخْتيارِ ﴿الباقياتِ الصّالِحاتِ﴾ لأنَّها هِي الخَيْرُ عِنْدَ اللهِ واكْتُبْهَا في دَفْتَرِك .

٣ـ في مُنْتَصَفِ سورةِ الكَهْفِ آيتانِ تَتحدَّثانِ عَنْ عدَمِ اسْتِجابةِ الشُّرَكاءِ لِلْمُشْرِكينَ ، سجِّلْهُما وبَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُما وبيْنَ الآيةِ (٦٤) .

* * *

الدَّرسُ السَّادسُ والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ما كانَ لَهُمُ ٱلخِيَرَةُ : لَيْسَ لِلنَّاسِ اخْتِيارٌ لأَنَّ الاخْتِيارَ للهِ وَحْدَهُ .

سُبْحانَ ٱللهِ : تَنْزِيهٌ للهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

تَعالَىٰ عَمَّا يُشْرِكون : تَعَظَّمَ اللهُ وَتَقَدَّسَ ، وَتَنَزَّهَ عَنِ ٱلشُّرَكاءِ والأَنْدادِ .

تُكِنُّ صُدُورُهُمْ : تُخْفي وَتُسِرُّ قُلُوبُهُمْ ، فَلاَ يُظْهِرونَ عَلَيْهِ أَحَداً .

لَهُ ٱلحُكْمُ : اللهُ لَهُ القَضاءُ النافِذُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ مَشْهدِ ذُلِّ المُشْرِكِينَ وخِزْيِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، وعَجْزِ شُرَكائِهِمْ عَنْ نَصْرِهِمْ والدِّفاعِ عَنْهُمْ .

وتَرُدُّ هذهِ الآياتُ أَمْرَهُمْ وأَمْرَ كلِّ شَيْءٍ إِلىٰ اللهِ وَحْدَهُ ، وتَذْكُرُ بَعْضَ الأَفْعالِ الخَاصَّةِ باللهِ تعالَىٰ .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ .

يقولُ اللهُ لِرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ربُّكَ يا مُحَمَّدُ ، هُوَ رَبُّ العَالَمينَ جَميعاً هُوَ الخالِقُ وَحْدَهُ ،

يَخلُقُ ما يشاءُ ، ولا يُشرِكُهُ أحدٌ في الخَلْقِ ، وهُوَ وَحْدَهُ يَختارُ ما يَشاءُ ، والأُمورُ كُلُّها بِيَدِهِ ، ومَرْجِعُها إليْهِ ، يَخْتارُ مَنْ يَشاءُ لِلرِّسالَةِ ، ويَخْتارُ مَنْ يَشاءُ لِلإيمانِ والشَّهادَةِ في سَبيلِهِ ، ويَمْنَحُ مَنْ يَشاءُ الشَّفاعَةَ ، ولا يُشارِكُهُ في اخْتيارِهِ شَريكٌ ، وهُوَ حَكيمٌ في ما يَخْتارُهُ لِعِبادِهِ ، لأنَّهُ لا يُريدُ لَهُمْ إلاّ الخَيْرَ .

ولَيْسَ لأحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَخْتارَ غَيْرَ ما اخْتارَهُ اللهُ ، أوْ أَنْ يَقْتَرِحَ عَلَيْهِ شَيْئاً ، أوْ أَنْ يُغَيِّرَ في اخْتيارِ اللهِ شَيْئًا ، لأنَّ النّاسَ لا يَمْلِكونَ اخْتياراً ، لا لأَنْفُسِهِمْ ولا لِغَيْرِهِم .

ولَيْسَ لِلنّاسِ أَنْ يُحَدِّدوا مَنْ يَكونُ رَسولاً أوْ نَبيًّا أوْ يُحدِّدوا مَنْ يَكونُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فاللهُ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ الّذينَ يَسْتَحِقُّونَ فَضْلَهُ وإنْعامَهُ ، ولَيْسَ ذَلِكَ لِزُعماءِ الكُفْرِ الّذينَ يَدَّعون ذَلِكَ .

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

الاخْتِيارُ للهِ وَحْدَهُ ، وهُوَ سُبْحانَه حَكيمٌ في اخْتيارِهِ ، واخْتِيارُهُ صَوابٌ دائماً ، لأنَّهُ عالِمٌ بما في السَّمواتِ والأرْضِ ، أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، فاخْتِيارُهُ مَبْنِيٌّ على عِلْمٍ صَحيح .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : ربُّكَ يا مُحَمَّدُ عالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وبِمَا عِنْدَ النَّاسِ جَميعاً ، فَهُوَ يَعْلَمُ ما تُخْفيهِ صُدورُهُمْ ، ومَا تَنْطوي عَلَيْهِ ضَمائِرُهُمْ ، ويَعْلَمُ ما يُظْهِرونَهُ لِلنّاسِ الآخَرينَ . فكِلا الأَمْرَيْنِ مِنَ السِّرِّ والجَهْرِ سَواءٌ عِنْدَ اللهِ ، لأنَّه لا تَخْفى عليْهِ خافِيَةٌ ، كما قال تعالَى : ﴿سواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمنْ جَهرَ بِهِ ، ومَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللّيلِ وساربٌ بالنَّهار﴾ [الرعد : ١٠] .

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

اللهُ المُتَفَرِّدُ بالخَلْقِ والاخْتيارِ ، والعِلْمِ الشّامِلِ المُطْلَق ، وَحْدَهُ الإلٰهُ والرَّبُّ والمَعْبودُ ، الفَرْدُ الصَّمَدُ ، لا شَريكَ مَعَهُ في العِبادة ، لأنَّهُ لا شَريكَ لَهُ في الخَلْقِ والاخْتيار .

وهُوَ سُبْحانه المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والشُّكْرِ والثَّناءِ ، لأنَّه مَحْمودٌ في كُلِّ ما يَفْعَلُهُ ويَرْحَمُ بِهِ عِبادَهُ مِنْ نِعَمٍ وخَيْراتٍ وأَرْزاقٍ وبَرَكاتٍ .

إنَّهُ مَحْمودٌ في الحَياةِ الدُّنيا ، ومَحْمودٌ في الآخِرَةِ ، يَحْمَدُهُ المُؤْمِنونَ المُنَعَّمونَ في الجَنَّةِ .

والحُكْمُ للهِ وَحْدَهُ ، يَحْكُمُ في خَلْقِه ، بما يَشاءُ ، وحُكْمُهُ وقَضاؤُهُ هُوَ النافِذُ ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقَضائِه .

ومَرْجِعُ جَميعِ الخَلائِقِ إليهِ سُبْحانَهُ ، يَبْعَثُ النَّاسَ جميعاً يَوْمَ القِيامَة ، ويُوقِفُهُمْ لِلحِساب ، ويَقْضي بيْنَهُمْ قَضاءَهُ الأخيرَ ، فَيَجْزي كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ ، ويُثيبُ المُحْسِنَ بالجَنَّةِ ، ويُعاقِبُ المُسيءَ العاصِي بالنَّار .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ المُتفرِّدُ وَحْدهُ بالخَلْقِ والاخْتيار ، لا يُشارِكُهُ في ذلكَ أحَدٌ .

٢ـ الرِّضىٰ باخْتيارِ اللهِ للإنْسانِ يَمْنَحُهُ الطُّمأنينةَ والسَّكينةَ والسَّعادَةَ ، ويُبْعِدُ عَنْهُ القَلَقَ والاكْتِئاب .

٣ـ عِلْمُ اللهِ شامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خافيةٌ مِمَّا يُخْفيهِ النَّاسُ أَوْ يُظهِرونَهُ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ تَنفيذُ حُكْمِ اللهِ وقَضائِهِ ، والالتزامِ بِشَرْعِهِ وأَحْكامِهِ ، لأنَّهُ لا رادَّ لِحُكْمِهِ سُبْحانَه .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أَرْبعةَ أفْعالٍ خاصَّةٍ باللهِ ، ذاكِراً الدَّليلَ علىٰ ذَلكَ مِنْ كَلماتِ الآياتِ .

٢ـ ما مَوْقِفُكَ مِمَّا يَخْتارُهُ اللهُ لَكَ ، ويَقْضيهِ عَلَيْكَ ؟ وَلِماذا ؟

٣ـ هلِ اختيارُ اللهِ لَكَ يُعطِّلُ تَفْكيرَكَ ويَمْنَعُكَ مِنَ السَّعي ؟ ولِماذَا ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثةَ آثارٍ تَظْهَرُ عليْكَ نتيجةَ إيمانِكَ بِعِلْمِ اللهِ بِمَا تُخفيهِ وتُظْهِرُهُ .

٥ـ ما معنَى قولِه : ﴿لَهُ الحمْدُ في الأولىٰ والآخرةِ﴾ ؟ ومَا الدَّلالةُ الَّتي تَخْرُجُ بِها مِنْ ذلكَ ؟

٦ـ ماذا يَنْتُجُ عَنْ رُجوعِ النَّاسِ جَميعاً إلىٰ اللهِ يومَ القيامةِ ؟

لَطيفةٌ :

« ما » مَذْكورةٌ في قَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿وربُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ، ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وتعالىٰ عمَّا يُشْرِكونَ﴾ ثلاثَ مراتٍ ، ولها في كُلِّ مَرَّةٍ معنًى خاصٌّ ، وعَمَلٌ خاصٌّ .

ـ المَرَّةُ الأُولىٰ : في قَوْلِهِ : ﴿يَخْلُقُ ما يشاءُ﴾ . وهيَ اسْمٌ مَوْصولٌ بمعنىٰ « الَّذي » ، في مَحَلِّ

نَصْبِ مَفْعولٍ بهِ لِلفعْلِ « يَخْلُقُ » أيْ : رَبُّكَ يَخْلُقُ الّذي يشاءُ خَلْقَهُ .

ـ المرةُ الثانيةُ : في قولِه : ﴿ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾ ، وَهي حَرْفُ نَفْيٍ ، تنفِي عنِ النَّاسِ الخِيَرَةَ . أيْ : لَيْسَ لِلنَّاسِ الخِيَرَةُ .

ـ المرةُ الثالثةُ : فِي قولِه : ﴿عمَّا يشركونَ﴾ . وهيَ حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ . والمَصْدَرُ منهَا ومنْ ما بعدَها فِي مَحَلِ جَرٍّ بحَرْفِ « عَنْ » . أيْ : عن شِرْكِهِم .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ آيةَ مِنْ سورةِ الأَحْزابِ تَنهَىٰ أيَّ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَنْ يكونَ لهُمُ الخِيَرَةُ خِلافَ ما اخْتارَهُ اللهُ وقضاهُ لهُمْ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِك .

٢ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيةَ العاشِرَةَ مِنْ سورَةِ يُونسَ والآيةَ الأُولىٰ مِنْ سورةِ سَبأ ، واسْتَخْرِجْ منهُما حَمْدَ اللهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، وآخِرَ دَعْوىٰ المُؤْمنينَ في الجَنَّةِ .

❊ ❊ ❊

الدرس السابع والخمسون

سورة القصص ـ القسم الخامس عشر

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَرَأَيْتُمْ : أخبِروني .

سَرْمَداً : دائِماً مُتَّصِلاً مُتَتابِعاً .

بِضِياءٍ : بنهارٍ .

تَسْكُنونَ فيهِ : تَسْتَقِرّونَ فيهِ وتَسْتَريحونَ مِنْ مَتاعِبِ العَمَلِ .

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ : لِتَطْلُبوا الرِّزْقَ مِنْ فَضْلِ اللهِ .

تَزْعُمونَ : تُكَذِّبونَ وتَدَّعونَ .

نَزَعْنا : أَخْرَجْنا .

ضَلَّ عَنْهُم : غابَ عَنْهُمْ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ الخالِقُ الّذي يَخْتارُ مِنْ خَلْقِهِ ما يَشاءُ ، وأَنَّهُ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، ولَهُ الحَمْدُ

والحُكْمُ والأَمْرُ ، في الدُّنْيا والآخرةِ ؛ ذكرَ بعْضَ نِعَمِه على عِبادِهِ ، التي لا يَقْدِرُ عليها إلا هُوَ ، ومنْها تَعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

يأْمُرُ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يقولَ لِلْمُشْرِكين : أَخْبِروني ماذا تفعلون إنْ جعلَ اللهُ وقْتَكُمْ كُلَّهُ ظَلاماً ، وجعَلَ اللَّيْلَ عليْكُمْ دائِماً مُتتابعاً إلىٰ يوْمِ القِيامةِ ؟ هلْ تجدون إلهاً غيرَ اللهِ يقْدِرُ علىٰ إزالةِ الظَّلامِ عَنْكُمْ ، والإتيانِ بنهارٍ وضياءٍ مكانَهُ ؟

أفلا تَسْمعونَ ما يُقدَّمُ لكُمْ مِن الحُجَجِ والبَراهينِ سماعَ تدبُّرٍ وتفكُّرٍ ؟ لوْ فعَلْتُمْ ذلكَ لتخلَّيْتُمْ عنِ الشِّرْكِ باللهِ ، لأنَّ كُلَّ ما سِواهُ عاجِزٌ عَنْ إذهابِ اللَّيلِ والإتْيانِ بالنَّهارِ مكانَهُ . فهذا الأمْرُ وغيْرُهُ بيدِ اللهِ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ويأْمُرُ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يَذْكُرَ للْمُشركينَ الصُّورَةَ المُقابِلَةَ ، ويَقولَ لَهُمْ : أخْبِروني ماذا تَفْعلونَ إنْ جَعَلَ اللهُ وقْتَكُمْ كُلَّهُ ضياءً ، وجعَلَ النَّهارَ دائِماً مُتَّصِلاً مُتتابِعاً إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ ، هَلْ تَجِدونَ إلٰهاً غَيْرَ اللهِ يَقْدِرُ على إزالةِ النَّهارِ عَنْكُمْ ، والإتيانِ بلَيْلٍ وظَلامٍ ، تَسْكُنونَ وتَسْتَقِرّونَ فيهِ ، وتَسْتَريحونَ مِنْ عناءِ الحَرَكَةِ .

أفلاَ تُبْصِرونَ هٰذهِ الظَّاهِرَةَ ، التي يَنْتُجُ عَنْها تَعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ ، وأنَّهُ لا يَقْدِرُ علىٰ ذٰلِكَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ ، فَتَعْلَمونَ أنَّ اللهَ هُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بهٰذِهِ النِّعَمِ ، وأنَّهُ المُسْتَحِقُّ وحْدَهُ للعبادةِ .

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

مِنْ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ أنَّهُ جعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ مُتعاقِبَيْنِ مُتَخالِفَيْنِ مُتفاوِتَيْنِ ، إذا حلَّ أحدُهُما ذَهَبَ الآخَرُ ، وذٰلكَ لاسْتِقامةِ الحياةِ علىٰ الأرْضِ .

وجَعَلَ اللهُ اللَّيْلَ مُظْلِماً ، صالِحاً للرَّاحةِ والسُّكونِ ، وهُوَ دَالٌّ علىٰ عَظَمتِهِ وكَمالِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ ، وأنَّهُ المُسْتَحِقُّ وَحْدَه لِلعبادةِ ، وهٰذا يُوجِبُ علىٰ النَّاسِ الاعْتِرافَ لَهُ وحْدَهُ بالفَضْلِ والإنْعامِ ، وشُكْرَهُ علىٰ ذلكَ ، والاستفادةَ مِنَ اللَّيلِ والنَّهارِ في ذِكْرِهِ وعِبادتِهِ .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

اللهُ لَيْسَ لهُ شَريكٌ في تَدْبيرِ الكَوْنِ ، وتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وهُوَ المَعْبودُ المَحْمودُ وحْدَهُ ، ومَعَ ذلكَ أشْرَكَ المُشْرِكونَ باللهِ ، وعبدوا آلِهَةً منْ دُونِهِ

وعِنْدَما يَبْعَثُ اللهُ هؤلاءِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ ، ويُوقِفُهُمْ للحساب ، يُناديهِمْ ليَفْضَحَهمْ وإخْزائِهِمْ ، فيَسْأَلُهُمْ لتَوْبيخِهِمْ وتأنيبهِمْ ، فيقولُ لَهُمْ : أينَ شُرَكائي الَّذينَ كُنْتُمْ في الدُّنيا تزْعُمونَ أنَّهُمْ آلِهَةٌ ، وعَبَدْتُموهُمْ مِنْ دوني ؟ لماذا لَمْ يُنقِذوكُمْ اليَوْمَ مِمّا أنْتُمْ فيهِ ؟

وهُمْ لا يُجيبونَ على السُّؤالِ ، لأنَّ الخِزْيَ والذُّلَّ أسْكَتَهُمْ ، فلوْ كانَتْ مَعْبوداتُهُمْ آلِهَةً لنَصَرَتْهُمْ ودَفَعَتْ عَنْهُمُ العَذابَ .

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

إذا كانَ المُشْرِكونَ يَصْمِتونَ يوْمَ القِيامَةِ ، فإنَّ اللهَ يُقيمُ عليهِمْ شاهِداً ، يَشْهَدُ عليْهِمْ بِكُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ في الدُّنْيا .

إنّ اللهَ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ كلِّ أُمَّةٍ شَهيداً ، ويُقيمُهُ شاهِداً عَليْها بأعْمالِها ، سواءٌ أكانَتْ خيْراً أمْ شَرّاً . وهٰذا الشّاهِدُ هُوَ رسولُهُمُ الّذي بَعَثَه اللهُ إليْهِمْ . قال اللهُ تعالَىٰ : ﴿فكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَجِئْنا بكَ عَلى هؤلاءِ شهيداً﴾ [النساء : ٤١] .

وبَعْدَما يُقدِّمُ الشَّهيدُ شَهادَتَهُ يَقولُ اللهُ لِلْمُشْرِكين : قدِّموا دليلَكُمْ على صِحَّةِ ما ادَّعيْتُموهُ مِنْ أنَّ للهِ شَريكاً . فَلَمْ يَتمكَّنوا مِنْ ذلِكَ ، لأنَّهُمْ لا يَجِدونَ ذلكَ الدَّليلَ . وعِنْدَ ذلكَ يَعْلَمُونَ عِلْماً يَقينيّاً جازِماً أنَّ الحَقَّ للهِ وَحْدَهُ ، هُوَ المُسْتَحِقُّ للأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والعبادَةِ ، لا إلٰهَ غيْرُهُ ، ولا ربَّ سواهُ . ولا شريكَ مَعَهُ ، ويَغيبُ عَنْهُمْ ما كانوا يفْتَرونَهُ في الدُّنْيا مِنْ وُجودِ شريكٍ معَ اللهِ سُبْحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَعاقُبُ اللَّيْلِ والنَّهارِ نِعْمَةٌ ورحْمةٌ منَ اللهِ ، لاسْتحالةِ الحَياةِ مِنْ دُونِ ذلك . والواجِبُ شُكْرُ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ علىٰ ذلِكَ .

٢ـ الأَصْلُ التَّوافُقُ مَعَ سُنَّةِ اللهِ في الكَوْنِ ، وتخصيصُ اللَّيْلِ لِلسُّكونِ والرّاحةِ ، والنَّهارِ لِلْكَسْبِ والسَّعْيِ .

٣ـ لا يَمْلِكُ الكُفّارُ أيَّ بُرْهانٍ مقْبولٍ علىٰ الشِّرْكِ ، لأنَّ كُلَّ البراهينِ تدعو إلىٰ الوَحْدانيَّةِ .

٤ـ يُقيمُ اللهُ الشُّهودَ مِنَ الأنبياءِ وغيرِهِمْ ، لِيشْهَدوا علىٰ النّاسِ يوْمَ القيامَةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنَى جعْلِ اللّيْلِ سَرْمَداً وجَعْلِ النّهارِ سَرْمَداً ؟

٢ـ اسْتَخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ وَظِيفَةَ اللّيلِ والنّهارِ في حياتِنا .

٣ـ لِماذا ختَمَ اللهُ آيةَ اللّيلِ بقولِه : ﴿أفَلاَ تَسْمَعونَ﴾ وختَمَ آيةَ النّهارِ بقولِه ﴿أفَلاَ تُبْصِرونَ﴾ ؟

٤ـ ما مَعنَى قولِه : ﴿ونزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمّةٍ شَهيداً﴾ ؟

٥ـ لِماذا لا يُقدِّمُ المُشْرِكُون البُرْهانَ المَطْلوبَ مِنْهُم يوْمَ القيامةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ الفُرْقانِ تَجعَلُ تعاقُبَ اللّيْلِ والنّهارِ عِبْرَةً لِلشّاكرِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٧٣) .

٢ـ تَخيَّلْ أنّ الدُّنْيا نهارٌ لا لَيْلَ بَعْده ، ثمّ تَخيَّلْ أنّها لَيْلٌ لا نَهارَ بَعْدَهُ ؛ واكتبْ في دَفْترِك مَوْضوعاً يبيِّنُ مَشَقّةَ الحياةِ في الحالَتَيْنِ ، واليُسْرَ في تَعاقُبِ اللّيْلِ والنّهارِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ : كانَ مِنْ بَني إِسْرائِيلَ .

بَغَىٰ عَلَيْهِمْ : تَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَظَلَمَهُمْ .

ٱلكُنوزِ : ٱلأَمْوالِ الكَثيرَةِ ٱلمُدَّخَرَةِ .

مَفاتِحَهُ : ٱلخَزائِنَ وَٱلصَّناديقَ ٱلَّتي تُوضَعُ فِيهَا ٱلكُنوزُ .

تَنوءُ : تَثْقُلُ وَيُتْعِبُ حَمْلُها .

ٱلعُصْبَةِ : ٱلجَماعَةِ الكَثيرَةِ مِنَ النَّاسِ .

لاَ تَفْرَحْ : لاَ تَبْطُرْ وَتَتَكَبَّرْ وَتَفْسُدْ بِسَبَبِ كَثْرَةِ ٱلمالِ .

ٱبْتَغِ : ٱطْلُبْ .

أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي : جَمَعْتُ ٱلمالَ بِمَعْرِفَةٍ وَمَهارَةٍ وَخِبْرَةٍ مِنّي .



بعد أنْ ذكر الله خزْي الكافِرين المشْركين وذلك يومَ القيامَةِ ، وهٰذا عامٌّ يشْملُ جميعَ الكافِرينَ ، جاءَ الحديثُ عَنْ أحدِ الكُفار فَذكرَ قصّة قارون ، الّذي أطغاهُ مالُه فأهْلَكَهُ اللهُ ، وذلكَ لِبيانِ عاقبةِ المُشْركينَ والمُتجبّرينَ ، وخسارتِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَة .

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّ قارونَ كانَ مِنْ بني إسْرائيلَ ، وكانَ مُعاصراً لِمُوسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ولَكنَّهُ خالَفَ قوْمهُ ، وانْضمَّ إلىٰ عَدوِّهِم فرْعوْن .

وقدْ بغىٰ قارونُ علىٰ قوْمه الإسْرائيليّين ، وتجبّرَ عليْهِم وظَلمَهُمْ ، لأنَّه رأىٰ نفْسَهُ خيْراً مِنْهُمْ ، بسبب كثْرة أمواله .

وآتىٰ الله قارونَ أمْوالا كَثيرة ، وكُنوزاً عديدةَ ، وكان يضَعُها في خَزائِنَ منيعةٍ ثَقيلةٍ ، وكانَتْ مفاتيحُ كُنوزه تُتْعِبُ المَجْموعَةَ من الرِّجالِ الأقْوياءِ ، فإذا كانَتْ مفاتيحُ الكُنوزِ كذلك ، فما بالُكَ بثقل الكُنوز نفْسها ؟!!

وكان في قوْمه أُناسٌ صالحونَ ، لمْ تُغْرهمْ كُنوزُهُ الكثيرةُ ، ولَمْ يَقبلوا بغْيَهُ وتكَبُّرَهْ ، ولذلكَ نصحوه قائلين : لا تفْرحْ لكثْرة كنوزِك فرحا يقودُ إلى البَطرِ والتّكبُّرِ والخُيلاءِ ، لأنَّ اللهَ لا يُحِبُّ هؤلاء الفرحين البَطرين

ويدلُّ نهْيُهُم عنِ الفرحِ أنَّ الفرحَ نوْعانِ : نوْعٌ مُحرَّمٌ ، وهو ما كان عَليه قارونُ ، ونَوْعٌ مُباحٌ محْمودٌ ، وهُوَ سُرورُ المُؤْمنِ بفضْلِ الله عليْه وتوْفيقه إلىٰ طاعته .

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

تابَعَ الناصِحون الصَّالحون نُصْحَهُمْ لِقارونَ ، فقالُوا له :

ـ اسْتَعْمِلْ ما منَحك اللهُ منَ النعم الكثيرة ـ منْها الأموالُ الطّائلةُ ـ في طاعتِهِ ، والتّقرُّبِ إليهِ بالأعْمالِ الصّالحة ، لِيحْصُلَ لك ثوابُها في الدّارِ الآخرة . فإنَّ نعيمَ الآخرة هوَ الباقي .

ـ ولا تنْسَ نصيبكَ منَ الدُّنْيا منَ هذه النِّعَم ، وخُذْ حظَّك منْ لذّاتِ الدُّنْيا المُباحة ، منَ المآكِلِ والمشارِبِ والملابِسِ والمَسْكنِ والزّواجِ والمالِ وغيْرِ ذلكَ .

ـ وقابلْ إحْسانَ الله إليك بالإحْسانِ إلىٰ خلقهِ ، وذلك بإعانتِهمْ بالمالِ والجاه وغيْرِ ذلك ،

لِيَزيدَكَ اللهُ مِنْ إحْسانِه وإنْعامِهِ ، لأنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُحْسِنَ بالمَزِيدِ مِنَ الإحْسانِ .

ـ ولاَ تَكُنْ مُفسِداً في الأَرْضِ ، ولا تَستَعْمِلْ مالَكَ في الإفسادِ وظُلْمِ النَّاسِ واسْتِعْبادِهِمْ ، فإنْ فَعلْتَ ذلِكَ عاقبَكَ اللهُ ، لأنَّهُ لا يُحبُّ الْمُفْسِدينَ ، وإنَّما يُعاقِبُهُمْ ويُعذِّبُهُمْ .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

رفَضَ قارونُ المُتكبِّرُ نَصيحَةَ النَّاصِحينَ ، ورَدَّ عليْهِمْ بِجُمْلَةٍ واحِدَةٍ ، كلُّها غُرورٌ وبَطَرٌ وجُحودٌ للنِّعْمَةِ ، وكُفْرٌ بالْمُنْعِمِ ، فقالَ لهُمْ : لَقَدْ أُوتيتُ هَذهِ الكُنوزَ لِعْلمي وخِبْرتي ومَهارَتي في جَمْعِها وتَحْصيلِها ، فالفَضْلُ لي ولِعِلْمي في الحُصولِ عَليْها .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

ردَّ اللهُ قَوْلَ قارونَ الفَاجِرِ ، وهَدّدَهُ وتَوعَّدَهُ بالهَلاكِ ، وبيَّنَ جَهْلَهُ الْمُطْبَقَ مَعَ أنَّهُ يَدّعي العِلْمَ . فَهُوَ جاهِلٌ لَمْ يَعْلَمْ أنَّ اللهَ قَدْ أهْلَكَ مِنْ قَبْلِه أُناساً كافِرينَ مُتكبّرينَ ، كانَ الواحِدُ مِنْهُم أشَدَّ قُوَّةً مِنْ قارونَ ، وأكْثَرَ جَمْعاً لِلمالِ مِنْهُ ، ومعَ ذلكَ لمْ تَدْفعْ عَنْهُ قُوَّتُهُ وأمْوالُهُ الهَلاكَ والعَذابَ .

وإنَّ قارونَ يَسيرُ على طَريقِهِمْ ، في الكُفْرِ والبَغْيِ والبَطَرِ والفَسادِ ، ولِذلِكَ يَنْتَظِرُهُ ما وقَع بِهِمْ مِنَ العَذابِ والهَلاكِ .

وعِنْدَما يُريدُ اللهُ عِقابَ الكافِرين وإهْلاكَ المُجْرِمينَ فإنَّهُ لا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذُنوبِهِمْ الكَثيرةِ سُؤالَ اسْتِفسارٍ عَنْهَا ، لأنَّهُ عالِمٌ بِها كُلِّها ، فلا حاجَةَ لِيَسْأَلَهُمْ عنْها .

ويومُ القيامَةِ لا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذُنوبِهِمْ سُؤالَ اسْتِعلامٍ لِعِلْمِه بِها ، قالَ تعالَىٰ : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جَانٌّ . .﴾ [الرحمن : ٣٩] .

ولَكِنَّهُ يَسْأَلُهُمْ سُؤالَ تَوْبيخٍ وَذَمٍّ وتَأْنيبٍ ، لِيَشْعروا بالخِزْيِ والذُّلِّ . قالَ تعالَىٰ : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَرَكَ قارونُ قَوْمَهُ الإسْرائيلِيّينَ المُؤْمنينَ وانْحازَ إلىٰ أعْدائِهِمُ الكافِرينَ ، بِسَبَبِ بَغْيِهِ وتَكَبُّرِه وَفَسادِهِ .

٢ـ اللهُ يُعطي مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ أمْوالاً كَثيرَةً للابتلاءِ والامْتِحانِ ، لِيَبْلُوَهُمْ أيشْكُرون أَمْ يَكْفرونَ .

٣ـ كَثْرةُ المالِ مَعَ عَدمِ الإيمانِ والتَّقوىٰ تَقودُ إلىٰ الفَرحِ والبَطَرِ والإسْرافِ والإفْسادِ .

٤ـ يَجبُ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُحْسِنَ الاسْتفادةَ مِمَّا آتاهُ اللهُ مِنَ النِّعَمِ وأنْ يَطْلُبَ بِها الدَّارَ الآخِرَةَ .

٥ـ لاَ يَتعارَضُ طَلَبُ الآخِرَةِ مَعَ الاسْتِمْتاعِ المُباحِ بالطَّيباتِ في الدُّنْيَا .

٦ـ مَنْ شَكَرَ اللهَ علىٰ إحْسانِه اسْتَخْدَمَ نِعَمَ اللهِ عَليْهِ في الإحْسانِ إلىٰ خَلْقِهِ .

٧ـ الجاهِلُ يَجْحَدُ فَضْلَ اللهِ عَليْهِ ، ويدّعي أنَّه حَصَّلَ ذلك بِعِلْمِه وجُهْدِهِ ومَهارتِهِ .

٨ـ جُحودُ فَضْلِ اللهِ سَبَبٌ لِزوالِ النِّعمِ عَنْ صاحِبها ، وإيقاعِ العِقابِ بِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنَىٰ قولِه : ﴿وآتيناهُ مِنَ الكُنوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتنوءُ بالعُصْبةِ أُولِي القُوَّةِ﴾ ؟

٢ـ لِماذا نَهىٰ النَّاصِحونَ قارونَ عَنِ الفَرحِ ؟ ومتىٰ يكونُ الفَرحُ مَحْموداً ؟

٣ـ اسْتخرِجْ مِنَ الآيةِ (٧٧) أرْبعَ نَصائحَ مُوَجَّهةٍ لِقارونَ .

٤ـ لا يُحِبُّ اللهُ صِنْفَيْنِ مِنَ المُجْرِمينَ ؛ اسْتَخْرِجْهُما مِنْ آياتِ الدَّرسِ .

٥ـ بِماذا رَدَّ قارونُ علىٰ النَّاصِحينَ ؟ وما معنَىٰ رَدِّه ؟

٦ـ متى يُسْأَلُ المُجرِمونَ عَنْ ذُنوبِهِمْ ؟ ومتى لا يُسْأَلونَ ؟ اشْفَعْ إجابتَكَ بالدّليلِ مِنَ القُرْآنِ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ الّتي وَرَدَ فيها اسْمُ قارونَ فِي سورةِ العَنْكَبوتِ ، وفِي سُورَةِ غافِرٍ ، اذْكُرْ حِكْمَةَ قَرْنِه معَ فِرعونَ وهامانَ في الآيتَيْنِ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ (٥٨) مِنْ سورةِ يونُسَ الّتي تَدْعو إلىٰ الفَرَحِ المَحْمودِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا طبيعةَ ذلكَ الفَرحِ .

٣ـ سَجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٤٩) مِنْ سورةِ الزُّمَرِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ رَدِّ قارونَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والخَمْسُونَ

سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** : صاحِبُ نَصيبٍ وافِرٍ فِي الدُّنْيا .
- **وَيْلَكُمْ** : كَلِمَةُ زَجْرٍ ورَدْعٍ ، لِلتَّوَقُّفِ عَمّا لا يَنْبَغِي .
- **خَسَفْنَا بِهِ** : شَقَقْنا الأرْضَ فَغارَ فيها .
- **فِئَةٍ** : جَماعَةٍ وأعْوانٍ .
- **وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ** : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ . مُكوَّنَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ « وَيْ » : لِلتَّعَجُّبِ . وَ« كَأَنَّ » للتَّقْرِيرِ .
- **يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ** : يُكَثِّرُ الرِّزْقَ وَيَزِيدُهُ .
- **يَقْدِرُ** : يُضَيِّقُ وَيُقَلِّلُ الرِّزْقَ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ كَثْرةِ كُنوزِ قارونَ ، واسْتِخْدامِهِ لها فِي البَغْيِ والفَسادِ ، ورَفْضِهِ نَصيحةَ النَّاصِحينَ مِنْ قَوْمِه . وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ افْتِتانِ بَعْضِ قَوْمِهِ بِهِ ، وإهلاكِ اللهِ لَهُ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

خَرَجَ قارونُ يَوْماً على قومِهِ مِن بني إسْرائيل ، مُستخْدِماً زينَةً عظيمَةً فخْمَةً ، مِنْ مَراكِبَ ومَلابسَ وجَواهِرَ ، بقصْدِ التَّكبُّرِ والتَّعالي ، وإظْهارِ العَظَمةِ والأُبَّهةِ والفَخامَةِ .

ولمَّا رآهُ بعْضُ قومِهِ علىٰ تِلْكَ الصُّورةِ الفاتِنةِ افتَتَنوا به ، وهُمُ السُّذَّجُ الجُهَّالُ مِنَ النَّاسِ ، الّذينَ يُريدونَ الحَياةَ الدُّنْيا ، ويُحِبُّونَ زَخارفَها وزِينَتَها ، ويَنْسوْنَ الآخِرةَ ونَعيمَها . تمنّى هؤلاءِ المَفْتونونَ أنْ لَوْ كانَ لَهُمْ مِثْلُ ما عِنْدَ قارونَ مِنَ الأمْوالِ والمتاعِ والزِّينةِ ، لِيَسْتمتِعوا بِها مِثْلَهُ ، واعْتَبَرُوهُ مَحْظوظاً مُنعَّماً ، صاحِبَ نَصيبٍ وافِرٍ كَبيرٍ مِنَ الدُّنيا ومتاعِها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

إذا كانَ الرّاغِبونَ في الحَياةِ الدُّنْيا قَدْ فُتِنوا بِزينَةِ قارونَ ، فإنَّ فَريقاً آخَرَ مِنْ بَني إسْرائيلَ لَمْ يُفتَنوا بهِ ، وهُمُ الّذينَ آتاهُمُ اللهُ العِلْمَ والحِكْمَةَ وبُعْدَ النَّظرِ في تَقْديرِ الأُمورِ ، هؤلاءِ تَوجَّهوا بالنَّصيحَةِ إلىٰ الجُهَّالِ المَفْتونينَ ، وقالوا لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ، لا تُخدَعوا بقارونَ وأمْوالِه وزينَتِه ، وتَوَقَّفوا عَنْ هذهِ التَمنيّاتِ الباطِلَةِ ، واعْلَموا أنَّ جَزاءَ اللهِ وثَوابَه ونَعيمَه لعبادِه المُؤْمِنينَ الصّالِحينَ خَيْرٌ ممّا تَرَوْنَ وتَتمنَّوْنَ ؛ لأنَّ نَعيمَ الجَنَّةِ باقٍ ما لهُ مِنْ نفادٍ ، وزينةَ الدُّنيا إلىٰ زَوالٍ .

وهٰذهِ الجَنّةُ ونَعيمُها لَيْستْ إلاّ لِلمُؤْمنينَ الصّابرينَ علىٰ فِعْلِ الطّاعاتِ وتَرْكِ المَعاصي ، الّذينَ يَرْغبونَ فِي الدّارِ الآخِرَةِ ، ويَتَرفَّعونَ عَنْ مَحبَّةِ الدُّنْيا ، ويرضَوْنَ بِما قسمَ اللهُ لهُم مِنْ رزقٍ .

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

قضَىٰ اللهُ على قارونَ ، وهُوَ في ذِرْوَةِ بَغْيِهِ وتَكبُّرِه واسْتعلائِهِ ، حَيْثُ خَسَفَ بِهِ وبِدارِهِ الأَرْضَ ، فانْشقَّتِ الأرْضُ وابتلعَتْهُ هُوَ وَزينتَهُ ودارَهُ وكُنوزَهُ ، وغاروا فيها ، وغَيَّبَتْهُمْ داخِلَها .

روَىٰ البخاريُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ـ رضيَ اللهُ عنْهُما ـ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « بينَما رَجُلٌ يجرُّ إزارَهُ ، إذْ خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يتجلْجَلُ في الأرْضِ إلىٰ يومِ القيامةِ » .

وذَهَبَ قارونُ المُتَجبِّرُ المُتكبِّرُ ضعيفاً عاجزاً ، ووقعَ عليْهِ العذابُ ، ولمْ تنفَعْهُ كُنوزُهُ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ غضبَ اللهِ ، ولَمْ يجدْ جماعةً تَنْصُرُهُ وتَدْفَعُ عَنْهُ أمْرَ اللهِ ، ولَمْ يَكُنْ هُوَ فِي نفسِهِ مُنْتَصِراً ، فلاَ ناصِرَ لَهُ مِنْ نفسِه ولاَ مِن غيرِه .

وهٰكذا كُلُّ مَنْ طغَىٰ وتَجبَّرَ ، واعْتَزَّ بمالِهِ وسُلْطانِهِ ، يُوقعُ اللهُ بهِ عِقابَهُ ، فلاَ يَسْتَطيعُ دَفْعَهُ ، ويَذْهَبُ إلىٰ لَعْنَةِ اللهِ وعَذابِهِ ، مِثْلُ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنودِهِما .

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

بعدَما أهْلَكَ اللهُ قارونَ عَرَفَ المَفْتونونَ بهِ الحَقيقةَ ، لكنْ مُتأخِرينَ ، ولمْ يكونوا كالّذينَ أُوتوا العِلْمَ والحِكْمَةَ ، الّذين عَرفوها مِنْ قَبْلُ فَلَمْ يُخْدَعوا بهِ .

فَصارَ الّذينَ تمنَّوْا فِي الماضي القَريبِ أنْ يَكونوا مِثْلَ قارونَ يَحْمَدونَ اللهَ لأنَّهمْ لَيْسوا مِثْلَهُ .

وصاروا يَقولونَ مُتعجِّبينَ : أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يَمُدُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، ويُكَثِّرُهُ عَلَيْهِ ، ويَزيدُهُ مِنْهُ ، ويُضَيِّقُ هذا الرِّزقَ علىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، ويُقَلِّلُهُ عَلَيْهِ . فَهُوَ سُبحانَهُ يُعطِي ويَمْنَحُ ، ويُضَيِّقُ ويُوَسِّعُ ، ويَفْعَلُ ذَلِكَ بِحِكْمَتِه التَّامَّةِ . ولَيْسَ كَثْرَةُ الرِّزقِ للإنسانِ دَليلَ مَحَبةِ اللهِ لَهُ ، فهَا هُو قارونُ آتاهُ اللهُ الكثيرَ ؛ ومَعَ ذَلِكَ خَسَفَ بهِ وقَضَىٰ عَلَيْهِ .

وتابَعوا يَقولونَ : إنَّ اللهَ لَطَفَ بنا وأَحْسَنَ إلَيْنا عندَما لَمْ يُكثِّرِ المالَ عِنْدَنا ، ولَوْ كَثَّرَ أموالَنا لَخَسَفَ بنا كَما خَسَفَ بقارونَ وكُنوزِهِ . وإنّ إهْلاكَ قارونَ يَدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ لا يُحقِّقُ الفَوْزَ والفَلاحَ والنَّجاحَ لِلكافِرينَ ، وإنَّما عاقِبتُهُمْ هيَ الخَسارَةُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَحْذيرُ مَنْ يَسيرُ سِيرَةَ قارونَ مِنْ مَصيرٍ مِثْلِ مَصيرِهِ .

٢ـ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِناً مُسْتقيماً ، يَعْتَزُّ بمالِهِ ، ويَتكبَّرُ ويَخْتالُ بزينتِهِ ، ويَتيهُ علىٰ الآخَرينَ .

٣ـ مِقْياسُ أصْحابِ الدُّنْيا خاطِىءٌ ، لأنَّهُمْ يَعتبرُونَ التَّوفيقَ والفَلاحَ مَحصورٌ بِكَثْرةِ المالِ والمَتاعِ والزِّينةِ .

٤ـ أهْلُ العِلْمِ والحِكْمَةِ والبَصيرةِ لا يُخْدَعونَ بما عِنْدَ الآخَرينَ ، ويُوقِنونَ أنَّ الجَنَّةَ ونعيمَها خَيْرٌ لِلْمُؤْمنينَ .

٥ـ يَقْضِي اللهُ علىٰ المُتَكبِّرينَ المُخْتالِينَ وهُمْ في ذَرْوةِ انْتِفاشِهِمْ ، ولا يجِدُونَ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذَا قالَ المَفتُونونَ بزينةِ قارونَ ؟ وبماذا وصَفتْهُمُ الآيةْ الأُولىٰ ؟

٢ـ بماذا ردَّ عليْهِمُ الّذينَ أُوتوا العِلْمَ ؟

٣ـ ماذا قالَ الّذينَ تَمنَّوْا مكانَ قارونَ بَعْدَ الخَسْفِ بهِ ؟ وعلىٰ ماذا حَمِدوا اللهَ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الجُمْلةِ الأخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُنَّةً ربانيَّةً مطَّرِدَةً .

٥ـ ماذا تُفيدُ كَلِمةُ : « ويّ » في الآيةِ ؟ ولِمَ كرَّرَها مَرتيْنِ ؟

تَعَلَّمْ :

« وَيْكَأَنَّ » مَذْكورةٌ في آياتِ هٰذا الدّرْسِ مَرَّتَينِ ، ولَمْ ترِدْ فِي غَيْرِ هٰذا المَوْضِعِ مِنَ القُرْآنِ ، وَهِيَ مكوَّنةٌ مِنْ كَلِمَتَينِ « وَيْ » : كَلِمَةٌ لِلتعجُبِ . وَ « كَأَنَّ » لا يُرادُ بها هُنا التشبيهُ ، وإنَّما يُرادُ بها التَّقريرُ ، وتُقرِّرُ الجُمْلَةَ المَذْكورةَ بعدَها . فمعنىٰ قولِه : ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزقَ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْترِكَ الآياتِ (١٨ـ٢١) مِنْ سورةِ الإِسْراءِ ، واسْتَخرِجْ مِنْهَا صِفاتِ الّذينَ يُريدونَ الحَياةَ الدُّنْيا ، والّذينَ يُريدونَ الآخِرَةَ .

٢ـ لَيْسَتْ كَثْرةُ المالِ دَليلَ تَكْريمِ اللهِ للإنْسانِ ولا قِلَّةُ المالِ دَليلَ هَوانِه علىٰ اللهِ . اذْكُرْ آيتيْنِ مِنْ سورةِ الفَجْرِ ، تُقرِّرانِ هذهِ الحقيقةَ ، واسْتَخْرِجِ الشَّاهدَ علىٰ ذَلِكَ منْهُمْا ، واكْتُبْ ذلكَ فِي دَفْترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السِّتُّونَ

سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الثامِنَ عَشَرَ

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ : تَكَبُّراً وَقَهْراً وَبَغْياً .

فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ : أَوْجَبَ عَلَيْكَ تَنْفِيذَ أَحْكامِهِ وَتَبْليغَهُ وَدَعْوَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ .

رَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ : يَرُدُّكَ وَيُعيدُكَ إِلَىٰ مَكَّةَ ظافِراً مَنْصُوراً .

ظَهيراً : ناصِراً وَمُعيناً .

لا يَصُدُّنَّكَ : لاَ يَصْرِفَنَّكَ الكافِرُونَ .

هالِكٌ : مَيِّتٌ فانٍ .

التَّفسيرُ :

ذَكَرتْ سورةُ القَصَصِ قِصّةَ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعونَ مُفَصَّلَةً ، وذَكَرتْ هَلاكَ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، كَما ذَكَرتْ قِصَّةَ قارونَ والخَسْفَ بهِ وبِمَلَئِهِ ، وبيَّنَتْ عاقِبَةَ طُغيانِ الحُكْمِ المُتَمَثِّلِ في

فِرْعَوْنَ ، وطُغيانَ المالِ المُتَمَثِّلَ فِي قارونَ .

وناسَبَ أنْ تُخْتَمَ السّورةُ بهذِهِ التّوجيهاتِ لِلْمُسلمينَ ، تَعْقيباً علىٰ القَصَصِ السَّابقةِ .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ هيَ الباقيةُ ، ونَعيمُها هُوَ الدَّائمُ الّذي لا يَزولُ ، يَجْعَلُها اللهُ لِعبادِهِ المُؤْمنينَ الصَّالِحينَ المُتواضِعينَ ، الّذينَ لا يُريدُونَ في حياتِهم الدُّنْيا عُلُوًّا في الأرْضِ ، ولا تَكَبُّراً على النَّاسِ ، ولا تَجبُّراً وظُلماً للآخَرينَ ، ولا فَساداً في الحَياةِ ، وإنَّما يَعيشونَ حَياتَهُمْ بطاعةِ اللهِ وتَرْكِ مَعْصيتِهِ والإحْسانِ إلىٰ عبادِهِ .

هٰؤلاءِ هُمُ الفائِزونَ المُفْلِحونَ ، لأنَّهم كانُوا في دُنياهُم مُتَّقينَ ، والعَاقِبَةُ الحَسَنَةُ إنَّما هيَ لِلْمُتَّقينَ ، الّذينَ اتَّقَوْا عذابَ اللهِ وخافُوا عِقابَهُ ، وأحَلُّوا حَلالَهُ ، وحَرَّموا حَرامَهُ .

وفَرْقٌ بَعيدٌ بَيْنَ عاقبةِ فِرْعَوْنَ وهامانَ وقارونَ حَيْثُ الخُسْرانُ والنَّارُ ، وعاقبةِ المُتَّقينَ حَيْثُ النَّعيمُ والجَنَّةُ .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ الجَزاءَ في الدَّارِ الآخِرَةِ ، وأنَّ النَّعيمَ فيهَا لِلْمُتَّقينَ ذَكَرَ الجَزاءَ علىٰ الأعْمالِ فيهَا ، وإكرامَ اللهِ لِلْمُحْسنينَ ، وعَدْلَهُ في مُحاسَبَةِ المُسيئِينَ .

المُؤْمِنُ المُتَّقِي المُحْسِنُ يَجيءُ يَوْمَ القيامةِ بالحَسَناتِ ، ويَجْزيهِ اللهُ خَيْراً مِنْها ، فَيُضاعِفُها لهُ في الثَّوابِ ، ويُعطيهِ عَلَيْها عَشْرَ أَمْثالِها وأكْثَرَ ، ويُدْخِلُهُ الجَنَّةَ مُنَعَّماً مُخَلَّداً فِيها ، وهٰذا فضلٌ وإحسانٌ ورَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، وهُوَ خيرٌ مِنْ حَسَناتِه الّتي جاءَ بها .

والكافِرُ أوِ العاصي يَجيءُ يَوْمَ القيامَةِ بالسَّيئاتِ ، وهِيَ ما حرَّمَه اللهُ مِنَ الأَفْعالِ والأَقْوالِ ، فَيُعاقِبُهُ اللهُ عَلَيْها ، ولٰكنَّه يَكونُ عادِلاً مَعَهُ في الإِحْسانِ والمُجازاةِ ، فلا يُضاعِفُها أوْ يَزيدُها عَلَيْهِ ، وإنَّما يُحاسِبُه بِمِثْلِها ، ويُجازيهِ نَتيجةَ عَمَلِهِ ، والجَزاءُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ . قالَ تعالَىٰ : ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنها ، وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنونَ . وَمَنْ جَاء بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ في النّارِ . هَلْ تُجْزَوْنَ إلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلونَ﴾ [النمل : ٨٩-٩٠] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾

وبعدَما قدَّمَ اللهُ لِرَسولِه الوَعْدَ والبُشرى أمَرَهُ أنْ يقولَ لِلْمُشرِكين : اللهُ ربِّي عالمٌ بكلِّ شيءٍ ، ومِنْ ذلكَ عِلْمُهُ بالصّالحِ المُهْتَدِي الّذي جاءَ بالهُدىٰ ، وعِلْمُهُ بالكافرِ الضّالِّ ضَلالاً مُبيناً واضِحاً ظاهِراً .

يقولُ هذا لِلْمُشْرِكينَ من بابِ توبيخِهِمْ ، لأنّهم اتّهموا رَسولَ اللهِ ﷺ بالضّلالِ ، لِيعْرِفوا أنّه هوَ المْهتدِي الّذِي جاءَ بالهُدىٰ ، وهُوَ القرآنُ ، وهُمُ الضّالُّون ضَلالاً مُبيناً .

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

بعدَما قدَّمَ اللهُ البُشْرىٰ لِنبيِّه ﷺ ذكَّرهُ بنِعْمتِه العَظيمةِ عَليْهِ وعلىٰ النَّاسِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ نبيّاً وأنزلَ عَليْهِ الوَحْيَ .

قالَ اللهُ لهُ : لمْ تكنْ أيُّها النَّبيُّ تظنُّ أنَّكَ ستكونُ نبيّاً ، ولَمْ تتوقَّعْ ذلكَ أوْ تَرْجوهُ أوْ تنتظرْهُ ، واللهُ هوَ الّذي اصْطفاكَ نَبيّاً ، وبعثَكَ رَسولاً ، وأنْزَلَ عَليْكَ القُرآنَ ، رَحْمة منْهُ بكَ وبالنَّاسِ .

إنَّ النُّبوّةَ اصطفاءٌ واختيارٌ مِنَ اللهِ ، ولَمْ يكُنِ النَّبيُّ ينْتَظِرُها أَوْ يتوقَّعُها ، وإنَّما تَكونُ بتَدبيرٍ منَ اللهِ وَحْدَه ، فَموسَىٰ ـ عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ذَهَبَ إلىٰ جبَلِ الطّورِ لِيَجدَ خَبَراً عندَ النَّارِ ، أو يَأخذَ منْها قَبَساً ، فإذا بنداءِ اللهِ لَهُ واخْتيارِه نَبيّاً ، ومُحَمَّدٌ ﷺ كانَ في غارِ حِراءٍ يَتعَبَّدُ ، فأَنْزَلَ اللهُ الوَحْيَ عَليْهِ . قالَ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعلُ رِسالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

هٰذهِ تَوْجيهاتٌ مِنَ اللهِ لِرسولِه ﷺ بعدما ذكَّره بنِعْمَتِهِ عَليْهِ ورَحْمته بهِ :

ـ لا تَكُنْ مُعيناً لِلكافرِين مُساعداً لَهُمْ ، ولا تُؤيدْهُمْ ولا تَنْصُرْهُمْ ، فلا تعاوُنَ بَيْنَكَ وبينَهُمْ .

ـ احْذَرِ الكافرينَ ، وإيّاكَ أنْ يَصُدوكَ عَنْ آياتِ اللهِ الّتي أنزلَها عَليْكَ في القُرْآنِ ، وآمُرُكَ أنْ تنفذَ ما فيهَا ، وتُبَلِّغَهَا لِلنَّاسَ . واعْلَمْ أنَّ هَدَف الكُفّارِ هُوَ صَدُّ النَّاسِ وصَرْفُهُمْ عَنِ الإيمانِ بهذا الدِّينِ لِيسيرُوا في طريقِ الباطِلِ .

ـ ادْعُ النَّاسَ إلىٰ تَوْحيدِ اللهِ ، وعبادَتهِ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، ولا بُدَّ وأنْ تكونَ الدَّعْوةُ خالِصةً للهِ ، لا يشوبُها أيُّ غَرَضٍ دُنْيويٍّ .

ـ احْذرْ أنْ تَكونَ واحِداً مِنَ المُشْرِكِينَ ، الّذينَ يُشْرِكونَ مَعَ اللهِ غَيْرَه مِنَ الأَصْنامِ والأَوْثانِ .

ـ لا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخرَ ، في أيِّ عملٍ مِنْ أعمالِكَ ، لأنَّ غَيْرَ اللهِ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ والدُّعاءُ لا يكونُ إلا للهِ ، لأنَّ العِبادَةَ لا تَصِحُّ إلاَّ لله ، فَهُوَ الإلٰهُ الواحِدُ ، لا إلٰهَ إلاّ هُوَ .

وهٰذهِ التَّوجيهاتُ الخَمْسةُ مُوَجَهَةٌ في ظاهِرها لِلرَّسولِ ﷺ لكنَّها مَقْصودٌ بهَا أُمَّتَهُ ، تُقدِّمُ لَهُمُ التَّحذيرَ مِنْ تَرْكِ الحَقِّ إلىٰ الباطِلِ ، وتُكَلِّفُهُمْ أنْ يكونُوا ثابتينَ علىٰ الحقِّ .

بعدَ تِلْكَ التَّوجيهاتِ الخَمْسَةِ تَخْتِمُ الآياتُ بِبَعْضِ الصِّفاتِ الّتي تَفَرَّدَ بها اللهُ ، وتدلُّ علىٰ أنَّه لا إلٰهَ إلاّ هُوَ :

ـ لا إلٰه إلاّ اللهُ ، فَهُوَ الخالِقُ ، وكُلُّ ما سِواهُ مَخْلوقٌ ، وهو الباقي ، وكُلُّ ما سواهُ هالِكٌ فانٍ ، سَيموتُ ويَفنىٰ ويَزولُ ويَنْتَهي . كما قالَ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿كلُّ منْ عَلَيْها فانٍ ، ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ـ٢٧] .

ـ بِما أنَّ اللهَ وحْدَهُ هُوَ الحيُّ القيُّومُ الباقي ، فإنَّهُ لَهُ الحُكْمَ والأَمْرَ وحْدَهُ ، ولَه المُلْكُ والتَّصرُفُ وحْدَهُ ، ولَهُ القَضاءُ النَّافِذُ وَحْدَهُ ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادّ لِقَضائِهِ .

ـ واللهُ قَدَّرَ أنْ يُهلكَ جميعَ المَخْلوقينَ ويُميتَهُمْ ، وقَدَّرَ أنْ يُحييَهُمْ يَوْمَ القيامةِ ، لِيُحاسِبَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ ، إنْ خَيْراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فَشَرٌّ ، فَمَرْجِعُهُمْ ومَصيرُهُمْ إلىٰ اللهِ الّذي خَلَقَهُمْ وأحْيَاهُمْ وأماتَهُمْ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الأوّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ ، وإليهِ المَرْجِعُ والمَصيرُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ العاقِبَةُ الحَسَنَةُ السَّعيدَةُ في الآخِرةِ لِلْمُتَّقينَ .

٢ـ مِنْ أهمِّ صِفاتِ الرَّاغبينَ في الجَنَّةِ ، التَّقوىٰ والتَّواضعُ ، وعَدَمُ العُلوِّ وتَرْكُ الفَسادِ .

٣ـ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، ويَجِدُ الإنسانُ في الآخِرَةِ ما قَدَّمَهُ وعَمِلَهُ في الدُّنْيا ، ويُكْرِمُ اللهُ المُحْسِنينَ بِمُضاعَفَةِ الحَسَناتِ بالجَنَّةِ ، وهُوَ عادِلٌ في عِقابِ المُسيئِينَ وتعذيبِهِمْ .

٤ـ أصحابُ الحَقِّ هُمُ المُنْتَصِرُونَ على أصْحابِ الباطِلِ ، والعَاقِبَةُ لَهُمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٥ـ مِنْ شُكْرِ اللهِ علىٰ نِعَمِهِ وإحْسانِهِ اسْتِخْدامُها في طاعةِ اللهِ ، والثَّباتُ علىٰ الحقِّ وتَرْكُ الباطِلِ .

٦ـ وُجوبُ الحَذَرِ مِنَ الكافِرينَ وأَساليبِهِمْ وخِداعِهِمْ ، لأنَّ هَدَفَهُمْ صَرْفُ المُسْلِمينَ عَنِ الحَقِّ .



أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ الفائزينَ في الدّارِ الآخِرَةِ .

٢ـ اذْكُرْ قاعِدةَ المُحاسَبةِ علىٰ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ يَوْمَ القِيامةِ .

٣ـ ما وَجْهُ البُشْرىٰ في قولِه ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ؟ ومتىٰ تحقَّقتِ البُشْرىٰ ؟

٤ـ سجِّلِ التَّوْجيهاتِ الخَمْسَةَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ، مَعَ ذكرِ الدَّليلِ علىٰ كُلِّ واحِدةٍ مِنَ الآياتِ .

٥ـ سجِّلِ الصِّفاتِ الثَّلاثَ الَّتي تفَرَّدَ اللهُ بِها في الآيةِ الأخيرةِ .

نَشاطٌ :

١ـ متىٰ تحقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِرَسولِه في هذهِ الآيةِ؟ ومتَىٰ عادَ الرَّسولُ ﷺ إلىٰ مكَّةَ فاتِحاً ؟ وَما السُّورةُ القَصيرةُ الَّتي أنزَلَها اللهُ عَلَيْهِ بالنَّصْرِ؟ وَسَجِّلْها في دفترِك .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ الآيَةَ (٦٧) مِنْ سورةِ المَائِدةِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨٨) .

٣ـ النَّبيُّ ﷺ فُوجِىءَ بالوَحْيِ في غارِ حِراءٍ ، وما كانَ يَتَوقَّعُهُ أَوْ يَنتظِرُهُ . سَجِّلْ فِي دَفترِكَ قِصَّةَ نُزولِ جِبريلَ علىٰ الرَّسولِ ﷺ في الغارِ بما لا يَزيدُ علىٰ سِتَّةِ أَسْطُرٍ .

* * *